

THE SUNLIT MAN

BRANDON
SANDERSON

ILLUSTRATIONS BY ERNANDA SOUZA,
NABETSE ZITRO, AND KUDRIAKEN

A COSMERE NOVEL

براندون ساندerson

الذي

أضائه نور

الشمس

عالم كوزمير

ترجمة: محمد عصمت

رواية



الذي أضاءه نور الشمس

ساندرسون، براندون.

الذي أضاءه نور الشمس «عالم كوزمير»، رواية / براندون ساندرسون.

ترجمة: محمد عصمت.

القاهرة: كيان للنشر والتوزيع، 2024.

598 صفحة، 20 سم.

تدمك : 978-977-820-249-6

أ- القصة الأمريكية

أ- عصمت، محمد (مترجم)

ب- العنوان : 823

رقم الإيداع : 14490 / 2023

الطبعة الأولى : أكتوبر 2024.

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

-

كيان للنشر والتوزيع

إشراف عام:

محمد جميل صبري

نيفين التهامي

The Sunlit Man

Copyright © 2023 by Dragonsteel, LLC.

Published in agreement with JABberwocky Literary Agency Inc.

through Bears Factor Literary Agency FZC

Brandon Sanderson's photo by Octavia Escamilla-Spiker.

ع ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم

هاتف أرضي: **0235918808**

هاتف محمول: **201001872290+ – 201000405450+**

بريد إلكتروني: info@kayanpublishing.com

الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com

- إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشرين.

© جميع الحقوق محفوظة، وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

**الذي آضاءه نور الشمس
براندون ساندرسون
ترجمة
محمد عصمت**



إليكم جميعاً، يا مُحبي عالم كوزمير
يا مَنْ حوّل أحلامي إلى حقيقة

اللوحات

بريشة إرنادا سوزا، ونايتسي زيترو، وكودريباكين

شركة دراجون ستيل للترفيه.

تظهر تلك اللوحات في الصفحات المذكورة، أو التي تليها

المتفحّمون

إلجي

أخلاق فظيعة

اتصال

ملك الجمرات

كمين

وعاء الرفات المقدّس

ليس نجمًا

الشروق

تحية

المكتشف

الخلفاء

يستحقّ الإنقاذ

دفع قاتل

صلاة للأموات

شكر وعرّفان

عجبًا! يا له من عام! لقد كانت رحلة جايحة تمامًا، تضمّنت الكثير من العمل لكُل من شارك بها. سأحرص على ذكرهم جميعًا في هذه المُقدّمة، لكن في البداية أود التوجّه بجزيل الشكر للجميع. فقد بذل جُهدٌ شاقٌ في تحرير هذه الكُتب، ومُراجعتها، وتسليمها.

مُحرّري في هذا الكِتَاب هو موشيه فيدر، شريكي القديم في الجريمة والرُجل الذي اكتشفني، ولقد سُررنا كثيرًا بالعمل معه مرّة أخرى، ولكم أسعدني وجوده لمُساعدتي في الخطوة التالية من رحلة نوماد. كما أود أيضًا أن أتوجّه بشُكرٍ خاصٍ للدكتور/ جوزيف جنسن على مُساعدته في الفيزياء الفلكيّة، حيث تميل الأمور لأن تتسم بالغموض قليلًا عندما يتعلّق الأمر بها. ولا يجب أن ننسى أيضًا فريق «غامضي كوزمير».. أنتم رائعون يا رفاق.

يُمثّلني فريق رائع في وكالة «جيبرووكي» الأدبيّة، بقيادة جوشوا بلمز. والشكر موصولٌ أيضًا لسوزان فيلاسكينز، وكريستينا زوبل.

يُعدّ هذا الكِتَاب غريبًا مُقارنةً ببقية المشاريع السريّة، لأن لدينا ثلاثة رسّامين لا واحد. حيث إننا أردنا تجربة بعض الأشخاص الجُدد، قبل أن نُحدّد بعض الأفراد بعينهم، الذين أبلوا حسنًا في هذه الرواية، لذا أود توجيه الشكر لهم جميعًا على عملهم الرائع، فقد ازدادت هذه الأعمال تميّزًا بفضل مُشاركتهم بها. قامت إرناندا سوزا بتنفيذ العُلافين الداخليين، برسوماتٍ بالألوان الكاملّة، والرسوم التوضيحيّة، وقد قامت بعملٍ رائعٍ حقًا، وكان من المُذهل استخدامه فيما بعد. كما تولى نابتسي زيترو أمر رسومنا الداخليّة، الذي انضمّ إلينا بعد العمل المُذهل الذي قام به على الصفحات المرسومة في رواية «الرمال البيضاء» المصوّرة الشاملة الجديدة. بينما قام كودرياكين بالرسم التوضيحي الرائع الذي يُزيّن غلافنا.

ونثر بل ويرن، مسؤول الطّباعة لدينا في «أمريكان برنت أند بندري»، سحره في كُل مشروع من المشاريع السريّة. ونحن نُقدّره، هو وخبير الطّباعة، وخبير التجليد، وكُل من ساعد في تصنيع هذا الكِتَاب. ولا يُمكن أن ننسى الدور الفعّال لديبي برجرسون فيما يتعلّق بالطّباعة، ولتشاد ديلون الذي بذل قصارى جُهدِه لضمان استخدام مواد تغليف عالية الجودة.

ومن هنا، اسمحوا لي بأن نمضي قدمًا إلى أقسام «دراجونستيل». وعندما يتعلّق الأمر بهذا الأمر، فيُشرّفني أن لديّ أفضل فريق عمل، وقد بذلوا جميعًا الكثير من الجُهد في هذه المشاريع السريّة.

نائب رئيس قسم التطوير الإبداعي لدينا هو السيّد إيزاك ستورت، الذي يضمّ بين صفوف فريقه بن ماكسويني (الذي قام بعملٍ توضيحيٍّ للحفاظ على تماسك رؤية المشروع)، وراشيل لين بوكانان (التي قامت

بالكثير من العمل لمساعدة إيزاك في العمل مع الفنّانين، واختيار المشاهد التي يجب رسمها، وتتبع التفاصيل كافة)، وجينفر نيل، وهايلى لازو، وبريسىلا سبنسر، وأنا إيرلي.

أما نائب رئيس التحرير لدينا فهو التربوي بيتر أهلستروم، الذي يضم فريقه بين جنباة كلاً من كارين أهلستروم، وكريستي سد. جيلبرت، وجيني ستيفنز (محررتنا الداخلية لهذا الكتاب)، وبيتسي أهلستروم، وإميلي شو هيجام، كما قامت كريستي كوجلر بتحرير الطباعة.

بينما لا يضم قسم السرد لدينا سوى دان ويلز، الذي يلعب أيضاً دور نائب الرئيس. لكننا نتركه يلعب دور المدير على بن للتعويض عن ذلك.

في حين أن مديرة العمليات لدينا هي إميلي ساندرسون، ويضم فريق العمليات مات (مات) هاتش، وإيما تان ستوكر، وجين هورن، وكاثلين دورسي ساندرسون، وماكينا سالون، وهازل كامنجز، وبيكي ويلسون. آدم هورن، المعروف أيضاً بكونه خبيراً في كلاب الرعي القزمة، هو نائب رئيس قسم الدعاية والتسويق لدينا. ويضم فريقه جيريمي بالمر، وتايلور د. هاتش، وأوكتافيا إسكاميلا.

أما كارا ستوارت فهي نائبة رئيس قسم شؤون التجارة والفعاليات، والمسؤولة عن التأكد من حصولكم جميعاً على صناديق الأغراض الخاصة بكم. أفراد فريقها هم إيما تان ستوكر، وكريستي جاكوبسن، وكيلين نيومان، ولكس ويلهايت، وميم جرانج، ومايكل بتمان، وجوي آلان، وآلي رب، وريتشارد روبرت، وكاتي آيفز، وبريت مور، ودالن هولدن، ودانييل فبس، وجاكوب كريسمان، وأليكس ليون، ومات هامبتون، وكاميليا كاتلر، وكوينتون مارتين، وإستير جرانج، ولوجان رب، ولورا لوفريدج، وإماندا باترفيلد، وجوين هيكمان، ودونالد موستارد الثالث، وزوي هاتش، وبابلو موني، وبريدون مور، وأفيري مورجان، ونيثان مورتيسن، وكريستيان فيربانكس، ودال هل، وجورج كالر، وكاثلين بارلو، وكالي أرنولد، وكيتي آلان، وراشيل جاكوبسن، وسيدني ويلسون، وكاتلين هاتش، وجودي تورسك.

كما أود أن أشكر أوريانا ليكرت من «كيكستارتر»، وأنا جالاجر، وبالمر جونسون، وماكنزي ويجنز (صانع الأزرار الرئيسي) من «بيكركت».

وتتكوّن مجموعة الكتابة الخاصة بي من إميلي ساندرسون، وكاثلين دورسي ساندرسون، وبيتر أهلستروم، ودارسي ستون، وإريك جيمس ستون، وآلان لايتون، وإيثان سكارستد، ودان ويلز.

تشمل قائمة قراء المرحلة الأولى «ألفا» قبل النشر كارين أهلستروم، وجوي آلان، وكريستي جاكوبسن، وبرت مور، وبراد نيومان، وكيلين نيومان، وآلي رب، وإيما تان ستوكر، وشون فان بلاك، ودان ويلز.

أما قائمة قراء المرحلة الثانية «بيتا» قبل النشر فتضم رافي بيرسود، وإيان ماكنات، وبراندون كول، وشانون نيلسون، وبن مارو، وجينفر نيل، وبونام ديساي، وكويس ماكجراث، وسوميا مورتاجيتش تاديتش، وكيندرا ألكسندر، وزنيف مارك ليندبرج، وبيج فيليبس، وروزماري ويليامز، وإريك ليك، وديفيد بيرنس،

وويليام جوان، وإريكا كوتا مارلر. وجزيل الشكر لميكاه كيلجور على تعليقاته المبدئية على وصف الصور الموجودة في الكتابين الإلكتروني والصوتي.

أما قائمة قراء المرحلة الثالثة «جاما» قبل النشر فتشمل معظم قراء المرحلة الثانية «بيتا»، بالإضافة إلى إفينجي (أرجنت) كيريلوف، وجوشوا هاركي، وروس نيوبيري، وتيم تشالتر، وجيسيكا أشكراي، وتد هيرمان، وبريان ت. هل، وروب ويست، وبيج فست، وجاري سنجر، ودارسي كول، وكالياني بولوري، وجايدن كينج، ولينجتنج (بوتانكا) شو، وجلين فوجيلار، وبوب كلوتز، وييلي تود، وميجان كان، وإياهو بيرلويتز ليفن، وأرون فورد، وجيسي ليك، وسام باسكين.

أما فريق الغامضين فيضم إريك ليك، وإفينجي (أرجنت) كيريلوف، وبن مارو، وديفيد بيرنس، وإيان ماكنات، وجوشوا هاركي.

وبما أن هذا هو الكتاب الأخير من المشاريع السرية لـ «كيكستارتر»، فأود أن أعتنم الفرصة لأشكركم جميعاً. رُبما أكون أنا من كتبت هذه الكتب، لكنكم أنتم من خلقتُم الحدث المتعلق بها. لقد جعلتُم هذا العام مُميّزاً للغاية. ولا تنسوا أن تراجعوا الحاشية بعدما تنتهون من قراءة العمل، فهناك المزيد.

براندون ساندرسون

استيقظ نوماد⁽¹⁾ ليجد نفسه بين المدانين.

رَمَشَ بعينه، وانتبه لأن خدّه الأيمن يسترخي على التراب. قبل أن يُصَبَّ جام تركيزه على المنظر المتناقض لذلك النبات الذي ينمو بحركة سريعة أمام عينيه. هل يحلم؟ ارتجف البرعم الهش وتلوى، مُرتفعًا عن الأرض. بدا وكأنه يتمدد فرحًا، بينما تتفتح قرون بذوره كذراعين بعد نوم عميق. انبثقت ساق من المنتصف، واختبرت الهواء كلسان ثعبان. قبل أن تمتد يسارًا نحو الضوء الخافت الساطع من ذلك الاتجاه.

تأوه نوماد ورفع رأسه، بعقل مُشوش، وعضلات يغزوها الألم. إلى أين قفز هذه المرة؟ وهل سيكون بعيدًا بما يكفي للاختباء من سرية الليل؟

بالطبع لن يكون كذلك، فلا يمكن لأي مكان أن يُخفيه عنهم.
عليه أن يستمر بالحركة، عليه أن...

بحق العواصف؛ لقد بدا الاستلقاء هنا أمرًا جيدًا، ألا يمكنه نيل قسطٍ من الراحة لبعض الوقت؟ والتوقف عن الفرار لمرة؟

أمسكت به أيدٍ خشنّة من الخلف، انتزعته من سباته، وجذبتّه ليجثو على ركبتيه. أصبح أكثر وعيًا بما يُحيط به؛ بأصوات الصراخ، والأنين. التي غفل عنها بعد أن غمرته الثمالة التي تتبع القفز.
ارتدى الناس هنا - بما في ذلك الرجل الذي يُمسك به - ملابس غير مألوفة؛ سراويل طويلة، وأكمامًا بأطرافٍ ضيقة، وقمصانًا بياقاتٍ عاليةٍ تصل حتى الذقون. هزه الرجل، وصرخ في نوماد بلُغةٍ لم يفهمها.
قال نوماد بصوتٍ أجش: «ترج.. ترجمة؟».

قال صوت عميق ورتيب في رأسه: نعتذر، لا نملك ما يكفي من المدخّرات لذلك.
صحيح. فبالكاد وصل إلى عتبة قفزته الأخيرة، التي أفلسته تمامًا تقريبًا. حيث اعتمدت قدراته على الوصول إلى حدودٍ مُعيّنة من استهلاك المدخّرات أو الحفاظ عليها، وهذا هو مصدر الطاقة الغامضة التي غذت الأحداث غير الاعتيادية على مُعظم الكواكب التي زارها.
سأله بصوتٍ أجش: «كم.. كم تبقى لدينا؟».

-حوالي ألف وخمسمائة وحدة (بيو)، لذا، وبعبارةٍ أخرى، أقل من ثمانية بالمئة من سعة القفز.

اللجنة، لقد أفلسته تكلفة المجيء إلى هنا، وهو ما قلِق بشأنه سابقًا. حيث يُمكن لجسده القيام بأشياء استثنائية، ما دام حافظًا على مستوياتٍ مُعيّنة، يستهلك كل منها جزءًا صغيرًا من وحدات الادّخار، لكن هذه

التكلفة كانت ضئيلة للغاية.. ما دام يُحافظ على حدوده.

بمجرد حصوله على أكثر من ألفي وحدة مكافئة للتنفس، يُمكنه اللعب باتصاله. ثم يُمكنه الاتصال بالكوكب باستخدام مهاراته، فيتحدث اللغة المحليّة. مما يعني أن نوماً لن يتمكن من التحدث مع السكّان المحليين حتى يجد مصدرًا للطاقة ليتمتصه.

جفَل من أنفاس الرجل الصارخ، الذي ارتدى قُبعة ذات حواف واسعة، مربوطة تحت ذقنه، وقفازين سميكين. كان النور خافتًا، على الرغم من أن الهالة المُشتعلة أضاءت الأفق. حَمَن نوماً أنهم قبل الشروق مباشرةً. وحتى في ذلك النور، استمرت البراعم في النمو في سائر أنحاء هذا الميدان. ذكّرت الطريقة التي تتحرّك بها تلك النباتات.. بالوطن - وهو مكان لا تُربة فيه، لكن به نباتات أقوى بكثيرٍ من تلك الموجودة في العوالم الأخرى.

لكنها لم تكن تُشبهها، حيثُ إنها لم تراوغ كيلا تُدهس، كما أن هذه النباتات تنمو بسرعة. لماذا؟ لأنه في مكانٍ قريب، انهمك مجموعة من الأشخاص الذين يرتدون معاطف بيضاء طويلةً في دقّ الأوتاد في الأرض.. قبل أن يُقيّد بها الآخرون هؤلاء الذين لا يرتدون المعاطف. اختلفت ألوان بشرة أعضاء المجموعتين رغم ارتدائهم ملابسٍ مُتشابهة.

لم يتمكن نوماً من فهم الكلمات التي يصرّخ بها الآخرون، لكنه تعرّف على طبيعة المدانين، من صرخات اليأس الصادرة عن بعضهم، ونغمات توصل البعض الآخر، والاستسلام المذل الذي ظهر جليًا على معظمهم وهم مُقيّدون أرضًا.

كان هذا إعدامًا.

صرّخ به الرجل الذي يُمسك به مرّة أخرى، وحدّق به بعينين زرقاوين. هزّ نوماً رأسه فحسب، يُمكن لرائحة تلك الأنفاس أن تُذوي الزهور. أشار رفيق الرجل -الذي كان أحد مُرتدي تلك المعاطف البيضاء الطويلة- إلى نوماً مُجادلاً. سرعان ما اتخذ أسروه قرارًا، فانتزع أحدهم مجموعة من الأغلال من حزامه، وهو يتحرّك ليقيّد بها نوماً.

قال نوماً: «حسنًا، لا أظن أن ذلك سيحدث». أمسك بمعصم الرجل، مُستعدًا لدفعه في طريق زميله ليُعرفه.

لكن عضلات نوماً تصلبت.. كآلة جفّ زيتها. تبيّس في مكانه، وابتعد عنه الرجلان، مُندهشين من ثورته المُفاجئة.

انفكّت عضلات نوماً، فمدّ ذراعيه، وشعرَ بألمٍ حادٍ مُفاجئ. همس: «اللعنة!». إن عذابه يزداد سوءًا. نظرَ إلى أسريه الخائفين، على الأقل لا يبدو أنّها مُسلّحان.

ظَهَر شخصٌ من بين الحشد. ورغم أنهم جميعًا يتلفعون بالملابس.. رجالًا كانوا أو نساء، فلا يظهر منهم سوى جلود وجوههم فقط، لكن هذا الوافد الجديد كان عاري الصدر -يرتدي رداءً شفافًا مفتوحًا من

الأمم- وبنطالاً ثقيلاً أسود اللون. كما أنه الشخص الوحيد في الميدان الذي لم يرتد القفازات، بل زين ساعديه زوج من الأساور الذهبية. كما أنه كان قد فقد معظم صدره.

انتزع جزء كبير من جوف الصدر، والقفص الصدري، والقلب - وأحرقوا، تاركين الجلد المتبقي محروقاً ومسوداً. أما في داخل التجويف، فقد استبدلت بقلب الرجل جرة مستعرة. تنبض باللون الأحمر عندما توججها الرياح.. وتتسبب في ومضات مُمائلة من الضوء القرمزي بين الفحم. تسربت علامات الحروق السوداء من الثقب الموجود في جلد الرجل، وامتدت حتى تركت بضع لطخات على وجهه، تتلألأ أحياناً بشرارات أصغر بكثير. بدا الأمر وكأن الرجل قد ربط بمحرك نفاث أثناء اشتعاله.. فلم يتركه حياً فحسب، بل ومُحترقاً إلى الأبد بطريقة ما.

قال نوماد: «لا أعتقد يا رفاق أنكم من النوع الذي يستمتع بالخطأ الهزلي الذي يرتكبه الوافد الجديد تجاه ثقافتكم؟». وقف ورفع يديه كيلا يبدو مصدرًا للتهديد، مُتجاهلاً غرائزه التي تصرخ به -كعادتها- بأن عليه أن يفر هارباً.

سحب ذو الجمره هراوة ضخمة من ظهره. تُشبه هراوات الشرطة، لكنها أشد إزعاجاً لأنها غير مُميتة. قال نوماد وهو يتراجع: «لم أعتقد ذلك». راقبته قلّة من الأشخاص المُقيدين بأملٍ غريب، لكنه مألوف للسجناء - سُعداء لأن شخصاً آخر قد بدأ يلفت الانتباه. اندفع نحوه ذو الجمره، بسرعة خارقة للطبيعة، وضوء قلبه يتوهج. إنه مُدّخر، هذا رائع. بالكاد تفادى نوماد ضربة قوية.

صاح نوماد: «أحتاج إلى سلاح يا أوكس (2)!».

قال الصوت داخل رأسه: حسناً، استدع واحداً إذن يا مُرافقي العزيز، لا أرى ما يمنعك. أطلق نوماد صوتاً ساخراً، وهو يندفع إلى قلب رُقعة طويلة من العشب كانت قد نمت بسرعة في الدقائق التي تلت استيقاظه. حاول أن يدفع سلاحه للظهور، لكن شيئاً لم يحدث.

قال أوكس بصوتٍ رتيب للغاية كعادته: كان ذلك عذابك، علّق الفارس مُساعداً مُرافقه متواضع القدرات، لقد نما بما يكفي ليحرّمك من الأسلحة. لقد كان مُدركاً لذلك، ومن هنا جاء التعليق الإضافي.

قفز نوماد مرة أخرى عندما هوى ذو الجمره بهراوته في ضربة كادت تُصيبه.. وجعلت الأرض ترتجف عندما أصابتها. بحق العواصف، إن هذا النور يزداد إشراقاً، ويُغطي الأفق بأكمله بطريقة تبدو مُتساوية أيضاً. ما.. ما حجم شمس هذا الكوكب؟

صاح نوماد: «ظننتُ أن نُذري قد وفرت عليّ هذا النوع من العذاب!».

-أنا آسف يا نوماد، لكن عن أي نُذرت تحدثت؟

استعدّ ذو الجمره لضربه اخرى، أخذ نوماد نفساً عميقاً، ثم تفادى الهجوم، وتحرك لضرب الرجل بجسده. لكن جسده تيبس مرّة اخرى، بمجرّد أن تحرك ليُنْفذ ضربه.
يُخاطب الفارس نفسه بصوت مسموع: حسناً، أفهم الأمر الآن. إن عذابك يُحاول الآن منعك حتى من المشاجرات الجسديّة البسيطة.



ألا يُمكنه حتى الهجوم على شخص ما؟ يزداد الأمر سوءًا. ضربه ذو الجمره على وجهه، وألقى به أرضًا. لكن نوماذ نَجَح في التدرُّج مُبتعدًا عن ضربة الهراوة، قبل أن ينهَض على قدميه متأوِّهاً. هاجمته الهراوة مرَّةً أخرى، رَفَع نوماذ كلتا يديه بشكلٍ غريزيٍّ.. وأمسكَ بها، وصدَّ الضربة بقوة. اتسعت عينا ذي الجمره. ومن مكانٍ قريب، صاحَ عدد من السُّجناء، والتفت الرؤوس، يبدو أن الناس هنا لم يعتادوا رؤية شخصٍ يُجابه أحد هؤلاء المحاربين المدَّخِرِينَ رأسًا برأس. قبل أن تزداد عينا ذي الجمره اتساعًا - وهو يصرُّ على أسنانه - تقدَّم نوماذ إلى الأمام وأفقده توازنه، مما جعله يتعثَّر للخلف. ومن خلف المحارب الغريب، شوَّه نور متوهِّج الأفق المنصهر، جالبًا معه حرارة شديدة مُفاجئة. ومن حولها، بدأت النباتات التي نَمَت بسرَّعة كبيرةً تذبل. وأنت صفوف الأشخاص المُقيدين وبدأوا في الصراخ. صرَّخ جزء من نوماذ: /هَرَب.. هَرَب!

وهو بالضبط ما فعله. فهذا كلُّ ما يُجيده هذه الأيام. لكنه عندما استدار ليركُض مُبتعدًا، رأى رجلًا آخر ذا جمره يستعد لضربه. حاول نوماذ أن يصد تلك الضربة بدورها، لكن جسده المندفع تبيَّس مرَّةً أخرى. صرَّخ والهراوة تضربه في جانبه: «بحقك!».. تعثَّر، ولكمه ذو الجمره في وجهه بقبضةٍ قويَّة، لِيُسقطه أرضًا مرَّةً أخرى.

شَهَق نوماذ، وأنَّ مُتألِّمًا، وشعرَ بملَمَس التُّربة الرملية والنصخور على بشرته. وبالحرارة، الحرارة الرهيبة المذهلة المنبعثة من الأفق، التي لا تزال تتزايد بكثافة.

استدارَ ذوا الجمره مُبتعدين، وأشار أولهما نحو نوماذ من فوق كتفه. أسرع الضابطان الخائفان اللذان يرتديان معطفين أبيضين نحوه - بينما سَقَط نوماذ أسيرًا لنوية من الدهول جرَّاء الألم والإحباط اللذين شَعَرَ بهما - ليكبَّلا يديه سويًا. بدا وكأنَّهما يُفكَّران في دقِّ وتدٍ في الأرض وتثبته هناك، قبل أن يُحْمنا بطريقةٍ صحيحة أن الرجل الذي يُمكنه الإمساك بهراوة مُحاربٍ مُستثمر، يُمكنه انتزاع الوتد بمُنتهى السهولة. وبدلًا من ذلك، جذباه نحو طوق نُبَّت على قطعة حجر، وقيداه هناك.

خرَّ نوماذ على رُكبتيه في صفِّ السُّجناء، والعرق يتقطَّر من جبينه مع ازدياد الحرارة. صرَّخت غرائزه فيه أن يهرب.

بينما أراد جزءٌ آخر منه أن.. ينتهي الأمر ببساطة. لِكَم من الوقت استمرَّت المطاردة؟ كم من الوقت مضى منذ أن وقَّف بعزَّة؟

قال لنفسه: ربَّما سادع الأمر ينتهي، بقتل رحيم، كرجل أصيب بجروحٍ قاتلةٍ في ساحة المعركة. سَقَط أرضًا، والألم ينبُض في جانبه، لكنه شكَّ في أن شيئًا قد انكسر. فما دام يُحافظ على حوالي خمسة بالمئة من سعة القفز - أي ما يُقارب الألف (بيو) - فسيكون جسده أشدَّ قوَّة، وأكثرُ قدرةً على التحمُّل، حيثُ

تتهشم عظام الآخرين، ويصابون بالكدمات. ومن شأن النيران التي ستحرق الآخرين أن تسفحه فحسب.
يقول البطل لخدمته المهان بصوت مليء بالثقة: جار البدء في عملية الشفاء، سعة القفز
لديك أقل من عشرة بالمئة، لذا لن تكون عملية الشفاء فعالة مثلما اعتدت.

تساءل في بعض الأحيان عما إذا كانت التعزيزات التي يحملها نعمة أم أنها مجرد جزء آخر من العذاب.
ازداد النور مع ازدياد الحرارة، حتى أعمى الأبصار. أما هذا الدخان الذي يتصاعد من بعيد.. هل اشتعلت
الأرض بالنيران؟ من نور الشمس؟
اللعنة.. بل إن اللعنة بنفسها ترتفع في الأفق.

قال أو كس: إن هذا النور أقوى بكثير من أشعة الشمس العادية.. أو على الأقل مقارنةً بأي
كوكب مأهول.

همس نوماد: «هل تعتقد أن هذا النور مدّخر؟ مثلما كان الأمر على متن تالدين؟».

يقول الفارس بفضول متأمل: نظرية لا بأس بها.

- «هل تعتقد أن بإمكانك امتصاصه؟».

- ربما. سنعرف ذلك قريباً.

إذا تمكّن من امتصاص ما يكفي، فسيتمكن القفز خارج هذا الكوكب مباشرةً، وقطع مسافة أكبر بعيداً عن
سريّة الليل. ألن يكون ذلك لطيفاً ولو لمرة؟ أن يحصل على خطوة السبق؟ ومع ذلك، فهناك شيء ما
بخصوص شدة هذا النور يزرع الفزع في قلب نوماد، ويثير قلقه. حدّق فيه بينما انتهى الضباط القريبون -بها
في ذلك ذوو الجمره- من تكبيل السجناء. وبمجرد أن انتهوا من فعل ذلك، هرعوا نحو صفّ من الآلات؛
آلات طويلة ونحيفة، تحتوي كل منها على ستة مقاعد. مفتوحة من الأعلى، مع حاجز زجاجي يحتل الجزء
الأمامي، وأدوات تحكّم للمشغل الأمامي الأيسر، وبدت نوعاً ما مثل.. دراجات هوائية سداسية المقاعد؟
هيكّل غريب، لكنه لم يكن متأكدًا مما يمكنه أن يطلق عليها خلاف ذلك. ويبدو أن المرء يجب أن يركب على
كل مقعد، كما يمتطي الفارس جواده -وكانت هناك فتحة للساق الداخلية- رغم أنها جميعاً لحمت سوياً على
طول جسد المركبة الرئيسي الذي يفتقر لأي جدار داخلي أو باب. مهما يكن، لم تغمره الدهشة عندما اندلعت
النيران تحت أول مركبة منهم، قبل أن ترتفع في الهواء لمسافة ستة أقدام أو نحو ذلك.

وفيم يهيمه هذا؟ التفت نحو النور المتزايد بينما اكتسبت النباتات -التي كانت تنبض بالحياة قبل دقائق-
لوناً بئياً وبدأت تذبل. اعتقد أن بإمكانه سماع صوت قرقعة النيران من مسافة بعيدة مع تقدّم نور الشمس
بكامل قوته، كمقدمة لعاصفة كانت مألوفة له من قبل.

وخمن، وهو يراقب قوة ذلك النور، أنه لن يتمكن من امتصاصه، بنفس الطريقة التي سيعجز بها سلك
وقابس عاديان عن التعامل مع المخرجات الخام لمفاعل نووي. لقد كان هذا شيئاً لا يُصدّق، قوة من شأنها
أن تحرقه قبل أن يتمكن من الاستفادة من طاقتها.

قال أوكس بصوته الرتيب: ينتابني شعور بأن محاولة امتصاص واستخدام المُدخّرات الكامنة به ستكون مثل محاولة انتقاء ندفة ثلج من قلب انهيار جليدي يا نوماد. لا.. لا أعتقد أننا يجب أن ندعها تمسك.

همس نوماد: «ستقتلني لو مسّنتني».

- هل هذا.. ما تريده؟

- لا.

لا، على الرغم من أنه كان يكره الكثير من تفاصيل حياته، إلا أنه لم يكن يرغب في الموت. حتى لو حمل كل يوم بين جنباته المزيد من الوحشية.. حسناً، تعرف الأشياء الوحشية كيف تُكافح من أجل الحياة.

أصاب نوماد دفقة مفاجئة من اليأس المحموم. فبدأ يجذب السلاسل ويضربها. أفلعت ثاني الدراجات الهوائية الأربع، وعرف -من سرعة نور الشمس المتقدّم- أن تلك الدراجات هي أمله الوحيد في الهروب. صرخ بصوت أجش، وهو يضرب الفولاذ، ويمدده.. دون أن يتمكن من تحرير نفسه.

صرخ: «أحتاج إلى نصل يا أوكس! تحوّل!».

- لست أنا من يحول دون ذلك يا نوماد.

-«سيقتلنا هذا النور!».

-تصحيح: سيقُتلك يا خادمي المسكين، لأنني مَيّت بالفعل.

صرخ نوماد بشيء بدائي عندما أفلعت الدراجة الهوائية الثالثة، رغم أن الأخيرة كانت تواجه بعض المشاكل. ربّما..

انتظر.

-«لقد حُظِر عليّ استخدام الأسلحة، لكن ماذا عن الأدوات؟».

-ولماذا سيحظرونك عن استخدامها؟

يا لك من شخص أحمق يا نوماد! إن مُساعده (أوكس) عبارة عن أداة معدنية يُمكنها -في هذه الحالة- أن تتجسّد على هيئة عتلة. تشكّلت في يده وكأنها خلقت من ضباب، وظهر بغتة. ثبتها نوماد إلى الطوق المثبت إلى الجلمود، قبل أن يلقي بثقل جسده عليها.

طاك!

تحرّر، وعلى الرغم من أن يديه ظلّتا مكبّلتين بالأصفاذ، وقفت قدمان متراخيتان بينهما. ترنّح واقفاً على قدميه، واندفع نحو الدراجة الهوائية الأخيرة بينما اندلعت النيران تحتها أخيراً.

استدعى مُساعده على هيئة خُطّاف وسلسلة، ألقاهما من فوره على الدراجة، فتعلّق بها في نفس اللحظة التي أفلعت فيها. وبناءً على أوامر نوماد، بمجرّد أن تشبّث بها المُساعِد، انزلق الخُطّاف قليلاً قبل أن ينغلق كطوقٍ صلبٍ على الجزء الخلفي من المركبة. أما الطرف الآخر من السلسلة فقد انغلق على أصفاذ نوماد.

طالته أشعة الشمس، وضوؤها المكثف الحارق بشكل لا يُصدّق.

اشتعلت النيران في السُجناء، فتعالت صرخاتهم.

يصرخ الفارِس: عجباً، بحق العواصفِ.

في نفس اللحظة، جُذِبَ تراخي السلسلة عن آخره. لينتشل نوماد من قبضة نور الشمس، بينما صرّخ

جلده في ألم، واشتعلت ملايسه بالنيران.

لقد انتزع من قبضة موت مُحتم. لكن نحو ماذا؟ لم يكن لديه أي فكرة.

[1](#) Nomad: كلمة إنجليزية تعني «رحالة» أو «هائم على وجهه». (المترجم).

[2](#) AUX: اختصار لكلمة (auxiliary) وهي الكلمة التي تعني مُساعد أو تابع. «المترجم».

كان جانب نومات هو أول ما اصطدم بالأرض، قبل أن تجرّه الدراجة الهوائية خلفها بسرعةٍ مُخيفة. قال أوكس: جار البدء في عملية الشفاء، كما أن جسدك قد تكيف مع ضغط الهواء المنخفض بالبيئة المحلية. لكن لم يتبقّ لديك سوى القليل من وحدات الأذخار يا نومات. حاول ألا تتلقى الكثير من الضربات في الجزء التالي، اتفقنا؟

وحتى أثناء قول أوكس ذلك، اخترق نومات حواجز النباتات الذابلة واصطدم بالصخور بشكلٍ مُتكررٍ، وسلخت الأرض بشرته. لكن نومات كان قوي البنية، كما ذكرنا من قبل. وأدى المستوى الأول من وحدات الأذخار إلى تقويته، على الرغم من أن عملية الشفاء ستستهلك وحدات الأذخار بشكلٍ أسرع من بقية القدرات، قد لا يستهلك الكثير منها في عملية الشفاء، ما دام احتفظ بالحد الأدنى من الخط الأساسي. لكنه لم يكن خالداً، وستمكن معظم الأسلحة المتطورة من قتله.. اللعنة، بل حتى ويمكن للأسلحة البدائية قتله، إذا استخدمت باستمرار، لتستهلك كامل مخزونه من وحدات الأذخار. ورغم ذلك، ظلّ متماسكاً، في حين انبغى على ذراعي أي رجل عادي أن يُتزعاً من مفصليهما - حيثُ انسلخ جلدهما عندما أصبحت بقايا النباتات أشبه بالشفرات الحادة في مثل تلك السرعة العالية - بل حتى واستطاع الشفاء من الحروق التي أصابته.

قال أوكس: لقد انخفضت النسبة إلى ستة بالمئة، ومع أخذ كل الأمور في الاعتبار، فهذا ليس سيئاً للغاية. لكن.. هل شعرت بتلك الحرارة؟ إنها غير معقولة. إنها تحتوي على وحدات أذخار بكل تأكيد، لكنني لم أتمكن من الحصول على أيها. ولكان من شأن انفتاحي لامتصاصها أن يُدّمّرني. سنحتاج لطريقة أكثر أماناً لنتمكن من حصادها.

أن نومات أماً عندما اصطدم بالأرض مرةً أخرى، وبدلً جُهداً ليتمكن من الالتفاف ليوزع وطء الضرر الإضافي على فخذه وكتفه. ورغم أن الرياح أحمّدت النيران التي اشتعلت في ملبسه، مزقت القوة الناتجة عن الاصطدام بالأشياء بقايا سترته وقميصه.

ورغم ذلك، ظلّ جلده متماسكاً. لم يُمانع النتائج القاسية المترتبة على هروبه، فقد كانت أفضل من الاحتراق في أشعة الشمس تلك.

أغمض عينيه، محاولاً تبديد الألم الأكبر. ذكرى صرخات السجّناء التعساء عندما طالتهم أشعة الشمس، لتحوّلهم إلى رمادٍ في غضون ثوانٍ. فقد كان متأكدًا من أن بعضهم استنجد به طلباً للمساعدة.

ما كان ليتمكن من تجاهل ذلك في وقتٍ من الأوقات. لكن ملايين البشر، بل المليارات أيضاً يموتون كل يوم في سائر أنحاء كوزمير، وليس بإمكانه أن يضع حداً لذلك، فبالكاد يستطيع أن يُحافظ على حياته.

لكنه أمر مؤلم رغم كل شيء. وحتى بعد مرور سنوات من العذاب، ظلّ يكره رؤية الموت وهو يحصد أرواح الناس.

نكس ذقنه، ليحمي وجهه من الفوضى العارمة التي نتجت عن جرّه عبر السطح الخشن لهذا العالم القاسي. تمكّن من رؤية الظلام يغزو السماء، واختفى نور الشمس المخيف تحت الأفق، وكان وقت الغروب قد حان، رغم أن نوماً كان هو الذي يتحرّك. كانت الدراجة الهوائية سريعة بما يكفي لتدور حول الكوكب لتسبق شروق الشمس، ولتجنّب برائن الشروق الحارقة.

لا بد أن معدّل دوران هذا الكوكب بطيء، هذا ما رصده البطل لخادمه الضال. لاحظ كيف يمكن لهذه المركبات أن تسبق الشمس بسهولة.

ومقابل الشمس، ظهرت حلقة كوكبية هائلة في السماء.. قوس عريض يعكس نور الشمس. لم يتمتع نوماً سوى بفرصة صغيرة للاستمتاع بالعودة إلى الشفق الآمن. فقد انهمك العديد من راكبي الدراجة الهوائية في محاولة فكّ سلسلته، لكنه كان أمراً صعباً في مثل هذه السرعة - إضافة إلى كونه ثقلاً في نهايتها - حتى لو لم يُحكّم تثبيتها. تساءل عمّا إذا كانوا سيتوقّفون ليتولّوا أمره، لكنهم استمروا في الطيران خلف الدراجات الأخرى، دون أن يرتفعوا أكثر من بضعة أقدام عن سطح الأرض.

أخيراً تباطأت سرعتها، قبل أن تتوقّف. واسترخى نوماً في بقعة من التربة الرطبة، مُستمتعاً بلذّة الإحساس بشيء ناعم. تأوّه وهو ينقلب، تحوّل سرواله إلى فوضى من الأسماك الممزّقة، بينما عانى جلده حديث الشفاء من الضرب والسلخ، في حين ظلّت يدها مكبّلتين بالأصفاً. وبعد لحظة من العذاب - قضاها في محاولة تقدير حقيقة أنه على الأقل لن تُضاف أي آلام جديدة إلى تلك التي يشعر بها - أدار رأسه محاولاً رؤية سبب توقّفها.

لم يستطع رؤية سبب ذلك. ربما كان الأمر متروكاً للسائقين لتحديد الاتجاهات.. لأن الدراجات الهوائية أفلعت مرّة أخرى، بعد مناقشة قصيرة. هذه المرّة، ارتفعت في الهواء للأعلى، تاركة نوماً يتدلى منها. على الأقل، هذا أفضل، لأنه لن يصطدم بأي شيء أثناء طيرانها. وافترض أنهم ظلّوا على ارتفاع مُنخفض قبل ذلك لأنهم لم يرغبوا في المخاطرة بالارتفاع أكثر من اللازم في ظلّ وجود نور الشمس.

طاروا لمدة ساعة تقريباً قبل أن يصلوا أخيراً إلى شيء مثير للاهتمام؛ مدينة طائرة. تحرّكت بين التضاريس، كطبق عملاق، مُرتفعة بفضل قوّة دفع مئات المحرّكات المشتعلة تحتها. لقد زار نوماً مُدناً طائرة من قبل، بما فيها مدينة على متن كوكب قريب من عالمه الأصلي، لكنه نادراً ما رأى واحدة.. مُتداعية بهذه الطريقة. كانت عبارة عن مجموعة من المباني المكوّنة من طابق واحد، كحبيّ فقير عملاق، وهي ترتفع فوق الأرض بطريقة ما.. لكن لثلاثين أو أربعين قدماً فقط. في الواقع، بدا وكأنّ مجرد الوصول إلى مثل هذا الارتفاع المتواضع يُرهق محرّكات المركبة، فبالكاد كان ارتفاعها كافياً لتجاوز التضاريس الطبيعيّة.

لم تكن هذه مدينة مُحَلِّقة تُسرِّ تكنولوجيتها الناظرين، بل كانت مُجَرَّد مُمارَسة يائِسة للبقاء على قيد الحياة. نَظَرَ خلفه بعيداً، حيثُ تلاشى النور في الأفق حتى أصبح غير مرئي. ومع ذلك، عَرَفَ يقيناً أن الشمس هُناك، تلوح في الأفق، كتاريخ إعدامك.

هَمَسَ: «عليكم أن تسبقوها طوال الوقت، أليس كذلك؟ تعيشون في الظلال لأن الشمس هُنا ستقتلكم». اللعنة.. يتوجَّب على مُجْتَمَعٍ كاملٍ أن يستمر بالحركة، ليسبق الشمس نفسها؟ دَفَعَتِ الآثار المترتبة على ذلك عقله إلى العمل، وبدأ تدريبه القديم -الرجُل الذي كان عليه ذات يوم- يستولي على الجُثَّة التي أصبح عليها. لماذا لم يكن الطقس على هذا الكوكب، حتى في قلب الظلام، عاصِفاً؟ لأنه ما دامت سخَّنت الشمس أحد جانبي الكوكب طوال الوقت، فلن تتمكن أبداً من البقاء حياً على جانبه الآخر. لقد كان ذلك واضحاً، لكنه ما زال يجهل شيئاً ما.

كيف يوفرون غذاءهم؟ وأي وقود يُغذي تلك المُحرَّكات؟ وكيف يتسنى لهم الوقت الكافي لاستخراجه أو التنقيب عنه أثناء تحرُّكهم؟ وبالحدِيث عن التنقيب، لماذا لا يعيشون في كهوف؟ من الواضح أن لديهم فائضاً من المعدن، لأنهم يستخدمونه لتقييد هؤلاء الحمقى المساكين بالأرض.

لطالما كان فضولياً. حتى بعد أن أصبح جُندياً -مُبتعداً بشكلٍ واضحٍ عن حياة الباحث العلمي- لم يتوقَّف عن طرح الأسئلة. والآن شغلته تلك الأسئلة، حتى أوقفها بيدٍ من حديد. لا يُهم سوى سؤال واحد، هل سيكون مصدرُ الوقود الذي يمد تلك المُحرَّكات بالطاقة كافياً لتزويده بما يكفي لقفرته التالية، وإخراجه من هذا الكوكب قبل أن تعثر عليه سرِّيَّة الليل؟

زأرت الدراجة الهوائية، وهي ترتفع نحو المدينة. تدلى أسفل آخر الأربعة، التي رزحت تحت وطأة ثقله، اندلعت نيران المُحرَّكات المثبتة تحتها نحو سلسلته، وسخَّنتها. حُسن الحظ، يُمكن لمُساعدته التعامل معها. لكن من الغريب أن هذه الزيادة البسيطة في الارتفاع قد جعلت أذنيه تفرقعان وهي تُعادل الضغط.

لم تتوقَّف الدراجات بالطريقة التقليدية بمُجرَّد وصولها إلى مستوى سطح المدينة، بل تحرَّكت بشكلٍ جانبيٍّ حتى تعلقت بحافة المدينة، وبقيت مُحركاتها قيد التشغيل، لتضيف قوَّة دفعها إلى قوَّة دفع المُحرَّكات الأساسية.

تدلى نوماً من يديه وسلسلته، تلاشت آلامه وهو يتعافى مرَّةً أخرى، على الرغم من أن عملية الشفاء هذه المرَّة كانت ضئيلة مُقارنةً بما احتاجه للتعافي من نور الشمس. ومن منظوره، تمكَّن من رؤية كُتل من التلال القاحلة والحُفَر الموحلة بالأسفل، كأراضٍ بور أو مُستنقعات. تركت المدينة أثراً واسعاً من المُخلفات المُحترقة والجافَّة. وكان من الواضح، أنه في ظل وجود علامة كهذه، فمن السهل على تلك الدراجات أن تتعقب طريق عودتها.

فوجئ بمدى قُدرته على الرؤية. رَمَسَ، فتساقط العرق والماء الموحل في عينيه، ثم نَظَرَ إلى تلك الحلقة مرَّةً أخرى. وكحالها في مُعظم الكواكب، تكوَّنت في الواقع من مجموعة من الحلقات. لامعة، زرقاء وذهبيَّة،

وتدور حول الكوكب.. عالية في الهواء، وتبدو وكأنها تمتد إلى ما لا نهاية. تُشير إلى الشمس، وتميل بزواوية طفيفة، فتعكس نور الشمس نحو سطح الكوكب بالأسفل. والآن، بعد أن تمكّن من تفحصها، اعترف جزء منه بمدى روعة منظرها. لقد زار عشرات الكواكب، لكنه لم ير شيئاً بهذه الروعة من قبل. الطين والنار بالأسفل هناك، لكن في الهواء.. كانت تلك الفخامة. إن هذا الكوكب يرتدي تاجاً.

اهتزّت سلسلته عندما بدأ شخصٌ ما في سحبه للأعلى. وسُرعان ما أمسك بذراعيه ورفعته إلى سطح المدينة المعدني، إلى شارع ملتوٍ تصطف المباني الصغيرة على جانبيه. تجاذب حشد صغير أطراف الحديث وأشاروا إليه. لكنه تجاهلهم، وصبّ جام تركيزه على الخمسة أشخاص المميّزين الذين يقفون خلفهم بدلاً من ذلك.. أناسٌ زيّت الجمرات صدورهم.

وقفوا برؤوسٍ محيية، وأعينٌ مُغلقة.. وقد بردت جمراتهم. قال لنفسه: هناك امرأتان بينهم، رغم أن النيران التي أحرقت صدريهما لم تترك أثراً لأي ثدي، بل فقط تلك الفجوة التي امتدّت بعرضٍ شبرين، بينما اخترقت قطع من الضلوع الجلد المُتفحّم، في حين احتلّت جمرتان مكان قلبيهما.

ارتدى بقية الأشخاص نفس الملابس التي رآها بالأسفل؛ ذات الياقات العالية التي تصل حتى ذقونهم، وتلفّعوا بالملابس، وارتدوا القفّازات جميعاً. بينما ارتدى العديد منهم المعاطف البيضاء الرسمية، المفتوحة من الأمام، واعتلت أكتافهم بعض الشارات، إنهم إما ضباط أو مسؤولون. أما البقية، فارتدوا ملابس باهتة الألوان وبدوا كمدنيين. ارتدّت بعض النساء التنانير، رغم أن العديد منهن فضّلن السُترات الطويلة التي تُشبهها، مفتوحة من الأمام لتكشف عن السراويل من تحتها. وارتدى الكثير منهم -رجالاً ونساءً- قُبّعات ذات حواف واسعة. لكن لماذا يرتدونها بينما بالكاد يوجد أي نور هنا؟

قال لنفسه بإنهاك: لا تُفكر في ذلك. من يهتم؟ لن تبقى هنا لفترة كافية لتتعلم أي شيء عن ثقافتهم. تمتعت نسبة كبيرة منهم ببشرة شاحبة، رغم أن نسبة تكاد تكون مُماثلة منهم امتلكت بشرة داكنة كبشرته، بينما تمتعت نسبة أقل بدرجاتٍ تتراوح فيما بينهما. وسُرعان ما هدا الحشد، وغضّوا أبصارهم قبل أن يتعدوا، مُتفرّقين ليُفسحوا المجال لوافد جديد. استقرّ نوماً على كعبيه مرّة أخرى، مُتنفّساً بعمق. اتضح أن الوافد الجديد رجلٌ طويلٌ يرتدي معطفاً أسود اللون.. بعينين متوهجتين.

التمعتا بلونٍ أحمر داكن، وكأنها مُضاءتان من الداخل. ذكّر تأثيرهما نوماً بشيءٍ من ماضيه، حدّث منذ فترة طويلة.. لكنها لم تُشبهه الأعين الحمراء لروح فاسدة، بل كانت أشبه بشيءٍ يحرّق بداخل الرجل. كما توهّج معطفه الأسود بدوره، على طول الحواف، بلونٍ أحمر بُرتقالي مُماثل. ظنّ نوماً أن إحدى تلك الجمرات تُزيّن صدره كذلك، رغم أنها اختبأت تحت بعض الملابس الرقيقة. لم يبد أنها قد تعمّقت في جلده كالآخرين، لأنه لا يزال يحتفظ بشكل تجويفه الصدري. حاكى توهّجه توهّج العديد من المباني، التي توهّجت حواف جدرانها وكان النيران طالتها، وكان المدينة قد احترقت مؤخرًا، وهذا رمادها.

رفع ذو العينين المتوهجتين يداً سمينةً تحبّى داخل قفّازٍ لتهديئة صحب الحشد. أشار إلى نوماً، ثم أوماً برأسه لضابطين وأشار نحوه، صارخاً بأمرٍ ما. اندفع الضابطان مُنصاعين لأمره، وسارعا لفلّك قيود نوماً.

قبل أن يتراجعا متوترين بمجرّد أن فكّتا. مهّصَ نوماد واقفاً على قدميه، فلَهتَ العديد من المدنيين، لكنّه لم يقم بأي حركاتٍ مُفاجئة، لأنّه كان مُتعباً بحقّ اللعنة. أطلقَ تنهيدةً طويلة، وتحوّلت آلامه إلى أوجاع. ثمّ طلبَ من مُساعده أن يظل على حاله كسلسلة، لأنّه لم يُرد لهم أن يُدركوا تمتّعه بإمكانية الوصول إلى أداة مُنغيرة الشكل.

صرخَ له متوهّج العينين بشيءٍ ما بصوتٍ أجش.
هزَّ نوماد رأسه.

كرّر متوهّج العينين سؤاله، بصوتٍ أعلى، وببطءٍ وغضب.
أجابهُ نوماد بخشونة: «لا أتحدّثُ لُغتك، مدّني بمصدرٍ للطاقة، كأحد مُحركّات تلك الدراجّات. لأنّه إذا امتصّته، فقد يكون ذلك كافياً».

يعتمد ذلك على نوع الوقود الذي يستخدمونه.. لكنه شكّ أنه مصدر طاقة تقليدي، بفضل الطريقة التي حافظوا بها على تحليق المدينة. كما كانت فكرة استخدام الفحم كوقودٍ لتحليق مدينة كتلك مُضحكة حقاً، إنهم يستخدمون نوعاً من مواد الادّخار، ورُبما يشحنونها في نور الشمس.

أدرّك القائد أخيراً أن نوماد لن يُجيبه، فرفعَ يده جانباً.. وبدأ بخلع قفّازه بحرص، إصبغاً تلو الآخر. شهقَ الناس، رغم أن الحركة لم تكشف سوى عن يدٍ عادية، وإن شأها بعض الشحوب.
تقدّم الرجل نحو نوماد وأمسك به من وجهه، لكن شيئاً لم يحدث.
بدّت أمارات الدهشة الناتجة عن ذلك جليّة على وجه الرجل، قبل أن يُفلت قبضته.
تمتم نوماد: «إذا انحنيت لتقبّلني، فسأمرّق شفّتك اللعينة».

من الجيّد أن يكون المرء قادراً على المزاح بهذه الطريقة، لشعر سيّده السابق البعيد بالفخر به. فلطالما اتّسم نوماد بالجدية الشديدة في شبابه، ونادراً ما سمح لنفسه بقدرٍ من الفكاهة، غالباً لأنّه كان مُحرجاً وخائفاً للغاية من فكرة نطقه بشيءٍ مُحرج.

أن تُسحل في الأوساخ لمّرات كافية - وأن تُضرب حتى تكاد تفقد حياتك، حتى بالكاد تتمكن من تذكّر اسمك - حسناً، من شأن ذلك أن يفعل العجب العجيب بروح دُعابتك. ولا تملك شيئاً في هذه المرحلة سوى أن تضحك على السخرية التي تحوّلت إليها. اندهش المتفرّجون من حقيقة أن شيئاً لم يحدث له عندما لمسّه متوهّج العينين. أمسك الرجل بذقن نوماد للمرة الأخيرة، ثم تركه ومسح يده في معطفه قبل أن يرتدي قفّازه، وأضاءت عيناه - كالضوء المتأجج للطحالب النارية - الحافة الأمامية لقبّعته وملامح وجهه الناعمة للغاية. رُبما كان في الخمسين من عمره، ولكن من الصعب حقاً تحديد ذلك، لأنّ تجعيده واحدة لم تُعكّر صفو وجهه. يبدو أن هناك مزايا للعيش في شفّقٍ دائم.

تقدّم أحد الضبّاط السابق ذكرهم وأشار إلى نوماد، وتحدّث بصوتٍ خافت. بدا مُتشككاً وهو يُشير نحو الأفق.

أوما ضابط آخر برأسه، وحدق بنوماد. ثم همس: «سيس ناسيث تور». يقول الفارس: هذا مثير للاهتمام، لقد فهمت ذلك تقريباً، تُشبه تلك اللُغة إلى حدٍ كبيرٍ لغةٍ أخرى ما زلتُ على ارتباطٍ ضعيفٍ بها.

تذمّر نوماد قائلاً: «هل لديك فكرة عن اسم تلك اللُغة؟».

-لا، لكن.. أعتقد أن.. سيس ناسيث تور.. تعني شيئاً مثل.. الرجل الذي هربَ من الشمس. كرّر الواقفون خلفه تلك العبارة، وكرّروها، حتى صرّخ بهم متوهّج العينين. نظرَ إلى نوماد، قبل أن يركله في صدره. ألمته الضربة، لا سيما في الحالة التي كان فيها نوماد. ينعم هذا الرجل بالادّخار بكُل تأكيد، حتى يتمكّن من الركل بمثل هذه القوّة.

تأوّه نوماد متألماً وانحنى، لاهثاً لالتقاطِ أنفاسه. أمسكه الرجل، وابتسم، مُدرِكاً أن نوماد لن يُقاومه الآن. استمتع الرجل بتلك الفكرة، فألقى نوماد جانباً، ثم ركله في صدره مرّةً أخرى، وابتسامته تتسع. ودّ نوماد لو يُمزق تلك الابتسامة ببعض الجلد المحيط بها. لكن بما أنه من شأن المقاومة أن تجعله يتجمّد، فأفضّل ما يُمكنه فعله هو أن يلعب دور المُطيع.

أشار متوهّج العينين إلى نوماد، وقال بسُخرية: «كور سيس ناسيث تور». ثم ركله مرّةً أخرى بقوّةٍ لا يُستهان بها.

اندفعَ عدد من الضُّباط إلى الأمام، وأمسكوه من تحت إبطيه وجرّوه بعيداً. وجد نفسه يأمل في الحصول على زناينةٍ لطيفة.. صحيح أنها مكانٌ باردٌ وقاسٍ، لكنه سيستطيع النوم على الأقل، وسينسى هويته لبضع ساعات.

قبل أن تتحطّم آماله المتواضعة تلك عندما بدأت المدينة في الانهيار.

اهتزّت المدينة بأسرها، وتمايلت المباني بشكلٍ مثيرٍ للغثيان. واجتاحت الشقوق الشارع المعدني تحت قدمي نوماد، لكن في نفس الوقت الذي انتابه فيه الذعر، تخطى خاطفوه الشقوق بهدوءٍ وجذبه إلى أحد المباني. اهتزّت المدينة وانقسمت. لكنها لم.. لم تتهشم، بل تفكّكت، وتحطّمت إلى مئات القطع. ثم حلقت كل قطعة منها على نفاثاتها الخاصة، وهي تحمّل مبنى على ظهرها. كانت كل قطعة منها عبارة عن مركبة. كان قد رأى في وقتٍ سابقٍ كيف توقفت الدراجات الهوائية على طول الحافة، لتضيف قوّة دفعها إلى المدينة. وفي لحظةٍ محييةٍ لآماله، أدرك أن كل قطعة من المنصة تُشبه ذلك. لم تكن مدينة طائرة كبيرة؛ بل مئات المركبات التي تجمعت سوياً.

كان معظمها متواضع الحجم.. كنسخةٍ مُصغّرةٍ من حوامةٍ تكفي لعائلة. وكان بعضها أصغر من ذلك، مبنيٌّ كزوارق القطر، بأسطحٍ واسعة ومقصورة بالأعلى. بينما كان البعض الآخر أكبر حجماً، ويحمّل مباني واسعة تصلح لأن تكون قاعات اجتماعات أو مستودعات. بينما امتلكت جميعاً أسطحاً واسعةً ومسطحةً يُمكن ضمُّها سوياً لتكوين الشوارع. وعندما حلقت المركبات، ارتفعت الأسوار لتُحيط بحواف الأسطح، وانفتحت الجدران لتكشف عن الزجاج الأمامي ومقصورات التحكم.

وأما انطباع أن هذه المدينة لم تُبنَ كوحدةٍ متماسكةٍ يُمكن تفكيكها بعد ذلك.. بل هي خليطٌ من المركبات الفردية التي يُمكنها العمل سوياً، وهو الأمر الذي من شأنه أن يُساعد على تفسير الجودة الانتقائية للمدينة. إن هذا المكان يُشبه قافلةٍ يُمكنها -لنيل قسطٍ من الراحة أو للدفاع- أن تجمع أجزاءها في مدينةٍ مؤقتة. كانت حقيقة أنها تعمل سوياً بشكلٍ جيّدٍ رائعة. طار العديد من المركبات بعيداً، وانخرط في بعض الأنشطة، مُستجيباً للصياح والتعليقات التي لم يفهمها نوماد. حدّق بها نوماد ورأى أن بعضها ينثر مادةً ما على الأرض.

قال لنفسه: إنها بدور، إنهم ينثرون البذور. وبذلك، فكّ غموض لغز من ألغاز هذا العالم الغريب. وأوضح نور الشمس المُدخّر أمر النباتات سريعة النمو، التي تنضج من فورها لأنها تمتص النور القوي الذي يسبق الشروق. وقد أثبت بالفعل أنه لا يستطيع امتصاص هذه الطاقة لنفسه، لكن النباتات همست له بأن هناك طريقة.. حتى لو كانت بعيدة عن مُتناوله.

بغض النظر، يقوم هذا المُجتمع بالحصاد كُل يوم. حيثُ يتوجّب عليهم أن يزرعوا المحاصيل، ثم يصدونها بعد ساعات قليلة، قبل أن يفروا هاربين نحو الظلام. هل يكفيهم هذا النور المُنبعث من الحلقات؟ أم أنهم بحاجةٍ إلى التجرؤ والاقتراب من حافة نور الشمس القاتل؟

توجّب عليه أن يُقاتل فضوله بصرّاة.

قال لنفسه: يا لك من مُتسائِمٍ رهيب.

لم تتبَع المركبة التي كان على متنها تلك التي تزرع المحاصيل؛ بل انضمت إلى مجموعةٍ أخرى من المركبات التي هبطت نحو الأرض. امتلكت بعضها مباني مكوّنة من طابقين أو ثلاثة، وهي أكبر مبانٍ رآها هنا. هبطوا في حلقةٍ واسعةٍ على الأرض الموحلة. هبطت مركبته وتوقفت بجوار أخرى عاتيةٍ تحتوي مُقدمتها على طبقاتٍ من الشرفات.

خَرَجَ متوهج العينين في شُرفةٍ منها واستقرَّ جالسًا على مقعد. فَحصَ نومات الحلقة الموحلة بينما استقرت المركبات الصغيرة فوق بعضها البعض، لتكوّن هيكلًا مُتدرّجًا بطول أربع أو خمس مَرَكبات. وشعر بالضيّق يُخنّقه عندما تعرّف على ماهية هذا الهيكل.. إنها حلبة. فبينما خَرَج المزارعون لتأدية أعمالهم، تجمّع أصحاب الامتيازات على الأسطح الأمامية لمركباتهم ليستمتعوا بعرضٍ من نوع ما.

تذمّر غاضبًا وخاطفوه يُلصقون مجموعةً من الأساور الذهبية في ساعديه، تمامًا مثل تلك التي يرتديها ذوو الجمرات. وبمُجرد أن ثبتت تلك الأشياء في مكانها الصحيح، دفعه خاطفوه إلى السطح الأمامي لمركبتهم. وعندما حاول المقاومة -متأرجحًا بشكلٍ غريزيٍّ- تبيّس جسده. ثم ألقوا به بسهولةٍ من على ارتفاع اثني عشر قدمًا إلى الأرض النتنة المُشبعة بالمياه.

لم تكن هذه هي الحلقة الأولى التي يخطو إليها، لكنه عندما أخرج وجهه من الوحل، قرّر أنها وبكل تأكيد أكثرهم قدارة. هبطت عدّة مركباتٍ أكبر حجمًا، تُشبه حاويات الشحن، وفتحت أبوابها الأمامية. أجبر المسؤولون ذوو المعاطف البيضاء حوالي ثلاثين شخصًا تقريبًا يرتدون ملابسٍ مُمزّقة على الخروج منها، واقتادوهم إلى الحلقة. تنهّد نومات، ونهّض واقفًا على قدميه، محاولًا تجاهل رائحة الوحل الكريهة. فبالنظر إلى ما مرّ به خلال الأسابيع القليلة الماضية، اعتقد أن الوحل رُبما يحاول أن يُسديه نفس المعروف. لم يبدُ أن السُجناء الذين أجبروهم على دخول الحلقة من النوع الذي يميل إلى القتال، حيثُ بدا أن المساكين مُنهكون ومُهترئون مثله تمامًا.

تعثروا وترنّحوا أثناء محاولتهم التقدّم عبر الأوحال السميكة التي لوّثت ملابسهم.

لم يُقدّم إليهم أي أسلحة. قال نومات لنفسه: إنها ليست حلبة مُصارعة إذن. إنهم ليسوا هنا للقتال.. لكنهم قد يكونون هنا ليلقوا حتفهم. وبالفعل، فُتح باب آخر، وخرّج منه ثلاثة من ذوي الجمرات، وهم يحملون الأسلحة. هبطت مركبة إلى الأسفل -أصدرت مُحركاتها حرارة مُزعجة- وأسقطت عدّة صناديق معدنية ضخمة، سقط كل واحد منها في الوحل بدويّ رطب، لتُشكّل عوائق متفاوتة الأحجام.

انطلق ذوو الجمرات يركضون، فهلّل الحشد فرحًا. بينما تفرّق القرويون العزل مذعورين كقطيعٍ من الخنازير أمام وحش كاسير.

رائع.

انطلقَ نوماد عبر الوحل، الذي رَغِمَ أنه لم يصلِ سوى لكاحليه، كان زلِقًا بشكلٍ غادرٍ، وَعَلِقَ بقدميه بقوَّةٍ شُفِطَ مُذهِلة. انزلقَ نحوَ أحدِ الصناديقِ الكبيرة، التي يبلغُ ارتفاعُها ثمانيةَ أقدامٍ، ووقَّفَ على أطرافِ أصابعه ليرفَعَ نفسه فوقه.

اعتقدَ أنه إذا جعلَ نفسه الهدفَ الأكثرَ صعوبةً في المجموعة، فسَيُطارِدُ ذوو الجمراتِ الفرائسِ الأسهلِ أولاً. وقد يمنحه ذلكَ الوقتَ اللازمَ لِيَتَبَيَّنَ طريقةً للخروجِ من هذا المأزقِ. لكن بمُجرَّدِ صعوده على الصندوقِ، ظَهَرَتِ يَدانِ مُحْتَبِيتانِ داخِلَ قُفَّازِ أسودٍ، قبل أن تتسلَّقَ امرأةٌ ما الصندوقِ من خلفه. توهَّجَتِ الجمرة التي تحتلُ مُنتصفِ صدرِها، ثَبَّتَتْ عينيها الخضراوين الفاتحتين عليه بمُفرده، وزمَّجَتِ. شابَ شعرها الأسودُ القصيرُ حُصَلَ فضيَّة، بينما زَيْنَ وجنتها اليسرى خدش يسكُنه عرق أسود يتوهَّجُ خط في مُنتصفه. وبينما حَمَلَ الاثنانِ الآخرانِ السياط، حَمَلَتِ هذه منجلاً طويلاً لعيناً. اللعنة، لماذا تُطارِدُه؟ نَظَرَ نوماد إلى الأعلى نحو العرشِ حيثُ يُراقِبُه متوهَّجِ العينينِ مُستمتِعاً.

سألَ الفارِسِ خادِمَه المُخلِصِ: هل تعتقدُ أنه يختبرُ حدودَ إمكانياتك؟

همَّسَ نوماد وهو يبتعدُ عن ذاتِ الجمرَةِ: «لا، هل تتذكَّرُ الغضبَ الذي أظهره القائدُ؟ لقد عامَلَنِي الآخرونَ بقدرٍ من الاحترامِ لأنني هَرَبْتُ من الشمسِ، وكرِهَ ذلكَ».

لم يكنِ هذا اختباراً، يُريدُ متوهَّجِ العينينِ قتلَ نوماد علناً، يُريدُ إذلاله وهزيمته أمامَ أعينِ الجميعِ. رَفَعَتِ ذاتِ الجمرَةِ سلاحها وتقدَّمتِ نحوَ نوماد، الذي استدارَ وقَفَزَ من فوقِ الصندوقِ، نحوَ آخرٍ أصغرَ حجماً. وهُنا، تدحرجَ في الوحلِ عمداً، مُتظاهراً بالتعثرِ والعثورِ على شيءٍ. وعندما قفزَتِ ذاتِ الجمرَةِ مُندفِعَةً نحوه، نَهَضَ مُستخدِماً عتلةً تشكَّلت حديثاً.. حاولَ عمداً ألا يستخدمها في ضربِ المرأة، بل في صدِّ ضرباتِ المنجلِ فحسب.

لم يَتَيَسَّسَ جسده. وبدا أن بإمكانه المُقاومة، ما دام يُصَبُّ جامَ تركيزه على الدِّفاعِ فحسب. دَفَعَتِ ذاتِ الجمرَةِ جانباً، ففقدتِ توازنها وسقطتِ. نهَضتِ بعد ثانيةٍ واحدة، تلوَّثَتْ وجهها بالطينِ، وحدَّقتِ به بطريقةٍ وحشيَّة. لم تبدُ عليها أماراتِ الصدمة من الظهورِ المُفاجئِ لسلاحه، الذي حاولَ إخفاءَ كيميَّةِ الحصولِ عليه بتعثره وسقوطه، مُتمنياً أن يعتقدَ المُتفرِّجونَ من الأعلى أنه استخرَجَه من الوحلِ، وأنها مُجرَّدُ قطعةٍ من القمامةِ تركتها مجموعةٌ عابرةٌ أخرى فحسب.

صَرَختِ المرأةُ وهي تتقدَّمُ نحوه بصعوبة. ومن خلفه، حوصرتِ إحدى القروياتِ البائساتِ في أحدِ الأركانِ، أمسكها رُجُلُ ذو جمرَةِ بذراعٍ واحدة، ورفَعها عالياً نحو السماء. هلَّلَ الحشدُ فرحاً، وصَرَختِ هي رُعباً، رغمَ أنها لم تُصَبْ بأذى على ما يبدو.

راوَعها نوماد مرَّةً، واثنين، وثلاثاً.. مُتجنباً ضرباتِ منجلها بصعوبةٍ بالغة، بالإضافة إلى أنها تتحرَّكُ بسرِّعةٍ ورشاقَةٍ خارقتين، ولأنه يواجهُ متاعبَ مع الوحلِ أكثرَ منها. ورغمَ كُلِّ سنواته التي قضاها هارباً، لا تزال الأرضُ تبدو غيرَ طبيعيَّةٍ بالنسبة له، فمن الخطأ عدمُ وجودِ حجرٍ صلبٍ تحت الأقدامِ.

صدَّ نوماد ضربة أخرى من المنجل، في نفس الوقت الذي قبض فيه على شخصٍ ثانٍ.. ثم بالكاد منع نفسه من ضرب المرأة بضربةٍ خلفية. بحق العواصف، من الصعب عليه أن يكبح جماح نفسه، لكنه لا يستطيع المراوغة إلى الأبد كذلك. ففي النهاية سيأتي ذوو الجمرات الآخرون من أجله.

صُرب منجل المرأة بقوة أكبر في اشتباكها التالي، مُسقطاً سلاحها من يدها الملوثة بالوحل. ثم استدار وركض، عندما صرخت فيه بسبب فعلته، مُعلقاً رافعته بحزامه.. بعد أن صنع فتحة صغيرة لتثبيتها سرًا. لم ينظر خلفه ليرى ما إذا كانت تتبعه، بل قفز على مجموعة من الصناديق الأصغر حجمًا بدلًا من ذلك، مُندفعًا إلى الأعلى نحو أطولها، الذي يبلغ ارتفاعه حوالي خمسة عشر قدمًا.

بالكاد أمسك بالجزء العلوي منه، وحاول جذب نفسه للأعلى. لكن لسوء حظّه، كانت يده ملوَّثتين بالوحل، فبدأ يسقط.

حتى أمسكت بمعصمه يد ترتدي قفازًا. لقد كان هناك رجل استقرَّ فوق الصندوق بالفعل، أحد القرويين.. وهو رجل ضخم البنية، ذو بشرة شاحبة، وعينين بُنيتين، وذقن تُزيّنه غمّازة. ارتسم تعبيرٌ حازمٌ على قسما وجه الرجل، وهو يجذب نوماد للأعلى. الذي أوماً للرجل المغطى بالأوساخ برأسه، فمنحه الأخير في المقابل ابتسامة كشفت عن أسنان مُتباعِدة. رمق سلاح نوماد بنظرةٍ سريعة، ثم سأله سؤالًا، وهو يبدو مُرتبكًا.

قال أوكس: قال شيئًا مثل.. هل تقتل؟ أنا آسف حقًا، بالكاد يُمكنني فهم أيّ من ذلك. أنت بحاجةٍ لبعض وحدات الأذخار.

قال نوماد للرجل: «آسف يا صديقي، لا أستطيع أن أفهمك.. لكن شكرًا لك». انضمَّ إليه الرجل لمشاهدة ما يحدث في الحلبة. حيث سببت أسيرة أخرى بعض المتاعب لذوي الجمرات، وراوغتهم جيدًا، مُنطلقةً في الوحل. احتاج الأمر اثنين منهم ليُمسكا بالمرأة المسكينة. تجاهلت ذات الجمرة التي كانت تُقاتل نوماد جميع الفرائس الأخرى. سارت بحذرٍ حول الصندوق الكبير، تُخطط لصعوده. توقفت بقية القرويين عن محاولة الهروب عندما قبض على شخصٍ آخر، وخرُّوا على رُكبهم أو استندوا إلى الجدران، وزفروا في إرهاق.

اقتيد الأشخاص الذين أسروا نحو مركبة أخرى، صارخين باكين.. رغم أنه كان من الواضح أنهم لم يقاوموا. وهذا مُثير للفضول. ومن الطريقة التي تصرّفوا بها، شعر نوماد أنهم.. قال مُحمّنًا: «تلك المجموعة التي قبض عليها أولاً هي مجموعة أخرى من المدانين يا أوكس، وستترك للشمس».

قال المُساعد في رأسه: إذن.. فهذه لعبة مطوّرة من الغمضة؟ لتحديد هوية الشخص التالي الذي سيقف في طابور الإعدام؟

قال نوماد: «هذا هو أفضل تخميناتي، انظر إلى مدى ارتياح الآخرين لعدم القبض عليهم».

يقول الفارس بإحساسٍ نكدٍ من الكتابة: أجل مُرتاحون، لكن أيضًا.. مع شيءٍ من الحُزن. كان المُساعد مُحققًا. فقد نَظَرَ العديد من الناجين بأعينٍ احتلَّها الألم إلى هؤلاء الذين أُخذوا. حتى إن أحد الرجال صَرَخ في وضعٍ يشي بالتوسُّل، ساقطًا على رُكبتيه، مُشيرًا إلى أنه يعرض الذهاب بنفسه بدلًا من أحدهم. إن هؤلاء الأسرى يعرفون بعضهم البعض، وهؤلاء الذين أُخذوا أصدقاء، ورُبما أفراد عائلات، هؤلاء الذين نجوا. بدأ حليف نوماد في النزول، لكن المنافسة لم تنته، ليس بعد. ورغم أن اثنين من ذوي الجمرات قد ابتعدا بعد حبس المدانين، انطلقت الثالثة - المرأة التي يشوب شعرها لونٌ فضي - نحو نوماد فوق الصناديق المبعثرة.

كان مُتأكدًا تمامًا من أنها لن تتوقَّف حتى تقتله. حسنًا إذن، لقد حان الوقت لمعرفة ما إذا كان بإمكانه خداع عذابه. انتظر بتوترٍ أثناء اقتراب ذات الجمرة.

سأله المُساعد: نوماد؟ ماذا تفعل؟

سأله: «ما أثقل شيءٍ يُمكنك التحوُّل إليه؟ دون استخدام أي من وحدات (بيو) الخاصَّة بنا؟»
- يستخدم كل تحويل أقوم به قدرًا ضئيلًا من وحدات الأدخار، لكن معظمها لا يستحق الحساب. لذا أفترض أنك تتساءل عما يُمكنني التحوُّل إليه دون أن أستنزف وأستهلك قدرًا كبيرًا من احتياطينا. وتحت هذه القيود، يُمكنني التحوُّل إلى كتلة معدنيَّة ترن حوالي مئة رطل تقريبًا. لكن لماذا؟

انتظر نوماد حتى اقتربت منه ذات الجمرة.. وقفزت إلى صندوقه من الساري التالي. وفي تلك اللحظة، ألقى نوماد بنفسه تجاهها، رافعًا المُساعد فوق رأسه - قَلبًا من اضطرابه لكشف سره - وصنع ثقلاً حديدياً بأقصى وزن له، ثم أمسكه أمامه، وكأنه يستعد لتطويجه.

وردًا على ذلك، شعر عذابه وكأنه يُحاول أن يلحق بأحدهم بعض الأذى، فتبيس ذراعاها. لكن ذات الجمرة اصطدمت بالقطعة المعدنيَّة الضخمة رغم ذلك، وشهقت عندما اصطدمتا ببعضهما البعض في الجو.

لقد استحال إلى عطالةٍ ساكنةٍ أخرى مُضافة بشكلٍ أساسي. سقط كلاهما في الوحل بالأسفل، وهبط فوقها، ضربها ثقله المعدني في صدرها، بينما حطَّ مرفقه حلقها، في حين دفعها وزنها المُشترك إلى الأرض الناعمة.

ظلت ساقطة أرضًا، بينما ترنَّح نوماد وهو ينهض واقفًا على قدميه.. واعية.. لكن أسيرة لدهولها. ومصت جمرتها، كعينٍ ترمش في إرهاق.

وتحوَّل صراخ الحشد إلى صمتٍ قاتل.

نظر نوماد إلى متوهج العينين، الجالس في شرفته بمُقدِّمة الحَلبة، وصاح: «لا يحدث هذا كثيرًا، أليس كذلك؟ أن يهزم شخصٌ ما جنودك. لكن لماذا قد يحدث ذلك؟ إنهم مُحاربون مُدَّخرون، وها أنت ذا.. تضعهم في مواجهة قرويين عُزل!».

بالطبع لم يُجِبه متوهِّج العينين. بحق العواصِف، يكره نوماد المتئمِّرين. تقدَّم خطوةً للأمام، وكأنه يتحدَّى الرُّجُل. لكنَّ صدمة من البرد القارس اجتاحتَه عندما فعَل ذلك، نابعة من معصميه. خَفَضَ ناظره إلى الأساور التي منحوها له، والتي بدأت تمتص حرارة جسده بأكملها، لتتركه يتجمد، بعضلاتٍ أصابها الشلل. زَفَرَ، فخرجت أنفاسه ضبابيةً. حدَّق في متوهِّج العينين.. الذي أمسك بجهازِ تزيينه الأزرار.

قال نوماد وأسنانه تصطك: «أيها.. أيها الوغد». ثم سقط على وجهه في الوحل، فاقدًا للوعي.



عندما أفاق نوماد هذه المرّة، وَجَدَ نفسه مُكَبَّلًا إلى حَائِطٍ. لا.. بل إلى الجزء الخارجي من مركبة ضخمة؛ واحدة من تلك المركبات التي تُشكّل الحَلَبَة. مُقَيَّدًا بالسلاسل إلى جانبها، مُثَبَّتًا مفتوح الأطراف على قطعة مُسَطَّحة من المعدن يبلغ طول كل ضلع من أضلاعها عشرة أقدام.

بدا أنه لم يفقد وعيه لفترةٍ طويلة، رغم أنه كان من المُستحيل عليه أن يتأكّد من ذلك في ظلّ عدم وجود شمس في كِبِد السماء، التي لم يُزَيِّنْها سوى تلك الحلقات المثيرة الكاسحة.

حاول التحرُّك، لكنه نُبِتَ إلى المركبة بإحكام من معصميه وكاحليه. كان الحشد الصاخب لا يزال في مكانه، رغم أن مركبة صغيرة ذات منصّة أطرّتها أربعة أعمدة مُزخرفة قد استقرّت في مُنتصف الحَلَبَة. كانت مفتوحة من الأعلى، وبدا وكأن الغرض الوحيد من وجودها هو أن تكون منصّة للخطابة.. حيث يوفّر السطح الأمامي للمركبة الصغيرة مكانًا فخميًا ليقف فيه القائد ويخطب بالناس. وَقَفَ متوهّج العينين فوقها، مُحاطبًا الحشد، ومُلهبًا حماسهم.

دمدم نوماد قائلاً: «هل فاتني أي شيء ذي صلة بما يحدث أيها المُساعد؟».

أجابه أو كس: لقد أزالوا الصناديق، ثم ربطوك هنا. أحاول فهم هذه الخطبة، لكن لم أتمكن من فهم سوى كلمة أو كلمتين. يدور بعض هذا الخطاب عنك، وعن.. «أمثولة»؟
قاوم نوماد قيوده، ثم قال: «هذا رائع».

تابع المُساعد حديثه: لا أعتقد أنهم أدركوا أو رأوا ما فعلته بي، أقصد بالثقل الحديدي، لأن الزاوية لم تكن واضحة، لذا تحوّلت إلى عتلة مرّة أخرى عندما أخرجوك من الوحل. فحوصوني، قبل أن يلتقوا بي جانبًا، مُعتقدين أنني لست شيئًا مهمًا. لا زلت في الوحل هناك، على يسارك.

حسنًا، من الجيّد معرفة ذلك. حيث يُمكن لنوماد استدعاؤه في أي وقت، بأن يجعله يختفي، ليظهر بين يديه. كانت قيود معصميه ضيقة، لكن يُمكن لمُساعدته أن يتحوّل لجميع الأشكال الغريبة، وقد يُبلي أحدها حسنًا لتحرير نوماد. لكن لا داعي للكشف عمّا يُمكن له فعله، ما لم يُجابه خطرًا مُباشرًا، وهكذا بدأ نوماد يُفكّر في طرقٍ أخرى في الوقت الحالي. فربما يُمكنه تحرير يده، إذا كَسَرَ إبهامه، ثم ترك كسره يشفى بعد ذلك. لكن لسوء حظّه، يستغرق شفاء الكسور وقتًا أطول بكثيرٍ من الكدمات. لفتت حركة خافته إلى يساره انتباهه، فأدار رأسه قدر استطاعته ولا حظ وجود صندوق أسود دوّار مزوّد بضوءٍ وامض. كاميرا مُراقبة أمنيّة؟! تُبِتت نحوه للحظة، قبل أن تدور بعيدًا نحو المنصّة.

ارتفع صوت متوهج العينين إلى ذروته وهو يُشير إلى نوماد. اللعنة، حتى لو تمكّن من تحرير نفسه، فإنه لا يزال يرتدي الأساور التي جمّده. كما أنه لا يزال مُحاطاً بالأعداء الذين لن يستطيع مُحاربتهم، وبالكاميرات التي يُمكنها تعقبه. أي فائدة تُرجى من تحرير يدٍ في مثل هذا الموقف؟
قال المُساعد: رُبما تكون في مُشكلةٍ حقيقيّةٍ هذه المرّة.
-«هل تعتقد ذلك؟»-

- هل أعتقد ذلك؟ لست متأكداً. فهذا يتوقف على تعريفك للكلمة.
-«أعلم، لقد أحببتك أكثر عندما كنت على قيد الحياة».

- وعلى من يقع اللوم في ذلك؟

زجر نوماد غاضباً بسبب قيوده. ورغم ذلك، لفت شيء انتباهه أخيراً بعيداً عن مأزقه، حيث قاد العديد من المسؤولين عدداً قليلاً من الأسرى المهقنين إلى المركبة المنصّة. قبض متوهج العينين على حلوقهم واحداً تلو الآخر، فبدأوا يذبلون، ويستحيل جلداهم رمادياً. فلما ألقاهم جانباً، كانوا جثثاً، وازدادت الجمرّة الرابضة في صدره توهجاً.

هلّل الحشد، ثم تزايد هذا التهليل عندما اقتيدت أسيرة أخرى إلى المركبة المنصّة، رافقها حارسان يرتديان معاطف بيضاء، حمل أحدهما رُمحاً طويلاً، بينما أمسك الآخر بُندقية. لم يُمسك متوهج العينين بهذه الأسيرة، بل رفع يديه بدلاً من ذلك ساعحاً للحشد بالتهليل.

تعلّقت عينا نوماد بهذه البندقية؛ إنها أول سلاح حديث يراه هنا. هل هي نادرة؟ نظر إلى تلك الأسيرة الأخيرة وأدرك أنها المرأة التي أبلت حسناً في تجنّب القبض عليها، تلك التي تطلّب الأمر اثنين من ذوي الجمرات للإمساك بها.

قال نوماد: «لقد كانت هذه المرأة.. إحدى أفضل المُقاتلين -أو على الأقل، إحدى أفضل المِراوغين- في الحلبة قبل قليل. رُبما ينوون مكافأتها لأنها قاتلت بشكلٍ جيّد؟».

أشار متوهج العينين إلى المرأة، فزأر الحشد بصوتٍ عالٍ، ضربها على كتفها بطريقةٍ تكاد تحمل بين طياتها تهينة. لكن الأسيرة بدأت تُقاوم بشكلٍ أكبر بعد ذلك، وانقبض قلب نوماد.

قال لنفسه: إنها ليست مُشكلتي

لوح متوهج العينين بيده جانباً، فسلمه أحد الحراس الرُمح. أزال غمد رأسه، كاشفاً عن جمرّة متوهجة على طرفه.. شديدة التوهج حتى إنها تركت أثراً في بصر نوماد.
صرخت الأسيرة.

أغمد متوهج العينين الرُمح في صدر المرأة، وحظي نوماد بالزاوية الصحيحة ليرى ما حدث بعد ذلك. انتزع متوهج العينين الرُمح، مُخلفاً الجمرّة وراءه. تفرّق المسؤولون في دُعرٍ، رغم أن متوهج العينين ظلّ في مكانه غير مُبالٍ. خرّت الأسيرة المتألّمة على رُكبتها، واشتدّ صراخها مع ازدياد الحرارة الحارقة بداخلها.

تتأثرت شرارات ومنايف اللهب، كنار مُعسكرٍ موقدة، وتناثر ذرّ فردي على جلد ذراعيها ووجهها.. تاركًا أثرًا استمرّ في التوهّج حتى بعد أن هدأت وطأة النار المركزية داخل صدرها.

سقطت المرأة أخيرًا على جانبها، رغم أن عينيها لم تُغلقًا. استلقت هُناك، تُحدّق دونها رؤية، واللهب الخافت في صدرها يُضيء أرضية المنصّة.

قال المُساعد: حسنًا، أعتقد أننا نعرف الآن من أين يأتي ذوو الجمرات هؤلاء.

قال نوماد وهو يشعر بالغيثان: «أتفق معك، أعتقد أنهم يختارون الأسرى الأكثر رشاقة ليتم ترقيتهم. فبعد كل شيء، إن أولئك الذين تغذى عليهم كانوا من الأسرى الأضعف».

رُبما ينطوي الأمر على قليل من المبالغة، لكنه منطقي بما فيه الكفاية.

أخذ نوماد نفسًا عميقًا، ثم قال: «قد يمنحنا ذلك فرصة. هل تعتقد أنه يُمكننا امتصاص قوى تلك الرياح أيًا كانت؟ ورُبما الحصول على ما يكفي من الـ «بيو» للهروب من هذا الكوكب؟».

أجابهُ المُساعد: لا، أميل لقول إنها ليست قوية بما يكفي للهروب. من الصعب تحديد ذلك دون مزيد من المعلومات، لكنني أعتقد أن رُمحًا كهذا قد يحتوي على بضعة آلاف من الـ «بيو».. وهو ما يُعادل نسبة من عشرة إلى عشرين بالمئة على الأكثر من سعة القفزر. ومع ذلك، فهذا أكثر من كافٍ ليزودك بالاتصال بالكوكب. وستمكن أخيرًا من فهم ما يقوله الناس، كما ستمتّع باحتياطي مُتبقٍ لشفتائك أو لتعزيزي بالقوة.

عندما عاد الحُرّاس لجذب المرأة التي تحوّلت إلى ذات جهرة حديثًا، اعتلى متوهّج العينين المنصّة، واقترَب منه شخص ما برُمحين آخرين. أمسك متوهّج العينين بأحدهما وانتزع غمده، كاشفًا عن طرفٍ متوهّجٍ ثانٍ.. يبدو كمعدنٍ ساخنٍ للغاية، ولكنه لا يبرد أبدًا بطريقةٍ ما. صرّخ الحشد وهلّل بصوتٍ أعلى.

قال نوماد: «أراهن أنه سيستخدم أحد هذه الرياح معي. لقد حاول قتلي، لكن رجاله فشلوا في ذلك، لذا سيحاول الآن تجربة شيءٍ آخر».

يقول البطل ذلك بشيءٍ من الفهم: أجل، هذا معقول. لكن لماذا لا يشعر بالقلق من أنك ستقلب ضده بمجرد أن تُمنح القوة اللازمة؟

- «أعتقد أنه يعتمد على أساور التجميد للسيطرة على الآخرين، وقد أثبت لنفسه أنها تُبلي حسنًا معي».

- يبدو هذا خطيرًا.

قال نوماد: «أتفق معك».

في هذه الحالة، لن يحدث الأمر كما يتوقع متوهّج العينين. لأنه إذا لمس نوماد بطرف الرُمح، سيكون قادرًا على امتصاص الطاقة منه. لقد كان هذا أحد الجوانب القليلة المفيدة لعذابه، حيث اكتسب نوماد قدرة غير عادية على استقلاب أي نوع من وحدات الادّخار تقريبًا، رغم أنه كان يحتاج أحيانًا لمُساعدة مُساعده.

- حسنًا، لكن لماذا يوجد رُمحان؟

قال نوماد: «سيفعلون ذلك بي في النهاية، لتكون الخاتمة الكبرى. لذا افترض أنه سيكون هناك أسير مسكين آخر».

صمت عندما جذبوا شخصاً آخر إلى المنصة؛ الرجل مفلج الأسنان الذي ساعد نوماد في وقت سابق. وأدرك نوماد، بمُجَرَّد أن رأى الرجل المسكين، أن الأمر منطقي. لقد افترض للتو أنهم يحولون أفضل المُقاتلين إلى ذوي جمرات، قد يُعاني هذا الرجل من زيادة طفيفة في الوزن، لكنه نجح في تجنب القبض عليه.. بل وبَدَل قصارى جهده لمساعدة نوماد، الذي كان مُستهدفاً بقوة.

نال الرجل مكافأة رهيبية على شجاعته. هلل الحشد عندما رَفَع متوهج العينين الرُمح الثاني. صرخ الأسير المسكين بصوتٍ مثيرٍ للشفقة، وهو يُقاوم أسريه.

قال نوماد لنفسه وهو يُغمض عينيه: إنها ليست مُشكِلتِي

لكن لا يزال يستطيع سماع ما يحدث. وبطريقةٍ ما، عندما درأَ النور - في قلب سواد تصميمه - شعر بشيءٍ ما، شيء من الشخص الذي كان عليه يوماً.

الكلمات التي قيلت ذات يوم، في لحظة بهاء مجيد.

صدّمته صرخات الرجل حتى النخاع، فقال لنفسه: اللعنة.

أجبر نوماد نفسه على فتح عينيه، وانترع يده اليمنى من قيدها، فهشمت قوته الحارقة إبهامه، وسلخت الجلد على جانبي يده. رَفَع يده النازفة عالياً إلى الجانب، ثم استدعى المُساعد من الوحل.

ثبّت نوماد المقبض على راحة يده بأصابعه فقط، ثم حرّك يده إلى الأمام، مُلقياً المُساعد ليدور في الهواء، وإمضاً ورائعاً. اصطدم أو كس بأحد أعمدة المنصة بجوار رأس متوهج العينين.. بعدما تحوّل إلى سيفٍ لامعٍ يبلغ طوله ستة أقدام، وهو أصدق أشكال المُساعد. انغرس في العمود بعمقٍ وتعلّق هناك، مُرتعداً.

صمت الحشد.

قال المُساعد في رأسه: عجباً، اعتقدتُ أنك لم تُعد قادراً على فعل ذلك.

صوّب نوماد بعيداً عن رأس متوهج العينين عمداً. حيث يُمكنه أن يتجنّب تفعيل عذابه، ما دام لم يُهدّد أيّ شخص. ومع ذلك، فقد مرّ وقتٌ طويلٌ منذ أن رأى النصل كاملاً، وتمكّن من الوصول إليه بكامل مجده. وكما تمنى، سقط متوهج العينين أسيراً للدهشة التي أصابته بسبب هذا الدهول المُفاجئ، فحدّق بالسيف وهو في حيرةٍ من أمره، مُتناسياً أمر أسيره. انكمش مفلج الأسنان في قبضة حارسيه، لكن الرُمح لم يمسه بعد.

أعاد نوماد استدعاء المُساعد، محاولاً تشكيل النصل مرّةً أخرى، لكنه فشل. وأصابه العذاب مرّةً أخرى، لكنه كان على أهبة الاستعداد في الوقت الحالي. دون أسلحة. رَفَع نوماد المُساعد عالياً على شكل عمود طويل. ألمه إبهامه بشدّة، لكن السوار الموجود تحته ثبّته في مكانه، مما سمح له بإمساك العمود بأصابعه السليمة، شكّله على هيئة مفتاح ربط بعد ذلك، ثم عتلة.

تأمل متوهج العينين السلاح مُنتشياً، والجشع يظهر جلياً في عينيه الواسعتين. تعثر نازلاً من المنصة، حاملاً الرُمح، دون أن يرفع ناظره عن نوماد.

همس نوماد: «جيد». نظر إلى تلك العينين المتوهجتين، وشجعها على المضي قدماً، قائلاً: «هذا جيد، أنت ترغب في ذلك، تعال، وحاول أن تأسرني كعبد لك، ثم سيمكنك أن تأمرني بإعطائه لك، أليس كذلك؟». اقترب الرجل، ثم توقف، قبل أن يمسك الرُمح أمامه، متوعداً. قال نوماد للمساعد: «لا يمكنني تحيّل التعرض للطعن أثناء امتصاصي لوحات الأدخار، هل تريد التعامل مع هذا؟».

قال المساعد: أجل، شكّني على هيئة إناء - أو حتى درع عادية - على صدرك عندما يطعنك، وسأعيد تدوير تلك الطاقة.

تردّد متوهج العينين على بُعد بضعة أقدام من نوماد.

صاح به نوماد: «هيا، بحقك! اطعني!».

وَضَع الرجل رأس الرُمح الساخن بالقرب من عين نوماد وسأله عن شيء ما.

قال نوماد: «لا أتحدّث لُغتك أيها الأحمق، اطعني فحسب!».

لَوَّح الرجل بيده إلى يدي نوماد، مُتحدّثاً مرّة أخرى، بصوتٍ أكثر صرامة.

يشرح الفارس لمُرافقه الغبي أحياناً: إنه يُريدك أن تُريه ما تفعله، كيف تستدعي الأدوات.

وبدلاً من ذلك، استدعى نوماد كمية لا بأس بها من البُصاق - ملوّثة بالطين الذي لا يزال يتقشّر على

شفتيه - وبصقها في عين الوغد مباشرةً. هسّ البُصاق، وكأنه على صفيحٍ ساخن، بينما انتفض الرجل غاضباً.

صوّب الرُمح إلى صدر نوماد مُزجراً، مما جعل الحشد يهلل.

قال نوماد لنفسه: ها نحن أولاء.

وفي تلك اللحظة، انفجرت إحدى المركبات القريبة.

صَرَخَ نوماد بإحباطٍ عندما استدار متوهج العينين نحو الصوت، وبدأ يصرخ بالأوامر وهو يسير بخطى واسعة - طويلة وصارمة - عائداً لمنصته.

أمطرت السماء سيولاً من نيران الأسلحة، وهي انفجارات شديدة الحرارة بشكل لا ريب فيه. صَرَخَ متوهج العينين بشيءٍ آخر، فجاءه ذوو الجمرات - نحو مئتين منهم - راكضين إلى حواف المركبات. ثم خمدت جمراتهم، في آنٍ واحد.

نشطت أساورهم. وكذلك فعلت أساور نوماد، لكنه استدعى المساعد في شكل مُحدّد مدفوعاً بدعوره.. على شكل إسورتين معدنيتين نحيلتين أسفل تينك اللتين تُزيّنان ذراعيه، لتمنعها من لمس بشرته. ولقد كان ذلك تكويناً غريباً، لأنه يتوجّب عليه عموماً أن يُشكّل المساعد إلى قطعٍ مُتلاصقة.. وهكذا رُبطت تلك الأساور الغريبة الرابضة تحت أساوره بقضيب معدني. ورغم ذلك، نجح الأمر في منعه من التجمّد هذه المرّة.

يُثني الفارس على مُراقبه بتقديرٍ حقيقي: تصرّف ذكي، هذا شكل غريب، حتى بالنسبة لك. يُمكنه تدبّر أمر أي شيء تقريباً باستخدام المساعد، على افتراض أن بإمكانه صنعه باستخدام كمية مناسبة من المعدن، وعلى افتراض أنه يفهم المستوى الأساسي من التكوين. فقد سبق وفشّل في صنْع ساعة، على سبيل المثال، حتى دَرَس مُحطّطات واحدة بعناية.

همست بقايا الباحث الرابضة بداخله أنه غرّ للغاية بمثل هذه القوّة.. وأن بإمكانه أن يستخدمها بطرقٍ أعظم بكثيرٍ إذا تدرب على ذلك. لكن لم يكن هناك مُتسع من الوقت ليقوم بشيءٍ في حياته خلا الركض، بينما صعّب الضغط المُستمر أحياناً من إمكانية قدرته على استحضر الخيال اللازم لإيجاد أي حل سوى الحلول الأكثر وضوحاً.

مهما يكن، أزت أساوره وكأنها مُنزعة لأنها أصبحت غير فعّالة بسبب عدم قدرتها على لمس جلده. بينما لم يتمتع ذوو الجمرات بمثل هذه الحماية.. فتساقطوا كالأطفال في وقت القيلولة، انهاروا في أماكنهم، متهاوين في الوحل.

تلقت متوهج العينين حوله، مصدوماً بشكل واضح من ذلك التحوّل في الأحداث. يبدو أن ما يحدث لهم، أيّاً كانت ماهيته، هو من فعل العدو المُهاجم. في أي ظرفٍ آخر، كانت تلك النظرة التي اعتلت وجه الرجل لتكون كوميدية، لكن نوماد لم يستطع التوقّف للاستمتاع بها، حيث ارتفعت المركبة التي رُبط بها ببطءٍ بعيداً عن أرضية الحلبّة. ارتفعت حوالي خمسة أقدام قبل أن تُصيبها ضربة من الأعلى. مزّقها انفجار عنيف، فاندفع الجزء الذي قيّد إليه نوماد بعيداً عن بقية المركبة المُتفكّكة.

لكن بالنظر للجانب الإيجابي، فقد سَقَطَ نومات أرضًا.

أما عن الجانب السلبي، فقد سَقَطَت معه قطعة من المركبة مُشْتَعِلَةٌ ويتصاعد منها الدُخَان. ارتطم بالأرض وهي فوقه تمامًا. احتجَّ جسده على هذه المعاملة القاسية، وهو يلفظ كُلَّ الهوَاء. لو لم يسُقُط في الوحل الطري، لسُحِقَ جسده، سواء كان مُدَّخِرًا أو لا.

هذا ما انتهى إليه الأمر، عاليًا في قلب الظلام الموحل، والوزن الضخم يضغَطُ عليه - في حين لا يزال إبهامه مكسورًا ويتعافى ببطءٍ - بينما اندلَع تبادل لإطلاق النار بالأعلى.

بحقِّقكم، بإمكانه أن يحبس أنفاسه إلى الأبد تقريبًا.. حيث تُجَدِّد روحه المدَّخِرة بشدَّةٍ خلاياه بنفس الطريقة التي تُساعد فيها الشمس النباتات على النمو هنا، لكن فُرصته في سرقة سلاح كانت تتضاءل في تلك اللحظة.

يقول البطل لخادمه الكسول بشكلٍ استثنائي: هذا ليس الوقت المناسب لنيل قسطٍ من الراحة يا نومات.

غمغم نومات بإجابة مليئة بالانزعاج عبر الوحل.

قال المُساعد: أجل، كانت تلك مزحة من قبلي، دليلاً على أنني لم أصبح عديم الرحمة تمامًا منذ وفاتي. لكن، لأتحلى بمزيدٍ من الجدِّيَّة، عليك أن تحاول الخروج من هذا المأزق، فسيصل شروق الشمس إلى هنا في نهاية المطاف. لقد دُقت قوَّته في وقتٍ سابقٍ، وإذا مسَّك هنا.. ستبخَّر. وفي الوقت الحالي، لا أملك القوَّة اللازمة لحمايتك من مثل هذه الطاقة، ولا توجد طريقة يُمكننا من خلالها أن نمتص شيئاً قوياً كهذا.

هزَّ انفجار الأرض، فاهتزَّ نومات حيث علق. لا تزال يسراه مُقيَّدة بقطعة الجدار الكبيرة الجاثمة فوقه. رُبما يُمكنه تحريرها، لكنه سيُهشَّم إبهامه أو معصمه في نفس الوقت، وهو ما بدا وكأنه فكرة سيئة. فرغم أن يده اليمنى تشفى، كانت عديمة الفائدة.

حُسِّن الحظ شَعَرَ بالهواء على قدميه، بل حتى وتمكَّن من تحريكها. ألمه كاحلاه، خَمَّن أن القيود التي قيَّدتها قد تحطَّمت في الانفجار، وأن قطعة الحُطام التي تُثبِّته أرضًا لا تُغطي سوى نصفه العلوي.

حسنًا إذن. حاول تصوُّر المُساعد كسكينٍ أولاً.. لكن هذا لم ينجح، على الرغم من إصرار نومات على أنه يصنع أداة، لا سلاحًا. كان بحاجةٍ لشيءٍ آخر، فكَّر في أيامه كعالمٍ طموح - التي بدت وكأنها منذ أمدٍ طويل - وتصورَ رافعةً تصلح لرفع شيءٍ ثقيل.

كلُّما كان الشيء الذي يحتاجه نومات أكثر تعقيدًا، استغرق الأمر وقتًا أطول.. إلا إذا كان قد تحوَّل إلى ذلك الشيء عدَّة مرَّات من قبل. استغرقت الرافعة بعض الوقت، وتشكَّلت بشكلٍ خاطئٍ في البداية، لذا توجَّب على نومات المحاولة مرَّةً أخرى، لكنه في النهاية جعل الرافعة تظهر بجوار يده اليمنى بالشكل المناسب، ومسند الرافعة تحت الحافة المعدنية تمامًا.

لم يملك نومات قدرةً كبيرةً على المناورة، لكنه استطاع تحريك يده الحرّة إلى ذراعها المصمّمة خصيصاً، وإدارتها عدّة مرّات، وكان هذا كافياً لرفع المعدن بشكل ملحوظ.

قال المُساعد: إنه تكيف ذكي آخر، تُسعدني رؤية شيءٍ من تألقك القديم.

تدفّق الهواء النقي وهو يُحوّل قطعة الجدار الساقطة فوقه إلى جدارٍ مائلٍ بعض الشيء. في النهاية منحه ذلك مساحةً كافيةً ليثني رُكبتيه تحته.

بعد ذلك، وبجهدٍ عظيم، كاد انزلاق الوحل يخونه، فقفز بساقيه قالباً نفسه. دَفَع هذا بالجدار المعدني إلى الوحل بينما استلقى هو فوقه - ولا يزال أحد أغلاله مُثبتاً إليه - مُحَدِّقاً بالأعلى.

حلقت المركبات في أرجاء المكان. لم يكن هناك الكثير من الانفجارات كما اعتقد.. فلم تحمل هذه المركبات أسلحة على متنها. نتجت الانفجارات عن سقوط القنابل، بينما كان مصدر إطلاق النيران التي رآها أشخاصٌ يحملون بنادق على أسطح المركبات. كما أن تلك المركبات لم تتمكن من الارتفاع كثيراً؛ فقد كان أعلى مستوى رآها تطير فيه هو خمسين أو ستين قدماً. إنها لا تصلح كمركبات حربيّة، بل هي أقرب ما تكون لحوامات مزوّدةٍ بقليلٍ من الجاذبيّة الإضافيّة.

بدأت النباتات تنبت في جميع أنحاء الحلبّة. مجرّد أعشاب، لكن مدى السرعة التي تحوّلت بها حفرة الوحل القاحلة هذه إلى حقلٍ دون تدخلٍ أي شيء سوى النور المنعكس عن تلك الحلقات كان أمراً مذهلاً بحق.

قال نومات: «هناك وحدات ادّخار في النور المنعكس عن الحلقات، هل يُمكننا امتصاصه؟».

أجابه المُساعد: ببطءٍ على ما يبدو، ليس هناك الكثير، ربما عشرة أو عشرون «بيو» في

الساعة!

اللجنة. حسناً، لقد حلقت مُعظم المركبات التي شكّلت الحلبّة في الهواء، ولم يكن هناك أثر لتوهّج العينين.. رغم أن العديد من مرؤوسيه ذوي الجمرات قد رقدوا في الوحل حيث سقطوا. إنها فرصة نومات الأفضل للهروب، بل وربما سرقة مركبة.

حاول تشكيل المُساعد كزوج من قاطعات البراغي، لكن حتى هذا كان يُعد سلاحاً فتاكاً بالنسبة للعذاب في الوقت الحالي. لماذا سمح له بتشكيل نصل في مرّة، بينما يمنعه الآن من تشكيل قاطعات براغي؟ حاول تشكيله كعتلة، واتكأ عليه محاولاً استخدامه للتحرّر من قبضة الجدار، لكنه لم يتمكن من الحصول على القوّة الكافية مع إبهامه المكسور.

انزلق نومات في الوحل، في نفس الوقت الذي أقبلت فيه درّاجة هوائيّة صغيرة تتسع لأربعة أشخاص وهي تهدر، وتشوي النباتات بنفّاثاتها. قفز منها شخصان بحريّة؛ رجلٌ وامرأة، حمل الرجل بُندقيةً، لكن أيّاً منهما لم يتردّد ذلك الزي الرسمي الأبيض المُميّز للحُرّاس الذين واجههم من قبل. يبدو أنّهما من المعتدين.. أولئك

الذين هاجموا متوهّج العينين وجماعته. إنهم أعداء أعدائه، فهل يجرؤ على الأمل؟

صاح نومات وهما يركضان بجواره: «مهلاً! مهلاً!».

نظرت إليه المرأة، لكن الرجل تجاهله مُنشغلاً بالبحث في الأرض عن شيءٍ ما. مرّت مركبة هادِرة بجوارهم، وازدحَم سطحها الضيقُ بأشخاصٍ يرتدون ملابسٍ قَدِرة، وانطلقت بعيداً.

قال نوماد لنفسه: *إنها مهمة إنقاذ، لقد كان هؤلاء أسرى قبل قليل.*

صاح بصوتٍ أعلى: «مهلاً!». رَفَع العتلة عالياً، ولَوَّح بها صارخاً: «ساعدوني!».

ابتعدا عنه، لم يتمكن قط من معرفة ما الذي يبحثان عنه وسط هذه الحشائش. ثم على مسافةٍ غير بعيدة عنهم، جلس أحدهما؛ أحد ذوي الجمرات، وبدا خاملاً، لكن...

صاح نوماد: «أياً كان ما فعلتموه بهم، فأثره يزول!».

واصل المُتقدِّمان بحثهما المحموم بين العُشب النامي حتى نادى الرجل على المرأة، التي انضمت إليه، ورفعاً سوياً جسداً ملوّثاً بالوحل من بين العُشب.

كانت المرأة ذات الجمرة التي طارَدَت نوماد أثناء الاشتباك الذي جرى في الحلبة قبل قليل، لم يكن ليُخطئها بالفِضة التي تشوب شعرها، والعلامة المتوهجة التي تُزيّن وجتها. بدت أسيرة لحالة ذهول وارتباك بينما أعادها الاثنان إلى مركبتهما، مارّين بجوار نوماد.

قال نوماد وهو يُقاوم قيده: «تبا لكم! انظروا لي على الأقل!».

لكنهما لم يفعل ذلك، بل وضعاً أسيرتهما على متن الدراجة الهوائية بدلاً من ذلك، وقيداًها بالأغلال في أحد المقعدين الخلفيين. إنها لا يثقان بها، ربّما يأخذانها كأسيرةٍ لطلب فديةٍ أو لتبادل أسرى!

حسناً، سيحتاج نوماد لكسر يده الأخرى ليتحرّر، فعلى الأقل تُشفيّت اليد التي كسرها من قبل تقريباً. حاول أن يجذب يده المُقيّدة وسمع -من خلال مُعاناته- العظمة وهي تهشّم، لكن يده لم تتحرّر! اللعنة! إن هذا القيد أقوى من الآخر، ولا يُمكنه التحرّر، حتى مع إبهام مكسور.

قال المُساعد: *لقد انخفضت وحدات ادّخارك بشكلٍ خطيرٍ يا نوماد، وستنخفض إلى أقل من خمسة بالمئة إذا احتجت لمزيدٍ من الشفاء، وسيضعفك هذا، ويزيل العديد من تحسينات قوّتك وقدرتك على التحمّل.*

اللعنة. لوّح إلى الشخصين مرّةً أخرى، لكن الرجل صرّخ فجأة عندما ضربته دفقة من الطاقة في كتفه. ترنّح للخلف، قبل أن تُبخرّ الدفقة التالية رأسه بالكامل.

سقط جسده على الأعشاب والمرأة تصرّخ في ألم، وبالكاد فكّرت في الاختباء خلف درّاجتها الهوائية. هبطت مركبة من الأعلى.. مزوّدة بمنصّة كبيرة في الخلف وأربعة أعمدة على الجانبين.

وقَف متوهّج العينين بنفسه -والنيران المُستعرة بداخله تُضيء وجهه- على الحافة، مُمسكاً ببندقية، مُراقباً ما يحدث. أطلق النار مرّةً أخرى على المرأة، مُفجّراً جزءاً صغيراً من درّاجتها الهوائية الطويلة ذات المقاعد الأربعة.

اختبأت في ظلالها، قبالة نوماد. وتمكّنت من الاستيلاء على بُندقية زميلها الذي خرَّ صريعاً، لكن عندما خرجت من مخبأها لتطلق النار، كاد متوهّج العينين أن يقتلع رأسها بطلقةٍ خبيرة. أما هي، فلم تُطلق سوى عدد قليل من الدفقات الطائشة التي لم تُصب هدفها. أطلقت النيران مرّةً أخرى، وهذه المرّة كانت أبعد بكثير.

قال نوماد وهو يُشير إلى العتلة: «هيا، أنتِ بحاجةٍ إلى مُساعدتي». نظرت إليه.

قال وعينه تغرورقان بالدموع من ألم يده المصابة: «هيا.. هيا!». قالت شيئاً غير مفهوم، ثم لاحظت أنه لم يفهمها، فرفعت بُندقيتها. قال وهو يومئ برأسه: «أجل، أعرف كيف أطلق النار باستخدام واحدة، كما أنني أفضل في التصويب منك كما يبدو».

قال المُساعد: كاذب.

أجابته: «إنها ليست كذبة، أنا مصوّبٌ جيّد».

- ستييس جسدك في اللحظة التي ستلمس فيها سلاحاً.

قال وهو يومئ برأسه للمرأة بنفاد صبر: «إنها لا تفهمني على أي حال». وفي هذه الأثناء، بعيداً عن المرأة التي لا تفهم شيئاً، اضطرّ متوهّج العينين للالتفاف لمواجهة المركبات الأخرى التي تُهدده.. والتي أسقطت قنابل تستهدف مركبته. انطلقت المُنقذة أخيراً إلى نوماد، مُستغلةً هذا الإلهاء، وأمسكت بالعتلة. كافحت، وضغطت بوزنها عليها، محاولَةً كسر السلسلة المُقيّدة بالجدار. هزّت الحركة إبهامه المكسور، فصرخ ألماً.

لسوء الحظ، صنّع القيد من مادةٍ قويّة. أعاد متوهّج العينين صبّ جام انتباهه عليها مرّةً أخرى قبل أن تتمكن من تحريره.

قال نوماد مُشيراً إلى الرُّجل: «اذهبي».

فهمت المرأة وفرت رايضة. تلوى نوماد، طارداً المُساعد، قبل أن يستدعيه مرّةً أخرى كدرع في ذراعه. اعترضت هذه الدرع الدفقات التي أطلقها متوهّج العينين، بينما جلس نوماد على رُكبتيه، مُحْتبئاً خلف درعه، وإحدى يديه لا تزال مُحاصرة تحتة ومُقيّدة إلى الحائط.

انكمشت المرأة بجوار درّاجتها الهوائية بينما تأوّهت ذات الجمره فوقها؛ إنها تستفيق.

قال نوماد وهو يُشير ويُلوح بيديه: «البُندقية».

تردّدت المرأة، بعينين مليئتين بالشك، ثم ألقتها إليه بينما أمطره وإبل آخر من النيران. لم يجروء على التخلي عن الدرع، لكن يُمكنه تغيير شكله.. ليمنحه نتوءات طويلة من الأسفل تُمكنه من تثبيته في الأرض دون أن يضطرّ للإمساك به. انكمش خلفه، وحرك البُندقية بارتباكٍ بيدٍ واحدةٍ نحو القفل.

قال المُساعدُ مُحذِّراً: ستُفجِّر يدك.

أجابهُ نوماًد: «لا بأس، فلديَّ يد أخرى».

أطلق النار، فانفجَرَ القفل كما تمنى، مُحزِّراً يده الجريحة. أمسك بالدرع، وتحرك نحو مركبة المرأة، مُنكَمِشاً بجوارها.

- جارُ مُعالِجة إبهامِك المكسور الآن. ولن نقوم بأكثر من ذلك، ما لم ترغب في الانخفاض إلى أقل من خمسة بالمئة.

قال وهو يتفحص الدراجة الهوائية: «لا بأس، هذا رائع، ما مدى صعوبة سرقة هذا الشيء بالنسبة لي؟ هل رأيت كيف يُشعلون المحرك؟».

قال أو كس: أنت حقير، لقد أنقذت هذه المرأة، وستكافئها بسرقة مركبتها؟

- «لقد فعلت ذلك فقط تحت الإكراه. كيف أشغل المحركات؟».

- لم أر ذلك.

اللجنة. حسناً، يجب عليه أن يتخلص من متوهج العينين. جلس نوماًد واضعاً بُندقِيته بجوار المقعد الذي قيَّدت إليه ذات الجمره. نظرت إليه وزمجت، فقال لنفسه بإصرار أنه لن يُطلق النار على أي شخص على وجه الخصوص، بل بعشوائية تامّة.

أجدى الأمر نفعاً، باستثناء أنه أطلق النار بعيداً للغاية عن هدفه. انفجرت طلقاته في الهواء، لكنها كانت كافية لتخيف متوهج العينين للحظة. نظرت إليه المرأة التي أنقذته، وصرخت بشيء ما وهي تلوح بيديها.

- أعتقد أنها غاضبة بسبب مدى سوء تصويبك.

قال نوماًد: «لقد كان يومي سيئاً للغاية يا سيدي. إذا أردت أن تصرخي في وجهي، فهلاً فعلت ذلك بشكل أكثر هدوءاً؟».

انترعت منه البندقية، وأطلقت النيران، مُبقيةً متوهج العينين بعيداً. ثم أشارت إلى الدراجة الهوائية ونظقت بشيء ما.

قال المُساعد: أعتقد أنها تعرض اصطحابك، إذا استخدمت الدرع لحمايتها من الخلف أثناء طيرانها.

اتفقنا. هزّ يده المصابة، مُتلهفاً للشفاء، قبل أن يتوقف، ويفحص الساحة المليئة بالأعشاب الطويلة سريعة النمو. لقد كانت المنصة هناك، أليس كذلك؟ ظنّ أنه رأى شيئاً ما في العشب القريب، هل هو جسد؟
اللجنة. سبّ نوماًد نفسه على حماقته، ورفّع المُساعد للاحتماء به مُسرِعاً في ذلك الاتجاه.. مُتجاهلاً نداءات المرأة المليئة بالدهشة. هناك، في الأرض الموحلة بالقرب من مركز الحلبة، وجد مفلج الأسنان، الذي كان يُدفن تحت الوحل، وقد التوت قدمه في الاتجاه الخاطيء، بينما نزف وجهه مما بدا وكأنه ركلة أصابته.. لا شك أن أحد الجنود الذين أطلقوا سراحه قد ركله عندما بدأ القتال.

نَظَرَ المسكين إلى الأعلى ورأى نوماد. وحتى عندما سقطت القنابل وتوهَّج وإبل من طلقات البنادق الآليَّة وهو يضرب الأرض ويحرق العُشب بالقرب منه، التمعت عينا الرجل بشيءٍ ما.. بارقة أمل. أمسكه نوماد من ذراعه ورفعها، انتزعه من التربة الموجلة وحمله على كتفيه. أسقط نوماد درعه، بعد أن عجز عن إمساك المُساعد بيده المُصابة، واندفع عبر ساحة المعركة، ووزن العهد المنسي يُثقل كاهليه. تجنَّب الرُصاصات بطريقةٍ ما ووصَلَ إلى الدَرَاجة الهوائية، ثم ألقى بالرجل على أحد مقاعِدها. المقعد الخلفي الأيسر، مُقابل ذات الجمرة، مُتمنياً أن يصمُد قيدها.

هَمَس الرجل ببضع كلمات، والدموع تترقرق في عينيه. لم يكن نوماد بحاجة لمعرفة اللُغة ليشعر بالامتنان الذي يملأها ويفيض.

قال المُساعد عندما استدعاه نوماد كدرع مرَّة أخرى: *إن هذا ليس من شيمك*. أجابه نوماد: *«إنه يُذكرني بصديقٍ قديمٍ، وهذا كلُّ ما في الأمر»*. ثم نَظَرَ إلى المرأة، التي لا تزال تختبئ بجوار الدَرَاجة الهوائية، وأشار نحو درعه.

غمغمَت بشيءٍ ما، ثم رفعت ثلاث أصابع، وبدأت في عدِّ تنازلي. وعندما وصلت إلى الصفر، قفز إلى مُقدِّمة الدَرَاجة الهوائية، راکعاً بين المقاعد في مُتَنَصَف المَرَكبة. جلست المرأة على مقعد القيادة، المقعد الأمامي الأيسر. مدد نوماد درعه، مُكبِّراً إياها بما يكفي لتُغطيها سوياً. لم يتمكَّن من حماية مفلج الأسنان، لكنه تمنى أن يُصب جام التركيز على السائق بدلاً منه.

راقبها نوماد بحرصٍ وهي تُشغَل الآلة. وعلى عكس المَرَكبات الكُبرى، التي تُستخدم كمبانٍ، كان الغرض من هذه الدَرَاجات أن تكون وسائل نقل فحسب. سحبت رافعة، وصعطت زراً، ثم توقفت، وهي تُحدِّق بجثَّة رفيقها مقطوع الرأس.

لكزها نوماد عندما أصابت الدفقات درعه وقال: *«انطلقني!»*. لمحتهم مَرَكبة مُعاديةٍ أخرى وتوجَّهت نحوهم. والأسوأ من ذلك، أن ذوي الجمرات الآخرين بدأوا بالنهوض من حقل العُشب كجثثٍ عادت من الموت. استدار العديد منهم نحوهم.. خصوصاً بعد أن بدأت ذات الجمرة المُقيَّدة بالمقعد الخلفي -التي أفاقت تماماً الآن- بالصراخ والهذيان.

أخيراً، أقلعت المرأة وحلقت بهم على ارتفاع مُنخفضٍ فوق العُشب مُباشرةً، مُتَّبعة بقية أفراد مجموعتها الذين فرُّوا سوياً بصُحبة الأسرى الذين أنقذوهم. وللحظة.. ظنَّ نوماد أنهم فرُّوا، ورأى مُتوهِّج العينين يُراقبهم من بعيد، وهو يقف شامخاً على مَرَكبة منصَّته.

لكن الرجل لم يكن بحاجة لمُطاردتهم بنفسه، لأنه في غضون لحظات، رست عدَّة مَرَكبات لتجمَع ذوي الجمرات. وفي حين انطلقت مُعظَم المَرَكبات الموالية التي نفَّذت هجوم الكر والفر بعيداً، حتى كادت تغيب عن الأنظار. كانت مَرَكبة نوماد هي الشاردة الوحيدة.

لذا.. وبطبيعة الحال، استهدفته المَرَكبات التي تحمل ذوي الجمرات.

رَبَّتْ نومات على كَيْفِ السائِقة مُشِيرًا بِإِهامه للخلف. أَلَقَتْ نَظْرَةً سَريعةً من فوق كَيْفِها، وَاكْتَمَتْ بِشَيْءٍ ما كان مُتَيْقِنًا تامًّا من كونه سَبَّةً، قبل أن تنحني للأسفل فوق لوحة التحكُّم. مَدَّ يده لِيُمسِكَ بُنْدَقَيْتِها، لكنْها وضعت يدها فوقها بطريقةٍ وقائيَّةٍ وحدقت به.

عظيم. كان بإمكانه أن يركلها ويستولي على مَرَكَبِها فحسب، التي كان مُتأكدًا نسبيًا من قُدْرته على التحليق بها. ولكنها جَذَبَتْ شَيْئًا ما، فزادت من ارتفاعهم.

تَرَكَ شَيْءٌ ما يتعلَّق بالابتعاد عن الأرض الموحلة، والارتفاع في السماء باتجاه تلك الحلقات.. أثره عليه. ذَكَرَتْه الرياح التي تُهب على وجهه، والتضاريس التي تنكش تحتهم بأوقاتٍ أفضل. حيثُ يعمل الهواء النقي الصافي كَمُضادٍ للاحتقان الأخلاقي.

ابتسم لهذه الخاطرة، فقد كان سيده السابق ليُحِبُّ هذا التلاعب بالألفاظ. رُبما كان هناك ما يُمكن قوله عن الهواء الرقيق الموجود هنا بالأعلى، ورُبما عانى، بعد كل شيء، من بعض دوار الجوار.. لا، هذا قطعًا ضربٌ من المبالغة الزائدة.

ورغم ذلك، حافظ على بقاء درعه في مكانها وحاول ألا يسرق الدراجة الهوائية. وبدلاً من ذلك، صبَّ جام تركيزه على الأعداء ورائهم، وقد احتشدوا على مَرَكَبَيْنِ حربيَّتين أنيقتين، طويلتين ومسطَّحتين، بأسطح ضخمة في المُقدِّمة، ومقصوراتٍ في الخلف. تبدو كزوارقٍ بخاريةٍ طائرة، رغم أن عُرفة التحكُّم قُبِعَتْ في الخلف، والغالبية العظمى من السطح كانت في المُقدِّمة. اصطفَّ ذوو الجمرات على تلك الأسطح، وتشبَّثوا بأسوارها. توهَّجت جمراتهم مع الريح، وازدادت سطوعًا، حتى بدت كالمصابيح الأمامية. وقفوا بتوقٍ وعزم.

وظفَّقوا يقرَّبون. كيف توقع المُتقدِّون نجاح غاراتهم في ظلَّ قيادتهم لمركباتٍ أقلَّ جودة؟ خَرَجَتْ قنَّاصة ترتدي معطفًا أبيض اللون من بابٍ جانبي من مقصورةٍ على سطح إحدى المَرَكَباتِ الحربيةِ وصوبت سلاحها نحوهم. رَفَع نومات المُساعد كدرع، ولاحظ أن القنَّاصة لم تكن إحدى ذوي الجمرات. يبدو أن هؤلاء مُسلَّحين بأسلحة فض الاشتباك فقط.

لم تُطلق القنَّاصة النار على نومات أو على السائِقة، بل على هيكل المركبة المركزي بين المقاعد. وكما لاحظ من قبل، فالدراجة التي يطرون بها تتمتع بهيكل غريب، حيث تمتلك قلبًا طويلًا مع أربعة مقاعد مفتوحة من الجانبين.. صُمِّم كلٌّ منها ليُمْتطى كما الخيل، بمقابض في الأمام وزجاج أمامي خاص.

بدت وكأنها.. أربع دراجاتٍ صغيرةٍ رُبطت بقلبٍ أكبر. شُغِلَتْ ثلاثة من مقاعدها بالفعل، بينما ظلَّ المقعد الأمامي الأيمن خاليًا في انتظار نومات، الذي تركه وتشبَّث بمركز الآلة.. قابضًا بإحدى يديه بقوةٍ على

مقبضٍ مُرتجِل، ومُمسِكًا درعه بيده الأخرى لحماية ظهر السائِقة. انفجرت رُصاصة القنّاصة على بُعد ثلاثة أقدام من نوماذ، وعلى مُقدّمة هيكل المركبة. أطلقت سائِقتهم سبّة، وهي تنظر خلفه، فجعل درعه شفافةً ليسمح لها بالرؤية، أطلقت القنّاصة رُصاصةً أخرى على نفس المنطقة، مُفجّرةً قطعةً من الدراجة، مما تسبّب في كشف بعض الآليات الأساسية، التي توهّجت بإسراق.

شعر نوماذ بالدُعر الذي انتاب السائِقة، فانزلق إلى أسفل هيكل المركبة لصدّ الطلقة التالية.. التي انفجرت على شكل شرارات على درعه. تموضّع خلف المكان الذي استهدفته القنّاصة مباشرةً، متمسكًا بيدٍ واحدةٍ بالجانب الأملس من الهيكل المعدني.

منحه هذا رؤية جيّدة لما استهدفه العدو؛ وهي فتحة صغيرة على هيكل المركبة، التي كَشَفَتْ -وهي مكشوفة في مهب الريح- عن حُجيرةٍ تحتوي على قطعةٍ من الحجر تتوهّج بإسراق.. أم تُراه زُجاجًا؟! بحجم قُبيلة يدويّة تقريبًا، وتوهّج بنفس اللون الأحمر البُرْتُقالي المُميّز للمُحرّكات والانفجارات التي تُطلقها الأسلحة.

صدّ نوماذ طلقةً أخرى، وخنّ قائلاً: «مصدر الطاقة؟».

يقول الفارس بنبرة تكاد تكون مُتأكّدة: لا شك في ذلك تقريبًا.

-«هل تعتقد أنه قوي بما يكفي ليُخرِجنا من هذا الكوكب؟».

-هذا محل شك.

-«إنه قويٌّ بما يكفي لتُحلّق هذه المركبات، وهو الأمر الذي يستهلك الكثير من الطاقة».

-أجل، وهذه نُقطة صائبة، لكن التقنيات المُختلفة عبر الكواكب المُختلفة أكثر كفاءةً من غيرها في تحويل الطاقة إلى وحدات ادّخار أو العكس، وكفاءتك في الامتصاص والاستخدام أقل من الكثير منها. تخميني الأفضل هو أنك ستحتاج إلى عشرين أو ثلاثين منها لتستطيع توفير سعة القفز، لكننا سنعرّف ذلك بشكل أفضل بمجرد أن تمتصّها، وهو ما أقترح عليك فعله فقط بعد أن نهبط، ما لم تُفضّل أن يكون الهبوط فظًا بعض الشيء عمّا ترغّب به عادةً.

-«علم».

أمامه، انحنت السائِقة أكثر بطريقةٍ ما خلف الزُجاج الأمامي القصير، ودفعت دَوّاسة الوقود للأمام إلى أقصى حدٍّ مُمكن. تشبّث مفلج الأسنان الذي أنقذه نوماذ بمقعده، بعينين مُتسعّتين، وشعرٍ يُرفرف مع الرياح.

ألقي نوماذ نظرةً سريعةً على ما يدور أمامهم، مُتمنيًا رؤية ملجأ حصين، أو صفٍّ من التعزيزات المُسرّعة لإنقاذهم، لكنه لم ير سوى الظلام الدامس. وبالأعلى، بدا أن حلقات الكوكب قد تحرّكت في السماء، في حين أنها لم تتحرّك من مكانها قيد أنملة حقًا؛ بل إن مركبة نوماذ انطلقت للأمام بسُرعةٍ كبيرةٍ حتى إنها غيرت

الزاوية التي يرى بها الحلقات من منظوره. لم تكن تسبق مُعدّل دوران الكوكب فحسب، بل تُغيّر اتجاهها مُقارنةً بالأجسام النجمية.

بحق العواصف.. إنهم لا ينطلقون بهذه السرعة العالية. ما مدى صغر حجم هذا الكوكب، ما دام بإمكان المرء الدوران حوله بهذه السرعة في مثل هذه الفترة الصغيرة؟ توجبّ عليه أن يتمكّن من رؤية ذلك من خط الأفق، وكان سيراه لو لم يكن مُشتتاً بهذه الطريقة. لكن الجاذبية كانت طبيعية نسبياً، وهو ما يعني بالضرورة أن لب الكوكب كثيف، بل وربما يتجاوز المستويات الطبيعية... .

قال لنفسه: توقّف، أنت لم تعد الرجل الذي.. يقوم بحسابات كهذه بعد الآن.

في كلتا الحالتين، اقتربوا بسرعة من الظلال التي تنتظرهم بالأمام. من مكانٍ يقع تحت غطاء كثيف من السحب، حيث لا يسطع حتى نور الشمس المنعكس عن الحلقات.

انسحبت القنّاصة إلى داخل المقصورة، لكن مركبات العدو لم تتوقّف عن التهام المسافة الموجودة بينهم؛ حتى تمكّن نوماً من سماع صراخ وصياح ذوي الجمرات. احتشدوا أمام منصّاتهم، مُستعدين للقفز بمجرّد أن تقترب مركباتهم بما يكفي من درّاجة نوماً.

يسأل الفارس: كيف ستنجو من هذا دون قتال إذن؟

أجابه: «أتمنى أن ينال العذاب قسطاً صغيراً من الراحة، أو ربما تأخذه بي شفقة؟».

يُجيب الفارس بكمية هائلة من الشكوك الكثيفة: حظاً سعيداً في ذلك.

افتقد نوماً الأيام التي شاب فيها العطف هذا الصوت. ربما تردّد أوكس بشأن إظهار شخصيته الحقيقية في بداية علاقتها، لكن بعد أن قضيا عقوداً سوياً، نمت تعبيراته وازدادت، حتى.. ذلك اليوم.

أعاد نوماً صب تركيزه على مهمّته الحالية، التي تنضوي على الحفاظ على الدرّع في مكانه. سمح له المعدن الشفاف بمُشاهدة ذوي الجمرات أثناء اقترابهم، واستعداد أربعة منهم للقفز. حتى لو كان قادراً على القتال، فمن الصعب التعامل مع أربعة في آنٍ واحد.. خاصّة مع ظهور أربعة آخرين على المركبة الثانية بالخلف.

حُسن الحظ، تفوّق عليهم بميزة. حيث أشار كل ما رآه حتى الآن إلى أن هذه المخلوقات لم تتوقّع أن يكون هناك أحد يُصاهيهم قوّة. ولذلك أخذ نوماً نفساً عميقاً، ووقف، واندفع على طول الدرّاجة الهوائية، ثم قفز.

وبدا هذا مألوفاً.

الريح التي تضرب ملبسه الممزّقة، والمساحة الشاسعة التي تُحيط به من الأعلى.

بينما تنظر الأرض أسفلها للأعلى بطموح.

لم تكن هناك ألفة بين نوماً والسماء في الوقت الحالي، لكن علاقتها اتّسمت بالحميمية لبعض الوقت في الماضي، ولا يزال يعرف كيف يتحمّس طريقه في أرجائها.

شَعَرَ بأنه.. أقوى الآن. ها هو ذا يُحَلِّقُ عاليًا، بعدما كَافَحَ للقفز على هذا الصندوق في وقتٍ سابقٍ من اليوم.

راقَبَ ذوو الجمرات المسافة التي قطعها مصدومين. حلَّتْ عاليًا فوق رؤوسهم، واصطَدَمَ بجدار المقصورة خلفهم بقوةٍ كافيةٍ لرجِّ المَرَكَبَةِ، ثم انزلق إلى السطح الأمامي للمَرَكَبَةِ، مُبْتَسِمًا، وهو يستدعي المُسَاعِدَ كسيفٍ..

صحيح، لا سيوف.

وهو يستدعي المُسَاعِدَ كمفتاح ربطٍ ضخمٍ للغاية. لَوَّحَ به لذوي الجمرات الأربعة، قبل أن يُهاجمهم. أفسَحُوا له الطريق، تنحوا جانبيًا، قبل أن يُجَاوِرَهُ، لكنه لم يطوِّحَ المفتاح نحوهم. التفت نحو أحدهم، وشكَّلَ المُسَاعِدَ كدرعٍ عندما هاجموه. تصدى لضربة، ثم دَفَعَ ذا الجمرَة جانبيًا، قبل أن يستدير ليتصدى للهجوم التالي.

واجه كل هجوم ببراعةٍ.. رغم أن امتلاك درع ضخمة، وشفافة، وقابلة للتشكيل كان ميزة لا يُمكن تجاهلها. كما توخى الحذر كيلا يدفعهم بقوةٍ شديدة، خشية أن ينشط عذابه.

يقول الفارسُ مُحذِّرًا: انظر إلى المَرَكَبَةِ الأخرى يا نوماد.

نَظَرَ جانبيًا، ورأى أن المَرَكَبَةَ الثانية كانت على وشك اللحاق بالدراجة الهوائية. أما صديقه مفلج الأسنان فكان ينجرف، مُقَيَّدًا في مكانه، فاقِدًا للوعي من شدَّة الألم. بينما قاومت الأسيرة ذات الجمرَة قيودها وصرخت في اتجاه حُلفائها، لكن السائقة -المنخفضة بشدَّة- صبَّت جام تركيزها على محاولة التحليق، لم تتمكن من استخدام بُندقيتها، حيث توجَّب عليها أن تستمر في التلوي والاندفاع بعيدًا عن مَرَكَبَةِ العدو.

لكن كل هذا كان دون جدوى، فمَرَكَبَةُ العدو أسرع، وأكثر قدرةً على المناورة، وسرعان ما ستحظى بأربعة أعداء يزحفون على طول الهيكل باتجاهها. تصدى نوماد لضربةٍ أخرى، ثم استدار مُندفعًا من بين اثنين منهما، وقَفَزَ قاطعًا المسافة التي تفصل بينه وبين مَرَكَبَةِ العدو الثانية.

قضى دقيقةً مُحلَّقًا في الهواء مرَّةً أخرى، رائع.

ثم وَصَلَ إلى وجهته، بالكاد أمسك بسطح المَرَكَبَةِ وهو يصطدم بجانبيها، ويتدلَّى منه. شكَّلَ المُسَاعِدَ على شكل سلم، وعلَّقه بحاجز في الأعلى، ثم اندفع لمواجهة مجموعة جديدة من ذوي الجمرات المذهولين. صُدِمَت الطيَّارة بظهوره المُفاجئ، فقَدَت السيطرة للحظة، مُتسبِّبَةً في انحراف المنصَّة نحو المَرَكَبَةَ المُرافقة لها. وهو ما سمَّح لذوي الجمرات الأربعة الموجودين هناك -الذين صبُّوا جام تركيزهم الآن على نوماد- بالقفز عبر المسافة الضيقة، والذي كان من شأنه أن يضع الشانبة جميعًا في وضعٍ يسمح لهم بقتاله على سطح واحدٍ مُزدحم.

عظيم.

وقفت الفوضى في صفه، في معركةٍ متنها واحد ضد كثيرين. يُمكن لكتيبةٍ عسكريةٍ مُدربةٍ أن تُحاصره وتقضي عليه بسهولة، لكن هؤلاء الرجال لم يُقاتلوا بتنسيقٍ مُشترك. بل هاجموا بشكلٍ فردي، صارخين بغضب. كانوا سريعين وأقوياء، لكن نفوقهم المُعتاد على الآخرين علمهم الدروس الخاطئة، فقد ظنوا أنهم ليسوا بحاجةٍ للقتال كفريقٍ واحد. لقد رأى ذلك عدّة مرّات من قبل.

تدحرج على سطح المركبة، انزلق وهو يرفع درعه للأعلى، مُتصدياً لضربات المناجل والصولجان التي تمكّنت من تعقبه. تعثر بقية ذوي الجمرات أو اصطدموا ببعضهم البعض أثناء اندفاعهم للوصول إليه. قفز واقفاً على قدميه، ودفع أحد الرجال نحو البقية، ثم قفز مُقترباً من قمرة القيادة التي احتلت الجزء الخلفي من السطح الطويل.

رأى الطيارة ذات المعطف الأبيض عبر النافذة، راقبته وقد بدا الذعر جلياً على قسماات وجهها. ضغطت زراً، فانزلت درعاً مقاومةً للانفجارات فوق زجاج نافذتها، لتغلّقها تماماً. حُسن الحظ أن نوماً لم يكن يسعى خلف الطيارة، لأنه رأى فتحةً مُثبتةً على أرضية سطح المركبة، مُشابهةً لتلك الفتحة التي فجروها في الدّراجة الهوائية.

شكّل المُساعد كعتلةٍ وضربَ بها قفل الفتحة، ثم فتحها كاشفاً عن مصدر الطاقة.

يقول الفارس بإعجابٍ ملؤه الرضا: عجباً.

توهجت خلية الطاقة الرابضة بالداخل بضوءٍ مُشابهٍ لطرف الرُمح الذي يُحوّل ذوي الجمرات، لكن توهجها لم يكن.. عنيفاً تماماً. شكّل نوماً المُساعد كقفّاز، توخياً للحذر، قبل أن يمد يده للداخل، ويتنزع خلية الطاقة. حاول ذوو الجمرات أن يندفعوا نحوه من الخلف، لكن المركبة -التي أصبحت بلا طاقة الآن- سقطت من تحتهم. اندفع نوماً في قفزةٍ أخيرةٍ جيّدة، ملقياً بنفسه نحو المركبة الحربية الأولى.

عوى ذوو الجمرات من خلفه أثناء سقوطهم، وسقطت المركبة التعيسة على الأرض تماماً في نفس الوقت الذي هبط فيه نوماً على زميلتها.

قال أوكس: يُمكنك حمل مصدر الطاقة هذا دون أن تؤذي نفسك، حيث إنه مُختلف عن

قمم تلك الرماح بطريقةٍ ما، فهو أكثر استقراراً.

أوماً برأسه، وأمسك بمصدر الطاقة المتوهج بيده وهو يخلع القفّاز. وبينما يفعل ذلك، انحنى على جانب المركبة، ناظراً للأسفل، ورأى ذوي الجمرات وهم يتشّلون أنفسهم من الوحل. بدت الأرض هنا رطبةً مثلما كانت في الحلبة، رُبما هطلت الأمطار في الظلام. وبعد ذلك، عندما يُدير الكوكب هذا المكان نحو الشمس، يؤدي النور المُنعكس عن الحلقات -ووحادات الأدخار- لنمو الأشياء. قبل أن يقترب شروق الشمس أخيراً، ليحرق كل شيءٍ عن بكرة أبيه.

يا لها من حياةٍ غريبةٍ تلك التي يعيشها هؤلاء القوم، دائماً ما تفصل ساعات قليلة بينهم وبين الإبادة الكاملة. لا عجب إذن في عدم ثقتهم في مركبةٍ واحدةٍ كبيرةٍ غير قابلةٍ للتجزئة لتحميلهم، في حين يُمكن

لمجموعاتٍ من المحرّكات الصغيرة أن تمكّدهم بالمزيد. ناهيك عن فرصة فصل منزلك عن الآخرين، والمضي قدماً إذا ساءت الأمور مع المجتمع.

من اللافت للنظر أنه اعتقد أنه قد أحصى جميع ذوي الجمرات الثمانية يتسلّقون الحطام بالأسفل. اللعنة، من الصعب قتل تلك الأشياء.

رَفَع درعه واتجه نحو قمرة قيادة هذه المركبة، حيث جَلَسَ الطيّار برفقة تلك القنّاصة. حدّق به كلاهما عبر الزُجاج، بعينين مُتسعّتين. رَفَعَت القنّاصة بُندقيتها نحوه، وبدُعرٍ، أَطَلَقَت النار عليه.. فتسبّبت الطلقات في ثقوب في الزُجاج الأمامي، قبل أن تندفع نحوه.

ارتدّت الطلقات عن درعه، ثم حاولا، كما هو متوقّع، رفع درعها المضاد للانفجارات، لذا ألقى بالمُساعد على النافذة.. ليحشّره في الآلية كي تفشل في تغطية النافذة نصف الذائبة.

تقدّم نوماد، غير المسلّح على الإطلاق.. والأسوأ من ذلك، غير القادر على إيذاء هذين الاثنين، لكنهما لم يعرفا ذلك بالطبع. أشار إلى بُدقيتها، ثم رمقها بنظرة حادة. كان قد لاحظ أن متوسط طول الناس هنا، أقصر من نظرائهم في عالمه الأصلي، فعادةً ما شعر بأنه قصير القامة مقارنة بال «ألثي» شاهقي الطول، لكنه هنا كان أطولهم قامّةً.

أطاعت القنّاصة طلب نوماد، مدفوعةً بخوفها من الرجل الغريب الذي حمل نواة الطاقة بيده العارية. أخفضت سلاحها، ثم ألقّت به عبر الزُجاج الأمامي المُدمّر، ردّاً على تقليده، قبل أن تتراجع مُستسلمة. بينما ظلّ الطيّار أمام لوحة تحكّمه، ثم أدار المركبة رأساً على عقب، عندما أمسك نوماد بالبندقية.

وعندما عادوا إلى الوضع العمودي، تكوّمت القنّاصة على أرضية المقصورة، بينما ظلّ الطيّار في مكانه بفضل حزام الأمان، في حين وقّف نوماد حيث كان من قبل، بعدما تشكّل المُساعد على شكل حذاءٍ مغناطيسيّ حول إحدى قدميه. دقّ قلبه بعنف؛ لأنه لم يكن مُتأكّداً من نجاح تلك الحيلة. ابتسم بارتياح، وهو يرفع نواة الطاقة إلى وجهه، ويستنشقها.

لقد استغرقه الأمر شهوراً ليتمكّن من تنفيذ هذه الحيلة. كما تأكّد من أن جزء «الاستنشاق» كان نفسياً بحثاً، لكنه سلسّ وفعالٌ بطريقةٍ ما. فقد نتجت قدرته على التغذية بوحدات الادّخار عن العبء الذي حمّله ذات يوم، الشيء الذي سبّب له العذاب.

لقد كان بحاجةٍ لمصدر طاقةٍ ذي جهد كهربائي، وليس حركياً. حيث تعني المصطلحات العلمية، في هذه الحالة، أنه جيّد للغاية في امتصاص البطاريات أو غيرها من مصادر وحدات الادّخار المُستقرّة. ورغم ذلك، فلن يُجدي شيءٌ كطاقة دفقة أُطلّقت عليه أو -لسوء الحظ- قوّة تلك الشمس نفعاً. فقد كانت مُكثّفة للغاية، وحركيّة للغاية. كما أنه من الصعب جدّاً عليه أيضاً أن يحصل على وحدات الادّخار من شخصٍ أو مخلوقٍ آخر، لأن هذا يتطلّب ظروفاً فريدةً للغاية.

لكنه امتلك ما يحتاجه في هذه الحالة؛ بطارية من نوع ما. امتصّ وحدات الأدخار من قطعة الشمس تلك بسهولة.. من كرة الضوء المنصهر التي لم تكن ساخنة على الإطلاق بين أصابعه. خفتت النواة بأكملها، وهو يمتص وحدات الأدخار، ويستنزف طاقتها. ونصبت حتى أصبحت تُشبه الزجاج الداكن، أو أحد تلك الأحجار الكريمة من عالمه الأصلي، باستثناء وجود تموجات ونتوءات أكثر سلاسة على سطحها، كالزجاج المنصهر أو الركام.

تنهّد المساعِد بارتياح داخل رأسه. يقول الفارس لرفيقه الغوغائي: سيفي هذا بالعرض. سأله نوماد: «ما مقدار ما حصلنا عليه؟».

-قفز بنا هذا إلى أكثر من عشرة بالمئة. هل ما زلت تريد مني أن أوصلك بهذه الأرض حتى تتمكن من التحدث بلغتها؟

قال نوماد: «بالتأكيد، فقد مللتُ عدم سماع شيء سوى الثرثرة التي لا معنى لها».

قال أو كس: حسناً، أعطني بضع دقائق، وسأقوم بالأمر.

أوما نوماد برأسه. صوّب بُندقيته نحو الطيّار، مُخفياً الطريقة التي تبيّست بها ذراعه مُتظاهراً بالوقوف هناك مُتربّناً، ومُستعداً لإطلاق النار. ازداد شحوب الطيّار عند رؤيته، أخفضّ نوماد سلاحه بمُجرد أن استرخت عضلاته، ثم أشار إلى الجانب.

أطاعه الطيّار وتحرك مُقترَباً من الدراجة الهوائية الهاربة. أوما نوماد برأسه، ثم أشار للطيّار ثم إلى الخلف بأكبر قدر مُمكنٍ من الحركة التعبيرية. وحاول أن يجعل المعنى الضمني واضحاً قدر الإمكان: من الأفضل ألا أراك تتبعنا.

قفز نوماد إلى الدراجة الهوائية. وبدا أن طيّار العدو قد فهم أمر نوماد، لأنه أدار مركبته على الفور، وفرّ هارباً باتجاه المركبات الأخرى التي طاردتهم عن بُعد. ازدادت التضاريس قتامةً، وأمامهم، حجب هطول الأمطار الهواء بشكل أكبر. وبينما أسرّعوا نحوه، ذكره هطول الأمطار بعاصفةٍ أخرى في وطنه، بمكانٍ افتقده بشدة لكنه لن يتمكن من زيارته مرّة أخرى، خشية أن يفقد سرّية الليل إلى هؤلاء الذين أحبوّه.

حدّق به مفلج الأسنان في رهبة. متى استعاد وعيه؟ نظرت سائقة الدراجة الهوائية للخلف، ثم توقفت، واتسعت عيناها وهي ترى مركبة تفر، بينما لم يعد بإمكانها رؤية المركبة الأخرى. بحق العواصف، ألم تُشاهد ما حدث؟ ألم تلاحظ ما فعله سوى الآن؟ لقد كان الأمر كذلك، وفقاً للتعبير الذي ارتسم على قسّات وجهها.

تنهّد. بحلول هذا الوقت، كان قد اعتاد على الطريقة التي يبدو عليها العديد من الغرباء. لم يعد يعتقد أنهم «طفوليون» بسبب أعينهم غريبة الشكل؛ بل وأصبح في الواقع يُميّز الفروق الدقيقة بين عدد لا يُحصى من الأعراق. لقد عرف «أليشي» بأعين واسعة مفتوحة مثل شين، في حين التقى بأشخاص من خارج العالم كان من المُمكن اعتبارهم «فيدن».. حتى ضمن مجموعة من الأشخاص الذين لم يكونوا كذلك بشكل عام.

ومع ذلك، لم يستطع منع نفسه من التفكير في أنهم يبدوون جاحظي الأعين عندما يشعرون بالدهشة. حسناً، لهم كل الحق لبدووا كما يُريدون. تقدّم إلى المقعد الموجود على يمينها. وفي خضم هذه العملية، اصطدمت قدمه بشيء ما، فسقطت بُندقيته جانباً.

انحنى ومدّ يده ليمسك بها، قبل أن يعتدل خالي الوفاض ويهز كتفيه. قالت له السائقة شيئاً ما، وبدت مُحَبّطة.

استقرّ على مقعده مُقابلها قائلاً: «أجل، أراهن أنك مُنزعة لأنني فقدتُ سلاحاً، فتلك الأشياء لا تبدو وفيرةً ها هنا. حسناً». ثم تنهّد وهزّ يده. تحرك إبهامه بشكل جيّد، وقد تلاشى ألمه، وشُفيت الخدوش الموجودة على جانب يده، تابع حديثه قائلاً: «لا أعتقد أن لديك شيئاً يصلح للشرب؟». قال الجملة الأخيرة باللُغة «الأليثية» لغرض في نفس يعقوب، رغم أنها ليست لُغته الأم.

علّمته التجارب السابقة ألا يتحدّث بلُغته، كيلا يزل لسانه ويفضح لهجته المحليّة. فهكذا يعمل الاتصال؛ ومن شأن ما يفعله المُساعد أن يخدع روحه فتعتقد أنه قد نشأ على متن هذا الكوكب، لذا نطق لُغته بشكل طبيعيّ كما نطق بلُغته الأم يوماً. وبما أنه لا يرغب للناس في أن يستمعوا لما يقوله المُساعد، فمن الأفضل الدخول في إيقاع التحدّث باللُغة «الأليثية» عندما لا يُريد لأحد أن يفهمه.

بغض النظر، لم يُمكن لسائقة الدرّاجة الهوائية سوى أن تُحدّق بنوماد أثناء مرورهم في ظلام غطاء السُحب الغريب والثقيل ذلك.

لم يكن المطر هنا بنفس سوء العاصفة في الوطن، بل مجرّد انهار سريع من الماء البارد. استمرّ الرذاذ لأقل من دقيقة، رغم أنهم سرعان ما اخترقوا واحدًا آخر. تخمّن أن تلك السحب المتشيرة في كل مكان هي التي تسببت في هطول الأمطار المتناثرة شبه الثابتة في تلك المنطقة المظلمة.

قال للمساعد: «إن هذا المكان مُذهّل للغاية، حيث إن الشمس لا تنفك تتقدّم للأمام، لتبحر كل هذا». ألقى نظرة خاطفة على اللوحة الموجودة أمامه، والتي احتوت على بوصلة من ضمن القراءات، وهو ما تطلب منه إعادة توجيه الطريقة التي كان ينظر بها إلى الأمر برمته، تابع حديثه قائلاً: «تشرق الشمس من الغرب هنا، خلفنا. وتطارِدنا، لتبحر كل شيء في طريقها، وتسخن الماء في ملح البصر. وعلينا ألا نجرؤ على التقدم كثيرًا، كيلا نصل إلى نور الشمس مرّة أخرى. أما أمامنا، شرقًا، فيدور الكوكب ليغرق كل شيء في ظلام مفاجئ. وأراهن على أن هذه العاصفة الموجودة هنا قد أتت في أعقاب أخرى، نشأت عند غروب الشمس بسبب التبريد المفاجئ لكل تلك المياه شديدة الحرارة».

يُجيب الفارس على هراء مُرافقه الغريب: بالفعل، لقد مرّ وقت طويل منذ أن حللنا على كوكب يُعاني من عاصفةٍ مُستمرة. هل يدرك بالوطن؟

أجابه نوما: «بكل الطرق الخاطئة، إن نمط الطقس غير منطقي، بالنظر إلى حرارة الجانب الآخر. لست مُتخصّصًا في الأرصاد الجوية، لكن حدسي يُخبرني بأن هذا الكوكب بأكمله يجب أن يكون دوامة من البؤس الذي لا يُمكن العيش فيه».

كانت الدّراجة الهوائية مزوّدة بوحدات تحكّم بأضواء تسمح لسائقها بمعرفة ما تفعله، كيلا يطير دون هدى تقريبًا. لكنها لم تحظ بأي مصابيح أمامية، كما أن عدم وجود مظلة أو سقف جعله يعتقد أن هؤلاء القوم غير معتادين على الطيران بهذه الأشياء في الظلام كثيرًا.

وهذا منطقي، من الواضح أن جماعة هذه المرأة قد هاجمت قوّة أشدّ خطورة في مهمّة إنقاذ. ويبدو أنه انضمّ إلى قوّة حرب عصابات من نوع ما.. قوّة تختبئ في قلب ظلام يخشى الآخرون سبر أغواره. ربما تكون عشيرة صغيرة من المُغيرين؟

لكن كيف أسروا شعبهم في المقام الأول؟ وإذا كانوا مُعتادين على القيام بهذا النوع من العمل، فلماذا لم يعدّلوا مركاتهم لتطير تحت المطر دون أن يبتلوا؟

لذا تراجع عن افتراضاته، وعاد إلى ما علمه علم اليقين، ثم مضى قدمًا من هناك مرّة أخرى، مُفكّرًا بشكلٍ منهجيٍّ ومنطقي. ظلّ هذا الجزء منه موجودًا، الجزء الذي دفعه للحصول على الأدلة والإحصائيات حتى

عندما سخر منه أصدقائه. كان لا يزال هو نفس الشخص بعد كل هذه السنوات. تمامًا كما لو كانت قطعة المعدن الكبيرة هي نفس المادة من الناحية الفنيّة حتى بعد أن تمت قولبتها إلى فأس.

قرّر: **إنهم ليسوا مُغيّرين، إنهم لاجئون. لقد هاجمتهم هذه المجموعة الأكبر، فاختبأوا. والآن تجرّأوا على الرد لإنقاذ أصدقائهم**

إنها محض نظريّة عمليّة، لكنها تبدو صحيحة. لكن ما لم يستطع اكتشافه هو سبب اختطافهم لواحدةٍ من ذوي الجمرات. ليقوموا عليها ببعض التجارب، أو ربّما ل..

تأمّل السائقة، ولاحظْ جديلتها السوداء الداكنة، التي شابهها اللون الفضي، وهي تسترخي على كتفها، قبل أن يقول لنفسه: **أنا أحمق. فقد عكّس شكل ملامحها الشابّة ملامح المرأة المُقيّدة خلفها، فتلوّنت عيني كليهما بلونٍ أخضر فاتح، وهي درجة كان من شأنها أن تُميّزهم كنبلاء في عالمه الأصلي.**

إن ذات الجمرة أحد أفراد أسرتها. وبناءً على أعمارهم النسبيّة، فمن المُحتمل أن تكون شقيقةً كُبرى. توجّب عليه أن يدرك ذلك في وقتٍ مُبكر. لقد هوجم هؤلاء الأشخاص، وأُسرُوا، وتعرّض بعضهم لعذابٍ أليم، وقد أنقذت السائقة الجالسة بجواره أحدهم. وإنه لعملٍ خطيرٍ، بناءً على الطريقة التي لا تنفك بها ذات الجمرة تتدبّر وتقاوم، والضوء الصادر من صدرها يتوهّج بلون الدم في الظلام.

لكن من هو ليحكّم على الأمر؟ إنه هنا ليسرق مركبة فحسب، ثم ليجد مصدر طاقة قويًا بما يكفي ليخرجه من هذا الكوكب. على الرغم من أنه اعتقد أنه سيسمح للسائقة أن تُطعمه وتسقيه أوّلاً لإنقاذ مخبئها.

شعر بالاتصال يحدث بينما ارتفعوا أكثر في الظلام. لكنه بالتأكيد جاءه عندما تحدّثت المرأة عبر اللا سلكي الخاص بها: «إلى المنارة! هنا المرافق، وأطلبُ مُحاذاة الإشارة».

أجابها صوت رجل يقول: «ريبيكي؟ ربيكي سالفاج، أهذه أنت؟».

قالت: «إذا كان هذا مقبولاً، فهذه أنا. ورمز الدخول هو امتنان ثلاثة عشر».

أجابها الرجل قائلاً: «من الجيد سماع صوتك يا فتاة». وكاد نوماد يفقد بقية الكلمات وسط عصف الرياح،

لكنه سمعه يقول: «هل ديفينتي (3) معك؟».

سمع صوت ربيكي وهي تقول: «لا، لقد سَقَط».

ساد الصمت عبر الخط، قبل أن يستكمل الرجل حديثه قائلاً: «عسى أن تجد روحه سبيلها إلى المنزل يا ربيكي.. أنا آسف».

قالت وقد اختلطت دموعها بمياه المطر على وجنتيها: «لقد اختار شقيقي هذه المخاطرة، مثلما فعلت».

نظر نوماد إليها عبر هيكل المركبة، وبدت ربيكي هذه شابّة في عينيهِ فجأة، رُبما بالكاد في العشرينيات من عمرها. رُبما كانت دموعها سبباً في ذلك.

قالت ريبيكي: «لقد.. جلبتُ شخصًا ما معي يا زيل (4). وسأكون مُمتنةً للغاية، إذا لم يُزعجك أن تمنحني الإشارة».

أجابها الرجل؛ زيل، قائلاً: «شخصٌ ما؟ هل هذا هو سبب تحلُّفك يا ريبيكي؟ هل سعتِ خلف شقيقتك؟ مخالفةً إرادة وتوجيهات الخير الأعظم بشكلٍ صريحٍ؟».

همست ريبيكي: «أجل».

- «إنها خطيرة! إنها واحدة منهم!».

صاحت ريبيكي وصوتها يزداد قوَّة: «نحن موجودون بسبب إليجي (5)، لقد قادتنا، وأهمتنا. لم أستطع تركها يا زيل. لن تُشكِّل خطرًا علينا، ما دامت مُقيَّدة. ورُبما.. رُبما يُمكننا مُساعدتها».

أجابها زيل: «ستحدِّث عن ذلك عندما تعودين، لقد مُنحت الإشارة إلى المنارة. لكن يا ريبيكي.. لقد كان هذا تصرُّفًا متهورًا من قبلك».

قالت: «أعرف ذلك». ثم نظرت إلى نوماد، الذي تظاهر بالاسترخاء في مقعده، مُغلِّقًا عينيه، ومُتظاهراً بأنه لا يفهم شيئاً، قبل أن تُضيف: «كما أنني أحضرتُ شخصًا آخر كذلك، إنه.. أسير».

- «تبدين غير مُتأكدة من ذلك».

قالت: «لقد أنقذته من بين براثن ملك الجمرات، لكن هناك خطبًا ما به. لا يُمكنه التحدُّث بشكلٍ صحيح، أعتقد أنه قد يكون مُتخلِّفًا عقليًا».

- «هل هو خطير؟».

قالت: «رُبما، لقد ساعدتُ موسى، الذي فاتتني رؤيته بسبب العُشب. أخبر عائلته أنني أحضرتُه. لكن قبل ذلك، تظاهر ذلك الغريب بكونه قاتلاً ليجعلني أُطلق سراحه، لكنه لم يكن ذا فائدة كبرى أثناء القتال».

لم يكن ذا فائدة كبرى؟!
لم يكن ذا فائدة كبرى!؟

لقد أسقطتُ مَرَكبتين للعدو دون أن يكون قادرًا على القتال أصلاً. وأجبر نفسه على عدم الرد، لكن اللعنة. هل تكذب، أم أنها.. حسناً، إنها لم تره هناك. لكنها لاحظت أنه يحمل بُندقيةً بعد اختفاء المركبات الأخرى، فمن أين اعتقدت أنه قد حصل عليها؟

يسأل الفارس بفضول: هل لاحظت الأسماء؟

أجابه نوماد باللغة الأليثية: «إليجي، وديفيتي، وزيل.. أجل، لقد لاحظت ذلك. هل تعتقد أن...».

يُجيب الفارس واثقًا بتواضعٍ من تقسيمه الحكيم: النرينوديين، ثقافة فرعية كاملة. لم تتوقع ذلك، أليس كذلك؟

قال: «لا، لكن توجَّب عليَّ أن أفعل، فالملابس مُتشابهة. أتساءل كم من الوقت مضى على تشعبها؟».

- هل خمنت أن الأسيرة هي شقيقة هذه المرأة؟

أجابه مُتدبراً: «لقد تبينت هذا، ثرينوديت. ألا.. يستمرُّون عندما يُقتلون؟».

يشرح البطل لخدمه البليد، الذي يجب أن يتدكر حقاً أن أحدهم كاد يلتهمه: بل يتحوّلون إلى ظلال في الظروف المناسبة.

قال: «صحيح، بأعين خضراء، ثم حمراء عندما يرغبون في الاتهام، في ظل غياب تام للذكريات. أشعر أننا قد رأينا ذلك بالفعل، فقد خرّجت الظلال من قلب الظلام، ولم نخض في شيء سوى الظلام منذ وصولنا إلى هنا».

- ربما انقسمت هذه المجموعة قبل أن يأخذهم موت جزيئات الروح، والآثار اللاحقة لذلك.

أوماً نوماد برأسه مُتدبراً. لقد أصبحت الغيوم المُستمرة في هذه المنطقة -دون وجود الحلقات المتوهجة في السماء لتوجيهه- أكثر ضرراً الآن. وكأنه يُخلق في الفضاء ذاته، دون أن يكون هناك شيء تحته أو فوقه. مجرد ظلام أبدي. وربما لا يسكنه سوى أرواح الموتى.

ثم عمّرت السعادة عندما ظهرت بعض النيران أمامه -إنه ضوء المُحرّكات المُشتعلة تحت المدينة. وفي هذا المنظر المُظلم الذي أغرقته الأمطار مع زخات ضبابية وسفوح تلال سوداء عالية، فلا بُد أن يكونوا في المكان عملياً قبل أن يُصبح مرئياً. بدت أصغر من المدينة الضخمة التي تركها بالخلف، كما أن مُحركاتها لم تترك أثراً كبيراً على الأرض - وربما جرف المطر الأثر الذي تركته. ومع أخذ كل الأمور بعين الاعتبار، فإنها مُحبّاة هنا بشكل جيد، حتى في ظل وجود تلك المُحرّكات المُشتعلة.

حلقت ريبكي بالدراجة الهوائية إلى ذلك التجمّع، ووصفتها في مكانها على جانب المدينة.. افترض أن هذا هو المكان المعروف بالمنارة، الذي كان مُظلماً بشكل مُثير للإعجاب، على الرغم من اسمه. رصد بعض الأضواء هنا أو هناك، لكنها لم تكن سوى أضواء صغيرة، ودائماً باللون الأحمر الخافت. ستظل المُحرّكات الموجودة بالأسفل مُحتبئة ما دامت بقيت مُنخفضة وسَمَحَت للتلال والأمطار بحمايتها.

لم يحظ بفكرة جيدة عن حجم المنارة، رغم أن الطريقة السهلة التي رست بها الدراجة الهوائية لتصبح مُجرّد جزء آخر من هيكلها، جعلته يعتقد أنه من المُحتمل أنها تتمتع بنفس بنية المنصة التي كان عليها من قبل. انتظرتهم حفنة من الأشخاص وسط الرذاذ المُتطاير، تحت ضوء أحمر داكن ينبعث من فانوس يدويّ يحمله قائدهم، الذي كان رجلاً طويلاً، عابساً، وصارماً. ربطه نوماد من فوره بالرجل الذي يدعى زيل، ذلك الذي تحدّث إليه ريبكي عبر اللا سلكي.

لكنه شعر بالمفاجأة عندما خرّج صوت زيل من فم الرجل القصير الذي يقف بجواره بدلاً من ذلك. لم يتجاوز طول الرجل الضئيل حتى أربعة أقدام، وتمتع برأس عادي الحجم، لكن ذراعيه وساقيه كانت أقصر من الشخص العادي. بينما حظي بعينين بُنيتين، مثل عيني نوماد.

قال زيل: «إن ما فعلته خطير يا ريبكي».

قالت: «أخطر من خطة إيجي؟ هل تذكرها يا زيل؟».

وبدلاً من إجابة سؤالها، تفحص نوماً بعناية قبل أن يسألها: «هل هذا هو الغريب؟ ما اسمه؟». أجابته ريبكي: «لم أخط بفرصة لمعرفة مثل هذه المعلومات، كما أنه لا يبدو قادراً على فهم الكلمات التي أنطق بها. وكأنه.. لا يعرف لغتنا».

قام زيل ببعض الإشارات بيديه، مُشيراً إلى أذنيه، ثم صرّب راحتيه سوياً. هل يعتقد أن نوماً قد يكون أصم؟ افترض نوماً أن هذا تخمين معقول، لم يُجرب أي شخص آخر على متن هذا الكوكب هذا النهج. تحدّث إليه نوماً باللغة الأليثية، مُتظاهراً بالارتباك وهو يُحرّك يديه أثناء حديثه.

تحرك زيل والرجل الطويل لمساعدة توموس، مفلج الأسنان. كان الرجل المسكين ينجرف مرةً أخرى، ويُتمّم فاقداً لوعيه، دون أن يُثبتته في مقعده شيء سوى حزام الأمان. وبناءً على أوامر زيل، أسرع به عدة أشخاص مُبتعدين، رُبما لتلقي الرعاية الطبيّة.

قال نوماً باللغة الأليثية: «اعتنوا به جيّداً».

رَفَع الرجل الطويل فانوسه، قبل أن يقول: «ما هذا الهراء؟». وكان طويلاً ونحيلًا للغاية، حتى إنه أصبح يُشبه عمود الإضاءة نوعاً ما عندما رَفَع فانوسه عالياً، خصوصاً وهو يرتدي هذا المعطف الأسود الطويل الواقى من المطر.

قالت ريبكي: «كثيراً ما يُصدر مثل هذه الأصوات».

فأجابها الرجل الطويل: «هذا مُثير للفضول».

نظر زيل إلى الدراجة الهوائية المُصطفّة في مكانها، ثم اقترب ببطء. انضمّ إليه الرجل طويل القامة، وكذلك فعلت ريبكي، ووقف ثلاثتهم مُحدّقين في المرأة ذات الجمرّة المُقيّدة بالخلف وهي تُزجر.

قال زيل: «إيجي، نحن هنا يا إيجي».

لم ينتج عن هذه الكلمات سوى مزيد من الزجرة.

تنهّد زيل قبل أن يقول: «هيا، يجب أن نتصرّع للخير الأعظم ونبتهل لهم من أجلكم، من فضلك، ابدل قصارى جُهدك من أجلها يا «سيتدكر أدونالسيوم محتتنا في النهاية»».

أوماً الرجل الطويل برأسه.

لحظة.. اسمه «سيتدكر أدونالسيوم محتتنا في النهاية»؟ هذا أفضل اسم سمّعه نوماً حتى الآن. لقد كان

بحاجة حقاً للاحتفاظ بقائمة أسماء هؤلاء الشرينوديتين (6).

ثم أضاف زيل: «وابحث عن مكانٍ لضيف ريبكي يا «سيتدكر أدونالسيوم محتتنا في النهاية» من فضلك. امنحه إحدى المركبات التي لا تحتوي على ضوابط وصولٍ محلية، إذا لم يُزعجك القيام بهذه المهمة. يبدو أنه يتوق لحمامٍ وفراش».

سار زيل وريبيكي سويًا نحو نهاية الشارع، بعد أن شغّل زيل مصباحًا يدويًا أحمر ليُنير لهم الطريق. الحّمَام والفرّاش بدت فكرة لا بأس بها، لكن معرفة ما يحدث هناك بدت فكرة أفضل، لذا انطلق نومات خلفهما. وبطبيعة الحال، سارع «سيتذكر أدونالسيوم محتتنا في النهاية» للإمساك بذراعاه، مُحاولًا بلطف أن يقوده بعيدًا. ابتسم نومات بهدوء، ثم رفع يده واستمرّ بالسير. وعندما حاول الرجل بقوة أكبر، تملّص نومات من قبضته بقوة أكبر.

أجل، لقد اتّسم بالعدوانية، ورُبما كانت طريقة عظيمة للتورّط في المشاكل. فربما سيهاجمونه، وعندها سيكون لديه عُذر لا بأس له لسرقة تلك الدراجة الهوائية. ربّما يتوجّب عليه أن يفعل ذلك، لكن.. حسنًا، إنه يشعر بالميل للإحسان. لذا سار ببساطة خلف الاثنين الآخرين، ومن خلفه «سيتذكر أدونالسيوم محتتنا في النهاية» العصبي. دَخَلَ ريبكي وزيل إلى أحد المباني.. حسنًا، إلى مركبة تمتلك هيكلًا أكبر على سطحها. دخل نومات من خلفهما، دون أن يترك الباب يُغلق. ووَجَد أنها غرفة انتظار صغيرة ذات إضاءة خافتة، وجدرانٍ سوداء. قبل أن يدس «سيتذكر أدونالسيوم محتتنا في النهاية» نفسه من خلفه.

قال الرجل الطويل مغمومًا: «بالغ أسفي يا زيل، إنه فقط.. لم يأت معي». قالت ريبكي: «رُبما يجب علينا أن نُقدّمه للخير الأعظم، قد تكون رؤيته أمرًا مقبولًا بالنسبة لهم، ورُبما يعرفون أي نوع من الأشخاص هو».

أجابها زيل بعد تفكير مُقتَضَب: «هذا مقبول بالنسبة لي، يُمكنك أن تضمّنه لنا يا «سيتذكر أدونالسيوم محتتنا في النهاية»».

همّس الرجل الطويل: «ماذا لو كان خطيرًا؟ فقد قالت ريبكي أنه.. رُبما يكون قاتلًا». قال زيل: «من المُفترض أن ملك الجمرات لم تتح له الفرصة بعد لإعادة ضبط هذه الأساور التي تُزيّن معصميه، أعتقد أننا سنكون بخير».

كاد نومات أن ينسى الأساور التي لا يزال يرتديها، تجنّب النظر للأسفل عندما تحدّثا عنها. أكّد كل هذا افتراضه السابق بأن هؤلاء الأشخاص كانوا قادرين على تعطيل ذوي الجمرات باختراق من نوع ما أو استغلال نظام الدعامات.

غادر «سيتذكر أدونالسيوم محتتنا في النهاية» ليتولى أمر المرأة المُقيّدة بالسلاسل؛ إليجي، بينما دفعت ريبكي بابًا احتلّ نهاية غرفة الانتظار، لتقودهما إلى رواقٍ جيّد الإضاءة. ظهر التباين جليًا لفترةٍ وجيزة، رغم أن الأضواء الكهربائية المُعلّقة في السقف كانت مُنخفضة بشكلٍ نسبي.

لم تكن هناك نوافذ بالطبع، فقد كانت غرفة الانتظار الصغيرة عبارة عن هويس ضوئي، يهدف لمنع الناس من سكب ضوء المبنى إلى الشارع، مما يسمّح لهم بمواصلة التحرك بشكلٍ غير مرئي في قلب هذا الظلام. كشفت له نظرة سريعة أن الجدار والباب الذي يفصلها عن الهويس الضوئي مصنوعان من مادة خشبية أقل متانة، أما السقف والأرض فُصنعا من المعدن. لقد أضيفت غرفة الانتظار هذه مؤخرًا.

أجل، من المؤكّد أنهم أشخاص هربوا مؤخّراً فحسب، مُحْتَبَيْنِ في قلب هذا الظلام العميق تحت السُّحْب. عبّر الرواق لينصّص إلى الاثنين الآخرين، ولم يفُتّه أن زيل يُراقبه عن كُتْب.. وهو يضع يده في جيبه، رُبما على استعدادٍ للسيطرة على الأساور، وتجميد نوماد مرّة أخرى. قاداه إلى عُرفَةٍ في نهاية الرواق، فدخلها مُتلهِّفًا للقاء من وصفوهم بالخير الأعظّم. الذي تبيّن أنّهن ثلاث نساء مُسنّات.

3 Divinity: كلمة إنجليزية تعني الألوهية، وتُنطق «ديفيتي». (المترجم).

4 Zeal: كلمة إنجليزية تعني الحماس أو الشغف أو العنفوان، وتُنطق «زيل». (المترجم).

5 Elegy: كلمة إنجليزية تعني المرثية، وتُنطق «إليجي». (المترجم).

6 جنودي: هو عالم يحتوي على غابات الجحيم، يسكنه بشر يُعرفون باسم «الثرينوديتيين»، بالإضافة إلى ظلال الصمت، التي يُجاربها البشر بالفضّة، وورد ذكره للمرة الأولى في رواية قصيرة بعنوان «Shadows For Silence In The Forests Of Hell». (المترجم).

نساء مُسِنَّات؟ لم يكن هذا مثيرًا كما تمنى. ولكن، مهلاً، ربما كانت إحداهن تنيبًا في السر. تمكن نوما من استنتاج أن هؤلاء النساء هن المسؤولات هنا بناءً على سلوك الآخرين نحوهن، رغم أنهم لم يرتدين أي شيء ملكي.. مجرد فساتين سوداء عادية، وقفازات مثل أي شخص آخر، وقبعات، حتى هنا بالداخل. تمتعت أثقلهن وزناً ببشرة شاحبة، بينما تمتعت الاثنتان الأخريان ببشرة داكنة مألوفة أكثر. جلست السيدات الثلاث خلف طاولة، يتلقين تقريراً من رجل قوي البنية، ذي عينين بُنيّتين داكنتين، ولحية سوداء يمكنها أن تفوز بمركزٍ مُتقدّم في مُسابقة التشذيب، في حال لو شدّبت. امتلك نوما، هناك في الوطن، قريباً يُشبه هذا الرفيق، الذي زينت ذراعه علامة إصابة بانفجار، حيث احترقت سترته، لتكشف عن جرحٍ عرضي. إنه عضو آخر من فريق المداهمة.

قالت ريبكي لأول وأطول النساء، وهي امرأة ذات عينين زرقاوين: «كونفدانس (7)». ثم قالت لأقصرهن، وأضعفهن مظهرًا، ذات عينين بُنيّتين فاتحتين: «كومباشن (8)». قبل أن تقول لأعرضهن خصراً، ذات البشرة الشاحبة والشعر الأسود -المصبوغ بشكلٍ واضح - الملتف فوق رأسها، التي يتماشى لون عينيها الخضراوين الرماديتين مع لون الشال الذي ترتديه: «كونتمبليشن (9)». أو مات باحترامٍ لكل واحدة من الثلاث قبل أن تقول: «لقد استعدتُ شقيقتي». حكّت كونتمبليشن ذقنها، ثم قالت: «لقد أبلغونا بذلك، أظن أنه قد طلب منك ألا تهووري بشدة». -«بالفعل».

قالت كونفدانس: «وفقدت شقيقك أثناء القيام بذلك، هل تمت التضحية بأحد الإخوة من أجل إنقاذ الآخر؟».

قالت ريبكي: «لم نتمكن من...». لكن المرأة القصيرة التي يدعونها كومباشن نهضت، وسارت بشكلٍ غير مُستقر، ثم تعثرت واحتضنت ريبكي.

نكّست ريبكي رأسها، وتساقطت خصلات الشعر مُتناثرةً حول وجهها، ثم تماسكت. أحكم الصمت قبضته على العُرْفَة، ربما يُثلج هذا الأمر الصدور أو شيئاً من هذا القبيل. بينما كان نوما أشدّ اهتماماً بغلاية الشاي القابعة على الطاولة. أمسك مقعداً، وجذبه، ثم صبّ لنفسه كوباً. تقطّر الماء أرضاً من ملبسه المبلّلة وهو يفعل ذلك. كان الشاي بارداً، لكنه لم يكن سيئاً، ربما كان شديد الحلاوة فحسب. حدّق به كل من بالعُرْفَة. لذا استرخى للخلف، مُسنِداً حذاه على الطاولة.

دفعه الرفيق الملتحي جانباً، مُتسائلاً: «أي نوع من الأشخاص هذا، بمثل هذه الأخلاق الرهيبة؟».

انخفص صوت الرجل عندما وقف نوماد. ومرة أخرى، رغم أنه يُعتبر رجلاً قصيراً في موطنه، فاق أي شخص آخر بين جدران الغرفة طويلاً بنصف قدم على الأقل. وتمكنوا دون شك من رؤية عضلاته، عبر ملبسه الممزقة، تلك العضلات التي اكتسبها بجهد، التي لم يحظ بها نتيجة لوضعه كمدخر. نظر إليه الرجل الملتحي، ثم تراجع، ساعماً له بالاستقرار مرة أخرى. وضع نوماد قدميه بإصرارٍ على الطاولة، وهو يهز فناجين الشاي الخاصة بالمسِنَّات الثلاث.



قال زيل: «قبل أن تُرسلَ توموس للمُعالجين». جَذَبَ مقعده ثم تَابَعَ حديثه: «تمت بشيءٍ ما أثناء هذيانه، قال إنه رأى هذا الرجل يلمس نور الشمس ويعيش».

لقد رأى توموس ذلك، أليس كذلك؟ كاد نوماد أن ينسى تلك اللحظة التي شَعَرَ فيها بنور الشمس قبل أن يُنتَزَعَ من قبضتها. رُبما يُجبرون السُجناء على مُشاهدة تنفيذ عمليات الإعدام، ازدادت نظرة نوماد لمتوهج العينين احتقارًا، لقد كان هذا ضربًا من القسوة الواضحة.

قالت كوتيمبليشن: «الذي أضاءه نور الشمس، الرجل الذي أضاءه نور الشمس». جلست ريبكي على مقعدها خلف الطاولة التي بدأت تزدحم باطراد، ثم قالت: «لو سَمَحَ لي الخير الأعظم، فأنا لا أوافق على ذلك، وتقبَّلوا مني هذه الملاحظة: لو كان هذا هو الرجل الذي أضاءه نور الشمس، لمدَّ لنا يد المساعدة، وما كان ليتصرَّف بـ.. هذه الطريقة».

قال زيل: «إنه لا ينطق سوى بالهراء، كرضيع لم يُقَطَّم بعد». قالت كوتيمبليشن: «هل يفعل ذلك؟ هذا مُثير للفضول».

قالت ريبكي: «لو سمحتم لي، أعتقد أنه من الممكن أن نستطيع تحديد أي نوع من الرجال هو، وبصراحة.. لقد تبعنا بإصرارٍ إلى هنا. ورُبما سيتوجَّب علينا تجميده لحمله على المغادرة».

قال الرجل المُلتحي وهو يميل للأمام: «رُبما يكون هو القاتل! قاتلنا! هل رأيت الطريقة التي ينظرُ بها إليّ؟».

لم يكن هذا.. هو رد الفعل الذي توقَّعه نوماد من الرجل، فقد كان الزميل مُبتسِمًا، بحماس. هزَّت ريبكي رأسها في وجه الرجل المُلتحي، قبل أن تقول: «أعتقد أنه لو كان قاتلاً، لعرفتُ ذلك يا جيفري جيفري».

جيفري جيفري؟ لقد أحبَّ نوماد هذا الاسم أيضًا. قال باللُّغة الأليثية: «أو كس، ماذا كُنْتُ...». لحظة، إن المُساعد ليس هنا. حدَّق به الجميع.

قالت كومباشن: «يا لها من كلماتٍ غريبة، دعوني أطرح هذه الفكرة: هل تفترضون أنه جاء من ممرِّ شمالي؟ إنهم يتحدثون بطرقٍ تجعل المرأة، في بعض الأحيان، بحاجةٍ إلى التركيز لتفهم».

قالت كوتيمبليشن: «لو سمحت لي، فأنا أختلف معك يا كومباشن، لا أعتقد أن هذه مجرد لهجة. لا، على الإطلاق. وبغض النظر عن ذلك، فهناك أمور أكثر إلحاحًا. هل لي أن أتشرَّف بنعمة رؤية الشيء الذي استردَّه فريقك يا زيل؟».

دسَّ الرجل القصير يده في جيبيه، وأخرج شيئًا ملفوفًا بين أحضان منديل. وفي الخارج، اشتدَّت الرياح، وهطل المطر بشكل أقوى على السقف المعدني والجدران. بدا صوت النقر على السقف أشبه بقرع أصابع متوتِّرة على الجرس، وهي تُطالب بخدمةٍ ما. ومع ذلك، فقد تجاهلوه جميعًا، عندما كَشَفَ زيل عن قرصٍ

معدنيّ بلغ عرضه تقريباً كف الرجل، وزين مُقدمته رمزٌ غريب. رمزٌ يستطيع نوّاد قراءته، لكنه لم يتوقّع قط العثور عليه على متن هذا الكوكب. بحق العواصف..

ماذا يفعل السكادريانيون (10) هنا؟

وضعت كونتمبليشن أصابعها عليه، وتحسّست الأخاديد المحفورة على المعدن، ثم قالت: «إنه حقيقي». قالت كونفدنس: «اسمحوا لي بالتحدّث بصراحة، إذا لم يكن ذلك مُهيناً، هل نحن متأكّدون من أن هذا حقيقي؟». أخذت المُسنّة الطويلة القُرص، ثم أضافت: «من المُمكن أن يكون نُسخة مُقلّدة، أو يُمكن أن تكون الأساطير كاذبة».

أجابها زيل: «دعوني أُعلن مُعارضتي، إذا لم يكن من الجراة أن أقول ذلك. إنه ليس مُزيّفاً. لماذا سيمتلك ملك الجمرات سبباً للاعتقاد بأن هناك من سيسرقه؟ فقلة قليلة هم من يعرفون بمشروعه المُفضّل». قالت ريبكي: «كانت هذه هي خطة شقيقتي، هذا هو سبيلنا للحريّة، سبيلنا الوحيد، لقد فعلتها يا زيل!».

هذا مُثير للفضول. بدأ نوّاد يجمع قطع الأحجية سوياً. لم تكن هذه مُجرّد عمليّة إنقاذ.. في الواقع، رُبما كان الغرض من عمليّة الإنقاذ هو التغطية على سرقة أشدّ إثارةً للاهتمام: سرقة هذا الغرض، الذي كان يعلم أنه مفتاح ترخيص سكادرياني. وهؤلاء يتجنّبون بطاقات المفاتيح البلاستيكيّة، فلديهم ميل لاستخدام المعادن.

من شأن هذا القُرص أن يفتح باباً في مكانٍ ما، ويبدو أن الأشخاص الجالسين إلى الطاولة يعرفون ذلك، حتى لو لم يفهموا تماماً ما يفعلونه.

سألتهُم كومباشن: «لكن هل يُمكننا تشغيله؟ هل يُمكننا أن نجد طريقنا عبر الحاجز القديم؟». قالت كونفدنس: «لا نعرف حتى ما إذا كانت الأساطير صحيحة، أجل، رُبما يُصدّقها ملك الجمرات. لكن دعوني أُقدّم لكم هذا التناقض: ما الدليل على وجود هذه الأراضي الأسطوريّة تحت الأرض؟ مكان لا تظاله أشعة الشمس؟ وأنا أتحدّث بقناعةٍ راسخةٍ حين أقول: لن أقود هذا الشعب بثقةٍ دون دليل».

قالت كونتمبليشن: «في بعض الأحيان، لا يُمكن العثور على أي دليل. أترح أنه يتوجّب علينا، لبرهة، أن نتحرّك مدفوعين بالإيمان وحده. لقد صدّقت إليجي.. مُرشدتنا، تلك التي يثق بها الخير الأعظم لثُرشدنا نحو طريقنا في قلب الظلام، وكان هذا هو هدفها؛ وهذا يكفي بالنسبة لي».

قالت كونفدنس: «أجد اقتراحك هذا صعباً وغريباً يا كونتمبليشن، ماذا عن مُهمّتك، وعلمك، وعقلك؟».

أخذت كونتمبليشن القُرص وحملته بوقارٍ، حمل وجهها -رغم علامات السن التي ظهرت جلياً عليها- أمارات الفرح، تراقصت عيناها وتوهجتا بنار المعرفة الجديدة. وفي حين قد ينظر البعض لشعرها الأسود

المصبوغ على أنه ضرب من الغرور، اعتبره نوماد دلالةً على الوقار، لقد عرّفت كيف تحب أن تبدو، ولم تهتم بإدراك الآخرين بأنه غير طبيعي. وفي تعبيرها عن نفسها، كان غير الطبيعي أكثر أصالةً من الأصل.

قالت كونتمبليشن: «وحتى في العلم، يلعب الإيمان دورًا. فكل تجربة يتم القيام بها، وكل خطوة في طريق المعرفة، تتحقق عن طريق الانطلاق في ظلام الجهل. حيث لا يُمكنك أن تعرف ما ستجده، أو إذا كنت ستجد أي شيء على الإطلاق. إنه الإيمان الذي يدفعنا.. الإيمان بضرورة وجود الإجابات».

نظرت إلى بقية الموجودين في العُرفة، مُتخطيةً نوماد، بما في ذلك ريبكي، وزيل، وجيفري جيفري. وأثبتت الاحترام الذي أبدته لهم أن القادة لم يكونوا بهذه الأهمية الفريدة في نسيج هذا المجتمع، لأن الجميع مُهمون.

اعترفت كونتمبليشن قائلةً: «إنه محض أمل جامح، تُروى هذه القصص عن أرضٍ لم تمسسها شمس، لكن علينا أن نسأل أنفسنا: إلى متى سنبقى على قيد الحياة في قلب الظلام؟ لقد كانت إيجي مُحققةً في نقلنا إلى هنا، لكنه كان تصرفًا وقوده اليأس. وحتى الآن، يذوي شعبنا، ولا يُمكننا زرع الغذاء، كما أننا نفقد المزيد من المركبات والعَمال في كل مرةٍ نُغامر فيها بالدخول إلى أراضي الصُبح».

صمتت قليلاً ثم أضافت: «والآن، أقدم لكم هذه الحقيقة الكئيبة: سنموت هنا. ورغم ذلك، فمن المؤكد أن ملك الجمرات سيقضي علينا، إذا عُدنا إلى ممرنا. ولا علم لنا بفنون الحرب والقتل اللازمين لمُحاربتة؛ فلم ننعَم بمثل هذه الغرائز الوحشية والجسدية. ودعوني كذلك أطرح هذه الرؤية القائمة: لن يؤخذ على حين غرةٍ مرةً أخرى مثلما حدث اليوم. وسيقف قتلته في حالة تأهب، مُستعدّين بحكمةٍ ضد مزيد من العداء. لن يسمح ملك الجمرات بأي اختراقٍ ذكيٍّ لأسواره مرةً أخرى، ولن يسمح قومه لأنفسهم بالتشتت بألعابهم إلى هذا الحد الذي يجعلهم يرخون أسوار حذرهم».

نظرت إليهم قبل أن تستكمل حديثها: «حققنا اليوم أعظم انتصاراتنا كشعبِ المنارة. لكنني سأقول -على النقيض من تلك الذروة- إن اليوم هو اليوم الذي سنبداً فيه بالتلاشي. سنموت.. ما لم نجد حلاً. ولذا فإنني أسأل: ألا يستحق القليل من الإيمان -وقضاء القليل من الوقت في مُطاردة مكافأة أسطورية- فرصةً لتمكّن من تجنب مصيرنا؟». قلبت القرص ثم أضافت: «لقد وثقنا في إيجي كي تأتي بنا إلى هنا. وعلينا أن نثق بها مرةً أخرى، ونجد هذا الملجأ».

قالت كومباشن: «ينبغي علينا، بموجب إنجازاتنا الحالية، أن نختبر هذا المفتاح. كما أنه ينبغي علينا الشناء على فريق زيل لاستعدادهم لسرقة ذلك من أجلنا».

قالت كونفدنس مُحذرةً: «دعوني أقدم لكم هذا التذكير: سيُطارِدنا ملك الجمرات من أجل هذا الرمز». قالت كومباشن هدهوء: «لو سمحتِ لنفسك بأن تتمتعِي بهذا التناقض، فالرجل سيُطارِدنا على أي حال، إنه يتحرّق شوقاً للقضاء علينا. ولا شك أن أحداث اليوم قد أجبجت المزيد من نيران شوقه. يجب عليه أن يُدَمِّرنا الآن، خشيةً أن يتساءل المزيد من قومه عن مدى سلطته».

استمع نوماد باهتمام إلى الحديث المتبادل. أجل، لقد فهموا ماهية المفتاح، لكنهم لا يعرفون حقيقة ما سيجدونه عندما يستخدمونه. فقد كان واثقاً من أنهم حتى لو فتحوا الباب الموجود في مكانٍ ما باستخدام هذا المفتاح.. فلن يمنحهم «الملاذ» الأسطوري. كان ذلك جهازاً حديثاً، حملهُ المسّاحون السكادريانيون، ليسمح لهم بتحديد موقعهم ويمنحهم الإذن بالعودة إلى إحدى مركباتهم الفضائية الاستكشافية الصغيرة. استمرت المحادثة مثلما استمر هبوب الرياح بقوة أكبر، وهزت المدينة بأسرها. لقد ذكروا «الاضطراب العظيم»، الذي فهم أنه عاصفة، لا تختلف عن العاصفة الشديدة، التي تتبع الشمس عند الغسق. إذن فتخمينه صحيح.. لقد جاء غطاء السحب هذا في أعقاب غروب الشمس، وهبت عاصفة رهيبه بعد ذلك مباشرةً.

لقد تخيل هذا المكان ككوكب ذي خمس مراحل؛ الأولى: الأراضي التي مرّ بها، حيث تنبت النباتات بفضل نور الشمس المنعكس. والثانية: غطاء السحب الدائم، حيث تنهمر الأمطار. والثالثة: الإعصار الذي يهب عند غروب الشمس، عندما يختفي نور الشمس، تاركاً الإعصار يُولد من تغيرات الضغط والرطوبة. والرابعة: المشهد شديد الحرارة حيث تسود الشمس. أما الأخيرة: الفجر، حيث يُترك الرجال والنساء ليموتوا.

كم هو غريب العثور على أرضٍ يتسلل فيها الناس للعيش في أعقاب العاصفة، والاختباء داخل حواف عباؤها، بدلاً من أن يفروا منها.

وبغض النظر، بدت وقاحة نوماد السابقة - وهمجيتها في شقّ طريقه إلى تلك الغرفة - مُحزّية فجأة. أجل، لقد تحوّل عن الرجل الذي كان عليه يوماً، وأصبح مُهتماً باللياقة والنظام بشكل مُفرد. لقد عرف أنه - مثل المراهق الذي يُغادر المنزل للمرة الأولى - سيمضي بعيداً في محاولة إثبات ذاته. لا يزال يتمرد على الرجل الذي كان عليه يوماً، حتى أصبح في أنانيته رجلاً يُمكن أن يُخطئ مثل حيوان أعمى.

رَفَع نوماد حذاءه عن الطاولة، وشعور بالاشمئزاز من نفسه يفرض سيطرته عليه، وهو أمرٌ لا يُمكنه أن يُلقي باللوم فيه على ظروفه، بشكل لافتٍ للنظر، ليس هذه المرّة. وَقَف -مُفاجئاً الناس في الغرفة- واندفع نحو الباب، إلى الخارج. مُنطلقاً عبر الرُدهة، نحو الهويس الضوئي. إلى قلب العاصفة.

7 Confidence: كلمة إنجليزية تعني «الثقة». (المترجم).

8 Compassion: كلمة إنجليزية تعني «العطف». (المترجم).

9 Contemplation: كلمة إنجليزية تعني «التأمل». (المترجم).

10 النظام السكادرياني: نظام كوكبي يحتوي على كوكب سكادريال، واثنين من عمالقة الغاز، وكوكبين قزمين، وحزام مُذنبات، ويُعد كوكب سكادريال هو أحد كواكب كون «كوزمير»، وظَهَر للمرة الأولى في رواية «Mistborn» للكاتب براندون ساندرسون. (المترجم).

لم يكن سبر أغوار العاصفة شيئاً معتاداً في موطن نوماد. ورغم ذلك فقد ارتحل في أرجاء «كوزمير» بما يكفي ليعرف أنه حتى العواصف العنيفة على الكواكب الأخرى لا تُقارَن بتلك التي ضربت روشار. وبالفعل، ضربته الرياح هنا، لكنها لم تُطِح به من على قدميه. وانهمرت فوقه الأمطار، لكنها لم تُهدد بسلخ جلده. وومَّضَ البرق في السماء، لكنه لم يبدو كثيراً أو قريباً بحيث يبدو أنه لا مفر من لمستة القاتلة. ووجد نفسه يتمنى لو أن بحوزته شيئاً أكثر من هذه الملابس المُمزَّقة، والمسروقة من الكوكب الكهفي الذي كان آخر ما وطأته أقدامه قبل أن يأتي إلى هنا، التي لم تُجدِ نفعاً في مقاومة هذا البرد. لكن من جهةٍ أخرى، فمُعظَمُ البرد الذي يشعُر به ينبعث من داخله.

انطلق في الشارع الكئيب، ضارباً بقدميه معدنه المصقول. على الأقل صَمَدٌ حذاؤه. لقد علَّمه ترحاله منذ فترة طويلة شيئاً: ابخل في القمصان إذا اضطررت لذلك، لكن لا تبخل قط عندما يتعلَّق الأمر بالأحذية. شقَّ طريقه نحو حافة المدينة بشكلٍ غامض، رغم أنه انبغى عليه أن يسير ببطءٍ، مُنتظراً البرق ليُنير له طريقه. لقد اختفت الأضواء الخافتة التي رآها من قبل. حيثُ قبع الناس بالداخل، محبوسين، مُحْتَبِئين هرباً من الأمطار. كان هذا تصرفاً عالمياً، حيثُ يفر الناس من العاصفة، سواء على متن كوكب يُمكن لانهار الأمطار فيه أن يؤدي إلى تآكل الصفائح المعدنية، أو على متن آخر لا تكاد أمطاره تُبلل ملابسك. رُبما لم يُعجبهم التذكير بأنه بغض النظر عن مدى عظمة مُدنهم، فإنها مُجرَّد ذرَّات في الامتداد الكبير لأنماط الطقس الكوكبية.

لقد أتى إلى هنا على أمل أن يشعُر بتحسن تحت الأمطار، على أمل أن يبدو انهارها كعناق صديقٍ قديم.. وأن يبدو عويل الرياح كثرة الرجال الذين يطهون اليخنة بجوار المدفأة. لكن تلك الذكريات هاجمت ذهنه بقسوة اليوم، وجعلته الرياح يتذكَّر هويته؛ إنه رجلٌ كان ليُقابل الموت قبل أن يُعامل الناس مثلما فعل اليوم. لا، لم توفِّر له العاصفة الملجأ المنشود. فبقدر ما أحبَّ المطر - وبقدر ما شَعَرَ بأنه يُناسبه - كانت الذكريات مؤلِّمة للغاية.

وصَلَ في النهاية إلى المكان الذي تركوا فيه الدراجة الهوائية مُثبتةً إلى جانب المدينة، لتُعير قوَّة دفعها لبقية المدينة. ويا له من فعل جريء، ترك هذا المكان دون حراسة أثناء العاصفة الرعدية حريفاً. ومع ذلك، لم يبدو الهواء مُكهرباً كما قد يبدو في أي عاصفةٍ أخرى.. فقد فصلت فترات طويلة بين ضربات البرق. رأى بمُساعدة توهُّج السُحب، أنهم قد حرَّروا ذات الجمره من قيودها في المقعد الخلفي. كما أن الدراجة قد عدَّت بذكاء، حيثُ وُضعت ألواح فوق كُل مقعد، لتحمي الوسائد الجلدية من عوازل الطقس، ولتجعل الدراجة تتلاءم مع سطح المدينة. انخَفَصَ الرُجاج الأمامي، وثُبَّت الألواح في مكانها، فبدت

الدَّرَاجَةُ الهوائية الضخمة أشبه بمُستطيلٍ سميكٍ من الفولاذ المثبَّت بمسامير إلى حافة المنارة، مثلما تبدو الأداة مُتعدِّدة الأغراض كصندوقٍ قبل طي التجهيزات. وهو ما جعله يشعر بالقلق فيما زحف إلى حافة الدَّرَاجَةِ.. حريصًا على ألا تدفع به الرياح إلى قلب الظلمات. وهُنا، مدَّ يده إلى قاع المركبة، ومن دواعي ارتياحه، أنه وَجَدَ البُنْدُقِيَّةَ التي خبَّأها هناك لا تزال في انتظاره. بعدما تظاهر بالتخبُّط لإقناع ربيكي أنه أحرَق، وبأنه أسقطها عرضًا.. قبل أن يستخدم المُساعد كمخلبٍ لتثبيتها في مكانها في قاع الدَّرَاجَةِ الهوائية. اختفت الآلية التي شكَّل بها المُساعد لتثبيت البُنْدُقِيَّة في مكانها. رَفَعها عاليًا، ومياه الأمطار تقطُر من يده. يقول الفارس بشكلٍ مُشير: وهكذا، نُفِذت خَطَّتُه الذكيَّة بحذافيرها. ولسببٍ ما، أصبح مُرافقه البليد الآن مُسلحًا بسلاح لا يُمكنه استخدامه.

قال: «كانوا سينزعون مني سلاحِي بمُجرد وصولنا».

-ومرَّةٍ أُخري.. يا لها من خَطَّةٍ ذكيَّة.. للحصول على سلاح لا يُمكنه استخدامه. وكُل ما تطلَّبه الأمر هو تركي وحيدًا تحت الأمطار، لأتبلَّ بشدَّة.. ثُمَّ تفعل نفس الشيء بنفسك، نظرًا للهيئة التي تبدو عليها.

قال نوماد وهو يمسح الماء عن وجهه: «كُنْتُ بحاجةٍ للاستحمام على أي حال». مرَّ أصابعه بين شعيرات رأسه، الذي كان قد احترق في وميض نور الشمس. الذي أضاءه نور الشمس هزَّ يده، وهو لا يزال راكعًا فوق الدَّرَاجَةِ الهوائية، مُتحمسًا الألواح التي تُغطي مقاعد الدَّرَاجَةِ. هل يُمكنه نزعهم؟ وهل يرغب في القيام بذلك؟

ترَكَت ومضات البرق صورًا في ذهنه لرجلٍ اعتادَ أن يكونه يومًا. الرجل الذي لم يعد يرغب، وبكُل صدق، في العودة إليه. ساذج، مُفرط الاهتمام بالقواعد والأرقام، لقد أطبقت عليه المسؤولية بطريقة قيِّدته ببطءٍ بالقلق، كسلكٍ شائكٍ أحاط بروحه. لم يُعجبه الرجل الذي أصبح عليه. لكنه لم يفتقد هويته كذلك.. ليس حقًا. لقد عاش، ونضج، وسقط، و.. حسنًا، لقد تغيَّر.

وكان لا بُد من وجود خيارٍ ثالث، طريقةً كيلا يُقدَّر حياته السابقة ويُجلَّها، لكن أيضًا كيلا يعتبرها مُجرَّد قطعة مُجسَّدة من القمامة.

ماذا لو رَكِبَ هذه الدَّرَاجَةِ واختفى في قلب الظلمات؟ بم سيفيده ذلك؟ فهنا لديه أشخاص يبدون -إلى حدٍ ما- على استعدادٍ للثقة به، وتقبُّله، رُبما لأنهم كانوا غارقين في اليأس، ورُبما لأنه لم يمنحهم الكثير من الخيارات.

وفوق ذلك، شعرَ بأنهم لم يتدربوا على القتل أو المُحاربة. أجل، لقد شنُّوا عملية إنقاذ جريئة وعملية سرِّقة أكثر جرأة. ومن أجل هذا، يُثني عليهم. لكنه رأى الطريقة المذعورة التي استجاب بها الأسرى لذوي الجمرات.. والمُنعكسة في الطريقة التي يُعاملها الجميع. لم تكن هذه المجموعة مُعتادة على العُنف.

كشفت الصِّراع من أجل البقاء الجوانب الأكثر وحشيَّة للناس في العديد من الأماكن. ومع ذلك، فقد رأى شيئاً مُميّزاً بين أعضاء هذه المجموعة. هل من المُمكن أن يكون إجبارهم على التحرك طوال الوقت - وإجبارهم على العمل معاً من أجل البقاء - قد دفعهم لتكوين مُجتمع يفتقر أعضاؤه إلى القدرة على قتل بعضهم البعض؟ ربما يكون هذا الكوكب قد خلق أشخاصاً لا يتسّمون بالضعف - فلن تتحمّل تلك الشمس الضعف بكل تأكيد - ولكنهم يُقدِّرون الحياة أيضاً؟

سيحتاج إلى حُلفاء، إذا أراد الحصول على مصدرٍ للطاقة قويٍّ بما يكفي لمُغادرة هذا العالم. وراوده شعور بأن الذهاب إلى ملك الجمرات طلباً للمُساعدة لن يُجدي نفعاً.

تراجع على الدراجة، مُسنِداً البندقية على كتفه، ثمَّ شعَرَ بشيءٍ ما، الجذب في دواخله. دفع غريب.. من نوع ما. وبدا أن قوَّة العاصِفة وسقوط الأمطار قد فترت. اللعنة، إن هذا ليس مُمكنًا. ليس هنا، ليس في هذا العالم. فقد كانت هذه عاصِفة عاديَّة، وليست عاصِفة أسطوريَّة من تلك التي تضرب موطنه. لا تمضي الأمور في ظلام العواصف العادية بنفس الطريقة التي تمضي بها هناك.

يسأل الفارس في حيرةٍ من أمره: مهلاً، ماذا نفعل يا نوماد؟ ما هي خطواتنا التالية؟
رأى ضوءاً عن يساره، بعيداً.. على طول حافة المدينة. انجذب إليه، مثلما ينجذب مُسافرٌ مرهقٌ إلى رائحة نيران الطبخ، وبدأ يسير. إنه.. شخص يقف هناك، أليس كذلك؟ يحمل شيئاً متوهجاً بين أصابعه، كُرة. ويرتدي زيّاً رسمياً، ويولي نوماد ظهره، ويُحْمِلِق في الظلام.

بحق العواصف. لا يُمكن لهذا أن يكون، لا يُمكن لهذا أن يكون.
سار نوماد للأمام، مُتجاهلاً مُطالبَةَ المُساعد الثانية بالتفسير، مسحوراً بما قد يجده، وقلقاً.. قلَقاً من أنه قد جُنَّ، مُتطلِّعاً بياسٍ ليعرف. هل يُمكن أن...
نادى نوماد عبر العاصِفة: «كال؟».

استدار الشخص، كاشفاً عن وجهٍ عدائيٍّ تُزيّنه ابتسامة بارزة.
تنهَّد نوماد، ثم قال: «اللعنة، وت؟ ماذا تفعل هنا بحق الجحيم؟».



نَفَضَ وَتِ الْعُبَارِ عَنْ زِيَّهِ الْأَزْرَقِ، الَّذِي لَمْ يَمْسَهُ الْمَطْرُ، قَائِلًا: «مَا الْأَمْرُ؟ أَلَا يَحِقُّ لِلْأَسْتَاذِ أَنْ يَطْمَئِنَّ عَلَى طَالِبِهِ الْمَفْضَلِ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ؟».

تَوَهَّجَ بِخَفْوَتٍ، وَبَدَأَ مَرْتَبًا حَتَّى فِي قَلْبِ الظَّلَامِ، وَتَمَوَّجَتْ مَاهِيَّتُهُ عِنْدَمَا ضَرَبَتْهُ قَطْرَاتُ الْمَطْرِ، كَانِعْكَاسٍ عَلَى سَطْحِ بَرَكَةٍ. إِنَّهُ وَهَمٌ، لَكِنْ لِمَاذَا الْآنَ؟ كَيْفَ لَهُ أَنْ...؟

تَسَاءَلَ نَوْمَاد: «هَلْ عَزَّزْتَ مِنْ اتِّصَالِي بِوَتٍ عِنْدَمَا كُنْتُ تَعَبْتُ بِرُوحِي سَابِقًا أَيُّهَا الْمُسَاعِدُ؟».

يُجِيبُ الْفَارِسُ بِغَضَبٍ: «بِمَا أَنْنِي مَيِّتٌ، فَلَا دَاعِيَ لِلتَّقَلُّقِ سِوَاءِ غَضَبِي مَنْنِي أَوْ لَا».

بِحَقِّ الْعَوَاصِفِ، هَذَا مَا حَدَّثَ. الْآنَ بَعْدَ أَنْ حَصَلُوا عَلَى الْبَدَايَةِ الْمُنَاسِبَةِ لِذَلِكَ، قَصَّرَ الْمُسَاعِدُ الْمَسَافَاتِ، سَاحِمًا لَوْتِ الْإِتِّصَالِ بِنَوْمَادِ.

تَفَحَّصَهُ وَتِ مِنْ الْأَعْلَى إِلَى الْأَسْفَلِ، ثُمَّ قَالَ: «حَسَنًا، هَذَا.. زِي غَرِيبٌ».

قَالَ نَوْمَاد: «هَذَا مَا تَحْصُلُ عَلَيْهِ، عِنْدَمَا تَحْتَرِّقُ مَلَابِسَكَ بِسَبَبِ نُورِ الشَّمْسِ، ثُمَّ تُجَرِّ خَلْفَ دَرَاجَةٍ هَوَائِيَّةٍ مُسَرِّعَةٍ لِمُدَّةِ نِصْفِ سَاعَةٍ».

قَالَ وَتِ: «زِيُّ أَنْبِقُ».

قَالَ نَوْمَاد: «لَا أَمْلِكُ وَقْتًا لِأَضْيَعَهُ مَعَكَ يَا وَتِ، فَسَرِيَّةَ اللَّيْلِ بِالخَارِجِ هُنَاكَ، تُطَارِدُنِي، بِسَبَبِ مَا فَعَلْتَهُ بِي».

- «رُبَّمَا تَكُونُ قَدْ أَنْقَذْتَ كُوزْمِيرَ».

قَالَ نَوْمَاد: «أَنَا لَمْ أَنْقِذْ كُوزْمِيرَ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ». وَجَدَ حِصَاةً فِي جَيْبِهِ، فَأَلْقَاهَا عَلَى رَأْسِ وَتِ. تَمَوَّجَتْ صُورَتُهُ قَبْلَ أَنْ تَسْتَقِرَّ، ثُمَّ تَابَعَ حَدِيثَهُ قَائِلًا: «وَرَعْمَ ذَلِكَ، فَرُبَّمَا أَكُونُ قَدْ أَنْقَذْتُكَ».

- «الْأَمْرَانِ سِيَانِ».

قَالَ نَوْمَاد: «لَا، لَيْسَا سَيِّئَيْنِ، لَيْسَ حَقًّا». تَقَدَّمَ مُقْتَرِبًا مِنْ صُورَةِ وَتِ مُتَابِعًا: «إِذَا أَمْسَكُوا بِي، فَسِيرْ بَطُونِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَفْلَاقِ الْفَجْرِ، وَسَيَبْدُونَ بِمُطَارِدَتِكَ بَعْدَ ذَلِكَ».

لَمْ يُجِبهِ وَتِ، بَلْ شَبَكَ يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ وَوَقَفَ مُسْتَقِيمًا، وَهِيَ خَدَعَةٌ لِإِقْنَاعِ الْجُمْهُورِ بِأَنَّكَ تُفَكِّرُ فِي شَيْءٍ مُهِمٍّ لِلْغَايَةِ، كَانَ قَدْ عَلَّمَهَا لِنَوْمَادِ مِنْذُ سِنَوَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ وَاجَهْتَ وَقْتًا عَصِيبيًا مُؤَخَّرًا أَيُّهَا الْمُتَدَرِّبُ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟».

قَالَ نَوْمَاد: «لَسْتُ مُتَدَرِّبًا لَدَيْكَ، وَلَا تَتَظَاهَرُ بِأَنَّكَ تَهْتَمُ الْآنَ. لَمْ تَفْعَلْ شَيْئًا عِنْدَمَا كَانَتْ السَّهَامُ تَقْتُلُنَا أَنَا وَأَصْدِقَائِي طَوَالَ تِلْكَ السَّنَوَاتِ الْمَاضِيَةِ. لَقَدْ مَرَرْتُ بِالْجَحِيمِ آنَذَاكَ، بَيْنَمَا جَلَسْتَ أَنْتِ تَعْرِفِ عَلَى النَّايِ».

ولذلك لا تجرؤ على افتراض أنك تهتم بشأني الآن! فلم أكن سوى مجرد أداة أخرى بالنسبة لك». - «لم تُتَح لي الفرصة قط لأعتذر لك عمّا.. عمّا حدث في أليثكار».

قال نوماد: «حسنًا، ليس الأمر وكأن الفرصة قد أُتيحت لك للقيام بذلك، فبعد التحدث إلى رئيسي المباشر مرارًا وتكرارًا. بعد أن عشنا سويًا في نفس المدينة لسنواتٍ دون أن تتقاطع شُبلنا. تركتني أتعفن، وأملك هذا شر أم، أليس كذلك؟ ليس لأنك تهتم، بل لأن شخصًا ما عرّف حقيقتك، ثم امتلك الجرأة اللازمة لتجنّب الموت، ليجعل حياتك أسهل».

نكّس وِت رأسه في مواجهة تلك الكلمات. عجبًا، لم يكن من المعتاد في كثيرٍ من الأحيان أن يطعنه المرء بسكينٍ يؤلّه. فقد كان هناك شيئان يُجيد وِت تجنبهما؛ تقبّل الألفة، والحقيقة. قال وِت: «كان هناك صبي ذات يوم، نَظَر إلى السماء، وتساءل لو...؟». استدار نوماد عمدًا وسار مُبتعدًا. لقد سَمِع عددًا كبيرًا للغاية من قصص هذا الرجل، حتى إنه لم يُعد يأبه لواحدةٍ أخرى.

قال وِت من خلفه: «لقد كُنْتُ ذلك الصبي، في صِغري، على متن يولين. قبل أن يبدأ كُل هذا.. قبل أن يموت الرب وتبدأ العوالم بالفناء. لقد كُنْتُ.. لقد كُنْتُ هذا الصبي». تجمّد نوماد في مكانه، ثم نَظَر خلفه. خفّت وطأة المطر حتى أصبح رذاذًا، لكن قطراته استمرت في مُقاطعة صورة وِت.

لم يتحدّث عن ماضيه كثيرًا، عن.. تلك الأيام التي مَضَتْ منذ فترة طويلة. ولطالما ادّعى أنه لا يتذكّر الكثير عن طفولته.. وهي الفترة التي قضاها في أرض التنانين والأشجار البيضاء.

ناداه نوماد قائلاً: «هل تكذب؟ هل هذا حديثٌ مُخلَق؟ الحُطّاف المثالي المُصمّم لجذب انتباهي؟». نَظَر وِت إلى السماء، ثم قال: «لا أكاذيب، ليس الآن، يُمكنني أن أتذكّر.. جلوسي على السطح، ناظرًا للأعلى، ومُتسائلًا عن ماهية النجوم. مُفترِّصًا أنني لن أعرف قط. كان فلاسفة المدينة يتبادلون أطراف الحديث بصوتٍ أجش وهم يتجادلون في حقيقة هذا الأمر، بطريقتهم المعتادة في كثيرٍ من الأحيان. تتحدّث حتى تفقد قدرتك على النطق بالمزيد من الكلمات، ثم تمنى أن يشتري لك شخصٌ ما مشروبًا للحفاظ على تدفق الكلمات». تلاًت عيناه، وابتسم لنوماد، قبل أن يُضيف: «ورغم ذلك، فهذا أنا ذا. بعد آلاف السنين، أسير بين النجوم، وأتعلّمها، لأحصل على إجاباتي في نهاية المطاف. ومع ذلك.. أعتقد أنك -بحلول هذا الوقت- قد رأيت في كوزمير أكثر مما رأيت».

سأله نوماد وهو يُشير إلى نفسه: «إذن فهو نعمة؟ هذا العذاب الذي ابتليتُموني به؟».

قال وِت: «كُل العذابات نعم، حتى عذابي».

أجابه نوماد: «رائع، هذا مُريحٌ للغاية. شكراً على الحديث يا وِت». ثم سار في طريقه، وأثناء سيره، رأى وِت يظهر أمامه على طول الحافة، ويستدير لمُشاهدته وهو يمضي.

قال وِت: «لظالما أردت الحصول على الإجابات، ولهذا السبب اخترتك. لقد ظننت أن بإمكانك العثور عليها، ومحاولة فهمها، وتدوينها، وفهرسة العالم. ومن المؤكد أن بإمكانك العثور عليها جميعًا، فقط إذا حاولت بجِدِّ بما يكفي».

- «أجل، لقد كنت أحمق، شكرًا لك. أقدر لك تذكيري بذلك».

ظَهَرَ وِت -بطبيعة الحال- أمامه مرّة أخرى.. رغم أنه بدأ بالتلاشي، وأصبحت صورته شفافة. فلحُسن الحظ، بدأت دفقة التواصل الصغيرة التي استخدمها المُساعد لعقد هذا الاجتماع تنفذ.

قال وِت: «إن البحث عن الإجابات، والرغبة في الحصول عليها غريزة جيّدة».

تنهّد نوماد، وتوقّف ليُطالع وِت، ثم قال: «لا وجود لها، هناك الكثير من الأسئلة. إن البحث عن تفسير لضرب من الجنون».

قال وِت: «أنت مُحق فيما يتعلّق بالنقطة الأولى، من اللافت للنظر أنني اكتشفت سر النجوم نفسها. ثم وجدت أسئلة كثيرة كانت أكثر أهميّة. أسئلة، على الرغم من أنه ليس لها إجابات. أو لا إجابات جيّدة على أي حال». نظر إلى عيني نوماد، ثم تابع قائلاً: «لكن إدراك ذلك غيرني أيها المُتدرب. إنها ليست...».

قاطع نوماد قائلاً: «لا يتعلّق الأمر بالإجابات، بل بالأسئلة نفسها، أجل، إنها مُجرد ثرثرة. لقد سمعت ذلك، هل تعرف كم مرّة سمعت ذلك؟».

- «هل تفهم الأمر؟».

قال: «اعتقدت أنني قد فهمت، ثم انتهى نذري، وأدركت أن الوجهات مُهمّة حقًا يا وِت. إنها مُهمّة، بغض النظر عمّا نقول».

قال وِت: «لم يُلَمَّح أحد على الإطلاق إلى أنها غير مُهمّة، ولا أعتقد أنك تفهم الأمر. لأنك لو فهمته، لأدركت.. أن طرح الأسئلة كافٍ في بعض الأحيان، لأنه يجب أن يكون كافيًا، لأنه في بعض الأحيان، هذا كل ما هو موجود».

ثبّت نوماد ناظريه، يستشيط غضبًا لسبب لا يستطيع تفسيره. ثائرًا، رغم أن هذا الجزء يُعدّ طبيعيًا عندما يكون وِت متورطًا.

قال نوماد: «لن أعود إلى من كنت عليه. لا أرغب في العودة. لن أفر هاربًا منه، ولا أهتم بشأنه».

قال وِت بهدوء: «أعرف». ثم مال مُقتربًا، وأضاف: «لقد كنت مُخطئًا. فقد بذلت قصارى جُهدي في التعامل مع الموقف الذي مررتُ به، على أمل أن يمنع هذا وقوع الكارثة. لقد دمّرت حياتك، وكنت مُخطئًا. أنا آسف».

كم كان من الغريب.. أن يسمعه صادقًا وصریحًا للغاية. مُخلصًا.. مُخلصًا تمامًا. اللعنة على هذا الرجل، كيف يستور هذا الرجل في مُفاجأة نوماد، حتى بعد مرور كل هذا الوقت؟

استدار نوماد ليمضي، ثم توقف، مُنتظراً كلمة الختام. لطالما امتلكتِ وت كلمة للختام. لكن، هذه المرة، ابتسم الرجل لنوماد ابتسامة حزينة شاحبة، ثم تلاشى مُحْتفياً. رُبما عَرَفَ أنه لم يعد هناك أي شيء مُفيد ليقوله، ولذلك فضّل الصمت. لو كان الأمر كذلك، فمن المُحتمل أن تكون هذه سابقة في حياة وت. تنهّد نوماد. توقع أن يلقي المُساعد بمزحةٍ ما، لكن الفلق بقي صامتاً بدوره. عادةً ما يفعل ذلك أثناء وجود وت في المكان.. فقد عَرَفَ أن نوماد غالباً ما يشعر بالازدواجية في مثل هذه المواقف.

قال نوماد: «اللعنة، نحن بحاجة للخروج من هذا الكوكب، وأعرِف تماماً كيف يُمكننا القيام بذلك».

يتساءل الفارس كيف، مُتسائلاً عما إذا كان مُرافقه قد فوّت الهدف الكامل من مُحادثةٍ مُهمّة؟

-«لقد وَجَدَ الأشخاص الذي يُديرون هذا المكان قُرص ولوج، تُزيّنه كتابة سكادريانية، ويبدو مألوفاً للغاية. ويُمكن للمرء المراهنة على أنه إذا كان هناك مصدرٌ للطاقة على متن هذا الكوكب قوياً بما يكفي لإخراجي من هنا، فسيكون معهم».

قال المُساعد: وماذا سنفعل إذن؟

رَكَضَ نوماد إلى المبنى الذي تركه خلفه، ودخله بسهولةٍ لأنه تَرَكَ أبوابه مواربة بالصُدفة. اندفع إلى الداخل، والماء يقطُر منه، وهو يدُس البُنديّة تحت إبطه. ثم اقتَحَمَ العُرفة على هؤلاء الذين لا يزالون في الاجتماع، مُتسبباً بوصوله في سقوطهم في حالةٍ من الدهشة والخوف، لكن أحدهم لم يمد يده إلى سلاحه. صحيح أن مصيرهم كان الفشل، لكن رُبما تتماشى رغباتهم مع رغباته. أمسك بقُرص الولوج من على الطاولة، رفعه للأعلى، ثم تحدّث بلُغتهم.. بلسانٍ صحيح، ودون لكنة.

قال: «أعرِف ماهيته، إنه مفتاح لبابٍ معدنيّ كبير، مدفون رُبما في مكانٍ ما، حسناً؟ تُزيّنه كتابة مُماثلة». ألقى بالمفتاح على الطاولة، حيثُ اصطدم وانقلب، مُقعقعاً على الخشب، تابع حديثه قائلاً: «أنا ذاهبٌ إلى هناك أيضاً، رُبما يُمكننا مُساعدة بعضنا البعض».

نهضت كونتمبليشن من فورها، وأشارت إليه قائلة: «لقد عرفت ذلك! لقد عرفت ذلك! أنت أعرب من أن تكون من ممر آخر، بناءً على ملاحظك، وذلك الهراء الذي تنطق به. أنت واحد منهم، رجل أضواء نور الشمس».

قالت كونفدنس وهي تطوي ذراعيها الهزيلتين: «أسطورة».

قالت كونتمبليشن: «وكذلك خلاصنا من الجحيم، كلاهما يعود إلى زمن بعيد، فحتى الكورس (11) لا يتذكر التاريخ».

قال نوماد عابساً: «هل يرغب أحدكم في أن يُخبرني ما هو الرجل الذي أضواء نور الشمس؟». ثبتت عينيه على زيل، الشخص الوحيد في الغرفة الذي لم يقفز عند دخوله. دس الرجل القصير يده في جيبه، مُمسكاً على الأرجح بالجهاز الذي يُمكنه تجميد نوماد في مكانه.

قالت كومباشن بصوتها الخافت الضعيف: «اقبلوا مني هذا التفسير؛ منذ زمن طويل، كان هناك شعب يُمكنه العيش تحت نور الشمس. شعب يُمكنه الاستفادة منه، بدلاً من أن يُدمروا بواسطته، وتمكنوا من البقاء في مكان واحد لفترة كافية لبناء مدينة تحت الأرض. هؤلاء هم الذين أضواءهم نور الشمس.. أولئك الذين يُمكنهم النجاة من النور».

قال نوماد: «أجل، لقد لمست نور الشمس، لكنه كاد يُدمرني».

نظر جيفري جيفري إلى نوماد بعينين واسعتين، وهمس: «لقد لمست نور الشمس، ولم تمت من فورك! هذا حقيقي؟!».

قال نوماد: «لبضع ثوانٍ فحسب».

همست كومباشن: «الذي أضواء نور الشمس».

قالت كونفدنس: «مع كامل احترامي وتقديري، أجد تلك القصة بأكملها طفولية للغاية، وليست حقيقية للبالغين. لو عاش هؤلاء القوم تحت الأرض، لاختنقوا بالطين».

قالت كونتمبليشن: «لا، هناك أماكن تسود فيها الحجارة على الأرض. ويُمكن أن تشوبها الثقوب، مثل أنابيب الحُمم البركانية. أماكن تصلح لعيش البشر. لطالما شعرت أنني سأرى مكاناً كذلك، قبل أن يجين أجلي».

قال زيل: «تدوب الحجارة تحت نور الشمس».

تابعت كونتمبليشن: «حجارة هؤلاء الذين أضواءهم نور الشمس لا تدوب، إنها عميقة. هكذا يعتقد ملك الجمرات؛ ولهذا أمضى سنوات في محاولة لإيجاد سبيل للدخول من هذا الباب. وهذا الرجل المائل أمامكم،

جاء من ملجأ الحجارة!». .

قال نوماد: «حسنًا، أنتِ مُحطّنة». توقّع سماع صرخات عندما جاء مُقتحمًا المكان، بل ورُبها قتالًا. وليس.. رد الفعل هذا أيًا كانت ماهيّته، تابع حديثه: «لكنني لا أهتم بشكلٍ خاصٍ بما تؤمنون به. هل تعرفون مكان هذا الباب؟ الذي يفتحه هذا القُرص؟».

أجابته كومباشُن بصوتٍ خافتٍ: «لدينا بعض الأفكار». نظرت إليه صُغرى النساء حجماً، وكُبراهن سنًا، ثم ابتسمت وأضافت: «كانت هذه هي خطّة إليجي، مُرشدتنا. أن نسرق مفتاح ملك الجمرات، ونكتشف كيفية استخدامه، ونفتح مدخل أراضي السلام المخفية تحت الأرض».

أصدر زيل صوتًا ساخرًا، قبل أن يقول: «هذه هي الطريقة الوحيدة التي يُمكننا بها الهروب منه، إنه أقوى رجل في العالم في الوقت الحالي. كما أنه يتحكّم في ممر خط الاستواء، بأكبر قدرٍ من الموارد. ويُجبر الجميع على الاقتراب من القطبين أكثر فأكثر، حيث يؤدي مُجرّد التعرُّث إلى الموت».

حَفَظَ نوماد هذه المعلومات جانبًا، وقال: «حسنًا، أريد أن أجد هذا الباب بدوري، وسأساعدكم في الوصول إليه».

يسأل البطل بحدّة، وصوته يمتلئ بالتوريط: هل ستخبرهم؟ هل ستحدّثهم مما سيحدثونه بالداخل؟ إنه ليس ملجأ للمغرباء، بل منشأة فضائية صغيرة، ومن المُحتمل أنها هنا لمراقبة وحدات الأدخار المنبعثة من الشمس؟

أجابه نوماد باللُغة الأليثية: «ليست مُشكّلتنا، يرغّب هؤلاء الناس في العثور على الباب، وسأساعدكم في الوصول إليه. وهناك تنتهي مسؤوليتنا تجاههم».

- هذه قسوة.

لكن المُساعد لم يضغط عليه أكثر من ذلك. لقد عَرَف، مثلما عَرَف نوماد، أن أفضلُ فرصهم في الخروج من هذا الكوكب تتمثل في الدخول إلى تلك المنشأة.

قال زيل: «أجد ذلك الرجل مُثيرًا للاهتمام، هل سنقبل بعرضه؟ رُبما يُمكنه مُساعدتنا».

قال وهو يُشير إلى القُرص: «أحد تلك الأسباب، أن بإمكانني قراءة هذا الشيء، إنه ينتمي لشخصٍ يدعى هاريدان، وهو مُلازمٌ أوّل. إنها شارة تفويضه، التي تسمّح له بفتح الباب. وسأكون قادرًا على قراءة ما نُقش على الباب كذلك، وإذا كان هناك أشخاص بالداخل، فسأتمكّن من التواصل معهم».

همست كونتمبليشن: «الذين أضاءهم نور الشمس».

أوماً البقية برؤوسهم.

قال زيل: «من رأيي، أننا يجب أن نقبل مُساعدته، يجب أن نجد هذا المكان، ونفر هارين إليه! ألن يكون من دواعي سرورنا وجميع قومنا أن نُصلي من أجل سلامة ملك الجمرات المسكين عندما نحسبه هو وأتباعه خارج نفس الباب الذي قضى سنوات عُمره يحاول دخوله؟».

قالت كومباشن: «سيباركنا أدونالسيوم في هذا المسعى، أنا متأكدة من ذلك، سيؤدي ذلك أخيراً إلى راحة حقيقية لشعبنا. لا مزيد من الاعتماد على قلوب الشمس لتوفير الطاقة لمَدننا، لا مزيد من الهروب من الشروق، ولا مزيد من.. الخسائر».

قال نوماد: «أدونالسيوم، حقاً؟ بالمناسبة، كيف انتهى الأمر بمجموعة من الثرینوديتين بعبادة إله كوكب مُختلف تماماً؟».

قالت كونفدنس: «لقد تعلمنا ذلك قبل نزوحنا الجماعي، نحن الذين صدقنا كلمات مُرشدنا الأول. وعشنا في الجحيم ذاته، حتى قادنا إيماننا إلى أرض جديدة».

سألها نوماد: «أرض مُشتعلة طوال الوقت؟».

قالت كونتمبليشن: «سيتذكر أدونالسيوم محنتنا في النهاية».

يختار المرافق الساخر بحكمة ألا يشرح لهؤلاء القوم الواقع المُحزن المُتمثل في وفاة إلههم قبل حوالي عشرة آلاف عام، ولو حتى على سبيل التورية. التزم نوماد بالصمت التام.

قال زيل: «رُبما تذكرنا أدونالسيوم، ورُبما هذا هو سبب وجود الرجل الذي أضاءه نور الشمس هنا».

قاطعه قائلاً: «إذا توجّب عليك أن تدعوني باسم، فليكن نوماد».

بالكاد لاحظوا قوله هذا، حيث قال جيفري جيفري: «إذا ما كان بإمكانه أن يُساعدنا في عبور الباب..». ثم نظر إليه قبل أن يُضيف: «هل يُمكنك تفعيل هذا القرص؟ وفتح الباب؟ لقد حاول ملك الجمرات لسنوات دون أن يتمكن من ذلك مُطلقاً. يُمكنه أن يجد الباب، لكن لا يُمكنه عبوره».

هل يُمكنه؟! قال نوماد: «أنا واثق تمام الثقة من أن بإمكانني فتح هذا الباب، لم آت من هذا المكان البعيد، كما تعتقدون، ولكن.. أعرف هؤلاء الناس الموجودين بالداخل، أو بعضاً من ذوي جنسهم على الأقل، كما أنني أتحدث لغتهم».

نظرت كونتمبليشن في عينيه، وفهمت، ما يبدو أن الآخرين لم يفهموه، بشأن اللغات الأخرى. لقد صدقت. ووجد نوماد نفسه يُزل، وهو يُحدّق في تلك العينين المُستين، المليئتين بالأمل، مُستعيداً ذاته القديمة قليلاً فحسب.

خاطبها قائلاً: «انظري، لا أعتقد.. أنكم ستجدون مآربكم خلف هذا الباب. إنه.. ليس ملجأ، مثلما تريدون له أن يكون».

سألته: «هل تعرف ذلك؟ يقيناً؟».

أجابها مُعترفاً: «لا». قد تكون هناك مُنشأة كبيرة هناك. بحق العواصف، ويُمكنها حتى أن تكون قد هجرت. بدا ذلك غير مُحتمل للغاية. إنها مركبة مسح على الأرجح، مليئة بالباحثين الذين يستكشفون في نور هذه الشمس، ومثل هذه المركبات صغيرة، بالكاد تحتوي على مساحة تكفي لاستيعاب دزيتين من العلماء.

كَّرَّرَ قوله قائلاً: «لا، لا أعرف ذلك يقيناً. لكن.. لدي الكثير من الخبرة في تلك الأمور، ولا أعتقد أن هذا المفتاح سيجلب لكم الخلاص».

تبادل أفراد المجموعة نظرة ذات مغزى.

ثم قالت كونفدنس: «نحن بحاجة إلى المحاولة على أي حال، أليس كذلك؟». اندهش لسماع تلك الكلمات تخرج من بين شفثيها، انطلافاً من اعتراضها السابق، تابعت حديثها قائلة: «هل هذا هو أملنا الوحيد حقاً؟».

قال جيفري جيفري: «لقد تضاءلت قوانا، بالإضافة لغضب ملك الجمرات العارم. لذا ستكون الإجابة: لا، لن نحيا لفترة أطول، وهذا هو أملنا الوحيد».

أوماً البقية برؤوسهم. بحق العواصف.. حسناً، لقد حاول نوماد، وأفضى بها لديه، وهذا أكثر من كافٍ. سيقوم بدوره، ويوصلهم إلى ذلك الباب، ثم سيفتحة من أجلهم. وبعد ذلك.. حسناً، فلتصحبهم السلامة. ولن يشعر بأي ذنب، ولن يكون خطؤه أنهم مُصمّمون على تعليق آمالهم بشيءٍ مُستحيل. قالت كومباشن بصوتٍ خافت: «يجب أن نسأل الناس قبل أن نلتزم بذلك بكل تأكيد، وإذا سمح لي الآخرون، فأنا أطلب بسلك هذا النهج».

قالت كونتمبليشن: «مع كامل احترامي، أتفق مع ذلك الرأي. ليس هناك طغاة في المنارة، بل نحن عائلة. وبالتالي، سنعرض هذا القرار على الناس، ونتركهم يُقرّرون ما إذا كان ينبغي علينا أن نُجازف بالمكافأة المُحتملة المُتمثلة في دخول الملجأ، أم أن علينا الاستسلام لملك الجمرات بدلاً من ذلك. رغم أنني أظن أن حضور الغريب سيدفعهم لاختيار القرار الأول».

قال نوماد: «هذا رائع، أحتاج لشيءٍ أكله لم يُصنع من الطين، وشيءٍ لأشربه لم يُمطر عليّ، وشيءٍ لأرتديه لم يُمزق إلى أشلاء. مع الوضع في الاعتبار أن هذه الأشياء تمثل أجري على ترجمة هذا القرص لكم».

سألته ريبكي: «وهل ستطالب بأجرٍ على مُساعدتنا في الوصول إلى الباب؟».

أجابها نوماد قائلاً: «أريد الدخول إلى ذلك الملجأ فحسب، كما أريد التخلص من تلك الأساور التي تُحيط بذراعي».

بدأ زيل يقول: «لا نملك المفاتيح اللازمة ل...».

حدّجه نوماد بنظرة صارمة قبل أن يقول: «لقد اخترقت نظام ملك الجمرات، وأفقدت ذوي الجمرات وعيهم».

قالت ريبكي: «يُدعون المتفحّمين».

تابع حديثه قائلاً: «أياً ما كانوا، فقد أفقدتهم وعيهم جميعاً في الحال، ويُمكنك أن تنزع هذه الأساور عني بكل تأكيد».

أشاح زيل بنظرة بعيداً.

قالت كونفدنس: «لم نناقش بعد الطريقة التي تظاهرت فيها بعدم القدرة على التحدث بلغتنا كي تتجسس على أعمالنا».

قال نوماد: «لا يمكنك التحلي بالحذر الشديد عندما تقابل شخصاً جديداً. أليس كذلك يا ريبكي؟».

حدّقت به.

ابتسم، وغمز لها بعينه، ثم رفع ذراعيه قائلاً: «والآن، كيف سأتلصص منها؟».

تنهّد زيل، ثم قال: «سأحضر المعايير، بعد إذن الخير الأعظم».

أومأت النساء الثلاث برؤوسهن. فتحرّك إلى الخارج، تاركاً نوماد يستقر على مقعده خلف الطاولة. أمال الأخير مقعده حتى لامس ظهره الحائط، لكنه لم يرفع قدميه على الطاولة هذه المرّة، فقد شعر -بعد كل شيء- بمزيد من الاحترام.

قالت له كونفدنس: «إذا لم تمنع سؤالي يا نوماد، أود أن أستفسر عن الروح التي تُرافك. لقد أخبرتنا ريبكي أن بإمكانك تشكيل الأشياء حسب رغبتك؟».

أجابها قائلاً: «هذه هي إحدى طرق التعبير عن الأمر، لكن الطريقة التي أفعل بها هذا هي سري الخاص، أنا أسف».

تركوا الأمر يمر، وهو ما وجدّه مفاجئاً. كيف عرفوا أن المُساعد عبارة عن روح؟ ولماذا لم يضغطوا عليه بإصرارٍ أشد؟ أحد الأشياء التي لاحظها أينما ارتحل هو الانبهار العالمي بالمُساعد. وغالباً ما تعامل الناس مع قدراته على أنها دلالة على الألوهية، أو على الأقل تفضيلٌ شديد من الآلهة.

بينما هنا، سمحوا له بالتهرّب من الأمر بجملةٍ واحدة؟ وهذا غريب! بدأوا بمناقشة مواضيع أخرى، مثل كيفية جمع الناس، وكيفية إيجاد مدخل المنشأة؛ أو ملجأ الحجارة كما يُطلقون عليه. فعلى ما يبدو، لم يكن من السهل تحديد موقعه.

لم تنضم ريبكي إلى النقاش؛ بل استدارت لتعد المزيد من الشاي من أجلهم. هذا مثير للفضول! بالخارج، عندما هربوا للنجاة بحياتهم، بدت كمتمرّدةٍ يائسة. أما الآن، فيراها بشكلٍ مختلف. امرأة شابة ترتدي فستاناً مُبللاً، فقدت قبعتها أثناء القتال. كما لطّخها الطين الذي لم تغسله مياه الأمطار، وقد تدلّى كتفاها، وأثقل الخزي وقفنتها.

ما الذي يُبقّيها هنا، في حين يتوجّب عليها، بشكلٍ مُبرّرٍ تماماً، أن تخلد إلى فراشها، أو على الأقل أن تُبدّل ملابسها؟ ربما يتعلّق الأمر بشقيقتها بطريقةٍ ما. ألم يقولوا إن تلك المرأة -التي تحوّلت الآن إلى واحدةٍ من هؤلاء المُفحمين- هي مؤسّسة تلك المدينة، ومبتكرة خطّتهم للهروب إلى الملجأ؟ وماذا فعل ذلك ريبكي؟

تذكّر ما حدّث: لقد مات شقيقها اليوم، راقبت رأسه يتبحر أثناء إنقاذهما لشقيقتيهما. أجل، من شأن هذا أن يُفسّر هذا التعبير البليد، وتلك الحركات الروتينية. تمر ريبكي بحالةٍ من الصدمة. ويعرف تأثير

ذلك على المرء؛ الاستمرار بقوة الإرادة المطلقة، ومحاولة الاستمرار في الانشغال. لأنك تعرف ما سيصيبك إذا توقفت عن القيام بذلك، وخلدت إلى فراشك.

لكن ينبغي عليك أن تواجه ذلك.

قال نوماد باللغة الأليثية وهم ينتظرون: «هل ستحدث إذن عن مُحالفتك لأوامري الصريحة واتصالك بوت يا أوكس؟».

قال أوكس: يشعر الفارس بعدم الارتياح تحت وطأة سؤال مرافقه الواضح، ويحاول أن يجيبه مُتحلياً بالثقة، لكن العصبية التي تجتاح صوته تخونه.

سأله نوماد: «ماذا كنت تأمل أن يحدث؟ هل اعتقدت أن وت سيغزو هذا المكان، ليُقص على مسامعي إحدى حكاياته الأخلاقية الصغيرة، ثم أعود إلى الطواف فحسب؟».

أتدكر.. ظهور النور. التحول.

رفع نوماد بُندقيته على كتفه قائلاً: «كانت تلك أياماً نادرة، فمُعظم التغييرات لا تأتي مصحوبةً بظهور النور يا أوكس. بل تحدث مُعظم التغييرات على شكل انزلاقٍ بسيطٍ وثابت نحو الهاوية. كتقدمنا في السن، خطوة بخطوة نحو القبر».

-أنت لم تعد تتقدم في السن.

همس: «قد لا يشيخ جسدي، لكن روعي تشيخ بكل تأكيد. ولا تنفك تلك الهاوية تقترب على مدار السنين، خطوة تلو الأخرى يا أوكس. يُضنينا الإرهاق. وتقف المثل العليا كالتماثيل في مواجهة الريح، حيث تبدو ثابتة للغاية، لكن الحقيقة هي أنها تتآكل بشكلٍ خفيٍّ ومُستمر».

واصل الآخرون التشاور فيما بينهم، حيث قال جيفري جيفري: «سيكون هذا خطيراً أيها الخير الأعظم، ودعوني أقدم لكم تلك الحقيقة؛ سيتعين علينا تفكيك المدينة بأكملها، واستقدامها، لتكون جاهزة عندما يُحدد المُتنبون مكان المدخل».

قالت كومباشن: «سنوضح ذلك للناس في تفسيراتنا، شكراً لك على صراحتك يا جيفري جيفري. ولكن يجب أن تتوقف آمالنا عند هذا الحد. كونتمبليشن مُحققة، لا يُمكننا النجاة بهذه الطريقة. فقد ماتت قلوب الشمس الخاصة بنا، وتضاءلت مواردنا».

قالت كونتمبليشن: «إما أن نصل إلى هذا الملجأ، أو نموت بوحشية على يد ملك الجمرات. لن يقبل استسلامنا، والناس على درايةٍ بذلك».

قالت كومباشن: «تخيّلوا مكاناً خارج نطاق نفوذه، مكان حيث يُمكننا أن نُثبت أن طريقتنا أفضل، وأننا لسنا بحاجةٍ إلى طغيانه أو «وحدته» الزائفة لنبقى على قيد الحياة. لو فشلت مُهمّة زيل السابقة، لتعين علينا قبول خيارات أسوأ. لكن بوجود هذا المفتاح، لدينا فرصة».

أشاحت كونفدنس، الطويلة والقاسية، بنظرها بعيدًا عن الطاولة، قبل أن تقول: «وهو ما يُدكّرني، بأننا لم نُناقش بعد العقاب المناسب لمن خالفت أوامرنا الصارمة، وتَسببت بذلك في الفوضى والخطر، وهدّدت بهما كُل من رافقها».

تصلبت ريبكي، التي انشغلت بتنظيف الموقد وأكواب الشاي هدهوء. نظرت نحو الطاولة، قبل أن تخفيض ناظرها.

قال نوماد بلُغتهم: «دعوها وشأنها. فلولاها، ما حظيتُم بي».

قالت كونفدنس: «هذا ليس من شأنك أيها الغريب».

قال نوماد: «لو لم تلاحظي هذا بعد، فأنا شخص لا يهتم حقًا بما تعتقد أنه من شأني أو ليس من شأني». ووقف نوماد عندما عاد زيل حاملًا بعض المُعدّات، ووضع البندقيّة على الطاولة، ثم مدّ يديه.

نظر زيل إلى الخير الأعظم -اللاتي أو مان برووسهن في موافقة- قبل أن يبدأ بالعمل على الأساور. تابع نوماد حديثه قائلاً: «لا تنفكُون تقولون أنكم تحتلفون عن ملك الجمرات، وأنكم تُقاومون طغيانه. كما يبدو لي أنكم تحاولون إنشاء مكان مُختلف عن ذلك المكان الذي يحكمه ذلك الرجل، ولهذا السبب قد ترغبون في عدم مُعاقبة الشخص الذي يبذل قصارى جهده لتقديم المُساعدة».

انخلع السوار الأول، وضعه زيل على الطاولة بدويّ، ثم انتقل للعمل تحت السوار الآخر.

قالت كونفدنس بشكل جاف: «شكرًا لك على تلك المُحاضرة أيها الشاب، رُبما ستُدرك -مع تقدّم العُمُر- أن هناك حاجة للتوازن. إن الطغيان لأمر فظيع، ولكن لا ينبغي رفض كُل السُلطات. ومن الشائع أن يواجه الشباب مُشكلة مع مفهوم الاعتدال هذا».

أجابها نوماد بسخرية: «كم تظنون عُمرِي؟».

قالت كونفدنس: «في نهاية فترة المُراهقة».

أجابتها كونتمبليشن: «لا، بل أكبر من ذلك قليلاً، في بداية العشرينيات».

بحق العواصف. عرف أنه يبدو أصغر سنًا عندما لا يظهر الشيب في شعره، لكن بداية العشرينيات؟ لقد كان في الثامنة والثلاثين من عُمره عندما توقّف الزمن عن مُلاحقته أخيرًا، وانحنت روحه تحت تأثير أفلاق الفجر.. وكان ذلك وفقًا لحسابات كوكبه، الذي كانت سنواته أطول زمنًا من سنوات مُعظم الكواكب. من المؤكّد أنه قد يُواجه صعوبة في تخمين أعمارهم، نظرًا لأنهم يعيشون في الظلام طوال الوقت. لكن هذا ليس مُبررًا.

قال نوماد: «لقد عشت خبرات حياتيّة أكثر بكثير مما قد يبدو على هيئتي، ورأيت قدرًا كبيرًا من الطغيان الذي يدعوه الناس، لأكون صريحًا، بالخير الأعظم. هل تُريدون تفادي أن يعتبركم أحد طُغاة؟ تصرّفوا بطريقة لا تسمح لهم بذلك».

انخَلَع السوار الثاني. أو ما نوماد برأسه لزيل شاكراً، الذي تراجع مُبتعداً، وهو يُراقبه.. وكأنه يشعر بالقلق من أن يُمسك نوماد بالبندقية ويُمطرهم بوابل من الرصاص. ورغب جزء من نوماد أن يفعل ذلك بالضبط؛ أن يُطلق بضع رصاصات على السقف، ولو فقط من أجل أن يمنح هؤلاء الأناص صدمة لن ينسوها، ليهز كياناتهم. لكن المُساعد سيقته لو فعل ذلك.

وبدلاً من ذلك، رَفَع بُدقيته على كتفه، وقال: «أريد طعاماً، وملايس، وراشاً.. وهذا أمر».

قالت كومباشن: «يُمكن لربيكي أن تُنجز هذه المُهمّة، كجزء من عقابها».

سألته كونتمبليشن: «هل يُمكنك الطيران أيها الغريب؟».

تجمّد نوماد في مكانه. نَظَرَ إلى ثلاثتهن، والأفكار تزدحم في دماغه، بينما تأججت عواطفه.. حتى أدرك أنهن يعنين الطيران بمركبة.

قال: «ربما أستطيع تدبّر ذلك، بعد الحصول على القليل من التعليمات حول أدوات التحكم، فقد طرتُ

بمركباتٍ مُماثلة. لكن لماذا؟».

قالت كونتمبليشن: «لأن المنطقة التي تحتضن مدخل الملجأ ستصل إلينا قريباً، وسيتعين علينا أن نعرض

وضعنا على الناس، وأن نتخذ قرارنا بعد فترة وجيزة. ثم سنحتاج لتقسيم المدينة، والسعي في هذا الطريق،

وأنا أفضل أن أعرف..».

11 الكورس: هو من يقوم بتوضيح الأحداث أو التعليق عليها في المسرح اليوناني القديم، وكان يُعرف أيضاً باسم «الجوقة». (المترجم).

- «.. فيما لو كُنتَ بحاجةٍ لجلسةِ أطفالٍ؟».

ظَلَّتْ نبرة كونتيمبليشن المتعجرفة تتردد في ذهن نوماد، حتى بعد ثلاث ساعات، عندما انطلق هو وريبيكي من غطاء السُحب إلى الضوء المنعكس عن الحلقات. وبدت الإضاءة التي كانت باهتة في نظره في السابق، مُشرقة في الوقت الحالي مثل.. حسناً، ليس كنور النهار، بل رُبما كليلة بزغ أكبر أبقارها.

كانوا على متن دراجة ريبكي الرباعية مرةً أخرى. فقد بدا الآخرون سُعداء بجعلها تلعب دور مُربيته، نظرًا لأنها هي من أنقذته. لم يكن مُتأكدًا من رأيها في ذلك، لأنها لم تنطق بأكثر من بضع كلماتٍ وهي تجد له مكانًا يستريح فيه، ثم تُجهز له بعض الملابس. قلق من احتمال أن يواجهوا صعوبةً في العثور على شيءٍ يناسبه، لكن الخيَّاطات المحليَّات عملن بكفاءةٍ عالية، رُبما هذا ما يؤول إليه المُجتمع عندما يكون في حالة فرار دائمٍ من الموت حرقًا. وهكذا ارتدى الآن معطفًا بُنيًا طويلًا بجيوب عميقة، مثلها يُفضل. كان هذا هو ثاني الأزياء التي عَرَضوها عليه.. فقد بدا الأول زِيًّا رسميًا إلى حدٍ كبير، كما أنه لا يزال يشعر بالخجل من الطريقة التي انفعَل بها على ريبكي لهذا السبب. أما هذا الزي؛ فلطيف إلى حدٍ ما. لقد مرَّت عدَّة عوالم منذ أن تمكَّن من العثور على شيءٍ يناسب ذوقه. أما تحت المعطف، فقد ارتدى بنطالًا ثقيلًا، و قميصًا خفيفًا.

تبعهم أسطولٌ صغير من المركبات، عندما أفلتوا من قبضة الظلام على متن دراجة هوائيةٍ صغيرة. فقد خَرَج هو وريبيكي أولًا، جنبًا إلى جنب مع الكشَّافة الآخرين على متن دراجاتهم الهوائية، للتأكد من أن ملك الجمرات ليس بانتظارهم. والآن، بعد أن تأكَّدوا من أن الطريق خالٍ، وَصَلت بقية المنارة.

اتضح أن المنارة تتكوَّن من حوالي مئة وخمسين شخصًا.. وما يُقارب الثلاثين مركبة. تُشبه مُعظم تلك المركبات، التي رآها في المدينة الكبرى -التي تُدعى يونيون كما عَرَف- النحل الطنَّان وليس الدبابير. لكن يُمكنها جميعًا أن تطير، وبشكل جيِّد.

كان لا يزال مُندهشًا من إمكانية تفكيك مُدن بأكملها بناءً على أمر. وقال لنفسه أنه قد رأى عشرات الكواكب حتى الآن، وتوجَّب أن يكون أشدَّ سأمًا من أن يندهِش أمام كُل جديد. ومع ذلك، فقد كانت الحقيقة أن كُل كوكب جديد احتوى على شيءٍ كهذا.. شيء غريب رائع حتى إنه كان يُغريه للبقاء، والدراسة، والتعلم.

لكنه بالطبع لو فعَل ذلك، لأسرته سرِّيَّة الليل.. كُل ذلك من أجل العثور على الحلقة التالية في السلسلة المؤدية لجائزتهم. كما كان على يقينٍ من أن مُعاملتهم له ستكون مُضيئة للغاية، وستتمكَّن أعضاؤه الداخليَّة من رؤية النور للمرَّة الأولى.

تجاهل تلك الفكرة، وصبَّ جام تركيزه على مسح المشهد. لقد لاحظَ وجود الوحل من قبل، وبقايا العاصفة العابرة في قلب الظلام. بينما كانت الأرض هنا رمادية اللون، لا تحمل أي علامة على وجود نباتات أو حياة على الإطلاق.. لكن هذا لا يعني أنها كانت مُملّة أو مسطّحة.

حفرت الأنهار المترجلة قنواتها في قلب الوحل بالفعل، مما جرّف التربة وأنشأ الشبكات. بدا كل شيء يُشبه مصب النهر، حيث يلتقي بالمحيط، باستثناء عدم وجود أي محيط ها هنا. لكن كانت هناك بحيرات، مساحات ضحلة من الماء الذي يعكس الحلقات بالأعلى، في تقليد ملوّن مُذهل.

تنوّعت التضاريس بشكل خلاب. لقد تخيل هذا المكان بأكمله كمسطح ملحي كبير أو بركة من الوحل، لكنهم مروا بتلال شديدة الانحدار ووديانٍ مُتعرّجةٍ تتدفّق منها المياه. شابتها تكوينات صخرية غريبة، مُسنّنة بشكل شيرير وملينة بالثقوب. ومروا بسهولة احتوى على المئات منها، كتماثيل نحتها رجل مجنون.

يسأل الفارس الجاد بارتباك إلى حد ما: ما رأيك في هذه الأشياء؟

أجابه: «كما تعلم، لطالما أخبرني المعلم وت أن أتجنّب المبالغة في استخدام الظروف في الوصف».

يسأله بمزيد من الارتباك: وكيف لي أن أعرض مشاعري إذن؟

-«عبر السياق، ونبرة الصوت».

قال بشكل قاطع: يقول بدون تعبير: باستخدام نبرة الصوت. لا أملك سوى صوت واحد يا نوماد. فللموت ضريبة كما تعلم.

-«وللأسف، فالصمت من ضمنها».

يقول بسخطٍ مُتزايد: ما تلك التكوينات الصخرية يا نوماد؟

-«غريبة، هذه التكوينات الصخرية غريبة».

من الطبيعي أن يتوقّع أن تأتي تلك التكوينات من التجوية⁽¹²⁾ المستمرة. لكن لو كان الأمر كذلك، لكان لهذه التكوينات جوانب ناعمة، ولم تكن لتبدو بمثل هذا المظهر الصخري المليء بالفوهات، مثل..

أدرّك فجأة أنها تبدو كالصخور الذائبة، التي تتجمّد بغتة، أثناء عملية طردها من الأرض. إنه انفجارٌ بُركاني، باغتنه الأمطار الباردة وجهدته في مكانه. هذا ما يبدو عليه الأمر بالنسبة له.

انتقل للتحديث باللّغة المحليّة قائلاً: «مهلاً». لوح لريبيكي، التي احتلت مقعد السائق عن يساره، ثم تابع حديثه: «لقد صنع نور الشمس هذه التكوينات الصخرية، أليس كذلك؟ عندما سخّن الأرض بشكلٍ مُفرط، حتى ثارت الحمم؟».

قالت صارخة ليعلو صوتها فوق عصف الرياح: «تُص أفضل تخميناتنا على أن قدوم طاغية السماء قد سبّب ضيقاً كبيراً للأرض. فيذوب كل شيء أو يتحطّم بشكلٍ يومي، ولا شيء يظل على حاله، بحلول الوقت الذي نمر فيه مرّة أخرى».

قال: «لحظة، لا شيء يظل على حاله؟».

صاحت: «أبدًا، ورغم استدامة بعض الأشياء العامّة -مثل مُرتفعات الجنوب- لا تنجو السمات الفرديّة
بمرور الأيام. فهذه التلال حديثة التكوّن، ولم تكن هنا في المرّة السابقة. يحكي الكورس عن عالمنا القديم،
أرض الهدوء، حيث دامت التضاريس، ولم تتغيّر بشكل يومي. لكن هذا المكان كان جحيماً بدوره، لذا...»
بادلها الصياح قائلاً: «لقد كنتُ هناك، كان الطعام جيّداً، لكن الأشباح مُزعجة للغاية. لستُ مُندهشاً من
رغبة أسلافكم في الخروج».

رمقته بنظرة حادة قبل أن تقول: «لا تكذب؟».

-«لا أكذب؟»-

صاحت: «أنت لم تذهب إلى الجحيم».

هزّ كتفيه. لقد اختبر أنواعاً مُختلفة من الجحيم، رغم أن كوكب ثرينودي هو الوحيد الذي يستحق اللقب
بكل ما تحمله الكلمة من معنى. ولكن من يهتم لو صدّفته أو لم تُصدّقه؟
يتدخّل الفارس مُتسائلاً: كيف أدركت حقيقة تلك الحُمم المُنصهرة؟
شّرح باللّغة الأليشيّة: «لأن تلك التكوينات خالية من التأكّلات، ومن المنطقي أن يخضع هذا المشهد لبعض
القوى المُتطرّفة. إنه أمرٌ جديرٌ بالاهتمام، ككوكب بدائي، لا يزال في طور التشكّل».

كيف سيبدو العيش في مكانٍ لا يُمكنك رسم خرائط له؟ في أرضٍ بلا معالمٍ مألوفة؟ ولا شيء دائمٍ سوى
ما تحمله معك؟ في ظلّ هذه الظروف، كان ليجث عن كهفٍ هادئٍ ليستقر فيه كذلك. ولكن من شأن هذا
أن يشرّح سبب عدم وجود الكثير منهم.

إذا سُويّ السطح بشكلٍ يوميٍّ حتى يتشقق وتنبثق منه الصخور المُنصهرة.. حسناً، إن هذا لا يُشجّع على
وجود كهوف هادئة وصالحة للسكنى. وها هو مُجدّداً، يشك في أن هذا الملجأ لن يكون كهفاً من أي نوع.
وعلاوة على ذلك، همس جزء منه أن هناك شيئاً ما لا يزال غامضاً، وأن هناك جزءاً من الأحجية لا يزال
مفقوداً. قد يؤدي النور فائق الحرارة إلى تدفّق الصخور على السطح، لكن ماذا عن الانفجارات البركانيّة؟ لم
يكن خبيراً فيها، لكنه اعتقد أن هذه الأشياء عادةً ما تتّج عن التأثير المُعاكس. أي أنه بوجود الحرارة
بالأسفل، والبرودة بالأعلى.. يُقدّم النشاط التكتوني (13) مُساعدة سخيّة لإنشاء مسارات جديدة للهروب
من تلك الحرارة.

كما أنه من شأن الضوء المُدخّر بغزارة أن يجعل السفر في النظام بالمركبات الفضائيّة أمراً شبه مُستحيل
تقريباً. ومع ذلك، فبحوزته دليل على وجود السكادريانيين هنا. ما الذي يحدث مع آليات الكوكب حقاً
إذن؟

قال لريبيكي: «أفترض أن المشهد غير المُستقر هو السبب وراء ضرورة البحث للعثور على المدخل المُؤدي
للملجأ؟».

قالت: «أجل». ثم أشارت إلى مجموعةٍ قريبةٍ منها خمس مَرَكَبات ذات قواعدٍ مُستديرة ومُسطحة. مشطت تلك المَرَكَبات الأرض على ارتفاعٍ مُنخفض، وتحركت سويًا في نمطٍ مُتعمد، قبل أن تُضيف: «نستخدم مَرَكَبات التنقيب، التي يُمكنها استشعار مصادر الطاقة تحت الأرض. لأن ملك الجمرات يجد المدخل، أثناء عمليات البحث المُتظمة، بين الفينة والأخرى. فقد أصبح مهووسًا بها، وبالقصص التي تتحدث عن الملجأ، والتي تكشفت فقط عندما حصل على المفتاح، الذي عثر عليه أحد مُرافقيه، في جُثة غريبٍ مات في انهيارٍ طيني».

أوماً نوماد برأسه مُفكرًا. كانت تلك المُنقبات آلاتٍ ضخمة تقوم بعملٍ بسيطٍ ألا وهو استشعار وحدات الادّخار، ولكن لم يكن الجميع محظوظين بامتلاك باحثٍ ضمن صفوف فريق العمل.

رَفَع عقيرته ليفوق هبوب الريح قائلاً: «هل كنتم من رعاياه إذن؟ أقصد ملك الجمرات؟ قبل أن تنفصلوا وتحتبئوا في قلب الظلام؟».

قالت: «بشكلٍ أساسي». أبطأت من سرعةٍ درّاجتها لتشرّب من زمزميتها، ثم قالت دون الحاجة للصراخ: «إنه يُحافظ على القانون»، ويفرض نفوذه على كل ممرٍ يصلح للسكن، كما دمّج أي مُدن ذات أهميةٍ أو حجم يُذكر بـ «يونيون».

- «اعتاد إرسال مسؤولين لتمثيله في البلدات الصغيرة كبلدتنا، جنبًا إلى جنبٍ مع بعض أتباعه المُتفحّمين هؤلاء بالطبع، والمستعدين لتنفيذ أوامره. وقد تعايشنا مع الأمر فحسب. وعشنا سنوات طويلة - في الواقع، منذ طفولتي - تحت سيطرته. حتى بدأ يُغيّر خطابه، ويزداد عدوانيةً، مُدّعيًا أن قدره هو توحيد كل الناس تحت سماء مدينة واحدة. وهكذا».

نظرت جانبيًا عندما حلقت مَرَكبة بجوارنا. تلك المَرَكبة التي حبسوا إليجي، شقيقتها، على متنها، كسجنٍ مُرتجلٍ من نوع ما. ووجد نوماد أنه من الغريب أنهم لا يملكون سجنًا حقيقيًا.

قالت ريبكي: «لطالما حظيت إليجي.. بمثل هذه الأحلام الكبيرة. كما يُمكنها إقناع أي شخص بأي شيء، ما دامت شُغفت به. وتمنيتُ من كل قلبي لو.. نفعل شيئًا من أجلها. وعندما أسرتها في وقتٍ سابقٍ، صرّخت بي. كان صوتها، لكن عينيها لم تعكس روحها قط. وأنا...». تراجعت في مقعدها، ونكّست رأسها.

بحق العواصف، تحتاج هذه الفتاة لقسطٍ من النوم، ولوقتٍ للحداد، وليس لمهمةٍ أخرى. لكن الشمس لن تنتظر، وهم مُقيّدون بجداولها الزمنية. رُبما ستمكّن من نيل قسطٍ من الراحة بمُجرد فتح المدخل.. لكنها لن تفعل بالطبع، لأن المدخل لن يُفضي إلى ملجأ. ثبت نفسه، ثم قال: «سيبحث عنكم ملك الجمرات هنا، أليس كذلك؟».

أجابته: «إنه يبحث عنّا طوال الوقت، ومع ذلك، فقد استبدل زيل بالمفتاح الذي سرقه آخر مُزيّفًا. وهكذا، وبركة أدونالسيوم، لم يعرف ملك الجمرات بما فعلناه بعد. ستحاول دورياته رصدنا، لكنها لن تزيد على كونها دوريات عادية. ورُبما يواتينا الحظ اليوم.. لأنه نادرًا ما يقوم بدورياتٍ في هذه المنطقة».

- «لماذا؟».

قالت: «لأن هذا هو الطريق الذي ستقطعه مدينته، يونيون، على أي حال، بمجرّد أن ينتهي حصادهم. فلماذا إذن ستتحلى بالحماقة الكافية لتتقاطع سبلنا معه؟ عادةً ما يبحث فرسانه في أقصى حدود هذا الممر، وتلك الممرات القريبة، مُفترضين أنهم سيجدوننا هناك، نحاول إنهاء حصادنا بدورنا». أحكم الصمت قبضته عليهما.

ثم سأله نوماد: «ألا يُمكنكم الفرار لممر فضائيّ آخر؟ قلتُ إن هناك أماكن غير خاضعة لنفوذه!». قالت: «كُل الأماكن تخضع لنفوذه، لكن هناك بعض الأماكن التي لا يهتم بشأنها.. لأنها غير صالحة للسكنى». أشارت نحو الشمال ثم تابعت قائلة: «انطلق في هذا الطريق لمدة ساعة أو ما يُقارب ذلك، وستجد أن هذه المنطقة بأكملها تابعة له حتى تصل إلى المنطقة البور، حيث لا ينمو الطعام. حيث يُمثل النفي حُكمًا بالإعدام».

ثم التفتت وأشارت جنوبًا، وقالت: «كانت المنطقة الجنوبية صالحة للسكن، قبل أن تظهر سلسلة من الجبال في السنوات القليلة الماضية، ولا تنفك تزداد ارتفاعًا. ومثلما قلتُ، بينما تختفي السمات الفردية، تظل بعض السمات واسعة النطاق موجودة. وما زلنا نأمل أن تذوب سلسلة الجبال تلك، لكنها تأبى أن تفعل، وهكذا توجّب على جميع الموجودين في هذا الممر أن ينتقلوا شمالًا.. مُتكدسين في هذه الممرات. وهو ما منح ملك الجمرات المزيد من النفوذ لأنه من السهل قمعهم بهذه الطريقة».

قال نوماد: «لحظة، لماذا تُعتبر سلسلة الجبال مُشكلة كبيرة؟ لماذا لا تطيرون من فوقها فحسب؟». أجابته: «لا يُمكننا التحليق على هذا الارتفاع، الذي لا يُمكن للمركبات الوصول إليه. كما تمتد تلك السلسلة لمسافة كبيرة، حتى إنك إذا حاولت الدوران حولها، فسيتتهي بك الأمر حتمًا بالسقوط في أحد الوديان والموت. لذا نختبئ في قلب الظلمات ونتفادى دورياته بدلًا من القيام بذلك».

وَجَد نوماد ذلك مُثيرًا للفضول، كما أثارَ ذهوله.. بعض الأمور عن التكنولوجيا الخاصة بهم. ورغم ذلك، لم تكن تلك تجربة غير مُعتادة بالنسبة له. فكُلها سافر أكثر، تعلّم أن التكنولوجيا لا تتبع تقدّمًا ثابتًا. حيث غالبًا ما تمتلك الكواكب معرفة كبيرة بشيء ما، لكن الجهل يفرض أواصره على البقية. فقد رأى مُجتمعًا قادرًا على التعامل مع الرياضيات المُعقدة ويتمتع بفهم رائع للهندسة المعمارية.. لكنه لم يملك مفهوم العجلة، حيث يعيش أعضاؤه في غاية كثيفة، إذ إن تطويرها ما كان ليبدو منطقيًا مثل تطويرها في الكثير من الأراضي المُسطحة والطرق المُمهّدة.

إذن يعتقد الفارس أنهم يعيشون تحت حكم ملك الجمرات. ويبدو هذا - باعتراف الجميع - أمرًا سيئًا. لكن هل يُمكن أن يكون الأمر أسوأ من بقية أشكال الحياة على هذا الكوكب؟ هل حكمه فظيع حتى إن الهروب للعيش في قلب الظلام الدامس يبدو أفضل؟

يعتمد هذا على بعض الأمور. فمن تجربة نوماد، لم يثر الناس عندما كانت الحياة فظيعة تمامًا. وبدلاً من ذلك، لم يحدث هذا سوى عندما تحسّنت ظروف الحياة إلى الحد الذي امتلك فيه الناس الوقت اللازم للتفكير، وللتساؤل، وللقُدرة على التخيل. لذا رُبما تطوّرت الأمور هنا مؤخراً بما يكفي لإثارة التساؤلات في قلوب الناس عمّا إذا كانوا بحاجةٍ لدكتاتور أم لا.

سألها نوماد: «هل فرّض عليكم ملك الجمرات الضرائب؟ وما مدى سوئها؟». قالت بصوتٍ خافتٍ: «سيئة للغاية، يُقام اليانصيب مرّة في كل دورة». يانصيب؟

حسناً، يختلف معنى هذه الكلمة بشكلٍ كبيرٍ حسب السياق. تذكّر تجربته مع «يونيون»، واستعدّ للأسوأ قائلاً: «يانصيب.. الناس؟». أو مات برأسها مجيبة: «وماذا سواه؟». -«وماذا يفعل بهم؟». تأمّلتها عابسة، قبل أن تُضيق عينيهما وتقول: «ألا.. تعرف؟». هزّ رأسه بالنفي.

همست: «أهي حقيقة؟ أن هناك أماكن لا يستخدمون فيها قلوب الشمس؟». قال وهو ينقر بمفاصله على هيكل الدراجة: «مصادر الطاقة؟ أعني أن كل قوم أعرفهم يستخدمون الطاقة بشكلٍ أو بآخر، لكنني لم أر مثل هذه من قبل. من أين تحصلون عليها؟ هل هي...؟». ثم توقّف عن الحديث.

قلوب الشمس.
اليانصيب.

سألها: «أناس؟ سبق لمصادر الطاقة تلك أن كانت أناساً؟». وَصَّعت يدها على الهيكل، وأجابته: «تلك الموجودة هنا، كانت والدتي، قبل أسبوعين. تركناها للشمس، ثم أخذنا قلب الشمس الخاص بها في الدورة التالية. بعد أن بخرت الحرارة جسدها، وتكثفت روحها إلى هذا الحجر».

[12](#) التجوية: التعرّض لعوامل التعرية. (المترجم).

[13](#) النشاط التكتوني: هو القوى أو الحركات التي تحدث في مناطقٍ مُعيّنة من القشرة الأرضية لتخلّق بنية جديدة أو ظواهر جيولوجية مثل الزلازل والبراكين. (المترجم).

بحق العواصف.

بحق العواصف.

فجأة، اكتست تجاربه منذ وصوله بطابع شرير. هذا ما كان ملك الجمرات يفعله. هذا ما تتمحور حوله لعبة الغميمة تلك؛ اختيار الأشخاص التاليين الذين سيقدّمون كقرايين للشمس بعد ذلك، ليس بطريقة وثنية بدائية.. بل بطريقة حديثة. بذات القدر من الفظاعة، لكنها اقتصادية أكثر.

يصرخ البطل، صابغاً كلماته باشمئزازٍ متقزز: هذا رهيب.

لكن هذا لم يكن خارقاً للعادة. فقد سبق لنوماد التواجد في ناليس (14) - حيثُ بدأ المكان لطيفاً، ومن السهل على سرّية الليل أن تعثر على الأماكن اللطيفة- لكنهم اشتروا، وباعوا، وتاجروا بقطع من أرواح الناس وكأنها أحجار كريمة. وتستند وحدات الـ«بيو» إلى هذا النظام.. على الأقل هناك، يُمكن للمعاملة أن تتركك على قيد الحياة.

قال باللغة الأليثية، وبصوتٍ خافت: «وهذا هو سبب عدم وجود أي أشباح هنا، لأنه بينما يحظى الثرينوديتيون بذلك الصدى الشبحي لأرواحهم، وهو نوع من الظل الدخاني الذي يعيش بعد وفاتهم. فلا توجد هنا أي فرصة للقيام بذلك. لأن أرواحهم تتكثف، وتنصهر، وتحوّل إلى..».

خلية طاقة. لقد استهلك إحداها ليُجري اتصاله بهذا الكوكب. وها هو حدثٌ آخر قد اكتسى بطابع مروع بعد فوات الأوان. تحسّس جيب معطفه، حيث أخفى القلب الجاف بعد حصوله على ملايسه الجديدة. قال أوكس: لن تكفيينا قيمة الروح الواحدة، حتى مع وجود ظل، لامتصاص أكثر من ألف وحدة «بيو» من وحدات الادّخار مثلما فعلنا. لذا لا بُد من وجود قوة أخرى تملأ الحجر، مثل عاصفة رومار. لا بُد أن نور الشمس يُدخّر، كما توقّعنا. إنه يشحن بقايا الروح عندما يُقتل المرء.

كان هذا هو الشيء المنطقي الوحيد، لأنهم لم يكونوا ليتمكّنوا من تزويد مُدن بأكملها بالطاقة المُنبعثَة من الأرواح وحدها، ليس دون أن ينقرض الأناس بسرّعة كبيرة. ورغم ذلك، تركته الآثار المترتبة على ذلك يشعّر بالغيثان.

سألته ريبكي: «إن تعبيرات وجهك الآن صادقة، أليس كذلك؟ لم يكن لديك أي فكرة عن ماهية قلوب الشمس».

-«لا، لم يكن لدي أي فكرة».

- «إذن، ففي الحقيقة، هناك أمل. أملٌ أصيل، في حياةٍ أفضل مما يُفترَض باليجي أن تُقدّمه». سألها نوماد: «ألا زالت مدينتكم تستخدم.. هذا النوع من القرايين؟».

«وماذا نملك خلاف هذا؟ لا يُمكننا أن نسبق الشمس دون طاقة. لكن لطالما اعتمدَ قومي على المتطوّعين، من بين العجائز والمَرْضَى، على عكس يانصيب ملك الجمرات». تتبّعت بشرودٍ إطار هيكل قلب الشمس، قبل أن تُضيف: «كانت أُمي تُحضر. لم يكن لديها سوى أشهر لتعيشها، ورُبما أيام، ورُبما سنوات. لكننا لم نمتلك سوى ثلاثة قلوب شمس مُستهلكة، ومركبات عاجزة عن الفرار، لذا..». صمتت، وأخذت نفسًا عميقًا.

قال: «لذا تتركون الناس بالخارج ليلقوا حتفهم، ويتحوّلون إلى.. مصادر الطاقة تلك. كيف يُمكنكم العثور عليهم مرّة أخرى؟».

قالت: «باستخدام المُقنّبات، لهذا السبب نمتلكها. حيثُ تطفو قلوب الشمس بالقرب من قَمّة الحُمم المنصهرة لسببٍ ما. ويُمكنك أن تجدّها تقريبًا في نفس المكان الذي تركت فيه الناس، على الرغم من أنه يتوجّب عليك استخراجهم من الحجر في كثيرٍ من الأحيان». تجمّدت يدها في مكانها، ثم قالت: «كان أخي هو من ركّب قلب شمس أُمي هنا، في درّاجتنا الرُباعية، حتى تظل بالقرب مني. والآن.. مات، هو ووالدتي، وحتى إيجي».

هذا العالم اللعين، يقولها الفارس بصوت لاهث، دلالةً على الرُعب، وليس الإثارة، بما أنه يُمكن لتلك الكلمة أن تُستخدم في كلا السياقين. في حالة تساءلت عن ذلك.

قال نوماد: «عندما قبضوا عليّ، خلع ملك الجمرات قفّازه، وأمسك بي من وجهي. توقّع أن يحدث شيءٌ ما جرّاء هذا، لكن شيئًا لم يحدث».

دفع هذا التعليق ريبكي للخروج من حُزنها، لتُحدّق به مرّة أخرى. نظرت إلى يديه، العاريتين من أي قفّاز. بدأت بخلع قفّاز يدها اليمنى، وقد بدت عليها أمارات الفضول، قبل أن تردّد.

سألته: «هل تسمّح لي؟».

هزّ كتفيه. مدّت يدها ولمست معصمه، ثم قالت بدهشة: «لا شيء».

- «ماذا يُفترَض أن يحدث؟».

قالت: «يُفترَض بي أن أتمكّن من استخلاص حرارتك، وبعصًا من روحك. بمُجرّد أن أبدأ بلمسك، يجب أن أتمكّن من استخلاصها من جسدك، وتبريدك.. وهذا ما تفعله الأساور. لقد فعلت بك الأساور هذا، أليس كذلك؟».

قال: «لسوء الحظ، إن ما يُستخلص من المرء هو شيءٌ يُطلق عليه لقب وحدات الادّخار. وهي حالة مُختلفة من الطاقة، وتُبرّدك عملية استخلاصها، رغم أن ذلك يُعتبر أحد أعراضها الجانبية. وبسبب إرثكم، يتمتع قومك بنوعٍ مُثيرٍ للاهتمام من وحدات الادّخار.. مثلما أفعل، رغم أن وحداتي من نوعٍ مُختلف».

قالت: «ولكن لماذا نجحت الأساور في وظيفتها عليك، في حين فشلت لمستى؟». كان من الصعب إجابة سؤالها. رغم أنه قد قام ذات مرة بدراسة في هذا النوع من الأشياء، مرت عقود منذ أمعن التفكير فيها، وقد تمثل الفروق الدقيقة بين وحدات الأدخار صعوبة حتى بالنسبة للخبراء. قال: «إن وحدات الأدخار أمر صعب، وعادة ما يتطلب التلاعب بها أشياء محددة - كالنيّة، والأوامر، والألفة. ومن المحتمل أن الأساور كانت وحشيّة بما يكفي لتخترق وسائل حمايتي، لكن لمستك ليست كذلك».

أبعدت يدها عنه، واحمرت خجلًا، وسرعان ما ارتدت قفازها، وقالت: «من غير المعتاد أن يفعل المرء ذلك».

سألها: «أن يفعل ماذا؟ أن يلمس شخصًا ما؟».

أومأت برأسها بحرج، ثم أجابته قائلة: «عادة ما يحدث ذلك عن قبيل الصدفة فحسب». قال: «لقد رأيت ملك الجمرات يفعل ذلك عمدًا، وهو يقتل الناس في الحلبة، ويستخلص وحدات ادخارهم».

همست: «أجل، يُمكنه أن يستخلص الحرارة بسرعة، وبجهد، وبقوة. يُمكنه التهام إنسان، ولا يتركه سوى جثة هامدة. لقد.. التهم آلاف الأشخاص حتى هذه اللحظة».

قال أوكس: «عجبا، الآلاف؟ احذر منه يا نوماد، حيث يُمكن له أن يكون خطيرًا للغاية.. إذا كان شديد الأدخار».

تابعت ريبكي حديثها قائلة: «بغض النظر عن ذلك، يُمكن لأي لمسة أن تستخلص أو تمد المرء بالحرارة.. حتى بالنسبة لشخص عادي، ودون أن يكون ذلك مقصودًا. ورغم ذلك، فمن النادر أن يكون هذا خطيرًا». قال نوماد: «حسنًا، انتظري لحظة، يُمكنكم البدء في استخلاص وحدات الأدخار من بعضكم البعض، بمجرّد اللمس؟».

أجابته: «هناك صلوات تُتلى لإضفاء الطابع الرسمي على الأمر، لكن.. أجل، يُمكن لللمسة مطوّلة أن تتسبب في حدوث الأمر، سواء كحوادث.. أو كحيميّة». -«هل تُجمّدون بعضكم البعض أثناء ممارسة الجنس؟».

يقول البطل لخادمه شديد الفظاظة: حسنًا، هذا جديد، بالتأكيد لم يحتل هذا مكانًا في قائمة السمات الثقافية التي توقعت العثور عليها في هذا العالم.

ازداد وجه ريبكي احمرارًا، قبل أن تقول: «في واقع الأمر، نتبادل الحرارة جيئةً وذهابًا، وهذا.. ليس شيئًا يجب أن أشرحه لك».

قال وهو غارق في التفكير: «لا بأس بذلك». يتمتع هؤلاء القوم بقدرّة بيولوجيّة طبيعيّة على استخلاص وحدات الأدخار من بعضهم البعض، حيث يحتوي كل شيء تقريبًا على بعض من المكونات المدخّرة، لكن

أقصى درجات الخبرة - وتحديدًا تلك الأشياء الغريبة التي يُمكنه القيام بها، والأشياء الغريبة التي حدثت له -
مُرتبطة ارتباطًا وثيقًا بطبيعة الأذخار.

بما في ذلك عذابه، الذي يحتوي على مكوّنٍ مادي، وآخر عقلي. لكن الأغلال الحقيقية كانت روحانية..
وهي وحدات الأذخار. إذن رُبا..

بدأت الخطة تتشكّل في ذهنه.. طريقة للهروب من محتته، أو على الأقل للتخفيف من أعراضها.
يتدخّل الفارس قائلًا: أرى شيئًا ما يا نوماد - وهو يعرف أنه على الأرجح يُقاطع تأملاته
حول طبيعته المُدهلة - هناك مركبة باتجاه عشرين درجة عن يمينك، بعيدًا للغاية.

ركّز نوماد في الاتجاه الذي حدّده المُساعد. فرغم أن أوكس لا يتمتع بشكلٍ ماديّ إلا عندما يُشكّله نوماد
كغرضٍ ما، يُمكن للفلق أن يستخدم جسد نوماد ليختبر العالم من خلاله. وهكذا يُراقب أوكس كل شيء،
حتى لو لم يفعل نوماد.

راها نوماد؛ مركبة صغيرة تقترب من بعيد. قال لريبكي: «كشّاف، أعتقد أنه يُراقبنا. يجب علينا تحذير
الآخرين».

تبعَ ريبكي نظراته، قبل أن تُطلق سبّة خافِة. ضغطت زرًا على جانب مقعدها، فانفتحت جسد المركبة عن
يسار نوماد. انفصل مقعدها والمعدن المحيط به عن هيكل الدراجة الرئيسي. بينما طويت الأقسام في المقدمة
والجانبيين في آنٍ واحد، لتُشكّل لها دراجة هوائية فردية خاصة بها، أنيقة وفعّالة.

وكما تخنّن من قبل، يُمكن لهذه الدراجة الرباعية أن تقدّف الأجزاء الأربعة ذات المقاعد. لم تكن المركبة
عبارة عن دراجة هوائية واحدة كبيرة، بقدر ما كانت حاملة لأربع مركبات أصغر حجمًا كذلك.

قال: «هذا مُذهل، هل تنقسم كل الموجودات على هذا الكوكب إلى قطعٍ عمليةٍ أصغر؟ هل سيتفكك هذا
الشيء إلى مئة دراجة أصغر لو حطّمناه؟».

قالت: «أخبر الآخرين بما رأيته لتُحذّرهم». ثم انخفضت، مُستعدة لمطاردة الكشّاف.

صاح بها نوماد: «لا تتجهي إليه مباشرة! إنه مُراقب. هل ترين الطريقة التي ينخفض بها بين التضاريس
ليصعب اكتشافه؟ كما يُحتمل أنه يُقدّم تقاريره عبر اللا سلكي. أراهنك أن الكشّاف يظن أنه قد رصدنا
ونحن نزرع بعض البذور، إذا انطلقت تجاهه صارخة، سيعرف أننا قد رأيناه».

توقّفت، وفهّمت الحكمة في كلماته، ثم قالت: «لا يُمكنه تقديم التقارير، فلدينا مدينتنا بالكامل ها هنا، بما
في ذلك أجهزة التشويش على اللا سلكي، التي من شأنها أن تُعطّل إشاراتهم».

وجَد نوماد نفسه يتساءل مرةً أخرى عن تقنياتهم المتنوعة. فمن جهةٍ أخرى، رُبا لا يستخدمون موجات
اللا سلكي الفعلية، بينما فسّر عقله الكلمة بهذه الطريقة ابتغاءً للراحة. رُبا يستخدمون اتصالًا يعتمد على
الاقتران، ما دام مدعومًا بقلوب الشمس هذه.

قال: «ثم سيكون من المُهم ألا نُنبّه الكشّاف لأننا قد رأيناه، هاك.. دعيني أُريك».

استدار ناظرًا بين قدميه، إلى نفس البقعة التي رآها تمد يدها إليها لتحرّر درّاجتها. وهناك، وجد مقبضًا، يكاد يتّسق مع جانب المركبة. أو مأت برأسها، فأدار المقبض، لتنفصل درّاجته عن الهيكل الرئيسي. كانت الدّراجة أحاديّة المقعد تُشبه الحوامات التي حلّق بها في سماوات عوالم أخرى. حلّق بها حتى وقّف بجوارها.

قالت: «هذا أصغر حجم يُمكن لها أن تصل إليه، كما إنها لا تحتوي حتى على قلب شمسي خاص بها؛ بل على بطارية تدوم لساعة تقريبًا قبل أن تحتاج لإعادة التوصيل بالمركبة الرئيسيّة لإعادة الشحن». قال: «عظيم، والآن.. اتبعيني». أدار درّاجته بشكلٍ غامضٍ نحو مركبة الاستطلاع البعيدة. قام بدورانٍ واسع، وكأنه ذاهب لتفقد المنقبات. تبعته، وعندما وصلا لأقرب نقطةٍ إلى الكشّاف الذي لا يزال بعيدًا، توقّفت بجواره، وسألته بحماس: «الآن؟».

قال: «لا، سنقوم بدورانٍ آخر. لنجعل الأمر يبدو وكأنه جزء طبيعي من روتيننا. لكننا سندور على نطاقٍ أوسع هذه المرّة».

أو مأت برأسها، وهي تُراقب الكشّاف باهتمام. سألها: «ألم تواجهي مشكلةً مؤخرًا بسبب عصيانك للأوامر؟ سيصرخون بك مرّة أخرى». أجابته: «لو أسعدتك معرفة ذلك، لطالما كان هذا قدرتي، هل يجب أن أهتم؟». ابتسم قائلاً: «لا أرى سببًا لذلك».

بدت فجأة غير متأكّدة من شيء، وهي تسأله: «أشعر.. بالقلق من أن يكون هذا الكشّاف مُتفحّجًا. ماذا سنفعل آنذاك؟».

قال نوماد: «سنسأله فيما لو كان يُفضّل شرب كأس من الشاي، ماذا تظنّين أننا سنفعل؟ سنقتل الوغد قبل أن يقتلونا». انحنى للأمام، وراقبها. كانت تتحرّق شوقًا، ورُبا كانت النيران التي أجمّعت ذلك هي أنه لم يتبق لها شيءٌ لتعيش من أجله، رُبا كان وقود ذلك هو تعطّشها للانتقام. على الأرجح كانت تتصوّر للقيام بشيءٍ ما - أي شيء - ليشتت أفكارها بعيدًا عن خسارتها. لقد شعر بمثل هذا الشعور.. عدّة مرّات.

يقول الفارس لنفسه: هناك شيء غريب بخصوص الطريقة التي يتصرّف بها هؤلاء القوم، أفترض أنك قد لاحظت ذلك بدورك.

أجابه باللّغة الأليثيّة: «أجل، هناك خجل غريب فيما يتعلّق بهم. فحتى القنّاصون لا يبدون كجنودٍ حقًا.. ولن أشعر بالدهشة إذا اكتشفت أنهم صيادون مُعاد تكليفهم بمهامٍ أخرى». فبعد كل شيء، لقد استخدموا مُصطلح «قاتل» وكأنه خط فاصل. وكأن بعض الناس قادرون على ذلك، وبعضهم الآخر لا.

في كلا الحالتين، فقد شعر بتوق ريبكي. برغبتها الضاريّة في الانطلاق، والقِتال. قادها للقيام بدورانٍ واسعٍ آخر، مُقترّبًا من موقع الكشّاف. كانت أدوات التحكّم في الطوافة بديهيّة بشكلٍ مُذهل. وافترض أن

هذا يبدو منطقيًا للغاية؛ فلو اعتمد مجتمعتك بأسره على الطيران المستمر، لأردت أن تكون مركباتك سهلة القيادة.

اختبأ الكشاف بجوار تشكيل صخري، كموجة كبيرة من الحُمم المنصهرة المتجمدة في مكانها. اقتربا منه أكثر، لكن مسافةً بعيدةً لا زالت تفصل بينهما.. رُبما مُساوية لنفس المسافة التي قطعها، سيثير الاقتراب أكثر من هذا الكثير من الشبهات.

نَظَرَ نوماد لريبيكي قائلاً: «حسنًا، الآن!».

[14](#) ناليس: هو العالم الذي تدور فيه أحداث رواية (Warbreaker) للكاتب براندون ساندرسون. (المترجم).

اندفعاً إلى الجانبِ سوياً، مُنطلقين بالسُرعة القصوى لدرّاجتهما، مُندفعين نحو الكشّاف مُباشرةً. رآهما على الفور. رجلٌ هزيلٌ يرتدي معطفاً أبيض مُزيّناً بأشرطةٍ حمراء، أدار حوامته وفرّ هارباً، ظلّ مُنخفِضاً بالقرب من الأرض، مُندفعاً إلى ما بدا وكأنه أنبوبٌ كبيرٌ من الحُمم. كان هذا خطيراً، لكن من شأنه أن يُقلّل من فُرص إصابته بطلقِ ناري من الأعلى أو من الخلف.

حلّق نوماً على ارتفاعٍ مُنخفضٍ ليلحق به، قبل أن تنضمّ ريبكي إليه، وقد ارتسم على قسماً وجهها تعبيرٌ حازم، بينما تلاعبت الريح بشعرها الأسود والفضي. سمّح نوماً لابتسامة أن تتسلّل إلى شفّته، فقد كان من الجيّد أن يُحلّق في الهواء، أن يتحرّك. بعد لحظة، اندفعاً بدوريهما إلى أنبوب الحُمم.. وهو نفقٌ حجريٌّ دائريٌّ كبير. أصابته الكسور في عديد من الأماكن، كاشفةً عن السماء، بينما تلوى وانعطف، وهو ما تطلّب منها القيام بانعطافاتٍ حادةٍ والانطلاق بسرعاتٍ دقيقةٍ كيلا يصطدم بالحوائط.

يُعلّق الفارس وهو يُدير عينيه بسخطٍ: هل تتذكّر عندما التقينا للمرّة الأولى؟ أخبرتني حينها أنك «رجلٌ عاقلٌ لا يندفع ليخوض كلّ قتالٍ يأتي في طريقه».

قال: «لا، لا يبدو هذا كشيءٍ قد أنطق به».

- حسناً، وماذا حدّث لرغبتك في البقاء في الظلّ؟ في سلك الطُرق الأسهل؟ هل يبدو هذا

كشيءٍ قد تفعله في الوقت الحالي؟

- «أحاول إبقاء هذه الفتاة على قيد الحياة فحسب».

- كان من الرائع أنك لم تنطق تلك الكلمات بسخرية.

- «حسناً، أشعر بالملل».

انعطف نوماً عبر مُنعطفٍ آخر، وهو بالكاد قادر على رؤية الكشّاف أمامه في النفق المُظلم، والمُظلم بما يكفي بين الأجزاء المكسورة من الصخور، بحيث لا يرى من فريستها سوى وهج المُحرّك.

بعد لحظة، صدح صوت كوتيمبليشن عبر اللا سلكي مُتسائلاً: «ماذا تفعلان؟». بالكاد كان صوتها مسموعاً فوق عصف الريح.

صَغَطَ على زر الاتصال، ليُجيبها قائلاً: «نتحقّق من شيءٍ ما، نعتقد أنه كشّاف».

قالت كوتيمبليشن: «نحن بحاجة إليك لتفتح المدخل أيها الرجل الذي أضاءه نور الشمس».

- «هل وجدتموه بعد؟».

- «لا. إن التضاريس صعبة للغاية هذه المرّة».

- «حسنًا، لن نحظى بهذه الفرصة إذا وصل ملك الجمرات. لذا من الأفضل أن نوقف هذا الكشف قبل أن يُقدّم تقريره».

- «ماذا لو مُت؟ لقد وعدت بتفعيل المفتاح.. وبدونك، سنحبس في الخارج».

قال: «لو مُت، فلن تصبح تلك مُشكلتي بعد ذلك، صحيح؟».

تمتت: «أيها الأحمقان المتهوران، إذا كان الأمر يُرضيك -وأشك في ذلك- فيجب أن تتوقف عن تشجيع ريبكي على ذلك. لأنها كل ما تبقى لنا من عائلتها، وأفضل أن أراها مُحْتَبَةً بأمانٍ في الملجأ قبل أن يحين ميعادي».

شعر بالكلمة وكأنها لكمة في أحشائه، وأدرك ما تُشير إليه؛ ميعاد موتها في نور الشمس، لتصبح مصدرًا للطاقة لقومها. يحتوي هذا المُجمَع على كل شيءٍ خاطيء، لكن يتوجب على المرء أن يفعل ما يلزم ليبقى على قيد الحياة؛ وهو أفضل من يفهم ذلك. لكنه الآن، تجاهل اللا سلكي، وانحنى للأمام، مُستمتعًا بالمطاردة. كان الكشف ماهرًا في الطيران، وسبقهما في النفق.. لكن أيا منهم لم ينطلق بسرعه القصوى، فقد كانت هذه المنعطفات ضيقة للغاية. لسوء الحظ لم يكن الكشف بحاجة للهروب، فكل ما عليه فعله هو أن يقترب بما يكفي من الوطن ليلفت انتباه الآخرين. وهكذا قد يتعين على نومات القيام بشيءٍ أحمق.

قال عبر اللا سلكي: «اسلكي المخرج التالي عبر السقف المكسور يا ريبكي، سأضفي بعض الحيوية على هذه المطاردة».

- «ماذا؟».

دعس نومات دواسة الوقود بقوة تحت قدمه، مُندفعًا للأمام. لم يتمكن بسبب العذاب من مهاجمة الرجل بشكل مباشر، حتى وإن اقترب منه. وكان أفضل ما يمكنه القيام به هو أن يلحق به ويدفعه للقيام بشيءٍ متهور.

أفضى بهم أنبوب الحُمم إلى الوادي بعد لحظة. اندفع نومات عبره، مُتنبهًا للطريقة التي امتلأت بها الجدران الصخرية بالثقوب الناجمة عن الغازات المُتسرّبة من تبريد الحُمم المنصهرة. استطاع أن يتخيل هذا المكان بأكمله وهو يتشكّل عندما جرت مياه الأمطار بين الحُمم المُتدفّقة.. فتصلّب الحجر وسط انفجارات البخار حين اصطدم الساخن بالبارد.

نظر الكشف خلفه، كاشفًا عن وجهٍ يُزيّنه شارب طويل. ثم تسارع في اندفاع مُفاجيء.. وهو ينطلق بشكلٍ محموم حول مُنطفئ ضيق. تبعه نومات، لاحقًا به، مُحاولًا الاقتراب منه بما يكفي ليشعر الرجل بأنفاسه على عنقه. وبالفعل، نظر الرجل خلفه مرّة أخرى، عندما اندفعا إلى القسم التالي من الوادي.. واندھش عندما رأى مدى اقتراب نومات منه. زاد من سرعته، رغم أن هذا الجزء كان أكثر ضيقًا، ومليئًا بانسداداتٍ حجرية خشنه من الحُمم.

اشتعلت المحرّكات، وتردّد صدى هدير مزدوج عبر الوادي، انزلقا داخل وخارج الظلال حيث حجبت القمم العالية وكشفت عن الحلقات بالتناوب.

يتساءل الفارسي، وعدم اليقين يتزايد بداخله، عما إذا كان خادمه المخلص يمتلك أي فكرة لعينة عما يفعل. إنه يُدرك ما يفعله، أليس كذلك؟ بالتورط في مطاردة سريعة مع شخص يعيش على متن كوكب مليء بالطيارين الخبراء؟

قد يكونون طيارين خبراء، لكن نوماذ كان مطارداً خبيراً. وبينما راودته الشكوك حول جودة طيرانه مثل فرسته، أصبحت حركات الكشاف غير منتظمة بشكل متزايد. فبدأ ينعطف بشكل حادٍ للغاية، ويزيد من سرعته في المنحنيات بدلاً من القيام بذلك في خطوطٍ مستقيمة، دون أن يتوقّف عن النظر خلفه.

لقد عرف هذا الشعور، فقد كادت سرّية الليل تقبض عليه عدّة مرّات. وطاردوه، دون أن يُبعدوا أنظارهم عنه. عرف نوماذ هذا الشعور بالفزع، وذلك الاندفاع المتسارع للأدريينالين. حيث تبدو الأخطار التي أمامك فجأة تافهة مقارنةً بتلك التي خلفك. فتصّب جام اهتمامك عليها، مُتحملاً المزيد والمزيد من المخاطر.

وتلك هي قصّة حياته.

فقه الكشاف مطاردة الشمس بدوره. فقد طاردهم أيضاً.. لكن بطريقة بطيئة، وحتميّة، ومُستبدّة. دون سرعة أو استعجال، وليس بهذه الطريقة. اقترب نوماذ بشدّة من تشكيل صخري، وشعر به بالقرب من رأسه. يُمكن لأي خطأ بسيط في التقدير، في مثل هذه السرعات، أن يتسبّب في انفجار كبير.

لسوء الحظ، في نفس اللحظة التي تيقن فيها نوماذ من انتصاره، اندفعا إلى قسم مفتوح من أرض الوادي. وكانت هذه المنطقة المسطّحة، المحاطة بالهضاب والقمم، عبارة عن أرضية حفرة ضخمة. وهو ما سمح للكشاف بالانطلاق بسرّعه القصوى. تطابقت سرعة درّاجتيها تقريباً، وهكذا استمرّ نوماذ في مطاردته عن كذب.. لكن لم يكن بإمكانه فعل الكثير إذا ما لحق به. لقد كان بحاجة لـ...

اندفعت الحُمم من الأرض القريبة، ورش فوران من الحرارة الشديدة قشارةً من النيران، والرماد، والسُخام. اجتاح الشرر مُقدّمة درّاجة نوماذ، فاشتعلت بها النيران، ولم تُحمّد، حتى عندما كان من المفترض بالرياح أن تُحمّدها.

يصرخ الفارسي، بصوت تملؤه المشاعر، خصوصاً المفاجأة: اللعنة.

رُبما توجّب على الكشاف أن يندفع بهما إلى الأعلى لتفادي الانفجارات، لكنه لم يُمعن التفكير بالأمر على الأرجح. وبدلاً من ذلك، استدار مُحاولاً الاندفاع بالقرب من جدران الحفرة شديدة الانحدار.. رُبما مدفوعاً بالاعتقاد بأن الأرض قد تكون أكثر استقراراً هناك.

انفجر جزء آخر من الحجر، مُلقياً بقطع من الصخور المنصهرة في الهواء. تساقطت الحجارة حول الدرّاجتين، وتحطّمت على الأرض، قبل أن تنفجر كالألعاب النارية. أطلق نوماذ بعض السباب، مُنفصلاً

عن المطاردة المباشرة عندما اندلع جدارٌ كاملٌ من النيران من الأرض أمامه مباشرةً.. تدفقت موجة من الحجر القرمزي إلى الأسفل، وأجزاء منها تتحوّل إلى اللون الأسود على الفور وهي تهبط مثل الشمع، بينما توهجت أجزاء أخرى منها مثل حرارة الحياة نفسها.

انحرف حول العائق، وبالكاد رأى انفجاراً آخر من الأرض المُنْبَعِجَة في الوقت المناسب لتفاديه. انسحب للأعلى على مضضٍ.. خارج حدود منطقة الخطر، مُرتفعًا نحو السماء. وهناك، استأنف مُطارده، لكن الكشاف كان قد سبقه بمسافة كبيرة، مُبتعدًا للغاية. ووصل تقريبًا إلى الجانب البعيد من الحفرة. حيث... أبعدت طلقة من الضوء قادمة من الأعلى الرجل عن صهوة حوامته. فسقط جسده، مما أدى لسقوط الآلة نفسها أرضًا في انهباءٍ مُغَيَّرٍ مُنْقَلِبَةٍ رأسًا على عقب.

رَفَعَ نوماذ ناظره إلى الأعلى، ورأى ريبكي على درّاجتها بالأعلى غير بعيدة عنه، وهي تُسند بُندقيتها على كتفها. حسناً، لقد طلب منها أن تمضي قدمًا، ألم يفعل؟

وَقَفَ بجوارها، تنفّس بعمق، وقلبه يتسارع. ما الذي تسبّب في فوران تلك الحُمم؟ فبشكل أساسي، كانوا بعيدين عن نور الشمس قدر الإمكان. يجب أن تكون هذه هي المنطقة الأكثر استقرارًا من الناحية التكتونية في الكوكب، رغم أن أيًا منها لم تكن مُستقرّة بما يكفي. وقد يتسبّب الحمل الحراري الشديد أو قوى المد والجزر في حدوث جميع أنواع المُشكِلات المُتعلّقة بتكسير القشرة الأرضية... لا، توقّف.

توقّف عن القيام بذلك.

مَسَحَ جبينه، بينما اندلع فوران مُنصهرٍ آخر بالأسفل، ثم قال لها: «إن كوكبكم عاطفي إلى حد ما، ليس كذلك؟ لم أقابل كوكبًا يُمكنني أن أقول بصدق أنه يُعاني من نوبات غضب». بالكاد بدت وكأنها توليه أي اهتمام، وحدقت في القشارة المتساقطة. ناداها نوماذ: «ريبكي؟».

نظرت إليه، وقالت: «لقد.. لقد أطلقت النار عليه».

-«بحق العواصف.. هل هذه هي مرّتك الأولى؟».

أومأت برأسها قائلة: «لقد أطلقت النار من قبل، على أناس، لكنني لم أُصّب أحدهم من قبل». ارتعدت بشكل واضح قبل أن تُضيف: «أنا صيّادة، كل من يُمكنه إطلاق النار صيّاد؛ هذه هي الطريقة التي نجلب بها اللحم. لكن إطلاق النار على الأشخاص.. أعني، يقوم أتباع ملك الجمرات بذلك، لكن لطالما بدا ذلك.. مُريعًا».

يقول له الفارس: «وها أنت ذا، مُحقِّقٌ مرّةً أخرى، بشأن الصيادين، كيف تفعل ذلك؟»

-بأن قضيتُ عمرًا كاملًا من الانتباه.

قالت ريبكي: «لا أشعر بأنني مُختلفة، لكنني أشعر بأنني يجب أن أفعل. هل هذا منطقي؟».

هَزَّ نُوْمَادُ كَتْفِيهِ قَائِلًا: «مَرَّتِي الْأُولَى كُنْتُ أَسْتُخْدِمُ الرُّمْحَ، تَوَجَّجْتُ عَلَيَّ مُوَاصِلَةَ الْقِتَالِ، دُونَ أَنْ أَمْلِكَ الْوَقْتَ الْكَافِيَ لِلتَّوَقُّفِ عِنْدَمَا سَالَتْ دِمَاؤُهُ عَلَيَّ أَصَابِعِي». هَزَّ رَأْسَهُ، ثُمَّ أَضَافَ: «فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَأَثْنَاءَ تَنَاوُلِي لِلْحِصَاةِ، شَعَرْتُ وَكَأَنَّهُ يَوْمُ تَدْرِيْبِ سِرْيَالِي، وَبِالْكَادِ تَذَكَّرْتُ اللَّحْظَةَ نَفْسَهَا». أَوْمَأَتْ بِرَأْسِهَا.

يُلاحِظُ الْفَارِسُ أَنَّهَا تَشْعُرُ بِالْأَرْتِيَا حَ، رَغْمَ أَنَّ الْمُرَافِقَ لَمْ يَقُلْ أَيَّ شَيْءٍ مُفِيدٍ حَقًّا. شَرَحَ لَهُ بِاللُّغَةِ الْأَلَيْثِيَّةِ: «تُعَدُّ مَعْرِفَةُ أَنَّكَ لَسْتُ غَرِيبًا، أَمْرًا مُفِيدًا. وَمَعْرِفَةُ أَنَّ الْآخَرِينَ قَدْ شَعَرُوا بِمَا تَشْعُرُ، فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ يَكُونُ هَذَا هُوَ الشَّيْءُ الْوَحِيدَ الْمُفِيدَ». سَأَلَتْهُ رِيْبِيكِي: «لِمَاذَا تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ لِمَاذَا تَنْطِقُ بِالْهَرَاءِ أَحْيَانًا؟». قَالَ: «إِنَّهَا لُغَتِي الْأُمُّ يَا رِيْبِيكِي، فَفِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ يَنْطِقُ النَّاسُ بِكُلِّ أَنْوَاعِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُكَ التَّعَرُّفُ عَلَيْهَا».

-«لَكِنْ لِمَاذَا تَنْطِقُ بِهَا الْآنَ؟ فِي ظِلِّ عَدَمِ وَجُودِ أَحَدٍ يَفْهَمُهَا؟». قَالَ، مُخْتَارًا كَذِبَةً اعْتَقَدَ أَنَّهَا قَدْ تَرُوقُ لَهَا: «إِنِّي أُصِلِّي، لِأَحَدِ الْأَلِهَةِ الْقَدِيمَةِ فِي عَالَمِي». يَقُولُ الْفَارِسُ: أَرْجُوكِ، لَا، أَنَا لَسْتُ إِلَهًا، أَنَا أَكْتُدُّ مِنْ أَجْلِ لُقْمَةِ عَيْشِي. تَأَكَّدُ نُوْمَادُ مِنْ أَنَّ دَرَّاجَتَهُ لَا تَزَالُ تَمْتَلِكُ بَعْضَ الْوَقْتِ الْكَافِيَ لِلطَّيْرَانِ، ثُمَّ أَوْمَأَ بِرَأْسِهِ نَحْوَ مَوْجِعِ التَّصَادُمِ: «هَيَا، تَعَالِي لِنَطْمِئِنَّ عَلَيْهِ».

سَأَلَتْهُ رِيْبِيكِي: «لِمَاذَا؟ لَقَدْ مَاتَ». قَالَ: «الْدَّرْسُ الْأَوَّلُ حَوْلَ كَوْنِكَ قَاتِلَةً يَا رِيْبِيكِي، تَأَكَّدِي مِنَ الْأَمْرِ دَائِمًا».

تحاشّت ريبكي النظر إلى الجُمَّة بوضوح، فكَّر نوماد في إجبارها على مواجهته، فلا فائدة تُجدي من محاولتها للتظاهر بأنها لم تُطلق النار على واحدٍ من بني جنسها. إذا أرادت حقًا أن تحمي قومها، فلن يكون هذا آخر من ستضطر لقتلهم.

لكنه لم يُزعج نفسه بذلك، فليست وظيفته أن يُدرِّبها، وبدلًا من ذلك تفحص الجُمَّة سريعًا.. وعندما وَجَد صورةً مُحَبَّاةً، من الواضح أن طفلًا هو من رَسَمها، أعادها إلى جيبه مرَّةً أخرى، دون أن ينبس ببنت شفة عنها لريبكي.

ركعت بجوار حُطام حوامة الكشَّاف، وقالت: «سُنقِذ هذا الحُطام». ثم سارت إلى درَّاجتها، ورفعت المقعد، وأخرجت كابل القطر المُختبئ تحته، ثم استكملت حديثها قائلة: «حتى ولو لم يكن هناك أمل في تصليحه، يظل إنقاذ هذا الحُطام أسهل من استخراج المعادن من حقول الحديد». سألتها نوماد وهو يُقرِفص: «حقول الحديد؟».

قالت وهي تعود: «الأماكن التي يكسو فيها المعدن المنصهر السطح في كُل دورة، على بُعد ممر واحد شِمالًا. تتسلَّل إلى هناك في جُح الظلام، ونستخرج بعضًا منه قبل وصول قوَّات ملك الجمرات». سألتها عابِسًا: «وكيف تستخدمونه؟ هل تمتلكون مصانع كاملة على متن مركباتكم؟».

أمالت رأسها جانبًا، ثم سألته: «مصانع؟ من الواضح أننا نستخدم الكورس، حيث تصنع لنا الأرواح -مثل تلك التي تتبعك- كُل الأشياء التي نحتاجها».

رتل الفارِس قائلاً: حسنًا، يبدو هذا مُثيرًا للاهتمام.

تمتم باللُغة الأليثية: «توقَّف عن محاولة الإيقاع بي». ثم انتقل للتحدُّث بلُغتها قائلاً: «أرسلني شخصًا آخر لإنقاذ هذا الحُطام يا ريبكي. ما ذلك الضوء الذي يومض على لوحة تحكُّم الدَرَاجة؟».

أطلقت سُبَّة بصوتٍ خافت، ثم خفضت حبل القطر الخاص بها. وركعت مرَّةً أخرى، لتضغَط على شاشةٍ صغيرة باللونين الأخضر والأسود، ورغم أنها مُتصدِّعة، كانت لا تزال تومض. سألتها نوماد: «ما هذا؟».

قالت: «يُفيد هذا بقدم إشارة لا سِلكية، لقد انكسرت السِّماعة، لذا لا يُمكننا سماع ما يقولونه، لكن...». قال نوماد: «لكن أحدهم كان يتحدَّث إلى ذلك الرُّجل قبل أن يسقط، مما يعني أننا خرجنا من نطاق أجهزة التشويش على الإشارة الخاصَّة بكم قبل أن يموت. اللعنة.. رُبما قدَّم تقريره عبر اللا سِلكي بمُجرد أن وافته الفرصة».

قالت ريبكي: «هذا ما كُنْتُ لأفعله».

- «هذا يعني أنهم على دراية بسقوطه، وأن شيئاً ما أو شخصاً ما قد قتله».

- «ماذا لو أرسلوا المزيد من القوّات؟ ماذا لو أرسلوا المُفحّمين؟ ماذا لو أحضروا المدينة بأكملها؟»
وقَفَ نوماد، نافِضاً الغبار عن يديه، ثم قال: «من المؤكّد أنك تعرفين إجابات تلك الأسئلة الآن». بدأ يتحرّك نحو درّاجته، وأمامه، هدأت وطأة العرض المُبهر للأرض المنصهرة، تاركاً الحقل مليئاً بالثقوب وأكوام صخور الحُمم السوداء.

نادته من خلفه: «أنا لا أريد ذلك يا نوماد. لا أريد أن أصبح قاتلة، أن أصبح.. مثلك».

نظَر إلى الخلف، وتراقص رد عفوي على طرف لسانه.

قال المُساعد ليذكّره: «إنها تتألّم يا نوماد، رفقاً».

تردّد عندما رأى ريبكي تُمسك بكابل القطر الذي جلبته، وهي تنظر إلى أي شيء عدا الجُثة، بعينين سكتتها الكآبة. لقد لاحظ ذلك بالطبع. سجد الإشراق مُحزناً قبل أن يتمكن المُساعد من قراءة مشاعر الإنسان بشكل أفضل منه، أو يتعاطف على أي حال.. حسناً، يجب أن يشعر بالخجل لأن المخلوق غير الإنساني والميت في آن واحد قد أبلى خيراً منه في ذلك.

استبدل برده آخر أخف وطأة، وقال: «أعرف، لا تنسي ذلك، فقد يُساعدك».

أومأت برأسها. منحها دقيقة، متوجّهاً نحو درّاجته الهوائية ليتحدّث إلى كونتمبليشن عبر اللا سلكي. رُبما يتعيّن عليه أن يتحدّث مع المُسنّات الثلاث المدعوات بالخير الأعظم في نفس الوقت، لكن قواعدهن لا تهمة، كما أنه يُفضّل كونتمبليشن أكثر. فقد فهمته جيّداً، قال: «مرحباً، لقد أسقطنا الكشّاف، لكن يبدو أنه قدّم تقاريره للوطن أولاً، وقد يكون هناك رفقة قادمة في الطريق إليكم، كيف تجري أمور التقصي؟».

قالت كونتمبليشن: «بمُنتهى السوء، لا يبدو أن هناك أي شيء، رغم أننا في المكان الصحيح».

سألها بفضول: «كيف يُمكنكم معرفة ذلك؟».

قالت: «عن طريق الملاحظة السماوية، يُمكننا معرفة ذلك من الحلقات والنجوم. هذه الأشياء المتوهّجة».

قال: «أعرف ماهية النجوم، شكراً لك».

- «أتأكّد فحسب. حسناً، يُمكنها أن تُرشدنا بدقة مقبولة إلى مكان وجودنا على متن هذا الكوكب. من السهل تحديد الممر الذي نحن فيه، لكن من الصعب تحديد خط الطول. فنحن بحاجة إلى...».

قال: «ساعات دقيقة، أجل، أنا على دراية بذلك أيضاً».

- «إن مقدار ما تعرّفه عن عالم السطح بالنسبة لشخصٍ عاش حياته تحته لأمر غريب».

قال: «استمرّي في طرح مثل تلك الأسئلة على نفسك يا كونتمبليشن، ورُبما ستدركين في النهاية مدى خطأ الافتراضات التي افترضتها بشأني. على أي حال، لم يعد لدينا الكثير من الوقت».

قالت: «نحن نُكرّر البحث، رُبما يكون المدخل قد دُفِن بعمق هذه المرّة، مما يجعل قراءتنا صعبة. ورغم ذلك، كُنّا لنجدّه. فهذا هو خط الطول الذي يقف فيه ملك الجمرات في كل مرّة ليختبر مفتاحه. لقد رأى

العديد من أفراد قومنا المدخّل يا نوماد، إنه حقيقي. ومع ذلك، لا تستطيع مُنقبَاتنا العثور عليه». - «حسنًا، ماذا تُريدين منّا أن نفعل؟».

سألته كونتمبليشن: «هل تتلقى أوامرك منّا الآن؟».

- «يتوقّف هذا على مدى غياب تلك الأوامر».

أصدّرت صوتًا ساخرًا، قبل أن تقول: «اقبل مني هذا التوجيه، إذا كان هذا يُرضيك.. ابق مكانك لبعض الوقت، ولنرى إذا ما تمكّنت من رصد أي شخص قد يأتي للتحقّق من الكشّاف، فمن المُحتمل أن يُرسلوا مجموعةً صغيرةً للتحقّق من أمره».

قال نوماد: «إذا كانت هذه هي المنطقة التي تحتوي على الباب بين جنباتها، فربما يكون ملك الرماد قد تخمّن ما نفعله هنا، وربما أدرك أنكم قد بدّلتُم المفتاح».

- «لو تخلى عنّا الحظ الجيّد بهذا الشكل، فتوقّع حضور قوّة عسكرية كاملة. يُرجى تحذيرنا إذا حدّث ذلك من فضلك».

اقترح جيّد بما فيه الكفاية، قال: «هكذا سنفعل».

- «يسعدني أنك وجدت توجيهي مقبولًا، هل يمتلك الكشّاف قلب شمس في مركّبه؟».

نظّر نوماد إلى ريبكي، التي كانت تتحقّق من ذلك بنفسها بالفعل. وعندما سُئل، نظّرت إليه، وهزّت رأسها نفيًا.

قال لكونتمبليشن: «يبدو أنها كانت تعمل بالبطارية».

تمت: «بحق الظلال، لكان بإمكاننا الاستفادة من ذلك».

- «هل بدأت طاقة مركّباتكم تنفذ؟».

أجابته قائلة: «لقد قرّرنا ألا نصنّع أي قلوب شمس جديدة، رغم أن طاقتنا مُنخفضة، وبدلًا من ذلك، اتخذنا قرارنا بتجربة خطة إيجي بالدخول إلى الملجأ، فقد أدّت إخفاقاتنا حتى الآن إلى استنزاف مواردنا. حيثُ إنها تأتي بتكلفةٍ رهيبه، لأنها تتطلّب...».

- «أعرِف ذلك».

قالت: «لقد كُنْتُ التالية، وكذلك شقيقتي في الخير الأعظم. وتوجّب على ثلاثة آخرين أن يحلوا محلّنا.

يُثقلني.. شعوري بالذنب، لأنني لم أمت عندما حان ميعادي. ومع ذلك، يحتاج قومنا للقيادة في الوقت الحالي. وهكذا لسوء الحظ، إذا لم نجد المدخّل.. فلن نمتلك الآن ما يكفي من الطاقة للقيام بدورةٍ أخرى».

اللعنة. قال: «ستجدون هذا المدخّل إذن». ثم أوما برأسه لريبكي وهي تضع كابل القطر بعيدًا، وتصعد إلى متن درّاجتها.

تركا الحطام وانطلقا مُبتعدين، ثم اختبأ من فورهما خلف دعامةٍ طبيعيّة عند حافة الحفرة. وبعيدًا.. على يسار نوماد، توهّجت الشمس مع وهج ما قبل الفجر، بخفوتٍ.. حتى إن هذا ما لا يُمكن أن يُطلق عليه

لقب الشفق على متن كوكبٍ آخر. لكن شروق الشمس لم يكن مُميّتا على الكواكب الأخرى، ولم يبدُ الشفق بمثل السوء الذي يبدو عليه ها هنا.

أوقفا تشغيل درّاجتيهما للحفاظ على طاقة البطّاريات واستمرّاً في المراقبة.. مُتجاهلين ذلك الضوء الذي يلوح في الأفق عن يسارهما. كانت الصخور هنا داكنة وشبيهة بالزجاج، رُبما هي أحجار السَّبَج. لقد ذكّرتَه بمكانٍ آخر، عالم آخر ارتحل إليه يوماً. المكان الذي التقى فيه بالمساعد.

استخرجت ريبكي حُبْزاً ونقانق، وقطّعتهم لتصنع شطيرة، مُستخدمة مادة دُهنيّة تُشبه الزيت المُختلط بالأعشاب. دون زبد، وهو ما افتَرَضَ أنه أمر منطقي. لم يكن يعرف ما الذي يصطادونه من أجل الحصول على اللحم، لكن هذه المركّبات الطائِرة لا تتسع لرعي الماشية.

منحته ريبكي بعض الطعام، الذي قبّله عن طيب خاطر، قبل أن تسأله: «إن كونتمبليشن مُحطّطة بشأنك، أليس كذلك؟ تعتقد أنك من مكانٍ غريبٍ تحت الأرض، لكنني أعتقد أنك من مكانٍ طبيعيٍّ أكثر».

سألها: «وأين سيكون ذلك؟».

أشارت بذقنها للأعلى، نحو النجوم.

-«عالم آخر طبيعي أكثر؟»-

أجابته وهي تتناول لُقِيّات من طعامها: «لقد أتينا من عالم آخر». إنه لأمر غريب أنهم يأكلون بقفّازاتهم، تابعت حديثها قائلة: «مطاردين من قوى قديمة تُدعى قوى الشر».

قال: «لا يزالون هنا، في عالمك الأصلي، لقد رأيتهم بأَم عيني. حسناً، رأيت مظاهر على وجودهم». فقد دبّت الحياة في وحدات الادّخار البريّة غير المُقيّدة بإرادتها الغربية.. لتُشكّل أشكالا بحجم الجبال بملامح ضعيفة ودوافع غير معروفة. لم يكن ثرينودي مكاناً قد يزوره المرء للاسترخاء.

أخيراً أخذها هذا التعبير على حين غرّة، فكادت تُسقط شطيرتها عندما نطق بهذه الكلمات.

تابعت حديثها قائلة: «الغريب، أن الكورس -الذين يحملون تاريخنا- لا يتحدثون عن رحيلنا بسبب قوى الشر. لا، يقولون إنه كان نزاعاً. قتالاً نشأ بين أبناء شعبنا، أدى للصراع والكراهية. وأراد أسلافي الفرار منه، لأنه كان أكثر ضرراً من قوى الشر نفسها. الفتنه هي ما دمّر شعبنا».

صمتت قليلاً قبل أن تُضيف: «زادت المُشاحنات بين الناس، أثناء هروبنا من الشر. استمع أفراد مجموعتي.. لعظة رجل؛ خادم أدونالسيوم ومُرشدنا الأصلي. وغادرنا معه إلى أرضٍ جديدة، ووقع اختيارنا على هذه الأرض».

همهم نوماد وهو يُجرب شطيرته الخاصّة، التي أثبتت أنها عديمة الطعم بشدّة، ووَجَد نفسه يتوق بشدّة لبعض الشطّة المطحونة. لقد احتوت نصف الكواكب التي زارها على أنظمة غذائية عديمة الطعم تماماً ككوب ماء. تبا، فحتى الحُبْز في وطنه يحتوي على توابل أكثر من هذه النقانق.

ومع ذلك، لقد كانت طعامًا، ولذلك أجبر نفسه على تناوله. يُمكن لوحداث الأدخار أن تدعمه، لكن في ظل وجود ما يُقارب العشرة بالمئة من سعة القفز، فإنه يُفضّل عدم إهدارها على عملية التمثيل الغذائي فحسب.

قالت ريبكي وهي لا تزال تُحدّق في الأفق: «كان يُفترض بنا أن ننال حُرّيّتنا هنا، من بعضنا البعض. كثيرًا ما تساءلت عمّا إذا كان مُرشدنا الأول قد قادنا إلى هنا خصيصًا لنستمرّ بالفرار، ليمنحنا شيئًا يجب التركيز عليه. شمس مُدْمرة، كقوى الشر نفسها، تلاحقنا طوال الوقت. وحتى الآن، منعنا ذلك من الانقلاب على بعضنا البعض».

-«هل قضيتُم كل هذا الوقت دون أي عنف؟».

قالت: «لم يفارقنا العُنف، فلدينا مُشاحنات، وجرائم عاطفيّة. لكن ليس لدينا أي قتلة حقيقيين، ولا مُدْرَبين. وهذا من استحداث ملك الجمرات».

يقول الفارِس: هذا مُذهِل، لا يُمكنني أن أُقرّر ما إذا كانوا ساذجين أو مُشيرين للإعجاب. همّس باللُغة الأليثيّة: «إن القتل ليس من فطرة البشر يا أوكس، يجب أن يتدرّب المرء للقيام على ذلك. إذا أراد أن يكون فعالًا على أي حال».

مما سمّعه، فقد كان هناك ما يصل إلى خمسين مجموعة على متن هذا الكوكب، تنطلق بالتوازي مع بعضها البعض في هذه «الممرّات». كان عددهم كافيًا لتعزيز التبادل ومنع زواج الأقارب، لكن وضعهم رزح أيضًا تحت وطأة حُكم طاغية، كما أنه شحيح الموارد، بالإضافة لأن العديد من المجموعات السكنيّة الصغيرة لم تعتد على العمل سويًا.

وفي ضوء ذلك، كان من اللافت للنظر أن ظهور ملك الجمرات قد استغرق وقتًا طويلًا. لم يكن نوماد عالمًا إثنوجرافيًا⁽¹⁵⁾ بقدر ما دفعه مُعلّمه، إلا أنه لطالما شَغف بالهندسة، وطبيعة وحدات الأدخار، والآليات التي يُمكن للمرء إنشاؤها عبر التلاعب بها. ومع ذلك، فقد تلقى تدريبه مع وت حول طبيعة القصص والأشخاص الذين يروونها. ولذا أدرك أن قصص هؤلاء القوم لا بُد أن تكون رائعة بما يكفي حتى إن جزءًا منه تمنى أن يبقى ليتعلّمها.

لكن المُطاردة، والتعقّب، التي لاحت في الأفق، نَحّت كل الأفكار الأخرى جانبًا، كمُفترسٍ يمتاح قطيعًا ساداه الهدوء يومًا.

لم يُطق الانتظار، عليه أن يرحل.

وهكذا، راقب باهتمام، بدلًا من طلب المزيد من المعلومات. ومن الجيّد أنه فعَل ذلك، لأنه سرعان ما رأى مركبة مُقبلة لتفقد الكشّاف الساقط أرضًا. مركبة واحدة، أكبر حجمًا من مُعظم المركبات الأخرى.. رُبا بحجم حافلة صغيرة. توهّجت جوانبها المُزخرفة باللون الذهبي في ضوء الحلقات.

شهقت ريبكي وأشارت إليها قائلة: «إنها.. إنها مركبة ملك الجمرات شخصيًا!».

15 إثنوجرافي: يُعرّف بوصف الأعراق البشرية، وهي دراسة منهجية للناس والثقافات، صُمِّمت لاستكشاف الظواهر الثقافية. (المترجم).

- مَرَكَبَةٌ مَلِكِ الْجَمْرَاتِ شَخْصِيًّا؟! -

- بنفسه!

- اللعنة. ماذا يحدث؟

سألته ريبكي، وارتباكها يعكس حيرة نوماد: «لماذا أتى بنفسه؟ هذا غير منطقي». ازداد عبوسه عندما رأى الرجل بنفسه يتمشّي على سطح المَرَكَبَةِ، ويدها مشبوكتان خلف ظهره، وهو يُطالِعُ الأفقَ بعينين ناريتين. توقّفت المَرَكَبَةُ في السماء، وحامت بالأعلى، ومَلِكُ الجمرات يقف في مُقَدِّمَتِهَا. لقد كانت تلك دعوة صريحة بشكلٍ لا يحول أي شك.

قال نوماد: «إنه هنا من أجلي».

- «ماذا؟ كيف تمكّن من معرفة أنك هنا؟».

أجابها نوماد قائلاً: «هذا يعتمد على مقدار ما تمكّن الكشّاف من تقديمه في تقريره».

يقول الفارس بهيعة: فيم تُفكّر يا نوماد؟

- «هيعة (16)؟ هل هذه كلمة أصلاً؟».

- ليست كلمة مناسبة. عجباً، ستقوم بشيء غبي، أليس كذلك؟

قال: «لا يُمكنني التوقّف عن الحركة، سأموت إذا توقّفت». ثم عاد للتحدّث باللُغة المحليّة قائلاً: «سأخرج يا ريبكي. تظاهري بأنك لست هنا، لكن لو تعقّدت الأمور، حاولي دعمي».

قالت الشابّة: «كيف أعرف إذا ما تعقّدت الأمور؟».

أجابها: «على الأرجح عندما سأخرج مُهشّماً إحدى تلك النوافذ. لو كنت محظوظاً، سأفعل ذلك بإرادتي الحرّة». أخذ نفساً عميقاً، ثم أخرج درّاجته من خلف التواء الصخري، مُعيداً تشغيل مُحركه، قبل أن ينطلق هادراً نحو السماء.

حلّقت مَرَكَبَةٌ مَلِكِ الجمرات الفاخرة على أعلى ارتفاع يُمكن للدّراجة أن ترتفع إليه. ارتجفت درّاجة نوماد أثناء صعودها لمُقدّمة المَرَكَبَةِ، ولاحظ مرّة أخرى أن أذنيه فرقتا بسبب تغيّر الضغط بسرّعة أثناء صعوده إلى هذا الارتفاع. ارتدى ملك الجمرات قميصاً عالي الياقة تحت معطفٍ طويلٍ زيتته أشرطة من الضوء المتوهّج بخفوت، وحذاء لامعاً للغاية، وقفّازات جلدية سوداء. ابتسم، وانعكس ضوء الجمرّة التي تُزِين صدره على عينيه.

استدار، متوجِّهًا نحو نقطة الرسو على جانب سطح المركبة، التي كانت على شكل قارب بحري، مع أسطح ضيقة تتسع كلما اقتربت من المقدمة، ومقصورة رئيسية، ووحدة تخزين داخل الهيكل. لم يرَ نوماً الكثير من الخشب منذ أن جاء إلى هنا، لكن تلك المركبة زُيّنت بالكثير منه.. مع زخرفة ذهبية لا بُد أنها ستتوهج بشدة في ظروف أشدّ إشراقاً. كانت نقطة الرسو عبارة عن مُستطيلٍ مقطوعٍ من سطح المركبة، يُمكن لأي مركبة صغيرة أن تدخله.

توقّف نوماً بحرصٍ في مكانه.. لكنه لم يرُسُ بشكل كامل، بل ترك الدراجة تحوم بقوة دفعها ووطأ سطح المركبة. ومن المقصورة، اقترب زوج من المتفحّمين - كان من المستحيل عدم رؤية جمرتيهما في قلب الظلال - قبل أن يُشير لهما ملكهما بالعودة، ومدّ يده الأخرى، مُرحّباً بنوماً.



يُعلّق الفارِس قائلاً: لقد حسبنا في المرّة الأخيرة، وحاوَل وسمنا. لماذا يُغيّر سلوكه الآن؟

لوح ملك الجمرات لخدام يرتدي سُترة بيضاء، ووقّف حاملاً.. قطعاً كبيرة من الورق!

أجل، ورقٌ مقوى -تقريباً من الكرتون- عليه صور و...

رَفَع الرَّجُل أولى الأوراق، التي احتوت على صورةٍ لنوماد وملك الجمرات يتصافحان، فقال نوماد: «حسناً، لستُ بحاجةٍ لتلك الأشياء، لقد اكتشفتُ لغتكم».

قال ملك الجمرات: «لقد.. اكتشفتها؟». بحق العواصِف، إن تلك العينين مُثيرتان للأعصاب، وتُدكران نوماد بأناسٍ وثق بهم، بل وأحبّهم ذات يوم، تابع سؤاله: «في أقل من يوم؟».

أجابه نوماد: «أنا سريع التعلّم، كيف عَرَفْتَ أنني سأكون هنا؟».

قال ملك الجمرات مُبتسماً: «أرجوك، هناك من أسقطَ أحد أفضل الكشّافين لديّ؟ هذا واضح. هلّا تفضّلتَ معي إلى الداخل لو تكرّمت؟ وأعدك أن الأمر لا ينطوي على أي خُدع».

قال نوماد بفضول: «نذر؟ بمثل هذا اليُسْر؟ أخبرني بباهية الموضوع، ودعني أقرّر ما سأفعل».

-«لقد كان لقاءنا الأول مؤسّفاً».

علّق البطل، إذا صِغنا الأمر بصيغةٍ مُلطفة.

تابع ملك الجمرات حديثه قائلاً: «لكنني أدركتُ خطئي. كان ليُسعدني أن تُصبح أحد أفراد طاقمي من المُتفحّمين، لكن هناك طريقة أخرى لخدمتي. أرغب في توظيفك».

قال نوماد بشكل قاطع: «توظيفي!».

أجابه ملك الجمرات وهو يمشي بخفّةٍ نحو المقصورة: «أجل».

-«هكذا يفعلون على كوكبك، أليس كذلك؟ ذلك المكان الذي أتيتَ منه، ذي العواصِف والأحجار؟ يوظّفون الرجال كجنود؟».

هل يعرف؟

كيف عَرَف؟

وللمرّة الأولى، وَجَد نوماد نفسه حقاً مفتوناً بهذا الرَّجُل، وَوَجَد نفسه يتبع ملك الجمرات إلى المقصورة. وخلف الباب الأمامي، قبعَت أدوات تحكُّم الطيّار، واستقرّت مجموعة صغيرة من الشاشات فوق مكتب، يكشفُ كل منها عن مشهدٍ مُرتجِفٍ لمركبة ملك الجمرات من زاويةٍ مُختلفة. كاد نوماد أن ينسى أمر الكاميرا الأمنية التي رآها وهو مُقيّد في الحلبّة، ولكن هاك دليلاً على سيطرة ملك الجمرات المُحكّمة على شعبه. أظهرت إحدى الصور الدوّارة الأرض تحت المركبة، وكُبِّرَت الصورة للغاية حتى تمكّن نوماد من رؤية حطام حوامة الكشّاف. تمنى ألا يتمكّنوا من رصد ربيبيكي من هنا، وأجبر نفسه على الإشاحة بنظره بعيداً قبل أن يلاحظ أحدهم المكان الذي يُطالعه.

احتلتْ عُرفة تُزِينُهَا أخشاب جميلة، وبار، والعديد من المقاعد الفخمة أغلبية المساحة. صَرَفَ ملك الجمرات مجموعة من المتفحّمين الذين تواجدوا داخلِ العُرفة، سار نحو البار وصبَّ لنفسه كأسًا، ثم رَفَعَهُ مُتَسَائِلًا: «هل ترغب في كأس؟». رَشَفَ رشفةً لِيُثَبِّتَ له أنه ليس مسمومًا، رغم أن جسد نوما كان مُدَّخِرًا بها يكفي للتعامل مع أي سُم عادي.

تناوَل الكأس، وابتسم بسبب القواعد التي اعتاد أن يتبعها، ثم تجرَّعه على مرّةٍ واحدة. كان مشروبًا جيّدًا، ولم يتوقَّع ذلك من كوكبٍ يمتلئ بالأنواع المُتديّنة، ولكن من جهةٍ أخرى، فمن يُصنِّع أفضل مشروب «مون شاين»⁽¹⁷⁾ على كوكبه، هم مجموعة من المتعصّبين دينيًا. فمن هو إذن ليُطَلِّق الأحكام؟

قال ملك الجمرات وهو يحتسي شرابه: «كان أول غريب قتلته ضعيفًا. سمينًا، وذا حواجب طويلة وغريبة. حاول أن يتحدّث باستخدام جهازٍ ما يحوّل كلماته إلى لغتنا. لم أعرف نوعه، وبدالي أنه من الأفضل القضاء عليه، لأنني اعتقدت أنه قد يكون شيطانًا من نوع ما». أخرج شيئًا من خزانة الكتب الموجودة بجوار البار وأمسك به وهو يُضيف: «لقد وجدت تلك الكتب بين أغراضه».

كان أحد كُتبيات «سيلفرايت» الإرشادية تلك، نسخة قديمة.. من النوع الذي كتبه في الأصل أشخاص يزورون مُختلف الكواكب في رحلاتٍ استكشافيةٍ صعبة ومُرهِقة. قبل أن يُصيح ذلك أسهل مع ظهور السفر في الفضاء، وشعر نوما أن شيئًا ما قد ضاع مع السهولة التي يتنقل بها الناس الآن من عالم إلى آخر.

كان هذا المُجلّد القديم عبارة عن كتابٍ مُجمِّع، يتحدّث عن العديد من الكواكب المُختلفة، فيه القليل عن كل كوكب. هذا مُثير للفضول، إنه مكتوب بلُغة الثايلين⁽¹⁸⁾، مما يُشير -كما أشار حاجبا حامل الكتب- إلى أن مالِكها السابق جاء من كوكب نوما الأم.

تابع ملك الجمرات حديثه قائلاً: «ساعدني جهاز الترجمة في قراءة هذا الكتاب. تعطلّ المترجم في النهاية، لكنني كُنْتُ حكيماً بما يكفي لطلب ترجمة مكتوبة بحلول ذلك الوقت. يتحدّث الكتاب عن جميع أنواع الشعوب من جميع أنواع الأماكن بين النجوم. وأعتقد أن هذا القسم من الكتاب يتحدّث عنكم، أليس كذلك؟ الروشاريون. أشخاص طويلو القامة يتمتّعون بسماةٍ مُعيّنة، كما يبدو في هذا الرسم التوضيحي. ميّالون للعُنف، وعدوانيون للغاية، وخطيرون».

قال نوما: «هذا تعميم».

-«ماذا عن حالتك؟»-

قال نوما: «هذا صحيح بما يكفي، أنا مُندهش لأنك دعوتني للدخول. فالأماكن الضيقة تجعلني أشعرُ بمرتبتي الكبيرة».

اتّسعت ابتسامة ملك الجمرات على أثر جملته، فقال: «أنت قاتل. أخبرني، تمتلكونهم في عالمك، صحيح؟ الملوك، أمراء الحرب، الأباطرة؟».

قال نوما: «لدينا الكثير، ماذا في ذلك؟».

أغلق ملك الجمرات الكتاب، وأراح أصابعه عليه، قبل أن يقول: «لطالما شعرتُ دومًا بأن هناك المزيد من الأمور التي يتعين عليّ القيام بها، وأن مصيرًا عظيمًا ينتظرني. فبالأكيد لم يُقدَّر لي أن أعيش حياتي في دورانٍ لا نهائيٍّ هاربًا من النور. لقد كنتُ مُهمًّا. لقد تعلَّمتُ ما يتوجَّب عليّ فعله أيها الغريب». نَظَرَ إلى نوماد، وعيناه تلتَمعان بإشراقٍ مُضيفًا: «لقد قُدِّر لي أن أوحد كلَّ أفراد شعبي».

حسنًا، لقد سمع نوماد هذا في مكانٍ ما من قبل. ابتسم، ثم بدأ يضحك. جُزئيًّا، لأنه عَرَف أن ملك الجمرات سيكره هذا الصوت. لكن بشكلٍ أساسيٍّ لأنه -حتى هنا- طارده الأمر. ففي مُقتبل حياته، مرَّ بأيدي ملكية، وانتقل من طاغيةٍ إلى الآخر مثلما تنتقل النقود بين الجيوب. حتى هبطت به العبودية إلى مستوى مُتدنٍ، قبل أن تقوده المودة الصادقة أخيرًا للتخليق عاليًا في السماوات.

لكن بحق العواصف. حتى هنا، على بُعد الكثير من العوالم، طارده الأمر، في مُطاردةٍ من نوعٍ مُختلفٍ تمامًا عن مُطاردة سرِّيَّة الليل.

اكفهر وجه ملك الجمرات.

قال نوماد: «أسف، إنه مُجرَّد تقدير لسخرية الموقف فحسب. استمر في صراخك المشوب بجنون العظمة من فضلك».

سار الملك إلى إحدى خزاناته، وأخرج منها قلب شمس صغيرٍ للغاية، وبالكاد يتوهج. وسأله: «هل تعرف ماهية هذا الشيء؟ هذا كلُّ ما تبقى من قريبك، ذلك الذي زار كوكبنا، والذي قتلته. يتحوَّل قومك لقلوب شمس رديئةٍ أيها الغريب».

قال: «أنا مُندهش لأنك حصلتَ على أي شيء أصلاً، فالرجل الذي قتلته كان يحتضر على الأرجح، كما أنه لم يكن قريبِي، بل جاء من بلدٍ مُختلفٍ تمامًا».

-«لا ينبغي لكوكبك أن يحتوي على بلدانٍ مُختلفة، توجَّب عليكم أن تغزوها وتوحدوها جميعًا».

أجابه نوماد: «لا يُزيل الغزو البلدان، بل يُزيل الحدود على الخريطة فحسب. بينما تتطلب الوحدة شيئًا مُختلفًا».

زجر ملك الجمرات بصوتٍ خافتٍ، وهو يُحتضن قلب الشمس الصغير بيديه، ثم قال: «لقد اعتقدتُ -كما قرأتُ- أنك ستُقدِّر ما أبنيه هنا. اعتقدتُ أنك قد تجد هنا ما يُذكرك بطعم الوطن».

قال نوماد: «طعم خاطئ، حاول استخدام الكاري المطحون في المرَّة القادمة. فنكهته أفضل من نكهة الطغيان، كما أنه جوزي النكهة بشكلٍ أقل».

أنهى ملك الجمرات شرابه، ثم أعاد قلب الشمس إلى مكانه. دار في الغرفة كمنمٍ جريح، وعندما وصل خلف أحد المُتفحِّمين.. أمسكه من عنقه. وبدأ يعتصره، لم يُقاتله الرجل المسكين، بل حتى إنه بالكاد أبدى قدرًا من المقاومة.

استمرَّ في اعتصار عُنق الرُّجُل وهو يقول: «أنا أقوى رُجُل في كانتيكُل أيها الغريب، هل ترى كيف يعجزون عن الاحتجاج أو المقاومة؟ كيف يخدمونني بغض النظر عن الطريقة التي أعاملهم بها؟ إنني أتمتع بسلطةٍ مطلقةٍ». ابتسم، ثم أضاف: «ذات مرة، قبل أن أصل إلى قدري، كنتُ الرُّجُل الذي يقود السُّجناء إلى مصائرهم. وهناك، أدركتُ أن القوَّة الحقيقيَّة ليست في القُدرة على القتل، بل في القُدرة على السيطرة على القتلة».

يُعلِّق الفارس بسُخرية: حسنًا، إنها طريقة تفكير طبيعيَّة ومعقولة تمامًا. أنا متأكد من أنه الرُّجُل الأكثر تكئيًا على متن الكوكب، صحيح؟

لم يقل نوماد شيئًا، بل تمنى لو أن ذلك النوع من المشاعر كان أكثر ندرة. فقد رآه في الحُرَّاس، والمراقبين، والجنود. رآه في أعين كل من أثاره وجود آخرين تحت إمرته. وكلما ازدادت قوَّة الشخص الذي يُمكنهم التحكم به، وجدوا الأمر مُثيرًا للنشوة.

قد لا يكون هذا الرُّجُل عبقريةً أو ذكاءً، رغم أنه يعتقد أنه يتمتع بالصفتين. الحقيقة هي؛ لم يكن هذا الرُّجُل بحاجةٍ إلى أيٍّ منهما ليكون خطيرًا. لأنه كان يتمتع بالقوَّة، ويُمكن للقوَّة - بين يدي أحق - أن تسحق أي شخص، سواء كان ذكيًا أو لا، ودائمًا ما تنجذب هذه الأنواع إلى السُّلطة. اضطرَّ نوماد لتعلم كيفية اكتشافهم، خلال الفترة التي قضاها في القيادة. لأنك إذا لم تفعل ذلك، ف.. حسنًا، هذا ما يحدث. يتضحون، كجحور الفئران.

هذا هو أسوأ أنواع الفتوات. يشعر الكثير منهم بالخوف الشديد، ولهذا السبب يُهاجمون طوال الوقت، وأولئك هم الذين يُمكن مُساعدتهم في النهاية. أما هذا النوع من الرجال...

حسنًا، لقد كان هذا مُعيشًا نوعًا ما. لقد واجه الكثير من الأعداء الذين يحتفظون بصور أطفال في جيوبهم، وقتل الكثير من الأشخاص الذين لم يستحقوا الموت أبدًا. لكن هاك رُجُلًا يُمكن لنوماد أن يطعنه بمُدكي النيران، دون أن يشعر بالأسف سوى على المُدكي المسكين.

سأله ملك الجمرات: «ما مُرادك أيها الغريب؟». ثم ترك مُتفحِّمه، الذي خرَّ على رُكبتيه، وهو يلهث. من اللطيف معرفة أنه يُمكن خنقهم، فهذا لا يُجدي نفعًا مع جميع الكائنات المُدخِّرة.

قال نوماد، وهو يُصَّب لنفسه - دون أن يطلب الإذن - في تناول المزيد من الخمر: «أنا رُجُل بسيط، أفر. لا أريد سوى أن أبقى مُتقدمًا على الأشخاص الذين يُطارِدونني».

التفت ملك الجمرات إلى مُقدمة المقصورة، حيث سمح لهما مدخل محطة الطيار المفتوح برؤية الزُجاج الأمامي.. وما وراء ذلك، الأفق، حيث ازداد النور إشراقًا أكثر من أي وقت مضى.

قال ملك الجمرات: «مفهوم، يُمكنني حمايتك من هؤلاء الذين يُطارِدونك».

هذه المرَّة، كاد نوماد أن يخنق بمشروبه وهو يضحك، قبل أن يقول: «أجل، صحيح، بكل تأكيد.. حظًا سعيدًا في ذلك».

- «توقّف عن السُّخرية مني».

قال نوماد وهو يُلوّح بأصابعه، مُنهيًا مشروبه: «لا تقلق، مسموح لي بالسُّخرية من الملوك. لقد حصلتُ على تصريح من مُعلّمي في مكانٍ ما، يَمنحني الحق في ذلك». هزَّ رأسه. اللعنة، إنه شراب قوي. كاد يشعر بشيءٍ منه -تأثير خفيف للغاية- واستغرقه الأمر الكثير ليخترق حماية جسده.

دخَلَ أحد المسؤولين، وهمسَ بشيءٍ ما لملك الجمرات، فرفع من معنوياته قليلًا. وبعد لحظة، دخَلَ اثنان آخران من سطح المركبة، وهما يُجرّان ريببكي. التي انفكَّ شعرها مُتحرّراً من سطوة جدائلها، وكُمّم فمها، وامتلات عينها بالوحشية وهي تقاومها.

ضربَ نوماد كأسه الصغيرة على طاولة البار.

اتسعت ابتسامة ملك الجمرات، وقد أساء تفسير الحركة، أكثر وأكثر. ثم أخرج مُسدّساً من حافظة استرخت على فخذه، وصوبه إلى الشابة.

يقول الفارس: لقد اعتقدتُ أنه قد يكون ذكياً بالفعل حتى هذه اللحظة.

سأل ملك الجمرات نوماد: «تعاطف؟ من رجلٍ مثلك؟ لقد توقّعتُ المزيد من رجلٍ من عالمك. بعد كلِّ دراساتي، توقّعتُ منك بعض القسوة».

تنهّد نوماد.

واصل المسؤول الهمس في أذن ملك الجمرات، وتمكّن نوماد من سماع كلمات «المدينة بأكملها» و«المُنقّبات». عاد العبوس ليسكن وجه ملك الجمرات، وأمعن التفكير للحظة.. وأدرك بوضوح المنطقة التي كانوا فيها. تحرّكت عيناه إلى خزانة مُعلّقة على الحائط، حيث يحتفظ بمفتاحه على الأراجح، المفتاح الذي استُبدل بأخر زائفٍ في فوضى الهجوم المفاجئ.

كان قد بدأ يفهم الأمر. اللعنة.

قال نوماد، مُشتتًا انتباه الرجل: «توجّب عليك الاستمرار في القراءة، ليس التعاطف هو وقودي يا أحمق الجمرات، وليست القسوة أيضًا». تقدّم خطوة واسعة للأمام.. مُقترّبًا من ملك الجمرات، وقاطعًا خط الرؤية بين ريببكي والرجل، قبل أن يُضيف: «لا أريد حقًا سوى الفرار. لكن هناك شيئًا يجب أن تعرفه عن قومي. لقد وعدتني بعدم وجود أي خدع، ولا يجب أن تنكث بوعدك لشخص من روشار».

اندفع نوماد جانبًا في نفس اللحظة التي ركّز فيها الملك مرّة أخرى، مصوبًا مُسدّسه نحو ريببكي. وفي الوقت نفسه، شكّل نوماد المُساعد على هيئة كرة معدنية في يده.

أطلق ملك الجمرات سلاحه.

وقطعت الكرة التي أطلقها نوماد مسار الطلقة في الهواء مُتسببة في سيلٍ من الشرار.

16 هيغة: كلمة عربية فصّحى تعني الخوف أو الفرع من شيءٍ ما. (المترجم).

17 مون شاين: اسم يُطلق على الخمور عالية الكحول التي عادةً ما تُنتج بشكل غير قانوني، ويُطلق عليها اسم «مون شاين» أو «سطوع القمر» لأنها كانت تُحضّر ليلاً بعيدًا عن الأعين خلال فترة حظر الكحول. (المترجم).

18 [ثايلين](#): هي دولة عبارة عن جزيرة يفصلها عن البر الرئيسي لروشار مضيق «لونجبروز»، ومن المعروف أن شعبها يتكوّن من التّجار، والباعة، والبحّارة، وورد ذكرها لأول مرّة في رواية «The Way Of King» للكاتب براندون ساندرسون.

لم يكن نوماً حقاً أسرع من معظم المقذوفات. سبق أن فشل في تلك الأعمال الخطيرة في كثيرٍ من الأحيان. حيث يعتمد الأمر على مدى قدرته على التمرُّز، ومدى سرعة تمكنه من الاستعداد للطلقة قبل ضغط الزناد. ذات مرّة، أمضى أسابيع في التدرُّب على التصدي للرصاصات، دون أن يُحقِّق نجاحاً يتخطى نسبة العشرة بالمئة.

لكن لحسن حظ ريبكي، فقد كان اليوم على أهبة الاستعداد. وقدّم هذا خُدعة فاتنة عندما نجح في الأمر. والأكثر من ذلك، هنا، عندما انفجرت الطلقة فيما يشبه الألعاب النارية من الضوء، مُطلقةً وإبلاً من الشرر. استدعى نوماً المُساعد إلى يده على شكل كُرّة معدنية بسيطة مرّة أخرى، وقال: «أحمق، فقد كنتُ أفكر في عرضك.. حتى منحتني سبباً يدفعني إلى قتلك».

نظر إليه مُعظم الموجودين بالغُرفة. ومنحته لحظة عدم التصديق الصادمة فرصة للاندفاع وجذب ريبكي. سدّ زوج المُتفحّمين الخارج في كلا الجانبين من فورهما، لذا دفعها إلى محطة الطيار عبر مدخلها المفتوح.

وقبل أن يتمكن نوماً من اللحاق بها، دفعه أحد المُتفحّمين بكتفه، مُلقياً به نحو الجدار الذي يحتوي على خزانة كنوز ملك الجمرات - التي تحتوي على قلب الشمس الصغير - مُتسبباً في اهتزاز محتوياتها. استدار نوماً ونظر إلى هذا المُتفحّم؛ الذي حمل وجهه خطوطاً حمراء طويلة، وكأن أحدهم قد أحرق بشرته بمذكي نيرانٍ مُستعير.

ابتسم المُتفحّم وتراجع. رفع نوماً قبضتيه بشكل لا إرادي.. ثم تبيّس رغماً عنه. وهو ما سمح للعدو بلكمه ثلاث مرّات مُتتالية، مما أسقطه بمُنتهى اليُسْر. ارتطم نوماً بالأرضية المعدنية وتأوّه بصوتٍ خافت، لكن لم يكن هناك وقت للتوقُّف ونيل قسط من الراحة.

لم يبدُ أن هناك وقتاً لذلك قط. دفع نوماً نفسه للجلوس، قبل أن ينهض على قدميه، مُراوِغاً المُتفحّم الذي حاول مهاجمته، قادته خطواته السريعة وصولاً إلى عُرفة التحكّم الصغيرة مع ريبكي.

أغلق الباب من فوره، ثم شكّل المُساعد إلى فقل للباب. تشابكت مشابكه على الجانبين، لثبّته إلى إطار الباب، وهو يضغطه في مكانه. وعندما حاول المُتفحّم أن يفتح الباب، وجد أنه قد حبسها بالخارج، لكن الباب الخشبي لن يصمد طويلاً في ظل وجود مُسلّحين على جانبيه الآخر.

اندفعت ريبكي إلى لوحة تحكّم المقصورة، وسألته: «هل أسقطت لتوك رصاصة من الهواء؟».

أَمَسَكَ نَوْمَادٌ بِمَقْعَدِ الطَّيَّارِ المَعْدِنِيِّ، وَأَلْقَاهُ نَحْوَ الزُّجَاجِ الأَمَامِيِّ، لِيُشَقِّقَهُ. لَكِنِ الزُّجَاجُ كَانَ قَوِيًّا، عَلَى النَّقِيضِ مِنَ الكَثِيرِ مِنْ قِصَصِ مُعَلِّمِهِ. لَكِنِ الزُّجَاجُ الأَمَامِيُّ اهْتَزَّ فِي إِطَارِهِ، وَهَذَا جَيِّدٌ بِمَا يَكْفِي. نَادَتْهُ وَهُوَ يُلْقِي بِالمَقْعَدِ مَرَّةً أُخْرَى: «نَوْمَادُ؟». ارْتَدَّ المَقْعَدُ هَذِهِ المَرَّةَ، وَانْحَنَى عِنْدَمَا بَدَأَتْ الرُّصَاصَاتُ تُطْرِبُ البَابَ.

قال: «أجل، لقد تصدَّيتُ للرصاصِ، وهو أمرٌ يُمكنني القيامَ بهِ مَرَّةً واحِدَةً مِنْ كُلِّ عَشْرِ مَرَّاتٍ. استعدي للركضِ إلى دَرَّاجَتِي».

قالتُ وهي تزدادُ شحوبًا: «مَرَّةً مِنْ كُلِّ عَشْرِ مَرَّاتٍ؟».

أجابها: «لِحُسْنِ حِظِّكَ، كُنْتُ المَرَّةَ النَّاجِحَةَ. انتبهي!». اخْتَرَقَتْ طَلْقَةَ أُخْرَى البَابِ، افْتَرَضُوا أَنْ أَحَدَهُمْ يُطْلِقُ النَّارَ عَلَى المَزْلاجِ، مُحَاوِلًا فَتْحَ مَقْبَضِ البَابِ.

قفزَ نَوْمَادٌ لِيَعْتَلِيَ لَوْحَةَ التَّحَكُّمِ، وَضَرَبَ الزُّجَاجَ الأَمَامِيَّ بِكَتْفِهِ، خَالِعًا إِيَّاهُ تَمَامًا عَنِ إِطَارِهِ. سَقَطَ بِهِ إِلَى الخَارِجِ، حَيْثُ قَفَزَ عَلَى قَدَمِيهِ، وَرَكَضَ عَلَى سَطْحِ المَرْكَبَةِ. اسْتَجَمَعَتِ رِيبيكِي البَقِيَّةُ الباقِيَّةُ مِنْ إدْرَاكِهَا لِتَنْطَلِقَ خَلْفَهُ.

شعرَ بِكُمْ هَائِلًا مِنَ الِارْتِياعِ عِنْدَمَا وَجَدَ الدَّرَاجَةَ الَّتِي تَرَكَهَا. وَصَحِيحٌ أَنَّهُمْ صَفُّوْهَا وَرَبَطُوهَا بِالسَّلَاسِلِ فِي مَكَانِهَا، لَكِنِ لَمْ يَبْدُ أَنَّهُمْ قَدْ خَرَّبُوهَا قَطًّا. سَمَحَ لَهُ المُسَاعِدُ -عَلَى شَكْلِ عَتَلَةٍ- أَنْ يَكْسِرَ السَّلَاسِلَةَ مِنْ حَيْثُ نُبِتَتْ إِلَى سَطْحِ المَرْكَبَةِ. قَفَزَتْ رِيبيكِي لِتَجْلِسَ خَلْفَ أَجْهَزةِ التَّحَكُّمِ، وَارْتَفَعَتْ بِهَا بَعِيدًا عَنِ جَانِبِ المَرْكَبَةِ، وَقَفَزَ نَوْمَادٌ عَلَى المَقْعَدِ خَلْفِهَا.

خَرَجَ مَلِكُ الجَمْرَاتِ مِنْ مَقْصُورَتِهِ، مُشْهَرًا مُسَدَّسَهُ، وَهُوَ يُطْلِقُ النَّارَ بِشَكْلِ عَشْوَائِيٍّ.. صَدَّهَا نَوْمَادٌ بَدْرَعًا. بَعْدَ لِحْظَاتٍ، انْدَفَعَتْ رِيبيكِي بِالدَّرَاجَةِ نَحْوَ الأَرْضِ، وَكَادَتْ أَنْ تُسْقِطَهُ أَرْضًا بِسَبَبِ التَّسَارُعِ المُفَاجِئِ. تَمَكَّنَ مِنْ تَثْبِيثِ نَفْسِهِ بِرُكْبَتَيْهِ، وَاحْتَضَنَ خَصْرَهَا بِيَدٍ واحِدَةٍ، مُحَافِظًا عَلَى ارْتِفَاعِ دَرَعِهِ، مُعْتَرِضًا طَرِيقَ بَعْضِ الطَّلُوقَاتِ الأُخْرَى أَثْنَاءَ هَبُوطِهَا.

قالَ بِالأَلَيْثِيَّةِ: «سَيُصْبِحُ مَوْقِفِي حَرَجًا إِذَا مَا قَرَّرُوا البَدْءَ فِي إِطْلَاقِ النَّارِ عَلَى الدَّرَاجَةِ وَليْسَ عَلَيَّ. هَلْ يُمَكِّنُكَ أَنْ تزدادَ حَجْمًا لِتَحْمِي الشَّيْءِ بِأَكْمَلِهِ؟».

يُحَدِّثُ البَطْلُ: بِالكَادِ تَمْتَلِكُ مَا يَزِيدُ عَلَى عَشْرَةِ المِائَةِ مِنْ سَعَةِ القَفْزِ، وَسَاحَتِاجَ لِبَعْضِهَا كِي أَزْدَادَ حَجْمًا. إِذَا هَبَطْنَا لِأَقْلٍ مِنْ عَشْرَةِ المِائَةِ، فَلَمَنْ نَتَمَكَّنُ مِنْ إِجْرَاءِ أَيَّةِ اتِّصَالَاتٍ جَدِيدَةٍ، عَلِمًا بِأَنَّكَ سَتَحْفَظُ بِالاتِّصَالَاتِ الَّتِي قُمتَ بِهَا مِنْ قَبْلِ.

قالَ نَوْمَادٌ: «قُمْ بِذَلِكَ». وَشَعَرَ بِالمُسَاعِدِ يزدادُ ثِقَلًا فِي يَدِهِ.. وَهُوَ يَلْتَهُمُ وَحِدَاتِ الأَدِّخَارِ الَّتِي جَمَعَهَا. أَزْدَادَ عَرْضَهُ إِلَى حِوَالِي خَمْسَةِ أَقْدَامٍ، تَمَامًا فِي الوَقْتِ المُنَاسِبِ لِصَدِّ المَزِيدِ مِنَ الطَّلُوقَاتِ. لَنْ تَكُونَ زِيَادَةُ الحِجْمِ هَذِهِ دَائِمَةً، وَتَسْتَمِرُّ فِي التَّهَامِ المَزِيدِ مِنْ وَحِدَاتِ الأَدِّخَارِ نَوْمَادِ كِي تَظَلُّ فِي هَذَا الحِجْمِ.

واصلت ربيكي الهبوط، فأدرك أنها تسعى للوصول للدراجة الهوائية الأخرى، وتمكّن من رؤية حافتها تطل من خلف الحجر المتدلي للأسفل على ضوء الحلقة، حيث يبدو أن الضباط الذين أمسكوا بها قد تركوها.

صرخ: «نحن بحاجة للابتعاد يا ربيكي!».

بادلته الصراخ بصراخ، وهي تُدير رأسها كي يتمكّن من سماعها فوق عصف الرياح: «هذه هي المجموعة الوحيدة التي نمتلكها من الدراجات! ولن أتخلى عن واحدة منها قط».

نظر نوماً للأعلى، ورأى ملك الجمرات يقف على حافة السطح بالأعلى، وعيناه تتوهجان كالقمر في قلب نار مُحيم. بينما أمسك بشيء آخر في يده.. المفتاح؟

المفتاح المزيّف. ضربه هو ومُسدّسه على سطح المركبة بغضبٍ عارم، ثم مدّ يده جانباً، فسلمه أحدهم بُدقيّة. أحكم التصويب، وضربت الطلقة تلو الأخرى الدرّع.

صرخ: «ربما تُعانون من نقصٍ في الدراجات، لكنه سيُصيّبنا من الأعلى، لو توقّفنا هناك. هل تفهميني يا ربيكي؟».

مرّت لحظة، والدراجة لا تزال تنطلق نحو الأرض. قبل أن ترتفع، بإحباطٍ واضح، وتندفع على طول الأرض.. تاركة الدراجة الأخرى مهجورة خلفها. لم يُطلق ملك الجمرات أي طلقات أخرى. وفي الواقع، ظنّ نوماً أنه قد رأى الرجل يسير عائداً إلى مقصورته، رغم أن المسافة قد أصبحت الآن أكبر من أن تسمح له بالتأكد من ذلك.

يُخمن الفارس: لقد اكتشف الأمر، اكتشف أن قوم المنارة قد استبدلوا مفتاحه، ويبحثون عن المدخل.

زجر باللغة الأليشيّة ساخراً: «هل تعتقد ذلك؟». تخلّى عن الدرّع المُستنزفة لوحدة الادّخار، ثم نادى ربيكي قائلاً: «بادليني الأماكن».

-«ماذا؟»-

أجبرها على الإبطاء، الآن بعد أن أصبحت خارج نطاق رؤيتهم، وتركته يتولى مقعد القيادة. بالكاد كانت هناك مساحة كافية على متن تلك الدراجة، وعندما جلست على الجزء الخلفي، رفضت الإمساك به من خصره.

نظر إليها عابساً.

قالت: «نحن قومٌ لا نُحب.. اللمس، إنه شيء غير مُريح بالنسبة لنا».

سألها: «حتى من فوق الملابس؟».

أشاحت بنظرها بعيداً، ثم قالت: «إنه شعور غريب أن...».

قال: «حسنًا، أيًا يكن». ثبتها في مكانها من ساقها باستخدام نسخة مُرتجلة من المُساعد على شكل حاجز الباب، ثم انطلق باتجاه الهيكل الرئيسي للمنارة، واتصل بهم عبر اللا سلكي قائلاً: «لدينا مشكلة يا كونتمبليشن».

أجابته: «للأسف، لدي أخبار مُشابهة، لقد دُرنا حول المنطقة مرّتين، دون أن نجد شيئًا». قال: «لقد كذب عليكم بشأن موقع المدخل، الذي ضللكم عن موقعه الرئيسي بالتظاهر بالتوقّف في هذه المنطقة».

- «كما وضّحتُ لك سابقًا، لقد رآه بعضنا».
- «وما مدى دقّة تذكّرهم للموقع المُحدّد؟ هل حفظوا موقع النجوم؟ لا توجد أي معالم ثابتة في هذا العالم، ولذلك...».

اعترفت قائلة: «ولذلك، فربما كان أولئك الذين رأوا الباب في مكانٍ مُختلفٍ تمامًا. وبشكل معقول، اعترف أن الإحداثيات التي نعتمد عليها يُمكن لها أن تكون كذبة تهدف لإرباك الناس، في حال طرأت هذه الحالة بالذات».

قال وهو ينخفص في وجه الريح: «بالضبط، لقد حظيت بمُحادثةٍ معه للتو. إنه طاغية، لكن لحسن حظنا، إنه طاغية غبي.. يتمتّع بغرورٍ أكبر من العقل».
- «معذرة، لكن هل تقول إنك حظيت بمُحادثةٍ معه؟».
- «أجل، إنها قصّة طويلة».

يُعلّق الفارس قائلاً: إنها ليست قصّة طويلة حقًا، لقد توقّف بالجوار، فصعدت إليه.
قال بالأليشية: «هذا ليس الجزء الطويل من القصة، سيكمن الطول في شرح سبب طيراني إليه». ثم أكمل جملته باللّغة المحليّة قائلاً: «إنه يعرف يا كونتمبليشن، لقد اكتشف أنكم بدّلتم المفتاح».
- «لا أقصد الإساءة بلا داعٍ أيها الرجل الذي أضاءه نور الشمس، لكن.. هل أخبرته بذلك عن طريق الصدفة؟».

أجابها: «صدّقي ذلك، لو جعلك تشعّرين بمزيدٍ من التحسّن، لكنه لم يحتاج لأي قدرٍ من المساعدة مني. لقد شاهدته يجمع أجزاء الأحجية سويًا.. وكل ما كان بحاجةٍ إليه هو المعلومات بأن المنارة تُمشط هذه المنطقة، وأنكم جلبتم كل من في مدينتكم. إنه ليس ذكيًا بقدر ما ظننته في البداية، لكن حتى هو تمكّن من فهم الأمر برمته».

صمتت كونتمبليشن تمامًا.
قال نوماد: «اسمعيني، إنه يحشد قوّاته وسيهاجمكم قريبًا، لقد حان وقت الانسحاب والعودة إلى قلب الظلمات».

أجابته كونتمبليشن: «إذا انسحبنا، سنموت قبل أن نتمكّن من الاستدارة في هذا الوضع مرّة أخرى».

- «وإذا لم تنسجوا، ستموتون في وقتٍ أقرب من هذا بكثير. لا يبدو هذا قرارًا صعبًا بالنسبة لي». تنهَّدت قبل أن تقول: «لقد.. سيئمت من الفرار فحسب».

قال: «ليس لديكِ أي فكرة عن مدى فهمي لذلك يا سيِّدتي».

أجابته: «سأتحدَّث إلى بقية أعضاء الخير الأعظم، ثمَّ سنتخذ قرارنا. أتمنى أن تكون ريبكي الشابَّة لا تزال بصُحبتك».

قال: «إنها معي، كما أنها نائِرة بعض الشيء لأنني أجبرتها على ترك درَّاجة خلفها، لكنها لا تزال حيَّة تُرزق.. ولم تُزيِّنها أي ثقوب جديدة».









قالت كونتمبليشن: «لا بأس بذلك، قد لا تكون مُرشدتنا، لكنها رمز لهذا الشعب الآن بعد فقدها لإخوتها. سأطلب منك هذا الطلب؛ حاول ألا تتسبب في قتلها، على الأقل.. ليس قبل أن يسقط بقيتنا».

أنهت الاتصال، وتركت نوماً يضطرم قلقاً من ألا يستجيبوا لتحذيره. لكن حُسن الحظ، بحلول الوقت الذي عاد فيه إلى الهيكل الرئيسي، بدأوا في التنظيم مثلما تمنى، مُتحرّكين نحو الظلام.. الذي كان قد فرّ بعيداً عند تلك النُقطة، بينما ازداد الأفق إشراقاً. رُبما ما زال أمامهم ساعة تقريباً قبل أن ينشر نور النهار أجنحته، لكنه هبط بدرّاجته للأسفل على أي حال، لينغمس في قلب ظلال الكوكب.

وهنا، نمت النباتات، ليس بنفس السرعة التي تنمو بها على حافة الفجر، لكنه كان نمواً ملحوظاً. كانت التضاريس التي تركها خلفه قاحلة ومليئة بالطين والصخور. بينما نبضت تلك التضاريس بالحياة، فانتشرت الطحالب على كل سطح، وتموج العشب في مهب الريح، حتى إنها احتضنت بين جنباتها غابة صغيرة من الأشجار، ارتفعت أغصانها حتى كادت تمس الحلقات. بدا كأنه مكان مُختلف تماماً؛ حيثُ حجبت أوراق الشجر والمساحات الخضراء العميقة المعالم التي لاحظها قبل مُغادرته.

كيف نجت البذور من حرارة النهار الكارثية؟ بحق العواصف، لا بُد أن النباتات في هذا العالم شيءٌ استثنائي. وماذا عن الحيوانات؟ وبينما يقترب، رأى مجموعة من المخلوقات الشبيهة بالغلزان، التي توقفت عن الأكل، وانطلقت نحو الظلام، وأعينها تتوهج بلونٍ ذهبيّ خافت، إنها مُدخرة بطريقةٍ ما.

وجد الهيكل المركزي للدراجة الرباعية حيث تركاها، وأبقتهما بقية النفاثات مُرتفعة. وبعد تثبيت الدراجة الصغيرة في مكانها - وإطلاق سراح ريبكي، التي تولت القيادة - انضموا إلى بقية المركبات، مُحلقين في رحلتهم المُستمرّة للهروب من الشمس.

ولبعض الوقت، ظنّ نوماً أنهم قد هربوا بالفعل. ثم وصلوا إلى حافة غطاء السحب، حيثُ يعجز حتى نور الشمس المُنعكس عن الوصول.. ورأى شيئاً ما في الظلام من خلفه. رأى العديد من الأضواء الحمراء المُشتعلة. وبعد لحظات.. اقتربت عشرات من مركبات العدو، جاهزةً لتشن هجوماً ضارياً عليهم.

قالت ربيكي: «كانوا يبحثون عنا، تواجّدوا هنا عندما كنّا هناك، يبحثون عن المنارة!». كانت مُحقّة. انحرفت المركبات الخارجة من قلب الظلام إلى الجانبين على حين غرة. لقد تلقوا أوامر بالعودة لاعتراض طريق المنارة، لكنهم لم يتوقّعوا أن تتقاطع سبلهم معها بمثل هذه السرعة. ولبضع دقائق، فرض الارتباك سيطرته، وعمّت الفوضى. تشتتت مجموعتا المركبات، مُنطلقتين في جميع الاتجاهات. قبض الرعب على معدة نوماد بقبضةٍ حديديةٍ، بينما هبطت ربيكي نحو الأرض. وجن جنون اللاسلكي في ضجةٍ من الأسئلة والأوامر.

علا صوت كونتيمبليشن على صخب هذا الجنون وهي تقول: «شرقاً! تجمّعوا شرقاً! شقّوا طريقكم إلى قلب الظلام واهتدوا بالمنارة!».

انحرفت ربيكي نحو ذلك الاتجاه، ومحرّكاتهم تحرق شريطاً من الرماد عبر النباتات الموجودة تحتها، التي ضربت ساقى نوماد. رفع عنقه للأعلى، متوقّعاً رؤية نيران الأسلحة بالأعلى. لكنه لم ير أيّ شيء تقريباً، باستثناء بعض طلقات القنّاصة هنا أو هناك.

ذكر نفسه بأنهم لا يملكون أي أسلحة مُثبتة على متن مركباتهم. وبدلاً من ذلك، رأى مركبتين مُعاديتين مُحطّتين باللون الأزرق تقفان بالقرب من مركبة شعب المنارة، وتصطفّان على كلا الجانبين، وكأنهما ترسيان. قفز الجنود من مركبات ملك الجمرات، وأسرعوا إلى قمرة قيادة المنارة.

قبل أن يجد عذابه، اعتاد أن يحيا في عالم خالٍ من الأسلحة النارية. وهناك، انخرطوا في أكثر نوع وحشيٍّ وشخصيٍّ من القتال، حيث يُجبر المرء على مُشاهدة رجل آخر يموت، بينما يجد الطريقة الأكثر فاعلية لفصل دماغه عن جسده.

بدا هذا الصراع أكثر شبهاً بالحروب البحرية في عالمه الأصلي؛ دون مدافع، أو مدفعية، ولا شيء سوى الدك والاقترحام. كان الأمر مُرهقاً، لكنه كان منطقيّاً هنا، نظراً لأن الاستيلاء على مركبة هو أحد أكثر الأشياء البناءة التي يُمكن للمرء القيام بها، حيث إنه يُقلص قوّة العدو ويُعزز قوتك في الوقت نفسه. وبالإضافة إلى ذلك، اعتمدت القوّة العسكرية لملك الجمرات على المتفحّمين، الذين كانوا أكثر فاعلية في القتال القريب.

يقول الفارس: انظر للأعلى يا نوماد، خمسون درجة من جهة اليسار.

تبع الاتجاهات وصولاً إلى مركبة تتمايل في الهواء، مُحاصرة بمركبة مُعادية ضخمة تُغلق الطريق عليها.. بينما تبعد مركبة العدو عن الظلام بكامل قوتها. كانت المركبة الأسيرة عبارة عن منزلٍ طائرٍ أكثر منها مركبة

عسكرية، مثل العديد من مركبات شعب المنارة، ولم يكن بإمكانها ردع القوة العظمية لمركبة العدو. بدأوا يقطرونها بعيداً.

يلاحظ الفارس عدم فهم المرافق المرتبك: هذه هي المركبة التي قابلنا فيها الخير الأعظم.
-«اللعنة، هل أنت متأكد؟».

-للأسف.

-«أنت لا تعتقد أن هؤلاء القوم يعرفون كيف يوزعون طاقم قيادتهم على متن مركبات مختلفة، أليس كذلك؟».

-يبدو أن هذا النوع من الأشياء لا يمكن تعلمه إلا عن طريق التجارب الحزينة!
تنهد بينما حلقت ريبكي مروعة، لكن مركبات العدو تجاهلتها؛ سعيًا خلف فريسة أكبر، تحمل عددًا أكبر من الأشخاص.

-حسنًا؟

قال نوماد: «أفكر، هل فات أوان العودة إلى ملك الجمرات وقبول عرضه أم لا؟».

-أنا أرمقك بنظرة حادة في الوقت الحالي.

-«ليس لديك أعين».

-ولهذا السبب يتوجب عليّ شرح الأمر لك.

تنهد نوماد، ثم ربت على كتف ريبكي، وأشار إلى المركبة المقصودة. نظرت في الوقت المناسب لترى زوجًا من المتفحّمين يقفزان إليها، بينما تتموج ثيابها المفتوحة من الأمام أثناء ارتفاعها. راحت الكلمات التي نطقت بها ريبكي ضحية لعصف الرياح، فلم يسمعها، لكن تعبيرات وجهها امتلأت بالرعب.
صاح نوماد: «قربني منها! واستعدي لإخراجه في حال احتجتُ إلى ذلك، وحاوي ألا بأسروك هذه المرة!».

أومأت برأسها، وارتفعت في مناورة خشيئة أخرى. لسوء الحظ، فرت مركبة تابعة للمنارة هاربة في اتجاهها. أبلت معظم المركبات حسنًا في تجنب القبض عليها.. وهو أمر يمتلكون فيه خبرة لا بأس بها. ورغم ذلك، توجب على ريبكي أن تنحرف بشدة إلى اليسار، ثم إلى اليمين، لتعود إلى مسارها الصحيح نحو مركبة الخير الأعظم.

لاحظت مركبة أخرى قادمة عن يمينهم.. بينهم وبين مركبة القيادة.

تمتم قائلاً: «هذا خطوك يا أوكس».

لم تدرك ريبكي أنها في مسار تصادمي وتنحرف إلى الجانب سوى في وقت متأخر. استخدم الزخم لينطلق من الجزء الخلفي من الدراجة، ويرتطم بشدة بالمركبة القادمة في اتجاهها. لمح أشخاصًا مرتبكين في قمرة القيادة وهو يتدحرج على سطح مركبتهم، ثم بالكاد رفع نفسه، قبل أن يُلقي بجسده في مساحة كبيرة، وكاد

يُفَوِّتُ جَانِبَ مَرَكَبَةِ الْخَيْرِ الْأَعْظَمِ الَّتِي يَقْطُرُونَهَا فِي الْإِتْجَاهِ الْآخَرَ. لَكِنَّه صَعَدَ إِلَى سَطْحِ الْمَرَكَبَةِ، الَّذِي كَانَ عَرْضُهُ حَوْلِي عَشْرَةِ أَقْدَامٍ.

كَانَتْ مَرَكَبَةُ الْعَدُوِّ لَا تَزَالُ رَاسِيَةً عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ، تَتَحَرَّكُ مُعْتَمِدَةً عَلَى قُوَّةِ دَفْعِ مَرَكَبَةِ الْقِيَادَةِ، وَتَقُودُهَا إِحْدَى الضَّابِطَاتِ ذَوَاتِ الْمَعَاطِفِ الْبِيضَاءِ. رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ، وَاتَّسَعَتْ عَيْنَاهَا بِشِدَّةٍ، قَبْلَ أَنْ تَمْدِ يَدًا مُتَخَبِّطَةً بِشَكْلِ مَحْمُومٍ نَحْوِ بُنْدُقِيَّتَيْهَا.

مَنْحَهُ اسْتِعْدَادَهَا السَّيِّئِ فُرْصَةً، لِذَا انْدَفَعَ عِبْرَ سَطْحِ الْمَرَكَبَةِ، مُحَاوِلًا التَّعَامُلَ مَعَهَا.. لَكِنْ بِالطَّبَعِ، قَرَّرَ عَذَابَهُ أَنْ هَذَا سَيَكُونُ سَهْلًا لِلْغَايَةِ. تَبَيَّنَتْ عَضَلَاتُهُ، وَأَرْسَلَتْهُ مُتَعَثِّرًا فِي فَوْضَى مُحْرَجَةٍ عَلَى سَطْحِ الْمَرَكَبَةِ.

تَمَّتْ وَهُوَ يَرْفَعُ أَوْكُسَ كَدْرَعٍ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ لَصَدِّ طَلَقَاتِ الْبُنْدُقِيَّةِ: «هَذَا مُزْعِجٌ لِلْغَايَةِ».

-أَلَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ فِكْرَةٌ لِلتَّعَامُلِ مَعَ ذَلِكَ؟

قَالَ وَهُوَ يَبْتَعِدُ عَنِ نِيرَانِ الْبُنْدُقِيَّةِ: «أَجَلٌ، لَكِنْ تَجْمِيعُ الْأُمُورِ يَسْتَعْرِقُ وَقْتًا». تَمَكَّنَ فِي نِهَايَةِ الْمَطَافِ مِنَ الْوَصُولِ إِلَى النَّافِذَةِ الْأَمَامِيَّةِ لِمَرَكَبَةِ الْقِيَادَةِ.. لَكِنَّهُ وَجَدَهَا مُغَطَاةً بِدْرَعٍ مَقَاوِمَةٍ لِلانْفِجَارِ. وَعِنْدَمَا تَوَقَّفَتْ الضَّابِطَةُ لِتَلْقِيمِ سِلَاحِهَا، شَكَّلَ الْمُسَاعِدُ عَلَى شَكْلِ عَتَلَةٍ، وَأَزَالَ الدَّرْعَ بِحَرَكَةٍ وَاحِدَةٍ، مُرْسِلًا اللُّوْحَةَ الْمَعْدِنِيَّةَ بِدَوِيٍّ عَالٍ إِلَى سَطْحِ الْمَرَكَبَةِ، قَبْلَ أَنْ يَدْفَعَ النَّافِذَةَ الَّتِي كَانَتْ تَخْتَبِئُ خَلْفَهُ بِكَتْفِهِ. وَيَرْتَدُّ عَنْهُ بِقُوَّةٍ.

شَكَّلَ الْمُسَاعِدُ عَلَى شَكْلِ ثَقَلٍ حَدِيدِيٍّ لَيْسَبِقُهُ أَوْلَا، ثُمَّ قَالَ: «مَا بَالُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَنَوَافِذِهِمْ!».

يُجِيبُ الْفَارِسُ وَهُوَ يُحِطِّمُ النَّافِذَةَ بِسَهُولَةٍ: لَا أَعْلَمُ، لَا بُدَّ أَنْ الْأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِكَ.

تَأَوَّهُ نَوْمًا وَالرُّصَاصَاتِ تَخْتَرِقُ الْحَائِطَ خَلْفَهُ، ثُمَّ أَلْقَى بِنَفْسِهِ، وَقَفَزَ نَاهِضًا عَلَى قَدَمِيهِ، مُبْتَعِدًا عَنِ أَنْظَارِ الْقَنَاصَةِ. وَبِالِدَاخِلِ هُنَا، انْهَمَكَ زَوْجُ الْمُتَفَحِّمِينَ اللَّذَانِ رَأَاهُمَا سَابِقًا فِي تَرْهيبِ الْمُسِنَّاتِ الثَّلَاثِ الْمَدْعَوَاتِ بِالْخَيْرِ الْأَعْظَمِ، اللَّاتِي تَرَاوَعْنَ إِلَى الْجَانِبِ الْبَعِيدِ مِنَ الْعُرْفَةِ خَلْفَ طَاوِلَةٍ مَقْلُوبَةٍ. رَأَى رَوْوَسَهْنَ الْهَرْمَةَ تَطُلُ مِنْ هُنَاكَ وَهُوَ يَقِفُ بِطَرِيقَةِ اسْتِعْرَاضِيَّةٍ أَمَامَ النَّافِذَةِ الْمَكْسُورَةِ. وَتَمَنَّى لَوْ اِمْتَلَكَ أَيَّ فِكْرَةٍ عَمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِحَقِّ اللَّعْنَةِ.

عَلَى الْأَقْلِ صَبَّ الْمُتَفَحِّمَانِ تَرْكِيزُهُمَا عَلَيْهِ، وَهَاجَمَاهُ سَوِيًّا، مُسَلِّحِينَ بِهَرَاوِئِيَّتَيْهَا. حُسْنُ الْحِظِّ يُجِيبُ مَلِكَ الْجَمْرَاتِ أَسْرَ الْأَشْخَاصِ لِيَتِمَكَّنَ مِنْ صُنْعِ قُلُوبِ الشَّمْسِ، وَهُوَ مَا يُفَسِّرُ تَفْضِيلَهُ لِلْهَرَاوَاتِ عَوْضًا عَنِ السِّوْفِ.

لَكِنْ لِسُوءِ الْحِظِّ، كَانَ هُنَاكَ اثْنَانِ مِنْهُمَا، وَكَانَا سَرِيعَيْنِ. انْقَضَا عَلَيْهِ بِهَجُومِ مَتْنِهِ الضَّرْبَاتِ وَالزَّرِيرِ، لِيُجْبِرَاهُ عَلَى صَدِّهَا بِدْرَعٍ فِي سِلْسَلَةٍ مِنَ التَّبَادُلَاتِ السَّرِيعَةِ، لَمْ يَكُنْ بِإِمْكَانِهِ حَتَّى أَنْ يُجْبِرَهُمَا عَلَى التَّرَاوُعِ دُونَ أَنْ يَتَبَيَّنَ بِفَضْلِ رُوحِهِ الْغَيْبِيِّ، لِذَا اتَّخَذَ مَوْقِفًا دَفَاعِيًّا كَامِلًا.. وَهُوَ مَا لَمْ يَكُنْ طَرِيقَةً جَيِّدَةً قَطُّ لِلانْتِصَارِ فِي قِتَالِ. وَتَوَجَّبَ عَلَيْهِ تَجَاهُلُ مُبَالِغَتَيْهَا فِي تَوْسِيعِ نِطَاقِ هَجَاةَيْهَا، دُونَ أَنْ يَتِمَكَّنَ مِنَ الرَّدِّ عَلَى وَابِلَيْهَا الْمَسْعُورِ، وَالَّذِي لَوْلَاهُ لَتَرَكَهَا عُرْضَةً لِهَجَاةٍ مُضَادَةٍ.

وبدلاً من ذلك، تلقي بعض الضربات على ذراعه، ثم على جانبه، قبل أن يُصاب بضربة شيطانية في رأسه، جعلته يترنح نحو الزاوية، برؤية ضبابية.

يتمنى الفارس أن يكون لدى مرافقه المحاصر خطة.

تمتم وهو يصدّ دفعة أخرى من الضربات: «لديّ خطة». ثم بالكاد دفع نفسه خارج الزاوية ليهرب من حصاره هناك، قبل أن يُضيف: «سأقفز عبر النافذة هارباً، ربّما لا يحتاج شعب المنارة إلى مساعدة تلك النساء المسنّات».

يقول الفارس: بالطبع، لنتركهم بلا قيادة أو مؤن، وسيؤتي هذا خيراً، أنا متأكد.

حاصره المتفحّمان - المدفوعان بوحدات ادّخارهما، وبالتالي لم يحتاجا لوقفة من أجل التقاط الأنفاس - في الزاوية الأخرى، وهاجماه بلا هوادة.

ناداه المساعد بنفس الصوت الرتيب كالعادة: نوماد؟ لم يتمكّن من القيام بأي شيء آخر. ومع ذلك، ظنّ نوماد أن بإمكانه الشعور بقلق صديقه لأنه لم يلق أي مزحة كعادته. تابع حديثه قائلاً: سيتطلب هذا قدرًا كبيرًا من الشفاء، وأنا بالكاد أحافظ على جسدك يتحرّك.

بعد لحظة، فُتح الباب بقوة، ودخلت الطيارة المعادية - المرأة ذات المعطف الأبيض - لمساعدة المتفحّمين، وهي تمسك البندقية على أهبة الاستعداد. حسنًا، سيفي هذا بالغرض.

تلقي نوماد ضربة أخرى في كتفه وهو يشق طريقه خروجًا من الزاوية. وهو ما تركه عرضة لهجماتهم، دفعه أحد المتفحّمين من الخلف، ليرتطم بالطيارة. وهكذا، لم يكن خطؤه أن يؤدي الاضطدام إلى سقوطها.. وأحبّ العذاب ركله لبندقيتها بعيدًا، فلا حاجة لهم بذلك.

ومن هناك، حرص على جذب انتباه المتفحّمين، وابتسم إليهما ابتسامة مليئة بالتحدي.. لكنه ترنح على قدميه، ليغريهما بضعفه. وفي المقابل، ضاعفا جهودهما، وانقضّا عليه، مُلتفتين حول درعه.. وهو الأمر السهل للغاية في قتال اثنين ضد واحد. هاجماه بسلسلة من الضربات التي أدّت لخفض درعه وكشف وجهه أمام...

انفجر رأس أحد المتفحّمين.

تجمّد الآخر في مكانه، ثم دار في نفس الوقت الذي أطلقت فيه كونتمبليشن - التي وقفت أمام الطاولة - لتطلق طلقة تلو الأخرى في صدره. تقدّمت للأمام، وشعرها المصبوغ باللون الأسود يتطاير حول جسدها الممتلئ، استمرت في إطلاق النار حتى سقط المتفحّم الثاني في فوضى من الجمر المشتعل واللحم المحروق.

سقط نوماد على رُكبتيه وهو يلهث لالتقاط أنفاسه، بينما صوّبت كونتمبليشن بندقيتها إلى الطيارة، التي رفعت يديها ردًا على ذلك.

تمتم نوماد: «تسعدني قدرتك على إطلاق النار».

أجابته العجوز: «لقد نلت نصيبي من الصيد في شبابي، لكنني لم أحمل بُندقيةً منذ سنوات. لماذا ركلتها لي بدلاً من الاستيلاء عليها بنفسك؟».

قال: «تجد شخصي». سقط أرضاً، وعيناه مُغلقتان لشدة الألم المتراكم الناتج عن جروحه، قبل أن يتابع حديثه: «أنا أكره سلب المجد. ربما تستطيع إحدائكم الخروج من هناك وإغلاق تلك المركبة التي تسحبنا في الاتجاه الخاطئ؟».

لم يدر بما حدث بعد ذلك. لم يفقد وعيه بما تحمله الكلمة من معنى، لكنه انسحب داخل نفسه بينما أخذ جسده يُجري عملية الشفاء. شعر أنهم قد فعلن ما طلبه، لأن المركبة بدأت تتحرك في الاتجاه الصحيح مرة أخرى. جرّ نفسه إلى الزاوية، وجلس يتعافى هناك هدهوء.

وعلى مدار الساعة التالية، استمع بنصف وعي إلى كونفدنس -الطويلة والنحيلة- وهي تقود عملية الهروب عبر اللاسلكي. عاجله المساعد، لكنه حذره هدهوء أن سعة القفز قد وصلت لأقل من تسعة بالمئة. انضمت إليهن ريبكي في وقت ما، وأصبح الضوء المُتسلل من النافذة المهشمة داكناً أثناء فرارهم. تحمّل الألم بعينين مُغلقتين. يُمكن لجسده أن يتحمّل قدرًا كبيرًا من العقاب، وذلك بفضل هبات العذاب، لكن حتى هو كان بحاجة لاستراحة بين الحين والآخر. خاصة بعد أن تلقى من الضرب ما كان من شأنه أن يقتل شخصًا آخر.

ورغم ذلك، أولى اهتمامًا كافيًا لسماع القلق يشوب صوت كونفدنس وهي توجه الآخرين. بدا أن الكثير من سُكّان المنارة قد هربوا.. وبصحبتهم المنارة بنفسها، ليتمكّنوا من توجيه الجميع. لكن قوّات ملك الجمرات ضغطت عليهم وضايقتهم، مما جعلهم ينحرفون عن المسار الذي أرادوا سلكه. ومما فهمه، فقد اضطروا للانحراف جنوبًا، ليدخلوا في «ممرٍ» مُختلف تمامًا. وكانت تلك -على حدّ فهمه- الطريقة المحليّة للتحدّث عن خطوط عرض مُعيّنة. فكل نطاق من خطوط العرض كان عبارة عن ممر، دون أي معالم جغرافيّة تُميّزها عن بعضها البعض.. باستثناء أن الذهاب بعيدًا شمالًا أو جنوبًا كان أمرًا خطيرًا للغاية.

حسنًا، على الأقل فرّوا هارين، وعلى الأقل ظلّوا على قيد الحياة، من يهتم إذا كانوا في ممرٍ آخر؟ لا يُمكن للأمر أن يكون بهذا السوء، أليس كذلك؟!

لم يُزعجوه وهو مُستلقٍ أرضًا.. بينما أصلحوا المنارة وتلقوا تقارير عن الضحايا. أُسِر خمسة عشر شخصًا، أخذ عشرة بالمئة من سُكَّانهم عنوةً لِيُترَكوا في الشمس.

في النهاية، وَصَلَ المَزيد من المسؤولين. كان يَعْرِفُ عُضُوات الخير الأَعمَـم الثلاثة، بالإضافة إلى زيل.. الشخص الصغير الذي كان -حسبما استطاع نوماً تحديده- أَقرب ما يكون لقائدهم الميداني أو مُحطَّط العمليات الخاصَّة. وكان من بين الحضور أيضًا جيفري جيفري.. الرَّجُل ذو اللحية السوداء الكثيفة. الذي بصفته مُشرفًا أو مُديرًا للمدينة، فقد خَدَمَ رَموزًا مُختلفةً للخير الأَعمَـم، موفِّرًا الاستمراريةً لثلاثي القيادة الذي عادةً ما يتكوَّن من ثلاثة رجال أو نساء مُسنَّات في الشهور التي تسبق تحوُّلهم لمصادر طاقة.

كما انضمَّ إليهم خمسة أشخاص آخرون لم يَعْرِفهم، واجتمعوا سويًا لتقييم المحاولة الكارثية للعثور على ملجئهم الأسطوري.

وَجَدَ المُساعد أنه من المُضحك أنهم تركوا نوماً هناك فحسب، مُستلقياً على الأرض، في حالةٍ من الدوار، كما لو كان تينًا نائماً، ومن الخطر إزعاجه.

يصرُخ البطل مُندهشًا: انظُر كيف يُرتَّبون مقاعدِهم. انظُر، انظُر يا نوماً. إنهم لا يجروون على التراجع، خشيةً أن يصطدموا بك. لماذا لا يعقدون هذا الاجتماع في مكانٍ آخر؟ أو.. مثلاً.. ينقلونك إلى الفراش؟

من المؤكَّد أن قسات وجه نوماً قد اكتست بأحد تعبيراته المميَّزة، ذلك التعبير الذي يقول: «لا تلمسني. فأنا أفكر فيمن سأقتله بعد ذلك، وأبحث عن متطوعين». في النهاية، بدأت المجموعة تُناقش القضية الحقيقية.

نهضت كونفدنس لتتحدَّث قائلة: «نحن في عداد الموتى». تعرَّف على أطول عضوات الخير الأَعمَـم طولًا من نبرة صوتها، وتخيَّل المرأة النحيلة وهي تُحدِّق بهم قبل أن تُضيف: «لقد حان الوقت لنحظى بالسلام إلى جوار أدونالسيوم».

قال رجل لم يُقابله نوماً من قبل: «عذراً على فظاظتي، لكن من المُفترض بك أن تكوني أكثرنا تفاؤلاً! مُدينا بالأمل لو سمحت».

أجابته: «لقبي هو كونفدنس، أي الثقة، أما واجبي فهو التعبير عمَّا أعرف أنه حقيقي بكل ما يملك قلبي من طاقة. ليس الكذب من ضمن واجباتي، وأنا لا أرى أي مخرج».

وافقتها كومباشن الرأي بصوتٍ خافتٍ: «لقد أجبرنا على دخول ممر غير مَنيح، فقد شهدت هذه المنطقة جبلاً على مدار الخمس سنوات الماضية. وسنصطدم بتلك المرتفعات قريباً. وعلاوةً على ذلك، ليس لدينا ما يكفي من الحرارة في قلوب الشمس الخاصة بنا لنظير لفترةٍ أطول. لقد قسّمناها، وتقاسمناها، ووسّعنا حدود ترشيدها».

قالت كونفدنس: «حتى لو اجتمعنا جميعاً على متن عدد قليل من المركبات، فلن نستمر لدورانٍ آخر، فقد مضى وقتٌ طويلٌ دون حصاد. فبعد أن طُردنا من محاولةٍ، ثم هجرنا التالية، أصبحنا نتحرّك بقلوبٍ باردة». سأل جيفري جيفري بصوتٍ خافتٍ: «هل يجب علينا أن.. نستسلم لملك الجمرات؟». ضَرب زيل الطاولة بقبضتيه، ثم قال: «أفضّل أن أموت ميتة باردة، وألا أترك رُوحِي تُضيء شيئاً سوى الوحل، على أن أستسلم له، لأن أرواحنا ستزيد من طغيانه». سألتهم كومباشن: «وماذا بعد؟».

بدا أن الغرفة بأكملها تتطلّع إلى كونتمبليشن، فتَحَ نوامد عينيه بصعوبةٍ لينظر إليها. وحتى في ظلّ عدم ارتدائها لُقبعةٍ وتصنيفها لشعرها على شكلٍ كعكةٍ سوداء، برزت في غُرفةٍ مليئةٍ بأشخاصٍ يرتدون ملابسٍ مُماثلة.

سألتها كومباشن: «هل أنت مُتأكّدة من أن لديك خطّةً يا كونتمبليشن؟». اعترفت كونتمبليشن قائلة: «لا.. لا يُمكنني التفكير في أي خطّة، عدا أن نموت بفخر، مُدركين أننا قد فصلنا أنفسنا عن ذلك الوحش وقاتلناه حتى النهاية. ستكون إليجي.. فخورةً بمعرفة أننا لم نقف مكتوفي الأيدي قط».

سيطر الصمت على الغرفة بقبضةٍ حديديةٍ، فقرّر نوامد أنه قد حان وقت التدخّل، بشكلٍ لافتٍ. خطّط لإلقاء إحدى خُطب مُعلّمة الأكبر، خطبة من النوع الذي يُلهب حماسه الناس حقاً، لكن قبل أن يتمكن من النهوض، بدأ الموجودون في الغرفة بالنهوض.

قال أحدهم: «سنمضي قدماً».

فأجابه آخر: «سنمضي قدماً».

جَلَس نوامد، وراقبهم يقفون واحداً تلو الآخر، يستمدّون قواهم من الآخرين. أدرك أنهم ليسوا بحاجةٍ لخطبته، وأن هذه المجموعة قوية كقشرة صلبة. لم يكونوا بحاجةٍ لشيءٍ يحشدهم أو يُحفّزهم. واليوم.. لم يكونوا بحاجةٍ حتى لجُندي.

بل احتاجوا الشيءَ كان عليه من قبل، كانوا بحاجةٍ لشخصٍ يُمكنه حل المشاكل.

بحق العواصف. هل يُمكنه أن يكون هذا الرجل من أجلمهم؟ هل يهيم؟ حتى لو أوصلهم بطريقةٍ أو بأخرى إلى المدخل.. فلن يُنقذهم هذا. ورغم ذلك، فقد وَجَد نفسه مُنتشياً بجو التحدي لديهم أكثر من خمر

ملك الجمرات. وإذا ما تبقى أي شيء من الرجل الذي كان عليه يومًا، فهو كراهية شديدة للمُتَمَرِّين.. وخاصة أولئك الذين يُهاجمون العُزْل.

ولذا نهض، وانضمَّ إليهم جميعًا. التفتوا، ونظروا إليه، وأفسحوا له الطريق ليقترِب من طاولة الخير الأعظم. وهناك، استند بيديه على الخشب، وقال: «لقد حنث هذا الوغد بنذره». حدَّق به ثلاثهن.

قالت كونتمبليشن: «...؟ إنه قاتل وطاغية. ولن يضيره أن يحنث بوعوده أيضًا بالطبع». قال نوماد: «لا أهتم حقًا ببقية الأمور، لكن ملك الجمرات جعل الأمر شخصيًا.. لذا سأقتله. كما أفضل أن أسقط مملكته قبل رحيلي، كهدية فراق».

قالت كونفدنس: «كنا نود لو تمكنا من تقديم هذه الفرصة لك، لكنني لا أعتقد أنك تفهم خطورة مُشكِلتنا. فقد أُجبرنا على سبر أغوار ممر غير منيع.. ممر به عوائق تمنعنا من التقدم».

قال نوماد: «لنُحلِّق عائدين، ونختبئ في قلب الظلام مرّة أخرى». أجابه زيل من خلفه: «لقد أرسلنا الكشافة، وعرفنا أن ملك الجمرات قد نشر حرسه وكشافيه على طول جناحنا الشمالي.. لا بُد أنه استدعى جميع رعاياه ليرسلوا له المركبات! وسيُمسك بنا، إذا حاولنا العودة إلى الشمال».

همست كومباشن: «إننا مُحاصرون هنا، الأعداء إلى شمالنا، والجبال من جنوبنا وشرقنا». عبس نوماد قائلاً: «الجبال؟ لقد قالت ريبكي شيئًا عن هذا الموضوع.. لكن ذكروني. أظن أن التضاريس تُعيد ترتيب نفسها مع كل دوران. كيف توجد جبال إذن؟».

قال زيل موضِّحًا: «تبقى بعض التشكيلات الكبيرة. لطالما كانت هناك جبال في القطبين، ولذلك لا يمكن السفر إلى هذه المناطق. كما أنها تتشكّل في أماكن أخرى في بعض الأحيان.. وتلك الموجودة في هذه المنطقة.. هنا منذ سنوات». نظر إلى البقية، قبل أن يضيف بصوتٍ خافت: «دمرت مدينتين عن بكرة أبيهما، عندما ارتفعت للمرة الأولى. لقد تقصّيت الأمر، وطرتُ هناك عدّة مرّات.. ولكن دون جدوى. اعتقدت إليجي في الأصل أنه ربما لو تمكنا من تحصين هذا الممر، فسنكون قادرين على الهروب من ملك الجمرات».

أضافت كونتمبليشن: «تدوب الجبال وتتشكّل، لكن دعني أقدم لك هذه الحقيقة أيها الرجل الذي أضاءه نور الشمس؛ هناك شيء ما في قلب كوكبنا يخلق تلك المرتفعات هنا، مُرتفعتٌ يتعدّر عبورها تمامًا».

قال نوماد: «إن ما أقصده هو أننا نمتلك مركبات طائرة، ويمكننا الطيران من فوقها». صرّب زيل جبهته وهو يقول ساخرًا: «نظير من فوقهم! لماذا لم أفكر في هذا من قبل؟».

قالت كونتمبليشن: «دعني أقدم هذا التفسير لأنير جهلك، تتوقّف مُحركاتنا إذا بالغنا في الارتفاع، ورغم أنها لا تنفك تزار ويُحاول الاستمرار.. لكننا لا نتحرّك، ثم تتوقّف عن العمل. وعلاوةً على ذلك، يفقد الناس وعيهم إذا قضوا أكثر من بضع دقائق على ارتفاع شاهق».

سألها نوماد: «لحظة.. ما مدى ارتفاع تلك الجبال؟»
أجابه زيل: «طويلة، يبلغ ارتفاعها ألف قدم على الأقل».
ألف قدم؟ ألف واحدة؟

في البداية، افترض أن الاتصال قد انقطع، وأنه لم يُفسر الكلمات بشكل صحيح. إن هؤلاء الأشخاص في وضع حرج بسبب سلسلة من «الجبال» التي بالكاد تُعتبر تلالاً في وطنه الأم؟ حيث عاش في مدينة على ارتفاع يزيد على خمسة عشر ألف قدم.

ومع ذلك، لا يمكنه أن ينعتهم بالحمقى. بالسذاجة رُبها، لكن ليس بالبلاهة.
يقول الفارس بحيرة شديدة، تتناسب مع ذكائه المهين للكرامة: أنا تائه، هل أفهم ذلك بشكل صحيح؟ ماذا يحدث هنا؟

أدرك نوماد ما يحدث، فعلق قائلاً: «الرياضيات، الرياضيات هي مربط الفرس». ثم انتقل للتحدث باللغة المحلية وقال: «ليُحضِر لي أحدكم ورقة وشيئاً لأكتب به».

وعندما قاوموا، حدّق بهم حتى قدّمت له إحدى الذين كانوا يدوّنون الملاحظات الأدوات المطلوبة. جلبت له المرأة مقعداً، فاستقرّ جالساً عليه، وهو يفرك جبهته. أصبحت الكتابة سهلة بالنسبة له هذه الأيام.. ومن الغريب أن يفكر أن تلك القدرة كانت تُعتبر غير لاثقة بالنسبة للبعض في وطنه في وقت سابق.

كتب بعض المعادلات، تعمق في الماضي بشدة، وذهب بعيداً للغاية.. إلى الشخص الذي اعتاد أن يكون عليه. مُفكراً في الطريقة التي تعمل بها الدراجات الهوائية، مُتخيلاً محرّكاتها. انطوى أفضل تخميناته على آلية المحرّك تستخدم وحدات ادّخار من قلوب الشمس تلك لتسخين الهواء بطريقة ما، قبل أن تطرده تلك النفّاثات الموجودة بالقاع إلى الخارج، لتوفّر لها قوّة الدفع اللازمة لترتفع. فقد اعتمدت حواماتهم بشكلٍ أساسيٍّ على المحرّكات النفّاثة الموجهة للأسفل عوضاً عن الارتفاع بالأجنحة.

تمتم: «الدافع، تلك هي المشكلة. فبالأعلى، يُصبح الهواء رقيقاً للغاية بحيث لا يُمكن استخدامه كوقود دفع لمركباتكم. هذا رائع».

احتشدوا حوله ببطءٍ، وبدت عليهم أمارات الصدمة لرؤية الرياضيات المعقّدة التي يكتبها «الرجل الذي أضاءه نور الشمس»، القاتل ذو السلوك الفظ.. حسناً، لم يلّمهم على ذلك ولو قليلاً.

سألته كونتيمبليشن بصوتٍ خافتٍ وهو يكتب: «ماذا يعني كل هذا؟».

أجابه: «إن كوكبكم صغيرٌ للغاية، إنه صغيرٌ بشكلٍ هزليٍّ حقاً. كم من الوقت يستغرقه إكمال دورة كاملة مرّة أخرى؟».

قالت كونتيمبليشن: «حوالي عشرين ساعة».

-«إمم.. أعطوني ساعة».

مدّوه بواحدة، واستطاع -مستعيناً بإحساسه الداخلي للوقت- القيام ببعض الحسابات الغامضة. فقد كانت ساعاتهم أقصر من ساعاته بمقدار النصف. وبحساباته.. أجل، أعطاه هذا شيئاً ليعمل به. تخمّن أن يومهم يتكوّن من حوالي عشر ساعات بالمعايير المجرّية. كان الكوكب صغيراً، ويدور حوله نفسه ببطءٍ كافٍ ليتمكّن الناس من مواكبة سرعته بمركباتٍ عاديّة. وظنّ أنه من الممكن الطيران حوله بشكلٍ كاملٍ في غضون أربع ساعاتٍ فحسب، باستثناء أن هذا غير ممكّن. فعليك أن تنتظره حتى يدور، لأنك لو تقدّمتَ للأمام كثيراً، فستدخُل في نطاق نور الشمس مباشرةً.

وبحساب ذلك -بالإضافة لبعض القياسات التي طلبها من الآخرين- توصل إلى قطر الكوكب. ومن هناك، جاءت الإجابات تباعاً. لقد خُدع في البداية، لأن الجاذبيّة كانت تُشبه تلك التي عرّفها في وطنه تقريباً. صحيح أنها أقل من معظمّ العوالم، لكنها لا تزال ضمن النطاقات المشتركة، ويمكنه اختبار ذلك عن طريق إسقاط بعض الأشياء. وبغض النظر عن ذلك، فقد منحه هذا الانطباع الأولي شعوراً زائفاً بأنه ضليع في فيزياء العالم، في حين أنه كان في الواقع، بعيداً كل البعد عن ذلك.

شَرَح مَوْضِعاً: «عادةً ما تكون معظمّ العوالم التي تتمتع بهذا النوع من الجاذبيّة.. أكبر حجماً. هناك شيءٌ كثيفٌ في لبّ الكوكب، أود أن أقول أنه.. مُدّخر، لأنه لا يُمكن لأيّ عنصر طبيعي أن يخلُق هذا النوع من الجاذبيّة، ويترك الكوكب صالحاً للعيش».

تابع حديثه قائلاً: «كما إن جوكم يبدو رقيقاً بمعدّل يُنذر بالخطر. وفي تقديري، عندما ترتفعون لألف قدم، تدخلون منطقة الخطر. ولا عجب أن مركباتكم تُخلَق في الهواء لمسافة ثلاثين أو أربعين قدماً فحسب». نظر إلى دائرة من الوجوه الفارغة.

يقول الفارس: أنا أرفع يدي. صحيح أنه لا يُمكنك رؤيتها، لكنني أرفعها. تفقّديني. قال نوماد باللّغة الأليثيّة: «حسنًا».

- هل يُمكنني الذهاب لدرس الرسم بدلاً من ذلك يا أستاذ؟

- «أنت حرفياً استعراضٌ حيٌّ للقوى الفيزيائية أيها المُساعد.. حيثُ يتشارك الجوهر مع مفاهيم الجاذبيّة والقوّة بين المحاور. لا بُد أنك تعرف هذه الأشياء».

- صحيح. ولأنكم مكوّنون من لحمٍ وسوائلٍ غريبةٍ متنوّعة، يُولد كل إنسانٍ وهو يعرف كل شيء عن تشريح الرئيسات.

قال نوماد: «حسنًا، ستكون فكرةٌ جيّدةٌ أن نتبّه على أي حال». رغم أنه شعّر بالحماقة عندما نطق بهذه الكلمات. لو كان قد أولى اهتماماً أفضل بنفسه، لاكتشف ذلك مُبكرًا. حيثُ إن أشياء مثل انحناء الكوكب، وانخفاض الضغط الجوي عند مستوى سطح الأرض.. تُعد إشاراتٍ واضحةٍ لحجم الكوكب.

عاد للحديث باللّغة المحلية قائلاً: «اسمعوا، من المنطقي تمامًا أن تتعطلّ محرّكاتكم أثناء مُحاولاتها لعبور الجبال. فهذه المركبات تتحرّك عن طريق إزاحة الهواء».

قالت كونتمبليشن: «إذا أسعدك التحلي أن يُناقضك أحدهم، فهذه المركبات تطير باستخدام قلوب الشمس».

قال: «أجل، ولا. إنكم تطيرون باستخدام محركات تستخدم طاقة قلوب الشمس كمصدر للوقود.. يُمكنكم الطيران باستخدام الفحم والبقاء عاليًا في الهواء، إذا تمكّنتم بطريقةٍ أو بأخرى من التعويض عن وزن مثل هذا الفرن الكبير والوقود الثقيل. لكن ما يجعل هذه المركبات تتحرّك، هو الدافع، وليس الوقود. فكما تعلمون، مثل دفع شيء ما للخارج ليمنحك دفعةً للأعلى؟ هل تفهمون قصدي؟».

رمقوه بنظراتٍ فارغة.

تابع حديثه: «كيف يُمكنكم أن تطيروا بمركباتٍ مُتقدّمةٍ مثل هذه دون أن تمتلكوا أي فهم لعلوم الطيران؟ ديناميكا الموائع؟ قانون الحركة والحركة المضادة؟».

المزيد من النظرات الفارغة، باستثناء امرأة واحدة وقفت جانبًا. نظر إليها بعضهم. خنّ أنها ميكانيكية أو مهندسة. ففي حين ارتدت ملابس تُشبه البقية، كانت هناك بُقع زيت على قفازاتها.

قالت وهي تُحدّق في الأرقام التي خطّها: «يُمكنني فهم بعض من هذا أيها الرجل الذي أضاءه نور الشمس، ولكن عليك أن تفهم أننا لاجئون إلى اللاجئيين. بينما يمتلك ملك الجمرات علماء قد يكونون قادرين على فهم ما تقوله، لكنهم يُركّزون كذلك على الحفاظ على حركة المُدن».

تابعت حديثها قائلة: «لا نملك الوقت، أو الموارد، أو الأرواح لنُضيعها في التنظير. نستخدم ما يعمل، لنتمكّن من الحفاظ على تشغيلها، ونكرّره، ولكن...». هزت كتفها قبل أن تُضيف: «لا يُمكننا التفكير في أي أفكار جديدة بينما يلوح الموت في الأفق».

يُمكنه احترام ذلك. بحق العواصف، فقد عاشه بنفسه. كم من الوقت امتلكه ليحلّم منذ أن بدأ فراره؟ قالت كونفدنس وهي تُشير للمعادلات التي خطّها: «يؤكد كل هذا ما نعرفه بالفعل.. وهو أننا إذا ارتفعنا أكثر من اللازم، تتوقّف المحركات عن العمل، ونختنق؟».

يتدخل الفارس قائلاً: يجب أن تُخبرها أن هذا هو جوهر الرياضيات، شرح الأشياء التي يعرفها الجميع بالفعل.

تمنى في بعض الأحيان لو كان رابطته خفيًا.

قال: «بالفعل، إنها تُخبرنا بما نعرفه يا كونفدنس، ولكن من المفيد أن يُخبرنا ذلك بالسبب. وهذه هي الخطوة الأولى لحلّ أي مُشكلة».

قالت كونتمبليشن: «وهل يُمكنك حلّ هذه المُشكلة؟ في أقل من عشر ساعات؟ لأننا سنواجه تلك المُرتفعات بحلول ذلك الوقت».

عشر ساعات بوقتهم؟ هل يُمكنه حلّ مُشكلة كهذه في هذا القدر من الوقت؟

مُستحيل.

قال: «بالتأكيد، سأحتاج إلى بعض الأشياء، أولها الوصول إلى أي آلات تصنيع لديكم. قالت ريبكي أن بإمكانكم صنع أجزاء مركبات جديدة من المواد الخام؟».

قال جيفري جيفري: «أجل، يمكننا القيام بذلك».

-«جيد. أحتاج لإمكانية الوصول إلى ذلك، بالإضافة إلى غرفة هادئة، وبعض المعدات، .. المتفحمة التي أسرناها، شقيقة ريبكي. لبعض الاختبارات ذات الصلة».

لم يُناقشوه، وهذا جيد. كان لا يزال يعمل على إيجاد طريقة للهروب من عذابه، وأراد فأر تجارب ليُجرّب عليه نظرياته، لأن العلماء الأذكى لا يقومون بالتجارب على أنفسهم.

قالت كونفدنس: «لحظة، حتى لو حدثت معجزة وتجاوزنا الجبال، فإننا لا نزال في عداد الموتى. ماذا عن إمدادات الطاقة المنخفضة لدينا؟».

قال نوماد: «سنجد طريقة لتوليد المزيد من الطاقة».

سألته: «ماذا عن ملك الجمرات؟ والقوى الهائلة التي نواجهها؟ وحقيقة أننا نستمر في خسارة الناس بسبب هجماته، يوماً بعد يوم؟ ما هو هدفنا هنا؟ ما الذي نحاول تحقيقه، بخلاف قتله؟ ما هدفنا النهائي؟».

قال نوماد: «الأمر متروك لكم، كل ما أرغب فيه هو العثور على ذلك الباب. وسأبدل قصارى جهدي لتعبروا تلك الجبال، ثم مدمم بالطاقة الكافية لإبقائكم منطلقين ليومٍ آخر. ثم سنعود إلى هذه المنطقة، وستتمكن من البحث مرةً أخرى». أنهى كلماته وهز كتفيه.

قالت كونفدنس: «هذا الحديث مرةً أخرى؟ لقد قلت بنفسك أن الباب لن يُساعدنا».

قال: «أنا..». ثم توقف، إنها مُحققة.

قالت كومباشن: «اهدأي يا كونفدنس». بدت المرأة العجوز، ذات البشرة الأبنوسية والشعر الأبيض المُجعّد، ضعيفة للغاية في مقعدها. كما كانت بحاجة للمساعدة في المشي، وارتعش صوتها وهي تتحدّث. ورغم ذلك، كانت تنصّح بالقوّة. قوّة من انحنى في وجه السنين، لكن دون أن يستسلم لها، قوّة فهمها، واحترّمها.

تأبعت كومباشن حديثها قائلة: «لقد قدّمنا تأكيداتنا على الموت عوضاً عن العودة لملك الجمرات لتونا. أليس هذا على الأقل أملاً صغيراً يفوق ذلك؟ لقد جاء أسلافنا إلى هذه الأرض، ونجوا رغم كل الأسباب والاحتمالات. ألا ندين لهم بمحاولة البقاء على قيد الحياة مهما كانت قتامة ما يُمكن أن نتخيّله؟».

قالت كونفدنس: «لقد بحثنا في المنطقة بأكملها، ولم نجد لذلك الباب أثراً».

أجابتها كومباشن: «إنه قريب من المكان الذي بحثنا فيه، لا بد أنه قريب. سنكتشف مكانه، ونبحث هناك بدلاً من ذلك».

سألته كونفدنس: «وإذا كان الملجأ حقاً مُجرّد أسطورة؟ وغير حقيقي، ولم يكن كذلك يوماً، كما يفترض هذا الرجل؟».

بَسَطَ الصمْتِ أَشْرِعَتَهُ عَلَى الْآخِرِينَ.

نَهَضَ زَيْلٌ مِنْ مَقْعَدِهِ قَائِلًا: «نَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَى مُعْجِزَةٍ، وَأَنَا أَعِيشُ مِنْ أَجْلِ الْمَعْجِزَاتِ أَيُّهَا الْخَيْرُ الْأَعْظَمُ. حَتَّى بَدُونَ الْجِبَالِ.. وَحَتَّى لَوْ اِمْتَلَكْنَا قُلُوبَ الشَّمْسِ.. فَسَيَكُونُ دَرِينَا دَرَبُ مَوْتٍ دُونَ حَلْمٍ. وَبِدُونَ حَلْمٍ، سَيُرْهِقُنَا وَيُدْمِنُنَا فِي النِّهَايَةِ، بَغْضِ النَّظَرِ عَمَّا نَفْعَلُهُ. لَذَا أَجَلٌ، أَفْضَلُ أَنْ أَتَّقِ فِي الْأَسْطُورَةِ يَا كُونْفِدَنْسُ.. بَدَلًا مِنْ التَّوَقُّفِ وَاحْتِضَانِ الشَّمْسِ».

أَوْمَأَ الْآخَرُونَ بِرُؤُوسِهِمْ، فَانْقَبَضَتِ مَعْدَةُ نَوْمَادٍ، وَنَظَرَ أَرْضًا. فَفِي وَقْتٍ سَابِقٍ، دَعَمْتَهُ ثِقَتُهُمْ، لَكِنَّهُ وَجَدَهَا الْآنَ تَمُّعًا عَنِ إِدَانَةِ غَرِيبَةٍ، إِدَانَةٍ لَهُ، وَلِلْفُرْصَةِ الْكَاذِبَةِ الَّتِي أَتَاحَهَا وَجُودُهُ.

قَالَ لِنَفْسِهِ: حَاطِلٌ أَنْ تَوْمِنَ، مِثْلَمَا يُؤْمِنُونَ. حَاطِلٌ أَنْ تَتَظَاهَرَ بِوُجُودِ أَمَلٍ لَهُمْ عَلَى الْأَقْلِ. وَمَنْ يَعْرِفُ؟ فَقَدْ أَخْطَأَتْ مِنْ قَبْلِ

رَفَعَ نَاطِرِيهِ، وَوَعَدَهُمْ قَائِلًا: «سَنَفْعَلُهَا، سَنَعْبُرُ تِلْكَ الْجِبَالَ وَنَطِيرُ دَوْرَةَ كَامِلَةً حَوْلَ هَذَا الْكُوكَبِ الْمَلْعُونِ. وَسَنَعُودُ إِلَى حَيْثُ بَدَأْنَا، وَهَذِهِ الْمَرَّةُ.. سَنَفْتَحُ الْمَدْخَلَ. فَهَذَا أَفْضَلُ مِنَ الْاِسْتِسْلَامِ وَالْمَوْتِ».

وَافْقَتَهُ كُونْتِمْبَلِيشَنُ الرَّأْيِ قَائِلَةً: «إِنَّهُ كَذَلِكَ، هَلْ هَذَا سَبَبُ اسْتِمْرَارِكَ بِالْفِرَارِ؟».

أَجَابَهَا: «حَتَّى الْآنَ».

جَلَسَتْ كُونْفِدَنْسُ، وَأَوْمَأَتْ بِرَأْسِهَا لِنَفْسِهَا، فَادْرَكَ أَنَّهَا رُبَّمَا تَلْعَبُ دَوْرًا مَا. صَحِيحٌ أَنَّهَا تُعْبِرُ عَنْ مَشَاعِرِهَا الْحَقِيقِيَّةِ، لَكِنَّهَا أَيْضًا تُقَدِّمُ الْحِجَّةَ الَّتِي يَجِبُ تَقْدِيمُهَا.. حَتَّى يُمَكِّنَ دَحْضَهَا، وَتَدْفَعَهُمْ لِإِيجَادِ الْحَلِّ مِنْ خِلَالِ التَّعْبِيرِ عَنْ مَخَاطِرِهِمْ الَّتِي يَشْعُرُونَ بِهَا جَمِيعًا، وَتَمْنَحُهَا شِكْلًا، قَبْلَ أَنْ تُحَيِّدَهَا.

هَمَسَتْ كُونْمَبَاشُنُ: «سَنَفْعَلُهَا.. مِنْ أَجْلِ أَطْفَالِنَا، وَعَائِلَاتِنَا، وَمَنْ أَجَلِ أَنْفُسِنَا».

عَظِيمٌ، وَالْآنَ عَلَيْهِ أَنْ يُعِيدَ هِنْدَسَةَ أُسُسِ تِكْنُولُوجِيَا الطَّيْرَانِ الْخَاصَّةِ بِهِمْ - وَأَنْ يُعِيدَ تَجْهِيْزَ مُحَرِّكَاتِ الْمَدِينَةِ بِأَكْمَلِهَا لِلْعَمَلِ فِي بَيْئَةِ قَرِيبَةٍ مِنَ الْفِضَاءِ - فِي غُضُونِ سَاعَاتٍ قَلِيلَةٍ.

وَإِنَّهُ يُفَضِّلُ لَوْ تَعَرَّضَ لِلضَّرْبِ عَوْضًا عَنْ ذَلِكَ، لِأَنَّ هَذَا سَيَتَطَلَّبُ شَخْصَهُ الْقَدِيمَ. الشَّخْصَ الَّذِي فَشَلَّ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً.

خصّصوا له غرفةً صغيرةً بالقرب من مركز المدينة، ووجدها.. صغيرة بشكل مُريح. كورشة عمل، مع جدار لتثبيت الملاحظات فوق مكتب صغير، وفراش أطفال قابل للطي في الزاوية. ورغم أنها لم تكن كبيرة، وفّرت جودة حياةً مُمتعة ضمن المساحة التي يُفضّلها.

سُرعان ما جلبوا إليه مُحركًا صغيرًا، مأخوذًا من إحدى الدرّاجات الهوائية، ووضعوه على طاولة العمل. كان بحجم بطيخة كبيرة فحسب. وبعد ذلك، أحضروا إليّجي، جرّوها من ذراعيها، المُقيّدين بالسلاسل من عند المعصم.

لم يرَ المُتفحّمة منذ أن ساعد في «إنقاذها» خلال الهروب الأولي. تعاوّنَت مجموعة متنها ستة رجال على تقييدها بالسلاسل إلى الحائط وهي تُقاوم. تفحصها بمزيدٍ من الدقّة، من مقعده على مكتبه. بدّت في أواخر الثلاثينيات من عُمرها، وهناك علامة جمرّة متوهّجة تُزيّن وجنتها اليسرى، بينما قصّ شعرها الأسود الفضي قصيرًا. كما تمتعت بعينين خضراوين، مثل شقيقتها، ومنحته الكثير من الفرص لرؤيتها وهي غاضبة من أسريها.

غادر الرجال أخيرًا، وقد أصيبوا بعدّة جروح ناجمة عن ضربها لهم بركبتيها أو مرفقيها. كانت المرأة خطيرة، حتى وهي مُقيّدة بالسلاسل. اشتعلت جمرتها - التي توهّجت في التجويف الرمادي لصدرها، حيث يُفترّض أن يكون قلبها - بشكلٍ مُثيرٍ وهي تُقاوم قيودها. لو لم تكن مُدخّرة إلى هذا الحدّ - بالقوّة التي تُعزّز بشرتها وعضلاتها - لجرّحت نفسها في خضمّ مُحاولاتها الغاضبة للتحرّر.

قالت كونتمبليشن من مدخل الغرفة: «كانت هذه عُرفتها يومًا، تمنيتُ أن يُحفظ ذلك بعض الذكريات». شكّ في أن ذلك قد أجدى أي نوع من النفع، وفقًا للطريقة التي تُقاوم بها إليّجي. ورغم ذلك، فإن حقيقة أن هذا مكانها دلّ على أنه كان يُعجب بتلك المرأة، لو لم تحترق حتى لم يبق سوى رماد روحها. سألته كونتمبليشن: «لماذا تُريدها؟».

قال نوماد: «أحتاج لفهم مصادر الطاقة الخاصّة بكم، إن قلوب الشمس تلك.. لا تُشبه أي شيء رأيتُه على متن أي كوكبٍ آخر». أوما برأسه نحو إليّجي، ثم أضاف: «لديها واحدة في مُنتصف صدرها، وأريد إجراء بعض الاختبارات».

- «هل ستؤذيها تلك الاختبارات؟».

قال: «لا أستطيع أن أعدك بأي شيء، لكنني لا أتوقّع ذلك».

أومأت كونتمبليشن برأسها بتمعّن، جعلتها تصفيفة شعرها الشهيرة باسم «خلية النحل» تبدو أطول مما هي عليه، قبل أن تقول: «هناك أشخاص بيننا، سينزعجون منك بشدّة إذا حدّث أي شيءٍ مؤسّفٍ لإليّجي».

أوماً برأسه قائلاً: «لكنك لستِ واحدة منهم؟».

قالت كونتمبليشن: «أعرف إليجي جيداً، وقد تحدّثتُ إليها عدّة مرّات خلال الأشهر التي أجمعت فيها نيران تمرّدنا. وبمُجرّد أن تم تعييني في منصب الخير الأعظم، صوّتُ لتنصيبها في منصب المرشدة؛ المنصب المُقرّر، لتلك التي تقود المدينة في طريقها. لكن بالنسبة لنا، انطوى الأمر على أكثر من هذا.. فقد كانت شخصاً يرسم الخطط. وصحيح أننا قادة المدينة، لكنها كانت قلبها، ولقد تبعنا رؤيتها». أومات برأسها نحو المرأة المُقيّدة إلى الحائط، قبل أن تُضيف: «هذا الشيء ليس إليجي. لا يُمكنك أن تؤذيها أيها الرجل الذي أضاءه نور الشمس، لأنها ميّته بالفعل».

تقدّمت كونتمبليشن نحوه، وخلعت فُقاها عن يدها، ورفعتها عاليّاً، وراحتها للأعلى. بدت وكأنها تتوقّع شيئاً منه. وبتردّد، وُضع يده فوق يدها.. دون أن يلمسها.
قالت: «لم تسحب شيئاً؟».

أجابها: «لقد تنامى إلى علمي أنه ليس من حُسن الأدب أن نسحب الحرارة من الآخرين».
أومات كونتمبليشن برأسها نحو يدها، ثم قالت: «ما لم تُعرض عليك، هذه لفتة شكر لدينا أيها الرجل الذي أضاءه نور الشمس. عرض للضعف والرغبة في الثقة. لقد أنقذت حياتي، واختبرت أماً ومُخاطرةً عظيمةً خلال ذلك، شكراً لك».

دفعه هذا التفسير ليضغط راحة يده إلى راحتها، همس قائلاً: «أصبحت أنفاسك ملكي». محاولاً إصدار أمرٍ لمعرفة ما إذا كان بإمكانه سحب حرارتها. لم يُجد هذا نفعاً بالطبع، لكن الأمر استحقّ المحاولة، وبالإضافة إلى ذلك، فقد عنّت تلك الشعيرة شيئاً لها.

اغرورقت عيناها بالدموع، وقالت: «عندما اقتحمت تلك النافذة، عرفت أنك هو. الرجل الذي أضاءه نور الشمس في الأساطير، وعرفت ذلك مرّة أخرى، عندما قدّمت لنا الأمل في مواصلة طوافنا الأبدي».
قال: «لستُ كما تظنين يا كونتمبليشن، لستُ كذلك حقاً. لكن الآن، لو أبقاكم ذلك تتحرّكون، فيمكنكم أن تُنادوني كما تُريدون بحق العواصف».

ابتسمت المرأة العجوز، وقالت: «سعدت برؤيتك». ثم غادرت وتركته وحيداً مع امرأةٍ مجنونة متوهّجة. حسناً، هي وضميره شبه المُستيقظ.

يسأل البطل بشكٍ يُخالطه قدر من الفضول: هل تعتقد حقاً أن بإمكانك القيام بذلك؟

استقرّ نوماد على مكتبه، لكنه استمرّ في مُراقبة إليجي، التي توقفت عن المقاومة، وكرّست نفسها للتحديق به عوضاً عن ذلك. قال للمُساعد: «أعتقد أنه ليس في جعبتي أي خياراتٍ أخرى. ولحُسن الحظ، فقد تمكّنوا من حلّ الجزء الصعب».

– هل فعلوا ذلك حقاً؟

فَتَحَ دَفْتَرًا فَارِعَا، ثُمَّ قَالَ: «بِالتَّأَكِيدِ، فَلَدَيْهِمْ مَصْدَرٌ طَاقَةٌ مُدْمَجٌ، وَقَوِيٌّ، وَمُتَجَدِّدٌ، شَيْءٌ لَا يُمَكِّنُ لِمُعْظَمِ الْمُجْتَمَعَاتِ النَّامِيَةِ إِلَّا أَنْ تَحْلُمَ بِهِ. هَذَا صَعْبٌ، لِطَالَمَا تَعَلَّقَ السَّفَرُ بِإِمْدَادَاتِ الطَّاقَةِ. إِنْ تَوَلَّدَ الطَّاقَةُ -حَسَنًا، إِطْلَاقَهَا- لِأَمْرٍ سَهْلٍ. فَكُلُّ مَا عَلَيْكَ فَعَلُهُ هُوَ إِقْلَاءُ عَوْدِ ثِقَابٍ فِي كَوْمَةٍ مِنَ الخَشْبِ الجَافِ، وَسَتَرَى ذَلِكَ بِنَفْسِكَ. لَكِنْ تَسْخِيرُهَا؟ وَجَعَلَهَا صَالِحَةً لِلنَّقْلِ؟ هَذِهِ هِيَ المُشْكِلةُ».

أَجَابَهُ المُسَاعِدُ، بَيْنَمَا بَدَأَ نَوْمًا فِي الكِتَابَةِ والرَّسْمِ: إِذَا كَانَ الأَمْرُ بِهَذِهِ السَّهولَةِ، مَاذَا يَحْدُثُ إِذْناً عِنْدَمَا يَصِلُونَ لِتِلْكَ الجِبَالِ؟ وَلِمَاذَا تَتَوَقَّفُ مُحَرِّكَتَهُمْ عَنِ العَمَلِ؟

قَالَ: «لَا تَتَوَقَّفُ المُحَرِّكَاتُ عَنِ العَمَلِ، بَلْ تَسْتَمِرُّ فِي إِطْلَاقِ الطَّاقَةِ، لَكِنْ دُونَ أَيِّ شَيْءٍ يُمَكِّنُهَا أَنْ تَفْعَلَهُ بِاسْتِخْدَامِ تِلْكَ الطَّاقَةِ. حَيْثُ تَتَضَمَّنُ مُعْظَمَ الرِّحَلَاتِ التَّقْلِيدِيَّةِ مَبْدَأً أُسَاسِيًّا وَاحِدًا؛ رَدُودَ الفِعْلِ المُتَسَاوِيَةِ فِي الحِجْمِ وَالمُتَعَاكِسَةِ فِي الِاتِّجَاهِ (19). مِنَ المُحَرِّكَاتِ النَّفَّاثَةِ إِلَى العَرَبَاتِ الَّتِي تُجَرِّهَا الخَيْولُ، يَتَعَلَّقُ الأَمْرُ بِرَمْتِهِ بِالقَوَانِينِ الأَسَاسِيَّةِ لِلحَرَكَةِ».

وَتَحْتَاجُ المُحَرِّكَاتُ النَّفَّاثَةُ لِلهَوَاءِ لِتَوْفِرَ قُوَّةَ الدَّفْعِ؟

قَالَ: «أَجَلٌ، إِنْ الأَمْرُ أَكْثَرَ تَعْقِيدًا، وَلَكِنْ بِشَكْلِ عَامٍ، تَعْمَلُ المُحَرِّكَاتُ النَّفَّاثَةُ عَنِ طَرِيقِ دَفْعِ الهَوَاءِ عِبْرَ فَوَّهَةٍ صَغِيرَةٍ. وَفِي مُعْظَمِ الحَالَاتِ، يَكُونُ الهَوَاءُ شَدِيدَ الحَرَارَةِ هُوَ مَا يَمُرُّ عِبْرَ التَّوْرِييْنَاتِ، وَيُحَرِّكُ الدَّفْعَ النَّاتِجَ عَنِ ذَلِكَ المَرْكَبَةَ، فَيَنْدَفِعُ الهَوَاءُ مِنَ الجُزْءِ الخَلْفِيِّ لِلْمُحَرِّكِ».

-إِذْنَ.. دُونَ مَزِيدٍ مِنَ الهَوَاءِ.. لَا مَزِيدٍ مِنَ قُوَّةِ الدَّفْعِ؟

قَالَ وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى المُحَرِّكِ الصَّغِيرِ: «بِالضَّبْطِ، أَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الجَوَانِبَ عِبَارَةٌ عَنِ مَآخِذِ هَوَاءٍ، تَسْحَبُ قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الهَوَاءِ، ثُمَّ يُسَخِّنُهُ قَلْبُ الشَّمْسِ بِشِدَّةٍ فِي قَلْبِ هَذَا الهَيْكَلِ هُنَا -وهو ضَاغِطٌ مِنْ نَوْعِ مَا- وَرُبَّمَا يَوْلَدُ البَلَازِمَا، الَّتِي يُمَكِّنُهَا أَنْ تَكُونَ عَنِيفَةً. انظُرْ إِلَى هَذَا.. هَلْ تَرَى هَذِهِ الفَوَّهَاتِ هُنَا؟ هَذَا هُوَ المَكَانُ الَّذِي يَتَدَفَّقُ فِيهِ الهَوَاءُ شَدِيدَ السَّخُونَةِ.. وَرُبَّمَا حَتَّى بَعْضَ وَحِدَاتِ الأَدخَارِ الَّتِي تَحَوَّلَتْ إِلَى طَاقَةٍ خَامٍ. مِمَّا يَمِدُّنَا بِالارتفاعِ وَالتَّوَهُجِ النَّارِيِّ الَّذِي نَرَاهُ».

-مَاذَا عَنِ الرِّحَلَاتِ الفَضَائِيَّةِ، حَيْثُ لَا يَوْجَدُ أَيُّ هَوَاءٍ؟ كَيْفَ تَقُومُ المَرْكَبَاتُ الأُخْرَى بِذَلِكَ؟

كَانَتْ لَا تَزَالُ جَدِيدَةً نَسْبِيًّا. حَسَنًا، لَقَدْ كَانَ العِلْمُ المُرتَبِطُ بِهَا قَدِيمًا، اعْتِمَادًا عَلَى أَجْزَاءِ الكَوْنِ الَّتِي زُرْتَهَا، لَكِنْ لَمْ يُجَرِّبْهَا سِوَى قَلَّةٍ قَلِيلَةٍ حَتَّى المِئَةِ عَامِ المَاضِيَةِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ. لِمَاذَا نَبْذَلُ كُلَّ هَذَا الجُهدِ لِلسَّفَرِ فِي فَرَاغِ الفِضَاءِ عِنْدَمَا تَكُونُ هُنَاكَ طُرُقٌ أَسْهَلُ لِلسَّفَرِ بَيْنَ الكَوَاكِبِ؟

تَكْمُنُ الحِيلَةُ فِي أَنَّ مُعْظَمَهَا كَانَ بَطِيئًا، وَعَادَةً مَا يَسْتَعْرِقُ شَهْرًا، أَوْ حَتَّى سِنَوَاتٍ مِنَ السَّيْرِ إِلَى بُعْدِ آخَرَ. يُمَكِّنُكَ الطَّيْرَانُ إِلَى هُنَاكَ أَيْضًا، لَكِنْ لَا يُمَكِّنُكَ الخُرُوجُ سِوَى فِي نِقَاطٍ مُحَدَّدَةٍ. لَقَدْ بَدَأَ لِلتَّوْ اسْتِكْشَافِ الطَّرِيقِ الأَسْرَعِ لِلذَّهَابِ إِلَى أَيِّ مَكَانٍ، لَكِنَّهَا كَانَتْ أَشَدَّ صَعُوبَةً بِشَكْلِ نَسْبِيٍّ بِطَرِيقِهَا الخَاصَّةِ، إِمَّا ذَلِكَ، أَوْ أَنَّ لَدَيْهَا بَعْضَ الأَثَارِ الجَانِبِيَّةِ الرَهيبَةِ، وَتَجْرِبَتُهُ هِيَ خَيْرٌ دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ.

ومع ذلك، فقد اتجه المزيد والمزيد من الأشخاص في الكون لفهم الأساليب الصعبة، ولكن المعقولة، التي كانت بعيدة المنال حتى يتطابق التطبيق العملي العلمي مع الحلم النظري.

قال إجابةً على سؤال أوكس: «بالنسبة لرحلات الفضاء، عادةً ما تُحضر معك وقودك الدافع، وغالبًا ما يمزج مُحرك الصاروخ بين الوقود والمادّة المؤكسدة.. لكن النُقطة المُهمّة هي أن كُتلة هذين الاثنيْن تخرج من الجزء الخلفي من المُحرّك بسرعةٍ عالية، فتجعلك الكُتلة والطاقة المطرودة من الخلف تتقدّم للأمام. بينما لا تحمِل هذه المُحرّكات التي تعمل بقلوب الشمس الوقود معها».

-إذن فلنعمل ذلك.

سأله: «ما مقدار كمية الأوكسجين السائل المتوفّرة لديك؟ وماذا عن الكيروسين؟ إن وقود الصواريخ ليس شيئًا شائعًا يا أوكس، أشك في قدرتنا على تجميع أي شيء في الوقت المناسب، ولا أعرف أي مصدرٍ للأثير الزفيري على متن هذا الكوكب، هل تعرف أنت؟».

-هل.. فشلنا إذن؟

قال وهو يبدأ العمل على رسم تخطيطي: «لا، فلديهم الكثير من شيءٍ واحد: الماء. إنها تتدفّق على السطح الآن. بالإضافة لأن لديهم -كما قلتُ- الجزء الصعب في مُتناول اليد: الوقود فاتق الصغر الغني بالطاقة، الذي يُمكنه تسخين الأشياء دون الحاجة للأوكسجين. وهكذا، إذا حصلت على مُحرك بُخاري يعمل، وخرّجت نفّاثات البُخار من الأسفل».

-لحظة، هل ستمد رحلة فضائيّة بالطاقة باستخدام مُحرك بُخاري؟

أجابه: «أعتقد أنني سأفعل ذلك، رغم أنني كُنْتُ لأطلق عليها رحلة إلى الغلاف الجوي المرتفع وليس رحلة فضائيّة مُناسبة. على أي حال، ستتفاجأ بعدد مصادر الطاقة الحديثة التي تعتمد على نفس المبدأ. فلطالما كانت مُشكلة المُحرّكات البُخاريّة التقليديّة -حسنًا، إحدى مُشكلاتها الكبيرة- أن الوقود ضخم وثقيل للغاية، وليس عمليًا بالنسبة لما يفوق مُحركًا واسع النطاق على القُضبان بقُدرة قطرٍ كبيرة. ومع ذلك، فهذا أنا أُخبرك بأن هذه الطريقة هي التي تعمل بها الحركة بأنواعها كافّة».

يسأل الفارس بتردد: كُل أنواع الحركة؟ ماذا عن طيراننا سويًا في الماضي؟

تجمّد نوماد في مكانه، فقد كان هذا مُختلفًا. لقد أخطأ في التعبير بالطبع، فلا تحدّث كُل أنواع الحركة بسبب العوامِل التي أشار إليها. فهُنالك أنواع أخرى، مثل قوانين الجذب الأساسيّة، من جسدٍ إلى آخر. والقوى التي تربط كُل المادة ببعضها البعض، على مستوى المحوَر العصبي.

اعترف قائلاً: «كان ذلك مُختلفًا».

قال أوكس: كُنْتُ أحب ذلك، قبل أن...

تنفّس نوماد بعُمقٍ، وأغلق عينيه.

لم يكن خطأك.

- «لقد امتثلتُ لهويد، وربطتُك».

- لم تكن تعرفِ إلامَ سيفضي أيُّ من الأمرين.

- «لقد تركتُ «أفلاق الفجر» تلتهمك أيها المُساعد، لقد تركتها تتغذى عليك».

- لقد أنقذتَ القليل؛ بعضًا من عقلي، والجزء الأخير من روحي.

كان ذلك خطأً وت بقدرٍ ما كان خطأً نوماد، قاما به ظاهريًا لحماية الكون. فقد طلبَ منه وت أن يحمل شيئاً يُعرَف باسم «أفلاق الفجر»، وهو جُب لا يُمكن تحيُّله من وحدات الادِّخار، والذي صُمِّم كسلاح. لم يعرفِ نوماد التفاصيل، ولم يعرفِ سوى أن نتيجة محاولة تلك المساعدة كانت صديقًا ميتًا -الذي تحوَّل إلى صوتٍ في رأسه- وجيوشًا كاملةً مُحاولٍ مُطاردته. وتقبَّل هذا السلاح الرهيب ليُخفيه، فشوّهت هذه الطاقة روحه. والأسوأ من ذلك، أنه لم يكن يعلم، ولم يكن يُدرِك، أن المُساعد المربوط سيؤدي إلى مثل هذه المأساة.

لقد أمضيا سنواتٍ سويًا مع الإمكانيات الخفية الكامنة هناك. ثم بحثَ دون وعي منه، في لحظة حاجة، عن أي مصدرٍ للطاقة يُمكنه الوصول إليه. فوجدتَ «أفلاق الفجر» المُساعد، كائنًا من وحدات الادِّخار. وحوَّلت جوهر أو كس إلى طاقةٍ لتُغذي قُدرات نوماد.

كان أفلاق الفجر -السلاح- يحمي نفسه، بغض النظر عن أي شيء، وبغض النظر عن هوية من يقتل. وبالكاد تمكَّن نوماد من إيقاف نفسه قبل أن يحرق روح المُساعد بالكامل في لحظةٍ من القوَّة الفائقة.

يؤبِّخ الفارس بصوتٍ خافت: هذا ليس الوقت المناسب للندم، فلديك بعض المشاكل الكبيرة جدًّا لحلِّها.

لقد كان مُحققًا. فتح نوماد عينيه، وبحثَ في جيبه، ليُخرج قلب الشمس المُستنزف الذي بقي بعد أن امتصَّ وحدات الادِّخار. بدا وكأنه قطعة زُجاج بين يديه.. كتلةٌ أسطوانيةٌ صغيرةٌ من حجر الدُّخان يبلغ طولها ثماني بوصات، أما قُطرها فيقل عن ذلك. امتلأ سطحه بالحواف ونوع من التحبُّب، كالشمع المنصهر. لقد تراصت بعشوائيةٍ بالطبع، لكن يُمكنه أن يُقسِم أن أحد الأجزاء يبدو وكأنه وجهٌ يصُرخ.

قالت ريبكي إن بإمكان هذا الشيء أن يمدَّ مركبةً بالطاقة لشهور، ولم يكن هذا النوع من القوَّة جزءًا من مُعظم الأرواح، ولا حتى أرواح الشينوديتيين. هناك شيءٌ آخر يحدث. حيثُ تُستمد القوَّة من مكانٍ آخر، وتعمل الروح كبادرةٍ أو بادئ. لكن لماذا كان قلب الشمس الروشاري الذي أراه له ملك الجمرات صغيرًا للغاية؟ لماذا لم يكن بمثابة بذرةٍ مُماثلة؟

حدَّق في الدفاتر، وشعرَ برهبة البناء. فقد كان هذا هو الشيء الذي يفر هاربًا منه، حتى قبل أن تبدأ المطاردة حقًا. لقد غلَّفت الإخفاقات قلبه كالأسلاك الشائكة، وامتدَّت حتى وصلت إلى طفولته. لكن إما أن يقوم بذلك، أو أن يزحف عائِدًا إلى ملك الجمرات ليقبل بعرض التوظيف الذي قدَّمه له. نوى نوماد وضع ذلك في الاعتبار فقط إذا وصلت إليه سرِّيَّة الليل، وهكذا قبل بنصيبه.

وبدأ في رسم المخططات.
[19](#) قانون نيوتن الثالث. (المترجم).

بعد ساعتين، كان قد رَسَم المخططات بالكامل، رغم أنه لم يمتلك أدنى فكرة عما إذا كانت ستنجح أم لا. لم تقتصر الخطة على تصنيع مُحركاتٍ جديدةٍ كلياً، بل على تعديل تلك التي سيتوجب عليها سحب الماء، وتسخينه حتى يتحوّل إلى بخار، واستخدامه كوقودٍ دافعٍ بدلاً من ذلك.

كانت عملية إصلاح سريعة، تمنى أن تنجح. وعرف أن هناك بعض التغييرات التي سيحتاج إلى إجرائها، لكن دماغه شعر بالحدّر. كان بحاجةٍ لنيل قسطٍ من الراحة، على الأقل من تلك المشكلة.

تجاهل الفراش في الوقت الحالي، رغم أنه كان مُتعباً كعادته. أفضل ما يُمكنه قوله هو أن سُكّان المنارة لا ينامون وفقاً لجدولٍ زمنيّةٍ مُنتظمةٍ - في الواقع، بدأ الأمر وكأن الكوكب بأكمله يعيش وفقاً لنظام غريب، يُنص على «خذ قيلولةً لمدة ساعةٍ كلما رغبت في ذلك». اندهشت ريبكي من تفسيره بأن الناس في المكان الذي أتى منه، ينامون عموماً في نفس الوقت.. ولمدةٍ ثماني ساعات تقريباً. على أي حال، فهو لا يرغب في النوم بعد. اغتسل في حوضٍ خصّصوه له، وتفحص نفسه في مرآة يدٍ صغيرة.

امتلك أثراً باهتاً للحية خفيفة على ذقنه، ونما شعره بالكامل من جديد، وتكيف جسده، كالعادة، في النهاية ليتناسب مع مظهره عندما أخذ «أفلاق الفجر» لأول مرّة قبل كل تلك السنوات. ألقى بالمرآة جانباً، وأغلق أزرار القميص الذي أعطوه إياه، وجذب مقعده نحو إليجي، التي لا تزال مُقيّدة إلى الحائط.

يسأل الفارس: لا يتعلّق الأمر بي بمفردي، أليس كذلك؟ من الغريب أن تكون لديك امرأة مُقيّدة إلى حائطك، صحيح؟

- إنه أمر غريب باعتراف الجميع.

- وأنت تريدّها.. لماذا؟

ضيق عينيه مُتأملاً إليجي، قبل أن يقول: «أعتقد أن حالتها وحالتي قد تكونا مُتشابهتين، فقد خُلق عذابي، عندما أخذتُ «أفلاق الفجر» من وت. عندما امتصصتُ العديد من وحدات الادّخار، بسرّعةٍ كبيرة، مما شوّه كياني».

- ولماذا لم تُشوّه وت؟

- «أعتقد أنها فعلت ذلك، لكنه يُحسّن إخفاء ذلك. في كلتا الحالتين، لقد غيّرتني «أفلاق الفجر» عندما تركتها، وتركت هذه الندبة في روحي. هذا هو العذاب.. الاتصال الغريب الذي أمتلكه بجميع الأماكن في وقتٍ واحد، القدرة على التهام وحدات الادّخار، إمكانية القفز من مكانٍ لآخر.. ولكن أيضاً لعنة عدم القدرة على القتال».

صمّت قليلاً قبل أن يُضيف: «إن واحدة من «أفلاق الفجر» تُعدّ إحدى القوى الأساسيّة للخلق، وتلك التي نَحْمِلُهَا تتعارض تمامًا مع مفهوم العُنف والأذى. وتمتلك تلك الندبة التي تشوّه رُوحِي نفس نيّة مُضيفها ومُتطلّباته؛ وهي عدم قدرتي على إيذاء أي شخص على الإطلاق لأي سبب من الأسباب».

يقول البطل: إنه أمرٌ مُثيرٌ للسُّخرية، لأن «أفلاق الفجر» عادةً ما تُستخدَم لـ...

قال: «لقتل الخالق. أجل، أعرف». اعتدل في مجلسه مُتمعّنًا، ونظَرَ في عيني إلججِي الغاضبتين، قبل أن يُضيف: «وأعتقد أن لديها شيئًا مُماثلًا، تقرُّحٌ يشوب رُوحها. لقد أحرقت نار ملك الجمرات ذكرياتها وشخصيتها، لكن لا يوجد أي سبب يجعلها عنيفة للغاية، وغاضبة جدًا. لا يُمكنني معرفة الطريقة التي يتحكّم بها في مخلوقاتٍ مثلها. لا بُد أن الأمر يتعلّق بنوع من الاتصال، أو.. حسنًا، نسيجٌ ندبي».

في الروح، وهذا ما يجعلها عنيفة، في حين تجعلك ندبتك على النقيض تمامًا.

قال: «بشكل أساسي، أجل».

عندما اتّبعَت ندورك، قاومت حاجتك الطبيعيّة لاتباعها نسيجك الندبي.

قال: «لقد حدّث ذلك لبعض الوقت، لكنني أشعرُ الآن بأن الندبة تزداد سوءًا يا أوكس. وأحتاج للقيام بشيءٍ ما لإيقاف هذا النمو، أو الأفضل من ذلك، جعله ينحسر. حتى يُمكنني القتال، لكن ليس إلى الحد الذي يجعلني غير قادرٍ على القفز بعيدًا عن هذا الكوكب».

سيتمكّن في النهاية من مسح كل شيء بشكلٍ مثالي، ومن قطع اتّصاله العالق بأفلاق الفجر. لأنه ما دام احتفظ بهذا الاتصال، فإنه يُعدّ بمثابة حلقة وصلٍ لمن يملكه في الوقت الحالي. وما دام تمكّن من تحديد موقع أحد أقوى أسلحة الكون، فسيطارده الناس.

وكانت تلك مُشكلة كبيرة بحيث لا يُمكن التعامل معها في الوقت الحالي. أما الآن، سيقبل أي نوع من العلاج يُمكنه قمع أعراضه. لأنه يود لو يتمكّن من القتال في المرّة التالية التي سيحاول فيها أحد المُتفحّمين قتله. أخرج قلب الشمس المُستنزف من جيبه مرّةً أخرى، وقلبه بين أصابعه، ثم قال: «يُمكن لهؤلاء الأشخاص نقل وحدات الادّخار لبعضهم البعض عن طريق اللمس، ثم تتحوّل أرواحهم المُدخّرة بشدّة إلى مصادر الطاقة تلك عندما تُلقِي الشمس عليها بأشعتها لفترةٍ كافية. أتمنى أن أتمكّن من العثور على طريقةٍ أبثّ بها القليل من رُوحِي في قلب الشمس المُستنزف هذا، آخذًا معها بعض الأنسجة النديّة. هل تفهمني حتى الآن؟».

- بشكلٍ غامضٍ، أجل. سيكون الأمر كوخزٍ بشرة.

- «أجل، لكنه لن يكون مُقرِّفًا لهذه الدرجة».

- كل ما يُخصّ الفنانين مُقرِّف. لكن امتصاص رُوحك.. أَلن يكون ذلك، لا أعرف، مؤلِمًا؟

أجابه: «ليس إذا كان قدرًا صغيرًا للغاية، وبالإضافة إلى ذلك، ستتمو من جديد، وكذلك الندبة. إن أرواح البشر شيءٌ مرنٌ يا أوكس، مثل أجسادنا، تُعالج نفسها بنفسها».

لكن الأمر كان مُتَلَفًا بالنسبة لكائناتٍ مثل المُساعد. فقد احترق جوهره خلال المأساة، ولم يتبقَّ منه سوى تلك البقايا الأخيرة المحدودة.

-لذا.. ستستخدم تلك الصخرة في محاولة التخلُّص من أي مرضٍ روحيٍّ يجعل تصرفات إليجي مليئةً بالغضب بهذه الطريقة. وإذا نجح الأمر، ستجربه على نفسك، على أمل أن تتمكن من علاج مرض روحك. هل هذا مُلخَّص الأمر؟
-«بالفعل».

-على الأرجح لن تسعد ربيكي بقيامك بالتجارب على شقيقتها بهذه الطريقة.
-«على الأغلب لا».

-قد يكون هذا هو سبب اختبائها خارج بابك إذن؟ لتستمع إليك؟
توقَّف قبل أن يقول: «هل هي هناك؟».

-عجبًا! ألم تلاحظ ذلك؟ أعني أن هناك من يُصدر أصواتًا خافتةً هناك. سأعترف لك، لقد خمنت أنها هي فقط. فبالرغم من قوّتي، فإن الاستبصار ليس ضمن قائمة قدراتي. لكن يبدو أنها ستكون هي، بعد الأخذ في الاعتبار طريقة ضغط ذلك الشخص المُستمرّة على الباب.. وكأنه يُحاول استراق السمع.
أجل، ربما يكون المُساعد مُحققًا.

يقول الفارس بصوت عالٍ: اعتقدتُ حقًا أنك قد لاحظت ذلك، وإلا لكنت نبهتكَ للأمر.
قال مُبتسمًا: «توقَّف عن الكذب، فكلانا يعرف أنك تُحب التباهي».

يقول الفارس بحماس: أحب التباهي، لأنه يجعلني أشعر بشعورٍ جيّدٍ للغاية. لماذا يمتلك البشر عقداً بخصوصه؟

قال وهو لا يزال يلعب بقلب الشمس المُستنزف: «يملك البشر عقداً بخصوص كل ما هو مُمتع». إذا كان مُحققًا، فإن كل شخصٍ في هذا العالم يتمتّع بنفس ذلك الاتصال الغريب ببعضهم البعض، وهو ما يسمح لهم بالقدرة على نقل أجزاءٍ من أنفسهم. وحمل مصدر الطاقة الفارغ هذا نسخةً مُقطّرة من روح شخصٍ ما، لذا يجب أن يعمل بدوره، صحيح؟

ومع ذلك، فعندما حاول لمس ذلك الشيء بإليجي، لم يحدث أي شيء. وحتى عندما استجمع شجاعته، ومدَّ يده، ولمس به جمرتها. زجرته بغضبٍ، وسمع صوت حركة على الباب وريبيكي تُغيّر موقعها.

تراجع، ودون ملاحظة ما في دفتره. لم يكن يتوقّع حقًا أن يكون الأمر بهذه السهولة.

تفاعل وحدات الادّخار مع الفكر البشري. تقنيًا، لم تكن طاقة أو مادة.. لكن يُمكنها أن تُصبح أيّهما.

فوحدة الادّخار، والطاقة، والمادّة كُلها شيء واحد، حسب قانون خريس (20). الثاني. ولا يُمكن خلقها أو

تدميرها؛ لكن يُمكنها أن تتغيَّر من شكلٍ إلى آخرٍ فحسب.

ومع ذلك، تتفاعل وحدات الادِّخار بشكلٍ مُختلفٍ عن الطاقةِ أو المادَّة، ويُمكنك أن تأمرها بذلك. وبتعبيرٍ أدق، فإن العقلية التي تصل إليها بنطقك لهذه الأوامر، هي التي تُمكنك من فرض إرادتك عليها. ولطالما كان ذلك شائعاً في العديد من نكهات وأصناف القوَّة حول الكون. الأوامر، والندور، والعزائم.. وأي طريقةٍ يُمكنك بها تركيز إرادتك، ونيَّتِك، وإبرازها لوحدة الادِّخار.

مثل الأمر الذي حاول تجربته مع كونتمبليشن سابقاً، الذي جاء من كوكب (ناليس) ليجعل وحدات الادِّخار تتدفق بين الأجساد. لقد جرَّب اليوم كل ما يعرفه تقريباً، بطرقٍ متنوِّعة، وهو يضغَط قلب الشمس إلى ذراع إيجي المكشوف ويأمره بسحبِ حرارتها. لكن شيئاً لم يحدث، وزاده كل فشلٍ إحباطاً فوق إحباطه، مما يوحي بأنه لم يكن يعرف حقاً ما يفعله.

جلس في مقعده، وربَّت برأسه على مسند الظهر. هناك طاقة محبوسة داخل إيجي، الطاقة التي جعلتها أقوى، وأسرع، وأكثر مرونة. لكن كيف السبيل إليها؟ وبعد تفكيرٍ طويل، قرَّر أنه رُبما لا يعرف الأوامر الصحيحة. كانت هناك طرق تستخدم النغمات والاهتزازات، لكنه لم يمتلك هذه المُعدَّات.. وعرف أن الحرارة، على الأقل، تنتقل بين الناس هنا بشكلٍ طبيعي. وقد أعطاه هذا أفضل دليلٍ امتلكه حول آلية تحريك وحدات الادِّخار على متن هذا الكوكب.

إذا كانت هذه النظرية قابلة للتطبيق -وهو ما لا يستطيع التأكد منه يقيناً- فإن نجاحها سيعتمد على استخدام الطرق المحلية التي يستحضر أو يطرد بها الناس قواهم هنا. لذا فهو بحاجةٍ لشيءٍ مألوفٍ لدى هؤلاء الأشخاص، لطريقتهم الخاصة في تنظيم أفكارهم وإراداتهم. لكن ماذا سيكون التنوع المحلي لذلك؟ ليس الندور، بل...

في اللحظة التي خطرت فيها هذه الفكرة على ذهنه، بدا الأمر واضحاً. صاح بلغتهم: «ريبيكي! هلاً تفضّلت بالدخول إلى هنا للحظة؟ أريد أن أسألك سؤالاً».

توقفت الأصوات الخافتة خلف الباب، ثم فتحت ربيكي الخجولة الباب ودخلت.

يقول الفارس: تظاهر بأن نظرة متعجرفة للغاية تحتل قسمات وجهي الآن.

نظرت ربيكي إلى شقيقتها، وبدت عليها أمارات الارتياح عندما وجدت سليمة، ثم التفتت إلى نوماد، وبدا من الواضح جلياً أنها توقعت توبيخاً، وهو ما لم يُقدِّمه لها. لأنه كان ليسترق السمع بدوره، لو كان مكانها.

أشار نوماد إلى إيجي قائلاً: «لم تذكرني أن قومك لديهم نوع من الصلوات الطقسية التي يقولونها قبل مشاركة الحرارة مع شخص آخر، أو، وهو الأكثر أهمية، قبل سحبها؟».

أجابته: «هناك.. الكثير منها، لكن لماذا؟».

-«أخبريني بالمواقف التي تُقال فيها».

قالت: «حسنًا، هناك واحدة تُقال بين الزوج وزوجته قبل.. العلاقة الحميمة».
عجبًا.. صلاة طقسية قبل ممارسة الجنس. يبدو هذا.. مُمتعًا؟
- «أي شيء آخر؟».

- «وصلاة قبل أن تلمس أحد أحبائك للمرة الأولى، وصلاة شكر قبل تقديم الحرارة لمن وفر لك الحماية أو الخدمة. وصلاة عند الموت، لتسحب حرارتهم قبل أن تتلاشى».
اعتدل جالسًا في مقعده.

صاحت: «لا نفعل ذلك إلا إذا كان شخصٌ ما يموت بالتأكيد! ولشخصٍ يتحرَّق شوقًا تحت وطأة حاجته لتلك الحرارة، لتُعينه على مرضٍ أو ضعفٍ!».

يقول الفارس: هذا لطيف، إنها تعتقد أنك تهتم بعاداتهم الاجتماعية. يا له من أمرٍ مُحَبَّب.
قال: «أخبريني بها».

- «يا أدونالسيوم المقدَّس، اقبل هذه النفس، وكافئها على ما قدَّمته من حرارة. يا شديد البأس، الذي يقف على عتبة الموت، أعطني حرارة احتضارك حتى أبارك أولئك الذين ما زالوا على قيد الحياة».
مُمتاز. إزالة قسريَّة لوحدة الاذخار، جرت تحت طقوس أمر رسمي. انتزع قلب الشمس من على الطاولة، وضغطه إلى ذراع إليجي، مُنتزِعًا زجرةً أخرى. وردَّد نفس الكلمات التي قالتها ريبكي.
لكن شيئًا لم يحدث.

سألته ريبكي: «هل تُحاول نقل حرارتها إلى قلب الشمس؟ لن يعمل الأمر كما تعتقد. لقد حاولنا، ورغم أننا نستطيع تخزين بعض الحرارة في قلب الشمس المُستنزَف، لا يُوفِّر الطاقة الكافية لتحليق المركبات».
يُفكِّر الفارس: من المؤكَّد أن أرواحهم ليست قويَّة بما يكفي لصنع قلوب شمس خاصة بهم.
لا يتعلَّق الأمر بالروح المُتجمِّدة فحسب.. بل إن أشعة الشمس أمرٌ ضروريٌّ لشحن ذلك الشيء، وخلق مصدرٍ للطاقة.

سألها نوماد: «كيف تقومون بذلك؟ أعني نقل الحرارة إلى قلب الشمس؟».
قالت: «لستُ مُتأكَّدة، إنه أمر غير شائع».

فكَّر للحظة، ثم حاول مرَّةً أخرى، مُغيِّرًا بعض الكلمات: «يا شديد البأس، الذي يقف على عتبة الموت، أعط قلب الشمس هذا حرارتك، حتى تُبارك أولئك الذين ما زالوا على قيد الحياة». قد يكون هذا التعديل كافيًا لـ...

لا. ومرَّةً أخرى، لم يحدث أي شيء.

قالت ريبكي: «لماذا تحاول القيام بذلك؟ لا أفهم الأمر. ليس هناك أي فائدة تُرجى من نقل الحرارة إلى قلب الشمس.. لأنه ليس حيًّا، لذا لا يُمكنه تقدير الهبة».

قال: «من الناحية الكونيّة، ستفاجئين بالنطاق الواسع لتعريفات كلمتي «حي» و«ميت». وبغض النظر عن ذلك، فأنا بحاجة لمعرفة كيفية نقل جزء من روح شخصٍ ما إلى قلب شمس». سألته ريبكي: «لماذا؟ ما الذي تُحاول القيام به؟».

قال: «أستكشف طبيعة مصادر الطاقة لديكم». ولكن لسوء الحظ، لقد وصل لطريقٍ مسدودٍ ها هنا، وكانوا على بُعد عدة ساعات من الموت على سفوح الجبال المُقترِبة، أمسك بالدفاتر التي تحتوي على مخططاته من على الطاولة، ورفعها عاليًا قبل أن يُضيف: «أحتاج لبناء نموذجٍ أوّليٍّ للمُحرّك الذي صمّمته، في أسرع وقتٍ مُمكن. لقد أخبرتني أنه يُمكن لموظفيكم تصنيع الأجزاء».

قالت: «لا يُمكننا التصنيع من أجلك، لكن أسلافنا يُمكنهم القيام بذلك».

توقّف، ثم قال: «إذن.. انتظري. ألا يُمكنكم فعل ذلك بعد الآن؟».

قالت: «لا، لم نتمكّن من القيام بذلك قط، لكن أسلافنا يُمكنهم القيام بذلك». نظرت إليه، ثم أضافت: «أعتقد أن الوقت قد حان لنقدّمك للأشباح».

20 خريس: هو شخصية تظهر عادةً في روايات براندون ساندرسون التي تدور أحداثها في عالم «كوزمير»، وهو شخص مسؤول عن كتابة التعليقات والملاحظات في بعض الكتب حول السحر والعوالم المُختلفة في هذا الكون. (المترجم).

احتفظوا بها على متن كبرى مركبات المنارة، وهي مركبة أسطوانية تُعدّ بمثابة محورٍ مركزيٍّ. وعرفَ نوماد أن المنارة لا تتجمّع دائياً بنفس الطريقة تماماً؛ حيثُ تلتصق المركبات سوياً وتنتشر بشكلٍ طبيعيٍّ، وتُثبت الصفائح المعدنية فوق الثقوب لتجعلها تبدو أكثر تماسكاً مما كانت عليه.

ومع ذلك، فقد اتّبَعوا بعض القواعد العامة. فالمركبات الكبيرة تقبع في المنتصف، أما المركبات الأصغر حجماً والأسرع فتبقى بالخارج، في حين يستقر ذلك الهيكل المحوري في القلب تماماً. ظنَّ أنها غرفة اجتماعات كبيرة، لكن عندما دلفوا إلى الداخل، أدرك أنها تحتضن شيئاً مختلفاً تماماً بين جنباتها؛ ملحقٌ مُحصَّص للموتى. لقد شكّلوها كحوضٍ سمك. احتلت أسطوانة زجاجية عملاقة، يبلغ طولها عشرين قدماً، وعرضها ضعف ذلك، الغرفة بأكملها، دون أن تترك شيئاً سوى دائرة ضيقة حولها للمراقبة. بينما ملأوا العمود المركزي بالدخان. ضبابٌ أبيضٌ متحرّك، مثل..

قال لنفسه: مثل أرواحٍ تتسرّب. سار نحو الزجاج، وهو يدس يديه في جيوب معطفه الجلدي البني الطويل. كان كلُّ من ريبكي وزيل برفقته.. وقد حصلوا على إذنٍ من الخير الأعظم لإحضاره إلى تلك الأرض المقدّسة. حمل رفٌ معلقٌ على أحد الجدران، مُقابل الحوض الكبير، قلوبَ شمسٍ مُستنزفة. نظَّر إلى العشرات من قلوب الشمس المُستنزفة، ثم سألهما: «هل سبق لكم أن تركتموها في نور الشمس مرّةً أخرى؟».

قالت ريبكي: «بالطبع قُمنّا بذلك، لكنها لم تُعد شحن طاقتها. بل حتى ولا يُمكننا العثور عليها بعد ذلك في مُعظم الأوقات، لكن القلّة القليلة التي استطعنا استردادها كانت مُعتمّة كما كانت عندما تركناها». اللعنة. لكن هذا يبدو منطقيّاً. بالطبع حاولوا القيام بذلك - ورُبها كان ذلك من أول الأشياء التي جرّبوها. نظَّر للحوض مرّةً أخرى - لقد أطلقوا على الملحق نفسه اسم «وعاء الرُفات المقدّس». ووَجَد هذا الاسم غير مُناسبٍ بشكلٍ غريب، لأنها لم تكن آثاراً، بل عادةً ما كانت أجساداً أو أجزاءً من أجساد القديسين الذين رحلت أرواحهم، وكان هذا على الأرجح العكس تماماً.

لم يرهم في البداية، ولم ير شيئاً سوى الضباب المتحرّك. كان خفيفاً ومُشرقاً، لكن سميكاً. إذا تواجد الموتى داخل تلك الحُجيرة، فلن يستطيع أن...

تشكّل وجهٌ من الضباب وضغطَ على الزجاج، وتوهّجت عيناه باللون الأحمر، وضرب بيديه -المصنوعتين من الدخان- على الحاجز الزجاجي. لقد كان وجهاً هزياً، بفكٍ مُتدلٍّ، ووجنتين غائرتين.

قفز نوماد هلعاً رغماً عنه، ورغم أنه توقّع حدوث ذلك، كانت رؤية الظل موثّرةً للأعصاب. كانت تلك الأشياء خطيرةً بشكلٍ لا يُصدّق، هناك على متن ثرينودي. انقبض المجتمع حول وجودها، وعاش وفق

قواعد صارمة لتجنّب إغضابها. فتلك الأشياء مُميّنة، وتسعى للقتل، عندما تتوهّج أعينها باللون الأحمر. أما هنا، فقد احتفظ سُكّان المنارة بها ك.. كحيوانات أليفة.

قال الشبح بصوت هامس، يُشبه حفيف الأوراق: «لقد هربنا من الشر». ثم ظهر آخر فوق كتفه، مُجرّد مُخَطَّط غامض ودُخّاني لشبح بعينين حمراوين، تابع الشبح حديثه قائلاً: «ثم هربنا من ثرينودي. نحن الكورس الخاص بكم، نحن نتذكّر. لقد أتينا إلى هنا، إلى أرض حلقات الشفق، لنصنع عالمنا الخاص. نحن لا ننسى، سيدعوننا أدونا لسيوم في نهاية المطاف. نحن نحيا، ونتذكّر».

يقول الفارس: حسناً، على الأقل نعرف الآن كيف يُحافظون على تقاليدهم عبر الأجيال.

قال نوماد: «هذه الأشياء تقتل البشر، في عالمكم الأصلي».

أجابه زيل: «وسيقتلوننا، إذا دخلنا إلى «وعاء الرُفات المقدّس»».

سأله نوماد: «هل يتمتّعون بوعيّ ذاتي؟».

أجابه: «أقرّ بأنني غير مُتأكّد من هذا الأمر، حيث إنهم يجيبون على الأسئلة في بعض الأحيان، وفي أحيانٍ أخرى، لا يُقدّمون أيّة إجابات، بل يكتفون بالتلاوات».

قالت ريبكي: «إنهم لا يتحدّثون سوى عن الماضي فقط تقريباً». تقدّمت لتقف بجواره، وهي تنظر إلى الزُجاج باهتمام، قبل أن تُضيف: «حول العلم والتاريخ، لا يتحدّثون عن أنفسهم تقريباً، وقد يكون كلّ عضو قابلاً للتبديل بدوره. لا نعرف ما إذا كانوا يتذكّرون حيواتهم. إنهم مثل.. كتب التاريخ الحي».

أضاف زيل: «يُعدّ مُصطلح «الحي» مُصطلحاً فضفاضاً».

أوما نوماد برأسه مُتمعّناً: «هذا أكثر بكثير ممّا توقّعت منهُم، وفقاً لمعرفتي بظلال ثرينودي».

همّس له أحد الظلال: «كُنّا أول من مات في كانتيكل، أول من عاش في هذه الأرض، وابتكر تصاميم الطيران.. استناداً إلى المركّبات التي أتت بنا إلى هنا. لكننا مُتنا بعد ذلك، ونهضنا كظلال. نحن نتذكّر».

وقال له آخر: «الظلال لا تتذكّر، ونحن لسنا ظلالاً. نحن كورس الشعب».



قال آخر وهو يَضْغَطُ على الزُّجاج: «لكن الآخرين يَجِبُ أن يُسَلِّمُوا إلى الشمس، إنها أرض الشمس». قال الأول: «إن لم تفعلوا هذا، فستعم الظلال العالم. سيستولون على كُلِّ شيءٍ، على متن هذا الكوكب الصغير، وسيدمرونكم، ويُمزقونكم إربًا».

أضاف آخر: «كما كُنَّا لنفعل، لو سُوح لنا بذلك. لتذوق طعم لحم الأحياء، ونشرب حرارتهم». قال آخر: «حلوٌ للغاية».

وافقه الأول الرأي قائلاً: «حلوٌ للغاية».

أضاف زيل: «كما إنهم.. يفعلون ذلك أيضًا، يتحدثون عن قتلنا، وهذا أمرٌ مؤثِّرٌ للأعصاب إلى حدٍ ما».

يا لهذه الأماكن المنعشة التي تصحبني إليها يا نوماد.

قالت ريبكي وهي تُشير بإصبعها: «هناك! هناك! إنه هو».

قال زيل بصوتٍ خافت: «لا تعرفين ذلك يا ريبكي».

سألها نوماد، وهو يُشير إلى الطريقة التي اقتربت بها من الزجاج، وحدقت في الضباب: «ماذا؟ من هو؟».

استغرقه الأمر لحظة ليدرك ما تقصده، فسألها: «شقيقك؟».

قالت ريبكي: «لقد رأيت وجهه بينهم».

قال زيل: «نعتقد أنه ربما ينجذب الأشخاص الذين تطاهم يد الموت دون أن يتعرّضوا لنور الشمس للانضمام للكورس. ويقولون إن الظلال ستنهض من أولئك الذين ماتوا دون أن يتحوّلوا إلى قلوب شمس، لكننا نادرًا ما نختر هذا.. وبدلاً من ذلك، ففي بعض الأحيان بعد الموت، نرى الضباب يتجمّع ويتحرّك نحو «وعاء الرُفات المقدّس»».

قالت ريبكي: «إنه هو». بدت وكأنها تُحاول إقناع نفسها، قبل أن تُضيف: «رغم أنه تحدّث مثل الآخرين، وكأنه هنا منذ البداية».

لم يكن لدى نوماد دافعٌ قويٌّ ليهتم بأيٍّ من الأمرين، لذا قال: «وما علاقة هذا بتصميمات محرّكاتي؟».

قال زيل: «اعرض عليهم المخطّطات».

سأله بصوتٍ خافت: «هل الأشباح.. مهندسون؟».

أجابه زيل قائلاً: «لا، بل هم.. حسناً، سترى بنفسك».

تنهّد نوماد، وضغط تصميماته إلى الزجاج. تجمّعت الأعين الحمراء حولها، وتزاحمت الوجوه لتحظى بفرصةٍ للرؤية، وتحركت الأفواه وهي تتبادل الهمسات.. لكنهم لم ينطقوا بأي شيءٍ واضح. تفحصوا الصفحات السبع، واجدةً تلو الأخرى، وهو يرفعها تباعاً. ثم تلاشوا عائدين إلى قلب الضباب.

لوح زيل إلى الجانب، حيث وقف رجلٌ ليراقب. عامل؟ أو حارس؟ أو رجل دين؟ أو مزيج بين الثلاثة من نوعٍ ما؟ شغل بعض الآلات، وأخرج قطعةً من المعدن الخام من المخزن. كانت القطعة واسعة

ومُسَطَّحة، ولا تزال الأوساخ مُلتصِقة بقاعها. بدا وكأن المعدن قد تجمَّع على سطح الأرض، عندما كان سائلاً، ثم تصلَّب هناك.

ثم جاء بالمزيد منها. قال لنفسه: بعض النحاس، ومجموعة متنوعة من المعادن الأخرى.. رغم أن تلك القطعة الأولى والأكبر حجماً كان معظمها من الحديد. دَخَلَ كُلُّ هذا إلى الضباب من الأعلى، وأدرك نوماد بانزعاج أنه لا يوجد غطاء للملحَق. وبالداخل، تموج الضباب وازداد إشراقاً. سأل ريبكي بصوتٍ خافت: «ماذا يفعلون؟».

-«يصنعون ألتك».

-«لكن كيف؟».

-«لا نعرف. كُلُّ ما نعرفه هو أنك تضع الموارد، وتُريهم تعليماتٍ مُفصَّلة، ثم تحضُل على الشيء الذي تُريده».

قال زيل: «نأخذ دومًا بعض الدُّخان، كُلِّما تأسَّست مستوطنة جديدة. لسنا مُتأكِّدين من المدى الذي يُمكننا تقسيمه.. لكن هذا أجدى نفعًا حتى الآن. يُمكنك نقله في أجهزة احتواء خاصَّة. لقد أخذنا بعضه من «يونيون»، بالإضافة لوحدة احتواء قديمة حصلنا عليها عبر الاستيلاء على مُجتمع أصغر».

سأله نوماد: «كم من الوقت تستغرق عمليَّة التصنيع؟». إذا كانوا يصنعون شيئاً ما، فلماذا يُعم الصمت التام المُلحَق؟

قال زيل: «على حَسَب، تحتاج لأقل من ساعة، لتصنيع شيء من هذا القبيل. لكنهم يستغرقون وقتاً أقل عندما يكون قد سبق لهم تصنيع هذا الشيء من قبل».

أقل من ساعة لتصنيع آلاتٍ مُعقَّدة؟ لن يشتكي.. فحتى لو كان الأمر حقيقياً، فإن الموعد النهائي يقترب بشدَّة.

يقول المُساعد: «أعتقد أنهم يُصنعونها مثلما أصنع الأشياء بنفسي، لقد رأيت ذلك من قبل، وتستخدمه بشكلٍ يوميٍّ يا نوماد».

قال: «أنت لا تستهلك المواد الخام، وتبصق الأجهزة الدائمة».

-أجل، لكن أليس هذا في الواقع أكثر منطقيَّة مما نفعله؟

حسناً.. رُبما كان كذلك. لقد اعتاد على المُساعد حتى إنه لم يكن يُقدِّر مدى روعة «الفلق» في بعض الأحيان، الذي لم يستخدم سوى قدرٍ ضئيلٍ من وحدات ادِّخار نوماد من أجل كُلِّ تجلٍّ. ومع ذلك، فإن هذا يُفسِّر سبب شعور عدد قليل للغاية من الموجودين على متن هذا الكوكب بصدمةٍ تجاه ما يُمكن للمُساعد أن يفعله. فقد افترض أنه إذا اعتمدَ مُجتمعك بأكمله على ضبابٍ غامضٍ يُجسِّد الأشياء حسب أهوائك، فإن أوكس يُناسِبك تماماً.

سأله زيل: «هل ترغب في أكل أي شيء أثناء انتظارك أيها الرجل الذي أضاءه نور الشمس؟».

- «بالتأكيد، وكلما زادت التوابل، كان الطعام أفضل».

سأله زيل وكأن الكلمة غير مألوفة له: «توابل؟».

تنهَّد نوماد قائلاً: «آتني بأي شيء فحسب».

أوماً زيل برأسه، تاركاً نوماد ورببيكي واقفين بجوار الزُجاج، يُشاهدان الضباب المتحرك بالداخل. من المحتمل أن يكون هناك شخصٌ ما في هذا الكون مفتوناً بتلك الظلال. ظلال ثرينوديت التي تمتعت بوعي ذاتي بطريقةٍ ما؟ ومن ذا الذي يُمكنه أن يُعيد تشكيل الهيكل المعدني، وكأنه مكوّن من وحدات ادّخار، ليُنحّت؟

رُبما كان هذا هو سبب تواجد السكادريانيين هنا، في محطة أبحاثهم السريّة تحت الأرض. ذكّرهُ التفكير في ذلك بالطبع بكمّ الأشياء التي لم يفعلها بعد. فحتى لو نجح المحرك المعدّل -وهو ما لن يحدث، ليس من المحاولة الأولى- سيتوجّب عليه أن يجد طريقة لتزويد هؤلاء الأشخاص بالطاقة الكافية للبقاء على قيد الحياة أثناء الدوران. وحتى لو نجحوا في ذلك، فلا زالوا بحاجةٍ للعثور على المدخل المؤدي لقاعدة السكادريانيين. كيف سيتمكّنون من القيام بذلك؟ ومن المُفترض ألا يعرف مكانها سوى من يعيشون فيها فحسب.

قال لنفسه: لا، إن ملك الجمرات يعرف.. لكن كيف سنحصل على تلك المعلومات منه.

قالت رببيكي من جواره: «أنت لا تُحب ذلك، أليس كذلك؟».

عبس دون أن ينطق ببنت شفة.

قالت: «لقد تجهّمت عندما ناداك زيل بـ «الذي أضاءه نور الشمس»، أنت لا تُحب هذا اللقب. كما أنك قد طلبت منّا في وقتٍ سابق أن تُناديك باسم نوماد».

قال: «لا، أنت مُحقّة، فأنا لا أهتم بلقب «الذي أضاءه نور الشمس»».

- «لماذا؟ إنه لقب يحتوي على شرف واحترام عظيمين».

- «يُمكن لكل من قام بالادّخار حتى المستوى الذي وصلت إليه أن يبقى على قيد الحياة لوضع ثوانٍ في نور

الشمس. فحتى لو تعلّق اللقب بالشرف -وهو ما لا أستطيع فهمه- فلا أعتقد أنه قد يعني أي شيء.

أُحب أن أستحقّ ألقابي، ولا أشعر بأنني قد فعلتُ أي شيءٍ مُثيرٍ للاهتمام بشكلٍ خاصٍ في هذا الأمر».

أومأت برأسها ببطءٍ وهي تستمع إليه، قبل أن تقول: «لكنك أخبرت كونيتمبليشن أنك لا تُمانع لو نادتك

بهذا اللقب، فلماذا إذن ما دام الأمر يُزعجك؟».

قال: «لأنه في بعض الأحيان لا يتعلّق الأمر بالمرء بشكلٍ فردي، وأحياناً يتعلّق بكونه رمزاً. وأحياناً يتقبّل

المرء اللقب الذي مُنح له لأنه يُلهم الناس. لقد رأيتُ ذلك يحدث، لكنني لم أعتقد أنه قد يحدث لي يوماً».

عاد زيل وبصُحبته بعض الوجبات الخفيفة، واستمروا في الانتظار. وفي النهاية، تلاشى الوهج الموجود

بداخل المُلحق، بعد نحو خمس وأربعين دقيقة تقريباً. رَفَع العامل رافعته البسيطة ليُخرج التطبيق العملي

لُخَطَّطَاتِ نُوْمَادٍ؛ الْأَجْزَاءِ اللَّازِمَةِ لِتَعْدِيلِ مُحَرِّكَاتِهِمْ.
سَأَلْتَهُ رِييَكِي بِحِمَاسٍ بَالِغٍ: «وَالْآنَ.. مَاذَا؟».
أَجَابَهَا نُوْمَادٌ: «وَالْآنَ، نُثَبِّتُ هَذِهِ الْأَجْزَاءَ عَلَى الْمُحَرِّكِ، وَنُرَاقِبُهُ وَهُوَ يَنْفَجِرُ».

كان انفجارًا صغيرًا. أضواء عتمة الظلام بوهج بُرتقالي وأصفر، وغطاء المُحرِّك يتوقَّف عن العمل. لقد راوده القلق بشأن أنه لم يصنعه سميكا بما يكفي.

وقفوا على حافة المنارة وهي تُخلَّق في الهواء، يتطلَّعون إلى الظلام. ثبتَّ بعض الأجزاء إلى مُحركٍ دراجةٍ هوائيةٍ صغير، مُستعينًا ببعض المساعدة، ثم استخدمَ دراجة هوائيةٍ أخرى ليُخرجه ويختبره. شغلوا نموذجَ المُحرِّك على مسافةٍ قريبةٍ باستخدام جهاز تحكم عن بُعد. وارتفعت، قبل أن...

أعمى وميض الفشل أبصار المجموعة، وجعل العديد منهم يقفز في مكانه، رغم أن نوماذ حذرهم من ذلك. قالت كونتمبليشن: «وهكذا انقضى الأمر». كانوا قد وفروا مقعدًا للمرأة العجوز لتُشاهد التجربة، تابعت حديثها قائلة: «موتنا محتوم».

قال نوماذ: «ليس بالضبط، فقد أخبرتكم أنه سينفجر».

-«لوربطنا تلك الأشياء بمركباتنا، فكأننا نربط أنفسنا إلى قنابل!».

قال نوماذ: «لن نستخدم هذه المُحرِّكات، توقَّعوا فشل النموذج الأول دائمًا. والآن سنكرِّر الأمر، ونبنى نموذجًا آخر، أفضل، ونرى ما سيحدث له، وهلمَّ جرًّا».

قالت كونتمبليشن وهي تطوي ذراعيها: «هلمَّ جرًّا؟». اكتسبت بشرتها الشاحبة صفة طيفية، عندما أُلقت أضواء المركبات التي تُشكِّل المدينة بنورها عليها. تابعت سؤالها: «كم من الوقت تتوقَّع أن يستغرق ذلك الـ «هلمَّ جرًّا» أيها الرجل الذي أضاءه نور الشمس؟».

توجَّب عليه أن يعترف بأن هذا سؤالٌ جيّد. فقد قضى بالفعل ما يزيد على الثلاث ساعات بوقتهم في هذا العمل، ولم يتبقَّ سوى أقل من سبع ساعات حتى يصلوا إلى المُرتفعات. ما مدى السُرعة التي يُمكنه التحلي بها في تجاربه حتى يجد مُحركًا يعمل؟ بإمكان مهندس خبير أن يقوم بذلك بلا أدنى شك.

أما هنا، فهو يفتقر إلى الخبرة اللازمة. لم يكن ذلك تواضعًا زائفًا؛ فلطالما كان مُهتمًّا بهذا النوع من الأشياء، لكنه اختار أن يسلك درب العسكرية بدلًا من ذلك. حسنًا، لقد دُفِعَ دفعًا في هذا الدرب، قبل أن يختار السير فيه.

جاء مُعظم ما يعرفه عن الهندسة من السنوات القليلة الأولى من منفاه، عندما التقى ببعض العلماء، وأتيحَت له الفرصة للتعلُّم. لحسن الحظ، تسلَّح بالأمل في تقديم المساعدة. وفي مكانٍ قريب، اجتمعت المرأة النحيلة التي ترأست قسم الإصلاحات والهندسة في المنارة مع فريقها، وبدأوا بدراسة مُحطَّطاته. سار نحوهم، بالقرب من حافة المنارة، وقد طأهم الظلام من خلفهم. جلس القُرفصاء بجوارهم، فنظرت إليه

المهندسة الرئيسية، التي تمتعت ببشرة سمراء، وشعر أسود طويل، وكان بإمكانها أن تُصبح أليثية بُمتهى السهولة.. لولا اسمها الثرينوديتي المدهش الذي عرفه أثناء التصنيع؛ سُلِمَتِي ديثاين (21).

همست وهي تضع يدها على المخططات: «هذا عبقرى».

قال: «شكراً، لكنني أعتقد أن غلاف المحرك البخاري كان رقيقاً».

أومأت سُلِمَتِي ديثاين برأسها، قبل أن تقول: «يعتقد ديري جي (22) ذلك أيضاً، لكنني أعتقد أن المشكلة في لحاماتك هنا وهنا. لكنني أعتقد أن الأمر سينجح، بعدما نقوم ببعض التعديلات».

قال أحد المهندسين مُخَدَّراً: «سينفد الوقود الدافع سريعاً، لدينا ثلاثة خزانات مياه كبيرة لري المحاصيل، لكن هذا لا يكفي لرفع المدينة بأكملها».

سألهم نوماد: «ماذا لو قلصنا عدد مُركباتنا؟ لو قلصنا المنارة إلى المركبات الأساسية فحسب؟».

تبادل المهندسون نظرة فيما بينهم.

قالت سُلِمَتِي ديثاين: «قد يكون ذلك ممكناً، لكن حتى مع ذلك، أشك في أنه سيكون لدينا وقت طويل للسفر. ربما.. ساعتان؟ اعتماداً على مدى انخفاض وزن المدينة؟».

سألها نوماد: «وهذا طويل بما يكفي؟ علينا فقط أن نرتفع فوق القمم، قبل أن نبدأ بالهبوط على الجانب الآخر».

قالت: «يجب أن يكون كذلك، يجب أن يكون كذلك. وسيكون قريباً من ذلك على أي حال».

سألها وهو يُشير بيده: «هل تعتقد أن بإمكانكم إجراء تحسينات على هذه المخططات؟ لتُصححوا الأمر؟ لم يعد لدينا الكثير من الوقت».

قالت: «يُمكننا أن نحاول». بدت غير مُتأكدة، لكنها بدأت بالفعل بتدوين الملاحظات على المخططات.

يُعلق البطل وهو يُشاهدُهم يُصلحون محاولة نوماد الأولى الرهيبة: هذا مُريح.

قال: «هذا غير مُريح، بل هو متوقع. يتطلب الأمر الكثير من المهارة والمعرفة لإبقاء مدينة مثل هذه مُخلق؛ وهذه المجموعة أكثر كفاءة بكثير مما يظنون أنفسهم. لم يحتاجوا سوى لدفعة بسيطة، وأخذ تصميمي بيدهم حتى تسعين بالمئة من الطريق إلى هناك. أتاني الإلهام؛ والآن يُمكن لخبرتهم أن تملأ الفجوات التي تشوب معرفتي العلمية».

وخلافاً لمُعظم الآخرين، بدا المهندسون أكثر اهتماماً بالطريقة التي يتحدث بها أحياناً بلُغة أجنبية. انحنى للأمام، ليصرف انتباههم عن ذلك، وقال: «أفترض أن لديكم أطقماً للعمل؟ أولئك الذين يُحافظون على المركبة؟».

قالت سُلِمَتِي ديثاين: «لدي خمسة عشر شخصاً جيِّدون من أجل هذه المهمة، لماذا تسأل؟».

- «لأنه بينما يعمل كبار موظفيك على المحركات، أحتاج للآخرين للقيام بشيء ما؛ جعل عدد من مساحات المعيشة الخاصة بكم غير مُنفذة للهواء».

عَبَسَ المهندسون الخمسة الموجودون في التجمُّع، وأدرك -على الرغم من كُلِّ خبرتهم في الطيران- أنهم يتمتَّعون بالقليل من الفهم لما سيحدث فوق تلك الجبال.

قال موضِّحًا: «نحن ذاهبون إلى مكانٍ يُصبح فيه الهواء رقيقًا للغاية، أو غير موجود بشكلٍ عملي. لا يوجد أي هواء، ولا يُمكن التنفُّس، لكن لحسن الحظ أننا لن نبقى هناك لفترةٍ طويلة. تتمتع مركباتكم بهياكلٍ معدنيَّة سميكة، وربما يُمكننا احتواء الضغط، إذا أغلقناها بشكلٍ صحيح».

قالت: «يُمكننا القيام بذلك، لكن أَلن نختق؟».

قال نوماد: «سنقوم بذلك لبضع ساعاتٍ فحسب، وليس علينا سوى أن ندعم مئة وخمسة وثلاثين شخصًا فحسب. سنختار عشرة من كبرى المركبات من حيث حجم الهواء، ونُقَسِّم الناس فيما بينها، ونضعهم بداخلها. ثم سنربط تلك المركبات العشر ببعضها البعض، وسأطير بها. فأنا لست بحاجةٍ للتنفُّس».

رَمَت سُلمِتي ديقاين، وسألته: «أنت لست.. ماذا؟».

قال: «لست بحاجةٍ للتنفُّس، إنها إحدى ميزات إرثي. أقصد أنني أُحب التنفُّس، إنه يجعلني أشعر بطريقةٍ طبيعيَّة، ويسمح لي بالحديث. ورغم أنه من الأفضل استخدام الطُّرق الطبيعيَّة لتزويد الدم بالأوكسجين كُلما كان ذلك مُمكنًا، لا أحتاج إليه بشدَّة. يُمكنني سبر أغوار الفضاء دون الكثير من المتاعب، وأقوم بذلك منذ عقود».

من المؤكَّد أن العديد منهم تمتوا حول قدرات الرُّجل الذي أضاءه نور الشمس. وشكَّ في أن تقاليدهم تنسب بالفعل مثل هذه القوى المُحدَّدة للبطل - فعادةً ما يميل هذا النوع من الأساطير للغموض.

يملك العديد من الأماكن مثل هذه الأساطير، وما يُثير ضيقه، أن الكثير منها قد أنشئ - سواء بقصدٍ أو بدون قصد- على يد مُعلِّمه. حيث تتمتع وتبعادةٍ.. بدء المُحادثات.

وبغض النظر عن ذلك، فقد سمح نوماد للمُهندسين بالتمتع بافتراضاتهم. حيث إن شرح طبيعة الجسد عالي الادِّخار، والطُّرق التي يُمكن أن يُحافظ بها القلب الروحي والإدراك الحسي على حالة الجسد في مواجهة الظروف القاسية، بدا وكأنه مضيعة للجهد في الوقت الحالي.

قالت سُلمِتي ديقاين: «سأجعلهم يعملون عليها، ولا أعتقد أنها ستكون مُشكلة، مثلما وضحت من قبل. وسنجهِّز تلك المُحرَّكات الجديدة بالإضافة لعشر مركبات مزوَّدة بحُجرات غير مُنفَّذة للهواء، ثم سنربط المركبات المُعدَّلة حول المحوِّر الذي يحمل الكورس، وستقودها من على السطح الرئيسي. سنقوم بكُل هذا، لكن.. سأتجرأ وبكُل احترام، على أن أطلب منك أن تُخبر الخير الأعظم بضرورة التخلي عن مُعظم مركباتنا».

أوما لها برأسه إيلاء قاتمة وهو يزوم شفثيه. سيتوجَّب عليهم ترك مُعظم أجزاء المنارة خلفهم، وسيتأكَّد من تفهِّم قادة المدينة لذلك.

تمت قائلاً: «مقايضة رهيبه». لكنه أوما لها برأسه. تركهم مع مُحطّطاته وعاد إلى الآخرين، حيث جَلَسَتْ عضوات الخير الأعظم ليتحدّثن مع زيل والعديد من المُساعدين. حامت ريبكي حول مُحيط المُحادثة، وبدت غير مُتأكّدة مما إذا كانت موضع ترحيب أم لا.

التفتوا جميعاً إلى نوماد عندما اقترب، وبدوا وكأنهم يستعدون. لقد عرّفوا بدورهم، أليس كذلك؟ قال: «سيتوجّب علينا أن نترك الغالبية العظمى من المنارة خلفنا». كان من الواضح أنهم بحاجة لشخص ما لينطق بتلك الكلمات، فتابع حديثهم قائلاً: «سيختار المهندسون أكبر عشر مركّبات لديكم، من حيث حجم مساحة المعيشة، ويُعدّونها. لكننا ستخلّص من كل شيء آخر».

نكّست كومباشن رأسها وقالت: «لثلاثهمه الشمس، مدينتنا الكبرى للحرية، حلم إلجي». قال: «ستكون مُعجزة صغيرة أن نصِل حتى بجزءٍ من هذه المدينة إلى بر الأمان، وأنتم على درايةٍ بذلك. وإذا وجدنا الملجأ، ستهجرون المنارة على أي حال».

قالت كونفدنس: «لا يعني هذا أن الأمر ليس مؤملاً». سألته كونتمبليشن: «كيف سنجد مدخل الملجأ؟ لأننا سنترك المنقّبات خلفنا، إذا جلبنا كبرى المركّبات فحسب.. مما يعني عدم وجود أي أجهزة مسح».

قال نوماد: «لنحضر منقّبةً واحدةً إذن، تحسباً لأي ظروف». قالت كونتمبليشن: «يُمكننا ترك المُعدّات الزراعيّة خلفنا، فالجامعون الذين يحمصدون المعادن من الحقول المنصهرة...».

قالت كومباشن: «ستكون لدينا قاعات اجتماعات، وغُرف طعام، ومخازن للبضائع، وأماكن للعبادة، فقط لا غير. لكن إذا لم نجد المدخل، فسنكون في عداد الموتى».

قالت كونفدنس: «نحن في عداد الموتى على أي حال، لقد اخترنا هذا لأنه يوفرُ فرصةً ضئيلةً». ثبتت عينيها على نوماد، ثم أضافت: «يُمكنك أن تجد ذلك المدخل؟ هل عرفت الطريقة؟».

وعدها قائلاً: «سأجدها، سيتوجّب عليكم أن تعتمدوا عليّ لمعرفة شيء ما». طوّت كونفدنس يديها، وقالت: «نعمد عليك في كثيرٍ من الأمور». وافقها الرأي قائلاً: «لا أفضل أن تعتمدوا عليّ كثيراً أيضاً، لكن خياراتكم كلها فظيعة للغاية في الوقت الحالي. وهذا هو الحال». ثم هزّ كتفيه.

يسأل الفارس: ألا يُفترض بك أن تكون لطيفاً مع الناس؟ يبدو أنك تنسى ذلك كثيراً. حسناً، لقد كان مُحقّقاً، لكن فيمَ بهم ذلك إذن؟ كما أن حدسه يُخبره أن هؤلاء الناس لا يحتاجون إلا لتلك الصراحة. ربّما يعجز المُساعد عن رؤية ذلك، فهذه الطريقة كان «لطيفاً» مع الناس. وفي هذه الحالة، لقد كان وقتاً عصيباً لشعبٍ صارمٍ يعيش في عالمٍ قاسٍ، ولم يرغبوا في تزيين الأمور.

أوماوا برؤوسهم، وأرسلوا شخصًا ما ليؤكّد للمُهندسين موافقتهم على خطّته. استدار ليرحل، لكن كونيّفدّس تحدّثت، مُقترَبَةً منه.

قالت: «أريدك أن تعرف أنك موضع تقدير أيها الرجل الذي أضاءه نور الشمس». توقّف في مكانه، لم يكن يتوقّع ذلك. فقد كانت هذه المرأة طويلة القامة ذات الملايح القاسية هي أكثرهم مُعارضَةً لأفكاره.

قالت: «نحن نعلم». أوماأت المرأتان الأخرَيان برأسيهما، بينما تابعت هي حديثها: «نعلم أنه من المُحتمل أن يكون ملك الجمرات قد عرّض عليك صفقة. إنها طريقته، لأنه يستمتع بفرض سُلطته على الناس، وسيفعل كل ما يتطلّبه الأمر - حتى لو وصل الأمر ليدفع لهم، رغم أنه يكره ذلك - لتحقيق هذه الغاية. كان بإمكانك أن تتفق معه، لكنك لم تفعل ذلك». قال نوماد: «لقد نكث بوعده لي».

- «بغض النظر عن ذلك، نشكرك بشدّة. لا تُسئ فهم تشكّكي على أنه عداء، فنحن نُقدّر كثيرًا. وإذا تمكّنا من عبور تلك الجبال، ووجدنا الملجأ، سأكون أول من يُقدّم لك دفئه شاكرة». أوما برأسه، وقليل من الامتنان الفعلي - والعاطفة الحقيقيّة والصادقة - يشق طريقه عبر غشائه الرث من السُخرية والإرهاق. كان شعورًا جميلًا أن يُقدّروه.

قال: «لست بحاجة للدفع الذي تُقدّمونه، لكن رُبما يُمكنكم إخباري بشيء ما. لقد قالت ريببكي أن هناك طريقة لمدّ قلب الشمس بالحرارة، كما لو كان شخصًا؟».

أجابته كونتيمبليشن قائلة: «أجل، لكن هذا عديم الفائدة. فبالكاد يشحن قلب الشمس على الإطلاق.. يُمكن لأي شخص أن يهب روحه بالكامل لقلب الشمس، ولن يتمكّن من إبقاء مركبة تُحلّق بالهواء سوى لفترة قصيرة».

فكّر المُساعد قائلاً: «لأنها لا تملك سوى وحدة «بيو» واحدة من وحدات الادّخار. أجل، هذا مُشير للاهتمام».

قال نوماد: «أريد أن أعرف الطريقة على أي حال، من أجل تجاربي. لقد حاولت القيام بذلك سابقًا مع قلب شمس، لكن شيئًا لم يحدث».

سألته كونتيمبليشن: «هل كان قلب الشمس مُستنزفًا؟».

- «حسنًا، أجل».

أجابته: «لن ينجح هذا، لا يُمكنك أن تُعطي روحك الجُتّة. أنت بحاجة لشخص حي، أو ل...». صرّب جبهته وقال: «قلب شمس مشحون، اللعنة. هذا واضح». لقد كانت هناك طُرق لبثّ وحدات الادّخار في الأشياء غير الحية، لكنها كانت أكثر صعوبة، وأخطر بكثير.

تُعتبر قلوب الشمس حيّة باعتبارها وحدّات الأدّخار. على الأقل، تلك المشحونة منها. بحق العواصف..
لقد كان غيباً.

كان بحاجةٍ للمحاولة مرّة أخرى مع إيجي.

[21](#) [Solemnity Divine](#): كلمة إنجليزية تعني «القدسيّة الإلهية» أو «الخشوع الإلهي». (المُترجم).

[22](#) [Dirge](#): كلمة إنجليزية تعني «اللحن الحزين» أو «المرثاة». (المُترجم).

تركهم يُقسّمون الناس بين المباني المختارة وذَهَب ليختبر ما أدرك. انهمكوا في حصد قلوب الشمس من المركبات الأخرى، ثم تركوا الهياكل الفائضة وراءهم. واحتفظوا، كما اقترح، بمركبة استطلاع واحدة مزودة بجهاز تنقيب - اختاروا المركبة التي يعيش فيها، تلك التي كانت تنتمي لإيجي - والدراجات الهوائية. هرع مُبتعدًا، وريبيكي تُسرّع من خلفه. طلب الإذن من ربيكي، قبل أن يدخل إلى مهجعه، ثم توقّف بجوار درّاجتها الهوائية، وانتزع قلب الشمس الخاص بها.

قال أو كس: إمام.. أعتقد أن هناك ما يُقارب مائتي وحدة «بيو» في هذا القلب، أقل بكثير مما يُمكن أن يُغذي مركبة كاملة بالطاقة. ومع ذلك، سيُمثّل ذلك، على متن الكثير من الكواكب، ثروة من وحدات الأذخار. كمية كافية للوصول للارتفاع الثاني، بينما يُستخدم ها هنا للحركة البسيطة.

قال نوما: «بتكلفة باهظة». ثم اتجه نحو مهجعه، وريبيكي لا تزال تُسرّع خلفه. أجابه أو كس: حتى في العوالم شديدة الأذخار، لا يُمكن لروح المرء أن تُساوي أكثر من ثلاث وحدات «بيو»، أنت على حق فيما يتعلّق بأن وحدات الأذخار تلك قادمة من مكان ما. لا بُد أن الحفاظ على طيران هذه المدينة - رغم أنها أصغر حجمًا من يونيون بكشير - يتطلّب قلوبًا شمسية تُساوي عشرات آلاف الوحدات.

تمعن التفكير في ذلك. وتدبّره مرّة أخرى، ثم واصل دربه الأصلي. وهناك في غرفته، كانت إيجي لا تزال مُقيّدة بالسلاسل إلى الحائط.. وأجل، كان ذلك لا يزال غريبًا بشكل غير مُريح. وليكن رب العواصف في عون، لو علّم معلّمه بهذا الموقف يومًا. ستكون فرحة وت بالنكات المُحتملة - التي سيتعلّق معظمها بأساليب نوما في إقناع امرأة بالبقاء برفقته - قادرة على تزويد المدن الصغيرة بالطاقة.

رَفَع نوما قلب الشمس عاليًا، وهو يتوهّج بنورٍ أحمر عميقٍ مُضطرب. أجل، هذا منطقي. فالأوامر التي كان يستخدمها، احتاجت لأشخاص، أو أشياء، تدب الحياة في أوصالها. فالأمر في جوهره، كأنها يُحاول إقناع كلب ميّت بأن يقوم بالحيل. أما هذه المرّة، رَفَع قلب الشمس عاليًا أمام إيجي.

توهّج القلب بقوة الروح التي شكّلتها، وعندما نطق بكلمات الصلوات التي علّمها له ربيكي، عرّفت روح والدتها ما يجب فعله. وانتزعت بعض الحياة من إيجي على شكل دُخان مُشع يتوهّج بلونٍ أحمر وضاء. مُتماز. ها هم الآن يُجرزون قدرًا من التقدّم. ابتسم ابتسامة عريضة، ثم تراجع، وأخرج دفترًا آخر.

قالت ربيكي، بينما انهمكت إيجي، كعادتها، في مُقاومة أصفادها: «ما زلت لم أفهم الغرض من ذلك».

قال نوماد: «جاريني، وأخبريني، هناك شيء مُخْتَلِف في قلوب الشمس التي تصنع المُتَفَحِّمِينَ، صحيح؟ تتعاملون جميعًا مع تلك القلوب دون أي مشاكل.. لكن مُجَرَّد لمس أحد تلك القلوب الأخرى، أكثر من كافٍ لحرق الجسد وخلق وحش، فما سبب ذلك؟».

اعترفت ريبكي: «لا.. نعرف لذلك سببًا، أنت مُحَقِّق في أن ملك الجمرات يتمتع بإمكانية الوصول إلى قلوب شمس غريبة ذات قوى رهيبة.. نُطَلِّق عليها «قلوب الجمر». تتوهج تلك القلوب بضوء أكثر قسوة، وتلتهم كل من يمسه. لا نعرف من أين جلبها، لكنها الطريقة التي يُحَكِّم بها سيطرته على زمام الأمور. أولاً؛ بوجود قلب الشمس ذلك الذي يحتل صدره، والذي يمنحه القدرة على التهام آلاف الأرواح. وثانيًا؛ بتلك القلوب التي يستخدمها لصنع مُتَفَحِّمِيه، الذين يخدمونه».

قال المُسَاعِد: «أعتقد أن هناك اتصالًا ما يجري هنا، فبمقارنة قلب جمره مع قلوب المُتَفَحِّمِينَ، تجده يتوهج بشكلٍ أكثر سطوعًا. هل لاحظت كيف يبدو أنهم يتفاعلون مع أوامره العقلية؟»

لم يلاحظ ذلك، لكنه يثق في أو كس، الذي يلاحظ أشياء لا يلاحظها.

قالت ريبكي: «لا زلت أرغب في معرفة ما فعله بشيقتي، ولماذا فعله؟».

قال نوماد وهو يُدوِّن بعض الملاحظات: «أتعلم، لم أفعل أي شيء من شأنه أن يضرها، قُمتُ فقط بسحب القليل من وحدات ادخارها، لكن هذا ليس كافيًا. وإلا لكأنت تلك الأساور أكثر من كافية. أو كان، بحق العواصف، لمس أحدكم لها كافيًا. لا بد لي من الوصول إلى جوهر الروح وإزالة البقايا التي تُفسدها».

قالت ريبكي: «لماذا؟ بالكاد أفهم ما تنطق به، لكنني لا أرى كيف من شأن ذلك أن يُساعدنا في بناء المحرّكات».

تجاهلها. سيحتاج لنقل أقوى، إذا كان سيكتشف كيفية الاستفادة من هذه العملية لإزالة العذاب من روحه. ربما يحتاج لضغط قلب الشمس إلى بشرتها؟ لأنه عندما يصنع ملك الجمرات أحد مُحاربيه، يغرس قلب الجمر في عمق جسده.

رفع قلب الشمس عاليًا بجوار قلب الجمر الذي يحتل صدر إليجي، ووجد أن لون قلبها كان أغمق. اقترب منها، وتجراً على فحصه، وهو يقول: «هذا ليس مُضادًا للدُّخار أيها المُساعد، أليس كذلك؟».

أجابه المُساعد: لا يبدو كذلك، لكنني لست أفضل اختيار لرصد ذلك.

قال: «يبدو أنه تالف - مُغطى بنوع من الـ.. الغشاء أو الطلاء. كقشرة الفاكهة». فكَرَّ للحظة، ثم قال موجَّهًا حديثه لريبكي: «من المُهم أن يفهم كلانا أن ما سأفعله الآن لا يهدف إلى إيذائها بأي شكلٍ من الأشكال».

قالت ريبكي وهي تقترب منه: «يبدو هذا مُنذرًا بالشؤم، لماذا قلت ذلك بهذه الطريقة؟».

قال: «لأنني بحاجة لتصديق ذلك». ثم رَفَع قلب الشمس المتوهِّج.. ولمسه بقلبِ جمر إيجي، ونَطَق بالصلاة المناسبة: «يا شديد البأس، الذي يقف على عتبة الموت، امنح قلب الشمس هذا حرارة احتضارك حتى أبارك أولئك الذين ما زالوا على قيد الحياة».

بدأت إيجي تصرُخ. أمسكت ربيكي بذراعه، وحاوَلت إبعاده. أَلَقَت بثقل جسدها كاملاً عليه، الذي لم يكن كثيراً، مُقارنَةً بحجمها. ظلَّ ثابتاً، يُراقب الظلام الكامن في قلب جمر إيجي وهو يتلاشى. مثلما تمنى أن تتلاشى آفة روحه تماماً. لقد أجدى الأمر نفعاً، أخيراً جَدَبَت ربيكي ذراعه، وتعلَّقت به، وأرَهق جسدها البالغ من الطول خمسة أقدام عضلاته وجذبه للأسفل. وكان ذلك كافياً ليجعله يتزحزح، ويُجبره على التراجع، ودفع ربيكي بعيداً.

صاح بغضب: «لقد أخبرتك أنني لا أنوي إيذاءها!».

صرخت به ربيكي: «هذا ما فعلته! بغض النظر عن نيتك من عدمها! إنها عاجزة! أريدك أن تضعها تحت رعاية سُلطاناتنا، لن أسمح لها أن تكون فأرة لتجارك».

تقدّم نحو إيجي مرّة أخرى، لكن ربيكي اندفعت لتقف بينهما، وهي ترتعد غضباً. حتى صدح صوت جديد من خلفها.

قالت إيجي: «من أنتما؟». كان من الواضح أن حلقها جاف، وكلماتها مُمزّقة.. وكأنها تصدح من مُحركٍ يفتقر بشدّة ولمدّة طويلة إلى الزيت، تابعت حديثها: «أطلقا سراحي».

تجمّدت ربيكي، ثم استدارت لاهثة. زجرت إيجي وهزّت ذراعيها المقيدتين، لكن حركاتها افتقرت إلى الشراسة الجارحة التي ملأتها في اللحظات السابقة. والأهم من ذلك، أنها أصبحت تتحدّث. لم يسمع أحد هؤلاء المتفحّمين وهو يتحدّث من قبل قط. استمرّ قلب جمرها في التوهّج، لكنه توهّج بصفاءٍ، وحيويّة. مثلما تنوهج الحُمم في فوّهة البركان.

قالت بصوتٍ أعلى: «أطلقا سراحي!».

تقدّمت ربيكي للأمام، ومدّت يدها ذات القُفّاز نحوها وهي تقول: «إيجي؟».

-«قلتُ.. أطلقا.. سراحي!».

قال نوماد وهو يُلقي بقلب الشمس المتوهِّج على الطاولة: «حسنًا، لقد أجدى ذلك نفعاً». وانهمك في كتابة بعض الملاحظات.

التفتت ربيكي إليه وقالت: «هل كنت تُحاول علاجها؟ لماذا لم تقل ذلك؟».

علاجها؟ صحيح. حسنًا، كان هذا أثرًا جانبيًا. توقّف، ثم قال: «لم أكن أعرف ما إذا كان الأمر سينجح، ولم أرغب في رفع سقف طموحاتك».

بدأت المرأة الأصغر تبكي، بحق العواصف. أمسكت بذراعه، ثم كافحت لتخلع قُفّازها، ولمست بشرته تعبيرًا عن شكرها. وهمست: «لقد استحققت الدفء اليوم، لقد أخطأت في الحُكم عليك. أنت رجل رائع،

رائع حقًا.. شكرًا لك».

يقول الفارس: هذا لطيف، منذ متى لم يُطالعك أحد بإعجابٍ حقيقي؟ هل هذا مُهم؟ دفعها للخلف بصرامة. تركته، ثم نظرت إلى إليجي، التي راقبتها بعوسٍ كئيب. سألتها إليجي: «أخبراني بهويتكما؟ ولماذا قيّدتماني بهذه السلاسل؟ وبِمَ حَدَثَ للصوت؟». تقدّم نوماد للأمام مُتسائلًا: «أي صوت؟».

قالت: «الصوت الذي يُصدر الأوامر في رأسي، لقد كان كل شيء جليًا منذ لحظة واحدة. أما الآن.. الآن أنا في حيرة من أمري. أعيد لي الصوت!».

قال نوماد مُتدبرًا: «يملك ملك الجمرات - كما شككت - طريقة للسيطرة عليهم، عن طريق اتصال مباشر».

يُعلقُ البطل: إن روحها مكشوفة بشكل رهيب، وعادة ما يجعل هذا من السهل السيطرة على العقل أو اختراقه، أليس كذلك؟

قال: «هذا حقيقي». يمنح قلب الشمس المعطوب ملك الجمرات بعض السيطرة على المتفحّمين.. لكن نوماد تمكّن من ردع تلك السيطرة، سائحًا لشخصية إليجي الطبيعية بالظهور من جديد. قالت ريبكي: «إنه صوتها، لكن يبدو أنها لا تعرفني. كيف سنجعلها تتذكّر؟».

لم يملك نوماد إجابةً جيّدةً على هذا السؤال. لقد رأى حالات كتلك من قبل، ومن المؤكّد تقريبًا أن ذكريات إليجي قد احترقت بفعل عملية اختراق روحها. لم تكن هذه إحدى حالات الارتباك البسيط التي قد تُصيبها بعد أن يصطدم رأسها بشيءٍ صلب، فقد تمزّقت روحها حرفيًا، واستُعبِدَ عقلها. ومن خلال تجربته، فالخطوة التالية لن تتمثّل في استعادة ذكرياتها، بل في مُساعدتها على تكوين ذكريات جديدة. ضيق عينيه وهي تقاوم قيودها الثقيلة، وبدأ أنها لا تزال قويّة بشكلٍ خارقٍ للطبيعة. قال: «إن وحدات ادّخار قلب الجمر لا تزال قائّمة، وهذا يأتي من المصدر، وليس من الرواسب التي استخرجناها. بحق العواصف.. ربما يُمكنها أن تشعر به هناك، ليوجّها».

من شأن الجسد البشري، الذي يفيض بهذا القدر من الطاقة، أن ينتفض بالحاجة إلى الحركة، والتصرّف. وقد يشعر المرء برغبة لا تُقاوم في استخدام تلك الطاقة، لتلبية مطالبه في أن يُصبح نشيطًا. وفي حالته، دفعته تلك الطاقة للحركة المُستمرّة، ولتجنّب النوم، ولدفع نفسه لمواصلة الفرار. أما إليجي، فكان من الواضح أنها ذات طبيعة أشدّ عدوانية.

قد لا تكون تلك الطريقة المحمومة التي يتصرّف بها هؤلاء المتفحّمون، في الهجوم المتواصل، والاستمتاع بالقتال.. نابعة عن أوامر ملك الجمرات. ربما كان يقودهم إلى اتجاهات مُعيّنة، ويدفعهم للعمل لصالحه، ويوجّه طاقاتهم العنيفة.

دَوْنُ نوماد بعض الملاحظات الإضافية. كيف يُمكنه أن يطبّق هذا على الرواسب التي تشوب روحه؟ رُبما يصنع سكيناً من قلب شمسٍ، ثم يطعن به نفسه؟ قد يُجدي ذلك نفعاً، لكنه خاف حدوث مُشكلة في الاتصال. حيثُ يُمكن لهؤلاء الناس جميعاً تقاسم الطاقة، والأرواح، بسبب المكان الذي أتوا منه.

ومع ذلك، فقد كانت هذه هي الخطوة المنطقية التالية. استعار سكيناً من ريبكي، التي انهمكت في محاولة إقناع إليجي بالتحدّث معها. كان بإمكانه استخدامه ليقطع جزءاً من قلب الشمس، وهو شيء سمعهم يصفونه. فقد كان أقل شبيهاً بالزجاج، وأكثر شبيهاً بالصمغ. استمرّ الجزء الجديد في التوهّج بنفس الضوء الحي.

وَضَع السكين ليُشق جلده. صَنَعَ جرحاً صغيراً في ذراعه اليسرى، ثم دفع بقطعة قلب الشمس بداخله. فقد كان لمس الدم ضرورياً، بالنسبة للعديد من استخدامات وحدات الأدخار. رُبما نَجَح استيعاب القطعة، لكنه أراد التأكد يقيناً.. بالإضافة إلى ذلك، سيكون من الأسهل التراجع عن هذا إذا حَدَث خطأ ما.

يقول الفارس مُتردّداً: يبدو هذا كضربٍ من الغباء يا نوماد.

-«و...؟»-

-«وربما لا ترغب في القيام بذلك؟ واختيار شيءٍ ليس غيباً عوضاً عن ذلك؟»

قال: «يجب أن أحاول القيام بشيءٍ ما يا أوكس، يُمكن لسريّة الليل أن تجدنا في أي وقت.. وأرغب في استعادة قدرتي على القتال إذا حَدَث ذلك».

-ورغم ذلك، هل أنت مُتأكد من رغبتك في أن تكون هذا المتهوّر؟

-«وماذا في شخصيتي جعلك تعتقد أنني سأفعل أي شيءٍ آخر؟».

يُطلق الفارس تهنيئةً طويلةً، لكنه يجد نفسه مُجبِراً على النطق بالحقيقة؛ فنوماد على أقل تقدير مُتمسك بغيبائه.

شقّ نوماد جرحاً صغيراً في ساعده، شكّل قبضةً ودسّ فلق قلب الشمس داخله. رتّل الصلاة التي نَجَحَت على إليجي، بنيةً سليمة.. ثم ضغط قطعةً من القماش على الجرح لكتم الدم.

لكن شيئاً لم يحدث. نطق بالكلمات مرّة أخرى، محاولاً الحفاظ على الإطار العقلي المناسب. كما ردّدها أيضاً عدّة مرّات بشكل مُختلف قليلاً، مُستخدماً أشكالاً مُختلفةً من النذور قادمة من عالمه الأصلي، ثم استخدم العزائم الأخرى التي تعلّمها لنقل وحدات الأدخار.

لم تُجد أيها نفعاً. فقد كانت مشاركة وحدات الأدخار أكثر صعوبةً عندما لا تتمتع بأيّ اتصالاتٍ بالطاقة أو بالأشخاص الذين أنشأوها. رُبما كانت هذه هي المُشكلة التي تعرّض طريقه ها هنا، أو رُبما نَجَح الأمر، لكنه لم يشعر بأيّ شيءٍ.

كليك.

رَفَعَ ناظره، وأخذ نفساً عميقاً عندما رأى ريبكي تفك الأغلال عن قدمي شقيقتها، بينما كانت قد فكّت أصفاد ذراعيها بالفعل.

اللعنة.

نَظَرَتْ إِلَيْجِي فِي عَيْنِيهِ، ثُمَّ قَفَزَتْ نَحْوَهُ وَهِيَ تَصْرُخُ بِغَضَبٍ عَارِمٍ.

صَرَخَتْ ريبكي والمتفحمة تدفع الطاولة جانبًا وتقفز نحو حلق نوماد. رَفَعَ يديه، وقَبَضَ على ساعديها قبل أن تغرز أظافرها في جسده، لكن الزخم دفعها للسقوط أرضًا في كومة ملتوية. زَجَرَ، وقلبهما جانبًا، محاولًا الحصول على اليد العليا. توجَّب على ذلك أن يكون سهلًا، فقد تدرب بشكل مكثف على المصارعة على مرَّ السنين، بينما قاتلت هي بجنونٍ يفتقر للمهارة، بعينين واسعتين وفكٍّ مشدود. لكنَّ كلما اقترب من إحكام القبض عليها، تحرَّرت، وفتحت قبضته تحت وطأة قوَّة شديدة. وجَدَ نفسه يُكافح من أجل الحفاظ على السيطرة، فقد تحرَّكت بطرقٍ غير متوقَّعة، فضربته برُكبتها، وعصَّته بينما ينقلبان. حاول أخيرًا صفعها على وجهها ليصدمها، لكن الهجوم المباشر جعل جسده يتيبس، ويُطلق سراحها قسرًا.

تحرَّكت بشكل مشوش، وأمسكت بجانب رأسي، ثم ضربته بالأرض المعدنية، لتجعل دوارًا حادًا يكتنف رأسي. لحسن الحظ، عالج شفاؤه حالة الدهول التي أصابته سريعًا، فتمكَّن من الإمساك بيديها مرَّةً أخرى، مُتَحَسِّسًا طريقه عوضًا عن رؤيته. صبَّت إليجي جام تركيزها على ضربه بشكل غير منطقي، حتى إنها لم تلاحظ أنه استدعى المُساعد على شكل أصفاد وسلسلة، وثبَّتْها إليها. وعندما حاولت ريبكي -مُتَأخِّرة- إيقاف شقيقتها، منحه الإلهاء فرصة للتدحرج بعيدًا، وتقييدها إلى الحائط مرَّةً أخرى. هاجمته إليجي مرَّةً أخرى، فأمر المُساعد بتقصير السلسلة، ثم اندفع بعيدًا عن نطاق قبضتها أخيرًا. ثم استلقى على الأرض يئن، ورؤيته تتشوش.

همس المُساعد ورؤيته ورأسه يشفيان: لم يعد لدينا سوى ما يزيد قليلًا على ثمانية بالمئة من سعة القفص. كره جزءٌ من نوماد سماع مثل هذه الملاحظات، وكره شعوره وكأنه آلة مزودة بمصدرٍ للطاقة. فقد بدت الحياة أكثر.. حيويةً بكثيرٍ عندما كان قد تشرب الطاقة لتوه وشعر بانطباع عام عمَّا ترك خلفه. جلس مُسندًا ظهره إلى الحائط. ركعت ريبكي إلى جواره، وبدت مرعوبة. لم تكن شقيقتها مُثبَّتة إلى مكانها تمامًا، فبدلاً من تقييد يديها وقدميها إلى الحائط، قيَّدت من معصميهما، بسلسلةٍ طولها قدمان تقريبًا. لم تستفيد من طولها، بل جلست القرفصاء على أطراف أصابعها عوضًا عن ذلك، كوحشٍ ضار، تُحدِّق به وتزأر فيه.

همست ريبكي: «أنا آسفة، اعتقدت أنها.. لقد بدالي أنها تتعافي، واعتقدت.. أنا...».

قال نوماد: «أجل، حسنًا، في المرَّة القادمة التي تفعلين بها شيئًا بهذا الجنون، نبهيني على الأقل أولاً لأنَّك من البدء في الركض؟».

سأله المُساعد: هل أنت بخير؟ كان صوته باردًا كعادته، لكن الطريقة التي طرَح بها سؤاله -دون ادعاء أو تكلف- كشفت عن قلقٍ حقيقي.

فَرَكَ نوماد رأسه مُتمتِّمًا: «أجل، أعتقد ذلك».

قالت ريبكي وهي تقف: «لماذا فعلت ذلك يا إيجي؟».

همست المُفحمة: «لأنكما قيَّدتُماني بالسلاسل».

قالت ريبكي: «كنا نفك قيودك!».

قالت إيجي ببساطة: «لقد قاتلتُ، وهذا ما أفعله».

أجابتها ريبكي: «أنا شقيقتك! وهذا الرجل يُساعدني في إنقاذك من أعدائنا. أنت في الوطن، لا حاجة لك للقتال مرّة أخرى».

لم تُجِبها إيجي، لذا استدارت ريبكي لنوماد وقالت: «لم تتعافَ بشكلٍ كاملٍ بعد! افعل ما فعلته من قبل، لكن زده قليلًا».

قال: «لن يُجدي هذا نفعًا، ستقتلها أي زيادة تقوم بها. لقد سلبتها الجزء الذي تركه ملك الجمرات ليتحكّم فيها؛ وما تريه الآن هو كل ما تبقى من شقيقتك فحسب».

تحرك نوماد إلى مكتبه، وانتزع فلق قلب الشمس من ذراعه، التي شُفِيَت، ثم مسح الدماء بقطعةٍ من القماش. ومع ذلك، كان أكثر إحباطًا من ذي قبل، فقد تبيّس جسده أثناء القتال.. وهو دليلٌ على أن العملية لم تنجح معه كما نَجَحَت مع إيجي.

ما الذي يُمكن أن يفعله إذن؟ هل كان هناك دربٌ ليسلكه؟

وقفت ريبكي بجوار الحائط، وطَفَقَت تبكي بهدوء. من الأفضل أن يُكلّفها بشيءٍ لتفعله، لذا طلب منها أن تأتي بزبل، الذي يمتلك جهاز التحكم اللازم لتفعيل الأساور التي ترتديها إيجي، والتي من شأنها أن تُجمّدها، وتسمح لهم بتقييدها بشكلٍ كاملٍ مرّة أخرى.

وعندما انطلقت ريبكي لتنفذ طلبه، أخذ بعض الأنفاس العميقة. وبعد ذلك، وإرضاءً لرغبته في مواصلة الحركة، بدأ يرسم مجموعةً جديدةً من المخططات. ووجد أنه يعمل بشكلٍ أفضل، إذا تنقل سريعًا بين مشاكله. فبالقليل هنا، والقليل هناك، يُحاول دائمًا إحراز تقدّم في بعض الأمور. وفي هذه الحالة، خطرت إليه بعض الأفكار للتعامل مع قوَّات ملك الجمرات بعد عبور الجبال.

قاطعت إيجي سيل أفكاره عندما سألته من خلفه: «هل هي شقيقتي حقًا؟».

نظر إليها. كانت قد استقرت في وضعية الجلوس، ورفعت يديها المُكبَّلتين بالقيود فوق رأسها. وبدت.. مُرهقة، مُنهكة. إنه يعرف ذلك الشعور.

قال: «أجل، وكان لديك شقيقٌ أيضًا، لكنه مات أثناء إنقاذك».

-«مِم؟»-

قال نوماد وهو يُدوّن المزيد من الملاحظات: «من ذلك الصوت الموجود في رأسك! هذا صوت ملك الجمرات. لقد أسرك، ووضعت قلب جمر في صدرك، وأحرق تفاصيل حياتك السابقة».

- «لماذا يجب عليّ أن أصدقك؟».

- «ولماذا لا تُصدّقيني؟».

- «ربما ترغب في التحكم بي».

قال: «لقد سمحت لذلك الصوت بالتحكم فيك بالفعل، لماذا تهتمين إذا سيطرنا عليك أم لا إذن؟ لماذا تهتمين إذا كذبنا عليك أم لا؟».

غرقت في صمت عميق، وتركته يعمل لفترة أطول.

في النهاية قالت: «أنا لا أنتمي إلى هنا، يُمكنني أن أشعر بصدق ذلك. لقد توقعت هذه الفتاة الأخرى شيئاً مني، لكنني لست الشخص الذي تراه عندما تنظر إليّ».

- «وأنت شخص أنت؟».

قالت إليجي بصوت خافت: «شخص يحترق، يحترق بنيران القتال. لا.. لا يُمكنني شرح الأمر».

- «تحتاج اليقظة جنات جسدك، بالإضافة للتوتر، وتشعرين أنك على وشك الدُعر. وهناك ما يثور

بداخلك، كالعاصفة، ويدفعك للحركة، للعمل. كما يُشكّل لك الجلوس ساكنةً عذاباً. يتوجّب عليك

الحركة، والقتال، والفرار أو المقاومة بطريقة ما».

- «أجل».

رفع نظريه عن دفتره، ونظر في عينيها، وقال: «أنت مُحقّقة، أنت لست الشخص الذي تظنّه، وربما لن يُمكنك أن تكونيه مرّة أخرى. سيتعيّن عليكما إيجاد طريقة جديدة للتعامل سوياً».

- «أطلق سراحي».

رفع حاجبيه وهو ينظر لها، قبل أن يقول: «هل ستهاجميني مرّة أخرى؟».

اعترفت قائلة: «على الأرجح، لكنك تشعر بذلك بدورك، فقد وصفته جيّداً. يُمكننا أن نتقاتل، أنا وأنت.. أن نتصارع، نتحرك، نشعر بالحويّة».

- «شكراً، لست مُهتماً».

يقول الفارس: يا لها من فاتنة.

سرعان ما عادت ريبكي وزيل في أثرها. وقاما، باستخدام جهازه، لإفقاد إليجي الوعي، وإعادة تقييدها بالسلاسل. وراقبه زيل بفضول وهو يصرف المساعد.

قبل أن يسأله: «كيف؟ كيف تتحكم في هذا الظل؟ ألا ينبغي عليه أن يُحاول قتلك؟».

أجابته: «يختلف المساعد قليلاً عن ظلالكم، فهو لا يُهاجم بعينين متوهجتين أو لمسة قاتلة. بل يستخدم السخرية بدلاً من ذلك، وهي أكثر إيلاًماً بكثير».

يتدخل البطل بصوتٍ يفتقر إلى أيِّ سُخريّةٍ على الإطلاق: معذرةً، أنا أذكر الحقائق، لكن كيفية تقبُّلك لها أمرٌ يقع على عاتقك تمامًا.

أوماً زيل برأسه إلى إلجي، ثم قال: «هل أنت متأكد من أنك لا تُريدني أن أُلقيها في السجن مرّةً أخرى؟». قالت ريبكي: «إنه يُساعدُها يا زيل، لقد تحدّثت إلينا، مثلما أخبرتك». أجابها زيل: «لم أسمع مُتفحّحًا يتحدّث من قبل، حسنًا، لا بأس. أعتقد أنني سأترك هذا هنا». أنهى كلامه، ووضَعَ جهاز التحكم على المكتب. قال نوماد: «أقدر لك ذلك».

سأله زيل وهو يوميء برأسه نحو ملاحظاته: «ما هذه؟». انحنى مُقتربًا، وهو يسأله: «أسلحة؟ على متن المركبات؟». صفر بصوتٍ خافت، وهو يستوعب قياساتها.

أوماً نوماد برأسه وهو يقول: «تفوق خبرتي في الأسلحة خبرتي في المُحرّكات البخارية قليلًا». سألته ريبكي: «هل يجب أن تكون بهذا الحجم؟».

قال نوماد موضّحًا: «لقد اخترنا أكبر وأضخم المركبات لعبور الجبال، وهي ما نحتاجها لنقل كل أفراد شعبكم. لكن هذا يعني أنه بمجرّد خروجنا من قبضة الظلام، ومحاولة فتح مدخل الملجأ، سنكون فريسة سهلة للملك الجمرات».

قال زيل: «ما لم...».

أكمل نوماد جملته قائلاً: «ما لم نجلب بعض القوّة الناريّة القويّة، ونضربه بشيءٍ لم يره من قبل». جالس في مقعده، ورفّع دفتره، وهو يُضيف: «ما دام أسلافكم يمتلكون القُدرة على تصنيع أي شيء حقًا، بمجرّد مدّهم بالمواد الخام والمُخطّطات، فلا أرى سببًا يمنعنا من التوسّع. يُمكن لهذه الأشياء أن تستعين بقلوب الشمس كمصادرٍ للطاقة». أغلّق دفتره، ثم قال: «لكنها غير ذات صلة في الوقت الحالي. لأننا إذا لم نعبر تلك الجبال، فلن يهم أي شيء آخر».

سأله زيل: «ما هي فرصنا في القيام بذلك؟ لو كان بإمكانك التخمين؟».

قال نوماد: «ليس لديّ أي فكرة، لكنها ليست مُنعِمة، لكنها ستنعِدم تمامًا لو توقّفنا عن الحركة». قاطع مُحادثتها صوت يتردّد في جميع أنحاء المدينة، نفير بوق. كان هذا أمرًا غير مُعتاد، نظرًا لأن سُكّان المنارة عادةً ما يُحاولون إغراق المدينة الطائرة في الصمت، وإخفاءها بقدر المُستطاع. نظر إلى الاثنين الآخرين بحثًا عن تفسير.

قال زيل وهو يقرأ الأبواق، التي نُفِخت بنمطٍ مُحدّد: «إنه نداء تجمّع، لقد حذرنا الناس بالفعل للبدء في جمع الملابس والأشياء الأساسيّة في حقيبةٍ واحدةٍ لكلّ منهم، وترك بقية الحاجيات، وهذا هو التحذير الأخير. سنبدأ في التخلّص من المركبات الأخرى لتوفير الطاقة».

قال نوماد: «بدأوا بالفعل؟ يتحرّك قومكم سريعًا».

وبمُجرّد أن نطق بهذه الكلمات، عَرَفَ أنه قد عرّض نفسه لـ...

يا إلهي، هل تعتقد ذلك حقًا؟ يُدير الفارس عينيه في سخطٍ.. تلك العينان اللتان كان
سيملكهما بكل تأكيد لو لم يقتله نوماد. إنهم يتحرّكون سريعًا؟ حقًا؟ الأشخاص الذين
قضوا سائر حياتهم يفرون أمام الشمس، ودائمًا يتبعدون خطوة عن التبخر بفعل موجة من
الضوء الحارق؟ يتحرّكون سريعًا؟ حسنًا، اللعنة على ذلك. من كان ليظن ذلك؟

قال نوماد باللّغة الأليثية: «ألا تعتقد حقًا أن تلك سُخرية؟».

-لقد أصبح الأمر أكثر وضوحًا فحسب.

-«أعتقد أنك تجاوزت حدودك قليلًا».

حسنًا، ذلك لأنك لا تمتلك خادمًا يُحب طعن نفسه بقطع من مصادر الطاقة المجهولة من
أجل المتعة. عليك أن تكون بالغ الوضوح في حديثك جيّدًا مع هذا النوع من الأشخاص كما
تعلم.

تأوّه نوماد، ودسّ دفتره في جيب معطفه، ثم قال لربيكي: «هيا، أريد أن أطمئن على المهندسين، وأن أرى
نُسختهم الجديدة تنفجر».

اتضح أن فريق الهندسة الصغير بالمنارة كان مكتظًا بالمتعطّشين للإنجاز. لأنهم لم يصنعوا نموذجًا أوليًا جديدًا، بل ثلاثة، كل منهم يستخدم أجزاءً من تصميمه لتعديل مُحركٍ صغير.

لم ينفجر منهم سوى مُحركين فقط، أما الثالث، فحلّق مُرتفعًا في الهواء، دون أن يبدو للعيان إلا من خلال ضوءه الذي لا ينفك يومض في قلب الظلام.. مما سمح لبعض الأشخاص على درّاجة رباعيةٍ مُسلّحين بالشباك بالخروج والإمساك به بمُجرد سقوطه.

أصاب الارتفاع الحشد بحالةٍ من الرهبة، حيث اجتمع مُعظم سُكّان المنارة هنا للمُشاهدة بينما يُجلون من منازلهم إلى المركّبات المركزيّة الأكبر حجمًا.

قال أحدهم: «لقد ارتفع عاليًا للغاية، إلى ارتفاعٍ يفوق أي ارتفاعٍ يُمكن لمركبةٍ أن تصّله عادةً». وقال آخر: «قد ينجح هذا، قد ينجح حقًا!».

يقول البطل: أنت محظوظ للغاية لأن أحدها قد حلّق.

همس نوماد: «أتفق تمامًا». لو انفجرت المُحرّكات الثلاثة، لانطلقت أعمال الشغب في الأرجاء. تجمّع المهندسون حوله أثناء عملية استرجاع المُحرّك، تطلّعوا إليه في انتظار شيءٍ من الشاء، تمامًا كالأطفال. بحق العواصف، لطالما انتابه الحرج في هذا النوع من المواقف. ورغم ذلك، فقد دُرب على قول الكلمات المناسبة، فقال: «عملٌ رائع، لقد أنقذتم المدينة للتو». ثم أوما برأسه نحو المُحرّك، وهو يُضيف: «لقد ارتفع أعلى وأسرع مما توقّعتُم، أليس كذلك؟».

قالت سُلّميتي ديثاين: «كان من المُفترض به أن يُحلّق، فهذا ما نصّ عليه تصميمك على الأقل. لكنه عمِل بشكلٍ جيّد للغاية، وانطلق نحو السماء. سنقوم بتصميمٍ آخر انطلاقًا من ذلك التصميم، لكن هناك شيئًا آخر أريد التحدّث معكم بشأنه».

أشارت إلى عدّة مركّبات كبيرة بالقرب من وسط المدينة، يهيمن على كل منها هيكل أسطواني بارتفاع ثلاثة طوابق، أبراج المياه. كانت الأبراج أشبه بمُلحق الكورس، لكن بشكلٍ صناعيٍّ أكثر. نُقل الناس إلى المركّبات الأخرى التي اختيرت للتحليق، بما في ذلك المحوّر المركزي، لكن ليس إلى هذه الثلاثة.

قالت: «لا بُد أن تحتوي هذه الأشياء على ما يكفي لارتفاع فوق الجبال، ثم لتسمح لنا بالتحكّم في هبوطنا. سنضعها على أطراف المدينة، ونتركها غير مأهولة، وسنترك لك مُهمّة إسقاطها بالكامل بمُجرد أن تنضب مياهها. لكننا كُنّا نأمل في الحصول على بعض المساعدة فيما يتعلّق بطرق عزلها وتسخينها، في مواجهة البرد، هل تفهم قصدي؟ لأننا سُرعان ما سنتحطّم إذا تجمّد وقودنا الدافع بمُجرد تجاوّزنا للغلاف الجوي».

خمن قائلاً: «لا تعرفون الكثير عن الفضاء والفرّاغ، أليس كذلك؟».

قالت: «لا، بحق الظلال، لماذا سنعرف ذلك؟».

أجابها: «لستُ بحاجة لعزلها في مواجهة البرد، رغم أنه سيتوجب عليكم تركيب بعض المصارف الحرارية.. خاصة على تلك الأنابيب القريبة من المحرك. يجب أن نكون بخير، لأننا سنتخلص من الحرارة بشكل ضخم. فهذا هو الهدف الرئيسي من الأمر برمته، لكنني سأظل قلقًا بشأن تلك الأنابيب».

قالت باستنكار: «الحرارة؟ هل تشعر بالقلق بشأن الحرارة الزائدة؟ على مثل هذا الارتفاع؟».

قال: «ثقي بي، لو دخلنا إلى فضاء حقيقي - وهو شيء قد لا نفعله حقًا - فالطريقة الوحيدة التي سنحظى بها للتخلص من الحرارة، ستكون عن طريق انبعاث المادة، أو عن طريق الأشعة تحت الحمراء، والتي يعيها البطء الشديد. ولأنه لا توجد أي أحمال حرارية، ولا هواء لطرد الحرارة. أقترح بناء بعض أجنحة التبريد الصغيرة، إذا امتلكتم الوقت لذلك، على أن تكون مكشوفة قدر الإمكان وجاهزة لطرد الحرارة. لكن تخميني أن ذلك سيكون ضروريًا».

أومأت برأسها، وقد اقتنعت بما قال، وانطلقت مع الآخرين للبدء في إنشاء تصميمات جديدة. بينما وقف، يُراقب الناس وهم يُقسّمون بين المركبات، وشعر بالدهشة لرؤية انكسار في السحب أعلاه - فمن المفترض أن يكون ذلك نادرًا على هذا الجانب من شروق الشمس - ليسمح للمدينة بالمرور إلى نور الحلقات مرة أخرى، النور الذي أضواء منظر المرتفعات الحشنة والصخرية. انهمرت الأمطار عبر التلال الحجرية الوعرة في آلاف الشلالات الصغيرة.

يقول الفارس بدهشة: يا له من مشهد، مجرد مياه تنهمر فوق الصخور، لكن بطريقة تجعلها في منتهى الجمال. هذا رائع، ذكّرني مرة أخرى، لماذا نكره السفر إلى هذه العوالم؟

- «لأننا مُطارَدون».

- صحيح، بالطبع، أجل. لكن.. أتمنى في كثير من الأحيان لو أن بإمكاننا التوقف قليلاً للاستمتاع بالمنظر.

إن الاستمتاع بالمناظر الطبيعية رفاهية لا يملكها كل من لديه مُسدس مصوّب إلى رأسه. عن يمينه، انفصلت إحدى المركبات عن الهيكل الرئيسي للمدينة وسقطت، لتتحطم أرضًا بالأسفل، وتتقاطع مع الشلالات. تحرك أفراد الطاقم، بعدما استعادوا قلب الشمس منها. دخلوا إلى المركبة التالية في الحلقة الخارجية، التي سرعان ما انفصلت وسقطت بدورها، ثم ثالثة. لم تكن تلك المركبات سوى كتل معدنية جامدة، لكنها بدت في هذا الموقف بائسة ومساوية إلى حد ما. بدت كشواهد قبور لمدينة لم تعد موجودة.

انضمت إليه كونتمبليشن، أثناء انهياكه في المراقبة، سارت مُتكيئة على عصا.. وقد بللت الأمطار شعرها، رغم الحماية التي وفرتها له القُبعة واسعة الحواف التي اعتلت رأسها. المُدهش؛ أنها وضعت يديها فوق عينيها

لتحميمها من نور الحلقات، وكان هذا النور الخافت أزعجها حقًا، ثم قالت: «نقرب من تلك الجبال بشكل غير مُريح أيها الرجل الذي أضاءه نور الشمس، لكن على الأقل يبدو أن مُحركاتك تعمل». أجابها قائلاً: «لا يزال يتعيّن علينا إجراء اختبارٍ تجريبي، سيتعيّن علينا أن نُحلّق عاليًا بإحدى المركبات، عندما نقرب من تلك القمم، لتتأكد من أن المحرك يعمل على النحو المنشود». قالت: «رُبما يُمكننا استخدام تلك التي خصّصناها لك». أوّمت برأسها جانبًا، إلى منزله على متن المنارة - وهي مركبةٌ تكوّنت من بعض العُرف الصغيرة، وسطح واسع، ومقصورة مُتفخخة بالقرب من مؤخرتها، ثم أضافت: «لقد كانت مركبةٌ إيجي، تُدعى «دونتسيسر (23)». لقد عزّزنا قواها، لتتمكّن من محاولة الاندفاع نحو «الاضطراب العظيم» على حافة الليل، والاقتراب من الشمس أكثر من أي وقتٍ مضى». - «لماذا أرادت القيام بذلك؟».

قالت كونتمبليشن: «لقد كانت إحدى أفكارها للنجاة، حيث إن ملك الجمرات يترك الأناض ليلاقوا حتفهم في نور الشمس، ثم يُبقي قوّة من المركبات لتقوم بورديات على حافة «الاضطراب العظيم» - جاهزة لحصد قلوب الشمس من الأرض في اللحظة التي يُصبح فيها ذلك آمنًا. تساءلت إيجي عمّا إذا كانت هناك طريقةٌ ما للسفر عبر «الاضطراب العظيم» نفسه - تلك الحدود التي تفصل بين المطر ونور الشمس - لتحصدها قبل أن يفعل ملك الجمرات». هزّت رأسها قبل أن تقول: «وهو ما ثبت أنه ضربٌ من المُستحيل. فحتى لو تمكّنا من جعل المركبة تنجو لفترةٍ كافية، فلن تكون هناك أي طريقة لمغادرتها، وحصد قلوب الشمس».

علّق قائلاً: «كلّما سمعت أكثر عن إيجي، زاد إعجابي بها».

- «بسبب أفكارها الفاشلة؟».

- «تؤدي الأفكار الفاشلة إلى تلك الناجحة يا كونتمبليشن، إنها الشيء الوحيد الذي يؤدي إليها».

أوّمت برأسها بتمعّن، وهي تتأمّل المنحدرات، وتشرد بعينها إلى ذلك «الاضطراب العظيم». مكانٌ لا يطاله نور الشمس، لكنه يتعامل مع آثار مروره. لا يزال يجد نفسه عاجزًا عن اكتشاف آليات هذا المكان. لماذا لم تؤدّ تلك العاصفة إلى أنماطٍ مناخيةٍ غير صالحة للعيش على متن الكوكب؟ ولماذا يحرق ضوء الشمس بهذه الطريقة من الأساس؟

قالت كونتمبليشن: «لطالما بحثت إيجي عن النور، حتى غرسه ملك الجمرات في صدرها ذات يوم».

ثم انهارت مركبةٌ أخرى، لتنضم إلى صفّ الأكوام المهشمة الذي يتكونه خلفهم.

قال: «لدينا قصّة في وطني، تتحدّث عن شخصٍ اقترَب كثيرًا من الشمس، وهو أمر شائع للغاية في الكثير من الثقافات والعوالم، لكنه لا ينتهي بشكلٍ جيّد أبدًا».

قالت كونتمبليشن وهي تستند إلى عصاها: «إذا كان يُرضيك أن تُطمئنني، فقد فشلت في ذلك. لأن هذا ما سنفعله في غضون ساعاتٍ قليلة، لكن.. إلّا تشير هذه القصّة؟».

تردّد قليلاً.

يهمس الفارس: هيا، لا تتردّد، أريد أن أسمع الأمر، تحدّث.

قال نوماذ باللّغة المحليّة، كي تفهمه كونتمبليشن: «وَصَلَّ من الشرق نفراً من العمالقّة، مُتسلّحون بدرّوع من أقوى المعادن، حملوا معهم الموت والدمار، أضنوا القرى بحقدٍ، كما تفعل الحشرات بالمحاصيل، مزّقوها إرباً، ودمّروها.

قاتل أسلافك تلك القوى العظيمة، فلم يكن لديهم بديلٌ عن القتال. إذ لم يكن الانقياد لقوّة تسعى لالتهاك أنت وثقافتك خياراً قائماً! وقفنا في صفوف، مُدرّكين أننا أدنى حجماً من المعتدين، لكن في اتحادنا قوّة. لم يكن أمامنا سوى الوقوف في وجه ذلك الزحف الدموي بجدرانٍ من الشرف والتدريب. أسموا أنفسهم بـ «الأليشين»، لكننا عرفناهم بلقب «التاجاروت»، وهي كلمةٌ تعني المهلكين، لأنهم لم يتركوا وراءهم سوى كل موت وخراب.

جرت تلك الأحداث أثناء الغزو الرابع لسُلالة أولوتو، تُعد تلك التواريخ غامضةً وقديمةً للغاية حتى إن الباحثين تحبّطوا في تحديدها، لكن الرأي السائد يُشير إلى أنها وقعت في عهد إمبراطورنا الخامس عشر. وجاء التاجاروت من جديد، نائرين كالعواصف، وهو طابعهم الذي يتكرّر مع كل جيل، وكل قائدٍ عسكريٍّ، وكل غزو.

نظرت إليه كونتمبليشن، وقالت: «تقول إنهم عمالقّة؟ حتى بالنسبة لك؟».

همس وجزء آخر من المدينة يسقط: «أجل، فقد تقاسمت معهم الصفوف، وبنيت أواصر الصداقة، مع هؤلاء الذين ارتفعت رؤوسهم إلى السماء أكثر من أي إنسانٍ قابلته يا كونتمبليشن.»
-«كيف لك أن تُصادق قوماً بهذه الفظاعة؟».

ابتسم قائلاً: «تروي الأساطير أن فترة التغيير حدثت خلال الغزو الأخير لسُلالة أولوتو، عندما قرّر المهلكون -الذين سئموا الهزائم المتكرّرة أمام جيوشنا- اعتماد استراتيجيةٍ جديدة وجريئة، وقرّروا غزو الشمس نفسها.

قالوا لأنفسهم: يا له من مكانٍ عالٍ! هل يُمكن أن تُخفي الشمس خلف سطوعها ثرواتٍ لا حصر لها! ثم عثروا على أعلى الجبال شموخاً، وشرعوا ببناء السقالات. أحضروا أعظم آلاتهم الحربيّة، وأبراجهم التي استخدموها لاحتلال المدن، إلى جانب حبالهم، وحاملات أفلاقهم. وتسلّقوا أعالي الجبال وصولاً للشمس نفسها، عازمين على تدمير كل من يقطن أراضيها، والظفر بثرواتها.

بدت عليها أمارات الإحباط وهي تقول: «صعدوا إلى الشمس! إنها قصّة خياليّة إذن.».

قال: «تمتزج الحقيقة والخيال في العديد من القصص يا كونتمبليشن، خصوصاً القديمة منها. ومن الصعب فصل الواقع عن الوهم دون أن تسمّي الحقيقة. لكن في هذه القصّة تحديداً، أجل، الفكرة الأساسية

محض خيال، لأنهم وصلوا إلى الشمس أخيراً، تحرقهم نيران حماسهم لاكتشاف الأسلحة والأدوات التي سيستخدمونها أخيراً للهيمنة على عالمي.

لكن الضوء كان ساطعاً للغاية، وتوهجت ثروات القدير نفسه بحرارة حارقة. فلم يتمكن التجاروت من نهب الأحجار الكريمة التي وجدوها، لأن بريقها كان قوياً بما يكفي لتدميرهم. وأجبر العمالقة المثقلون بالفخر، والمحاربون الرهيبيون على الفرار؛ لم يهزموا بالرماح أو الدروع، بل بذات الكنوز التي سعوا لنهبها. ويُقال إن البياض قد صبغ أعينهم بفعل الضوء الشديد، كطينٍ بولغ في طهيه. وهكذا امتلك الأليثيون عيوناً زرقاء أو فاتحة، بدلاً من عيونهم السوداء والبنيّة. لقد أثار نور السماء - حيث يجلس يزر بنفسه على عرشه - على قدرتهم على الرؤية بنفس الطريقة التي اعتادوا الرؤية بها. ورغم أنهم يرون العالم الآن مختلفاً، اندثر بريق الكنوز من أعينهم بسبب ما جرى.

بعدما تكبدوا عديد الخسائر، بدأ التجاروت يتصرّفون كالبشر. لم يعودوا يشتهون الكنوز قط، وتعلّموا كيف يتحدّثون. ورغم أنهم لم يتعلّموا الكتابة أبداً، نالت منهم أيدي الحضارة. ولهذا السبب، لا تزال أعين قادتهم فاتحة اللون حتى يومنا هذا، كما يُمكنك أخيراً إجراء مُحادثة مع أحدهم - بدلاً من الهروب للنجاة بحياتك».

نظر إلى كونتمبليشن فوجدها تبسّم. حدّقت للأمام، وراقبت مدينتها تنهار، مدينة مهجورة بشكل مثالي مثلما يجب أن تُهجر الكثير من المدن، وقالت: «لم أتوقّع أنك راوي قصص بارع أيها الرجل الذي أضاءه نور الشمس».

- «لم أتوقّع أنني بهذه البراعة».

- «ما دام هذا يُرضيك، أخبرني؛ هل هذه نهاية القصة؟ أين الحكمة منها؟».

- «لا توجد أي حكمة ها هنا، إنها مجرد قصة غريبة الأطوار».

- «هذا مثير للفضول، فقصصنا مختلفة تماماً، لأنها تحوي بعض الرسائل بين جنباتها، وعادةً ما تفتقر للبراعة

إلى حد ما، لو لم تكن فظاظتي صادمة للغاية. ولسبب ما، يتضمّن العديد منها أطفالاً تأكلهم الظلال».

أجابها نوماد: «يُجب مُعلّمي هذا النوع من القصص، تلك التي تحتوي على رسالة. لقد وصل الأمر إلى حدّ أن يكذب ويُخبر الناس بعدم وجود أي رسائل في أي قصة يقصّها، كل هذا ليُقيهم مُهتَمين دون أن يتجاهلوه لأنه يعظّمهم. ولكنني اكتشفت أنني أفضل الـ.. القصص التي لا تنطوي على شيء سوى أن تكون مُمتعة».

أومأت كونتمبليشن برأسها، بينما تداعى المبنى الذي قابلها فيه، المنزل الذي كان منزلها هنا على متن المنارة، ثم انهار. همست: «أود أن أعيش أيامي المُتبقية في مكانٍ يُمكننا فيه أن نروي مثل هذه القصص، مكان لا نضطر فيه للهروب، مكان يحتضن السلام، والـ.. الطرافة».

قال: «أفهمك جيّداً».

أَجْبِرِ نَوْمَادَ وَكَوْنِتِمْبَلِيْشْنَ عَلَى التَّرَاجُجِ مُبْتَعِدِينَ عَنِ حَاقَّةِ الْمَدِينَةِ لِأَنَّ تِلْكَ الْمَرْكَبَاتِ سَتَنْهَارُ بَعْدَ لِحْظَاتٍ.
اِخْتَلَطَا بِالْعَدِيدِ مِنَ النَّاسِ الْمُتَوَقِّفِينَ بِالْقُرْبِ مِنْ وَسْطِ الْمَدِينَةِ، يُرَاقِبُونَ مَدِينَتَهُمْ وَهِيَ تَتَمَزَّقُ إِرْبًا، مِثْلَمَا تُبْتَرُ
الْأَصَابِعُ لِإِنْقَاذِ الْيَدِ مِنَ الْغُرْغُرِينَا.
وَبِجَوَارِهِ، أَمْسَكَتْ طِفْلَةً بِيَدِهَا مُشِيرَةً إِلَى السَّمَاءِ، قَبْلَ أَنْ تَقُولَ: «انْظُرِي يَا مَامَا، هُنَاكَ نَجْمَةٌ
جَدِيدَةٌ».

سَأَلْتُهَا وَإِدَّتَهَا: «وَكَيْفَ عَرَفْتِ أَنَّهَا جَدِيدَةٌ يَا دِيبُورَا جِيمِسْ؟».
أَجَابَتْهَا الْفَتَاةُ: «نَدْرُسُ النُّجُومَ فِي الْمَدْرَسَةِ، حَتَّى نَتِمَكَّنَ مِنْ تَحْدِيدِ مَوْقِعِنَا. انْظُرِي.. إِنَّهَا جَدِيدَةٌ».
تَجَمَّدَ نَوْمَادُ فِي مَكَانِهِ، ثُمَّ اسْتَدَارَ مُتَفَحِّصًا السَّمَاءَ، وَوَجَدَهَا مِنْ فَوْرِهِ، بِالْأَعْلَى.. نَاحِيَةِ الْيَمِينِ، بِالْقُرْبِ مِنَ
الْحَلَقَاتِ. تَتَوَهَّجُ بِشَكْلِ مُشْرِقٍ تَحْتَ نُورِ الشَّمْسِ الْمُنْعَكِسِ.

يَهْمِسُ الْفَارِسُ: حَسَنًا، بِحَقِّ الْعَوَاصِفِ، لَقَدْ وَضَعْتَ الْحَفْلَةَ أَوْزَارَهَا.
قَالَتْ كَوْنِتِمْبَلِيْشْنَ وَهِيَ تَتَّبِعُ نَازِرِيَهَ: «عَجَبًا، إِنَّهُ نَجْمٌ جَدِيدٌ بِالْفِعْلِ. أَمْ تُرَاهُ.. رُبَّمَا جِزْءٌ مِنَ الْحَلَقَةِ؟ فَأَلِ
حَسَنًا، أَوْ رُبَّمَا عَلَامَةٌ عَلَى مُبَارَكَةِ أَدُونَالْسِيَوْمِ لِرِحْلَتِنَا؟».

قَالَ نَوْمَادُ: «لَا، هَذَا لَيْسَ نَجْمًا جَدِيدًا أَوْ كَوَيْكِبًا يَا كَوْنِتِمْبَلِيْشْنَ. إِنَّهَا مَرْكَبَةٌ حَرِيْبَةٌ ضَخْمَةٌ تَنْطَلِقُ فِي مَدَارٍ
مُنْخَفِضٍ حَوْلَ الْكَوَكَبِ. وَتُدْعَى تِلْكَ الْمَرْكَبَةُ «سَرِيَّةُ اللَّيْلِ». فِي الْوَاقِعِ، تَجْمَعُكُمْ بِهَا قَرَابَةٌ بَعِيدَةٌ، وَقَدْ جَاءُوا
إِلَى هُنَا لِقَاتِي».



[23](#) Dawnchaser: كلمة إنجليزية تعني «مطاردة الفجر». (المترجم).

قالت كونتمبليشن: «تمتلكون مركبات للسفر بين النجوم؟». نظرت إليه بدهشة، وكأنها تراه على حقيقته للمرة الأولى.

قال: «أجل، لقد أصبحت هذه المركبات أكثر شيوعاً في أيامنا هذه».

- «إذن رُبما.. رُبما يمكننا طلب المساعدة من أصحاب هذه المركبات في مواجهة ملك الجمرات؟ أو رُبما نطلب استخدام مركبتهم لتجاوزه؟ أو.. تشير تعبيرات وجهك إلى أن ما أطرحه ليس سوى ضربٍ من الجنون».

أجابها بجديّة: «تقود سرّية الليل جيوش الموتى، وهم قوّة مكوّنة بشكلٍ رئيسيّ من المرتزقة، المشهورين بفتكهم وشراستهم. إنهم الجيش الوحيد الذي يواصل قتالك حتى بعد الموت، حسبما أعلم. كما أنهم يفتقرون للتعاطف مع مشاكل السكّان المحليين، ولتأخذي في اعتبارك أنني قد صغتُ كلمتي بشكلٍ لطيف». قالت: «حسناً، ماذا سنفعل إذن؟».

قال وهو يُسرّع نحو مركز المنارة: «عودوا للاختباء خلف الغمام، اختبئوا في الظلام، فأنتم ماهرون في ذلك. لن يعرفوا مكاني على الفور، وسيحتاجون لبعض الوقت لاستكشاف الكوكب. كنت أتمنى لو استغرقوا وقتاً أطول قبل أن يتبعوني إلى هذا النظام، لكن ما زال أمامنا فرصة».

قالت كونتمبليشن وهي تُحاول استيعاب كلماته: «مفهوم، لكن دعني أذكرك: أنت تُدرك أن هذه اللحظات ثمينة، صحيح؟ فنحن نقترّب من الجبال بسُرعةٍ مُخيفة».

قال: «ونحن على مقربةٍ من الالتزام بالموعد المحدّد، لدينا ساعتان أخريان للإنتاج والتجميع». - «هذه سُرعة غير مسبوقه».

قال: «نعم، ولكنها مُمكنة الآن، بعد أن أصبح في جُعبتنا نموذج أولي ناجح للمُحرّك. وليس هناك من حاجة لتغيير معدّاتكم بأكملها؛ فقد صُمّمت تلك المُحرّكات لتتوافق مع هياكل مركباتكم. التحدي الأكبر هو تركيب المُحرّكات البخارية في مواقعها المناسبة، ولكن تلك القطع تُعدّ من أسهل الأشياء التي يُمكن صناعتها.. ويُفترض أن تكون جاهزة بسُرعة».

تابعت كونتمبليشن حديثها قائلة: «تبقّت لدينا ساعة أخرى أو ساعتان على المنحدر».

قال نوماد: «أوكد لك أن الأمر مُمكن».

أجابته: «صحيح، لكن كلما ارتفعنا أكثر، اقتربنا من شروق الشمس، وزادت احتمالية أن يقتلنا نورها». نظرت نحو الأفق، ثم تابعت حديثها قائلة: «وفي هذه المرحلة، نسعى للارتفاع حتى نغيب عن ظلّ حماية الكوكب».

كان هذا صحيحًا، لكنه لن يُجدي نفعًا، إلا إذا حافظوا على جدولهم الزمني المحدد، دون حدوث أي عراقيل.

تجاهل ذلك الصوت الداخلي الذي يُحذّره من أن العراقيل لا تنفك تحدث باستمرار. وَجَد المهندسين، الذين جلسوا تحت خيمة نصبوها على السطح، حيث كانت جميع المباني إما مهجورة أو مُكتظّة بالناس.

وَجّه نوماً حديثه لهم: «الوقت محدود، ونحن بحاجة للبدء بتصنيع المحركات البخارية». قالت سُلَيْمِيّتي ديفايين: «لسنا جاهزين بعد، نحتاج لتجربة أخرى». أجابها بحزم: «الوقت لا يسمَح، فبدلاً من صناعة مُحركّات جديدة، سنعدّل ذلك المُحركّ الذي نعرف أنه يعمل».

استدعى المُساعد على شكل نموذج مُصغّر للمركبة، ثم قلبه رأساً على عقب. وضعت تعديلاته مُحركّاً بخارياً بالتقرب من المُحركّ الأصلي، مُعلّقاً إياه من قاع المركبة. كان هذا هو الأسلوب الأمثل لتركيبه بسرّعة، نظراً لأن أعلى هذه المركبات كانت عبارة عن مساكن، ولم يعد هناك وقت كافٍ لاختراقها.

اعتلت أبراج المياه أعالي المركبات، لذا مدد في تصميمه خطوط مياه ضخمة نحو المحركات البخارية، التي ستقوم بتسخين المياه باستخدام قلوب الشمس، ثم ستدفع المياه الساخنة إلى المُحركّ بشكل مُناسب. ثم سيُفرزها المُحركّ، المُعدّل وفقاً لمخططاته، على شكل بخار، وسيسخن القاع، مولّداً قوّة الدفع. ورغم أن المُحركّ لم يكن الأكثر كفاءةً، جعلته مصادر الطاقة المُركّزة مُلائماً للاستخدام.

قال وهو يُشير إلى خطوط المياه: «انظروا، ضعوا المانع هنا. فكلما قلّت المياه المُتدفّقة إلى الداخل، قلّت المياه المطرودة، وبالتالي تقل قوّة الدفع. اجعلوا هذا المانع قابلاً للتعديل، واربطوه بأجهزة التحكم في المركبة، لنتمكّن من زيادة أو خفض قوّة الدفع حسب الحاجة».

ألقت سُلَيْمِيّتي ديفايين نظرة إلى تصميمه، ثم ضربت جبهتها وهي تقول: «صحيح، طبعاً، يا له من حلٍ بسيط».

كان هناك مقولة هندسية مأثورة تم اختبارها عبر الزمن؛ لماذا نُعيد التصميم في حين يُمكننا تعديل النموذج الحالي؟ وهكذا أتت الحلول قصيرة الأجل، وكان هذا كل ما يحتاجونه.

قال مُهندس آخر: «علينا إجراء المزيد من الاختبارات، اختبار جُهدٍ على الأقل! لا نعرف ما إذا كان هذا التصميم سيُديم لفترة أطول من خمس دقائق!».

-«ثبّتوا كل التعديلات على مُحركّ درّاجتي الهوائية. سأحلّق بها إلى قمة الجبل، وأقوم باختبار جُهد، وأتأكّد من فاعليتها. وخلال غيابي، يُمكنكم تركيب هذه التعديلات على المركبات المُتبقية. ولا تنسوا القُدرة على الدفع الجانبي.. يجب أن نكون قادرين على الانطلاق للأمام، وليس للأعلى فقط».

تركهم في خضم نقاشٍ حادٍ وعاد إلى كونتمبليشن، التي كانت تُراقب السماء، وبريق المركبة الحربيّة المتوهّج. فكّر في مدى الحماية التي توفرها الدروع في مواجهة قوّة نور الشمس، حيث يبدو أن مشاعره أقوى من مُعظّم الدروع. ووَجَد عقله يفيض بالقلق من أن يطراً أمرٌ غير متوقَّع.

سألته: «ما مدى خطورتهم؟».

- «لم أرَ قوّةً بمثل خطورتهم من قبل، فمن المعروف عنهم إبادة كُل من يعيشون على متن الكواكب التي يزورونها. لحسن الحظ، فإن سرّيّة الليل ليست مجموعة من اللصوص الطائشين. بل فرقةٌ مُحترِفة، يتبع أعضاءؤها كُل ما تنص عليه عقودهم - أو في هذه الحالة ما تقتضيه أهدافهم».

- «يُمكنهم إذن.. أن يدْمرونا عن بكرة أينا».

قال نوماد: «إن رَغِبوا في ذلك. لكن تدمير كوكب كاملٍ يتطلّب جهداً كبيراً يا كونتمبليشن، وهو جهد لا يتقاضون أجرًا عليه. وفي الغالب ستركونكم وشأنكم». توقّف، ثم نَظَرَ إلى المحور قائلاً: «أتمنى ألا يرغبوا في ظلالكم، فلديهم هوس بالأشباح».

نظرت إليه، بوجهٍ شاحبٍ يمتلئ بالقلق، قبل أن تقول: «أي نوع من القوّة المُرتزقة تملك القدرة على التحكّم بالظلال لتستخدمهم كجنود؟».

أجابها: «إذا اقتربوا أكثر من ذلك، فالأولى لي أن أرحل، ستكونون بأمانٍ أكبر هكذا. أطلعوا سرّيّة الليل على كُل شيء.. بكل ما تعرفونه عني، وبكُل ما قد يرغبون في معرفته. ولا تخفوا شيئاً، لن ينفعكم التظاهر بالجهل في أي شيء. امثّلوا لكُل ما تؤمرون به؛ فذلك سيحمي أرواحكم. هذه هي الوسيلة الأمثل لتجنّب أذاهم، والحفاظ على أرواحكم».

أومأت برأسها قبل أن تقول: «سأخبر الآخرين بذلك. ليبارك أدونالسيوم - أو أي ربّ تؤمن به - رحلتك أيها الرجل الذي أضاعه نور الشمس».

أجابها: «سأؤمّن بأي ربّ لن يتعمّد أن يخذلني ولو لمرة واحدة».

بدت مُنزعجة من قوله هذا - وكان ذلك متوقَّعاً. ذهب ليعمل مع المهندسين بسرّعة. وبعد فترة قصيرة، انطلق على متن درّاجة هوائيةٍ صغيرة نحو الظلال.

مكّنته الأضواء الأمامية الساطعة المثبتة إلى مقدّمة الدراجة من رؤية الدرب الذي يسلكه بوضوح. كان ينطلق نحو سفوح جبلية صخرية قاحلة، تشوبها ثقوب ناجمة عن انفجار الغازات المحبوسة. أسطحها ناعمة، بل زجاجية، بينما كانت حوافه الخشنة حادة للغاية، ومقاومة للعوامل الجوية.

وبينما يُخلّق للأعلى، أدرك أنها المرّة الأولى التي يجد نفسه فيها وحيداً منذ وطأت أقدامه هذا الكوكب. حتى عندما كان يعمل على المخطّطات، شاركته إليجي الغرفة. أما الآن، فلم يكن هناك سواه، والمساعد، والظلام الدامس. ودرعُ تحميه من نور الشمس، كان -بحكم التعريف- على نطاقٍ كوكبي. دَفَع الدراجة إلى أعلى المنحدر، ولم يمض زمنٌ حتى وجد نفسه يخوض في الثلوج. بدأت حماية جسده في العمل، فغمره الدفء من الداخل، لذا لم يشعر بدرجة حرارة الهواء. كان الثلج أول إشارة له على أنهم بدأوا بالوصول لارتفاعات خطيرة.

يقول الفارس: هل الوقت مناسبٌ لأسألك عمّا سنفعله لو أتى هذا أكله؟ كيف سنجد الملجأ الخفي؟ لقد قضينا معظم اليوم في البحث سابقاً، وكان ذلك عندما لم يعلم ملك الجمرات بنوايانا. سيكون الأمر أصعب الآن.

قال نوماذ بينما تحوّلت أنفاسه إلى سُحبٍ من الضباب: «رُبما، ورُبما لا. فالمدن هنا تتحرّك وفقاً لخطوط عرض ثابتة نوعاً ما. وقد تأكّدتُ من ذلك مع فريق الملاحظة. ينطلق ملك الجمرات بـ «يونيون» حول الكوكب في مسارٍ مُستقيم».

-وماذا بعد؟

أجابه نوماذ: «هذا يعني أن المنطقة التي يتعيّن علينا البحث فيها أصبحت أصغر». يُتمتم الفارس: معذرةً يا خادمي الأمين، ما زلتُ لم أستوعب تفكيرك المُبعثر بعد. هل يؤثر عليك هذا الارتفاع؟

قال نوماذ وهو يتجاوز تشكياً صخرياً كبيراً: «دعني أوضح لك الأمر، لا يقوم ملك الجمرات برحلاتٍ مُنظمة.. ولم يُسافر إلى أي مكان بحثاً عن المدخل. وإلا لكان أحدهم قد لاحظ خروجه من المدينة بشكلٍ غير معتاد مع كل دورة كاملة».

ورغم ذلك، نعلم جميعاً أنه يبحث عن مدخل الملجأ منذ سنوات. ويتفق الجميع على هوسه بذلك، بل وحتى أن القليل منهم قد رأوا المدخل بأم أعينهم. ولذلك يتعيّن عليه البحث عنه في المسار الطبيعي لرحلتهم الروتينية لزراعة المحاصيل.

وبما أن «يونيون» تسير في مسارٍ مُستقيمٍ حول الكوكب، فالمدخل بالتأكيد في مكانٍ ما على خط العرض هذا. في طريق المدينة المباشِر. مكان يُمكنه الوصول إليه بشكلٍ مُنتظم، حيث يفحصه برفقة أقرب مسؤوليه وأكثرهم ثقة، في حين ينهك الآخرون في زراعة الطعام».

-صحيح، إذن.. نحن نتحدّث عن مساحةٍ شاسِعة. في مكانٍ ما على المسار الطويل الذي يدور حول الكوكب؟ صحيح أنه كوكبٌ صغِير، لكنها مساحةٌ كبيرةٌ للبحث فيها أثناء مُطاردته لنا. من الضروري أن نتبيّن مكان المدخل ضمن هذا المسار.

قال: «في الواقع، لا حاجة لنا بمعرفة ذلك في الوقت الحاضر. إذ إن ملك الجمرات على بيّنة من ذلك». يُفكّر الفارس: وا أسفاه، لقد فقد مُرافقِي الذي يُعاني من قلة النوم صوابه أخيراً، وبدأ ينطق بالهراء.

قال نوماد: «ثق بي في قولي هذا، ليست المُشكلة في العثور على الملجأ، أو في فتحه، فهذان أيسر ما في مُهمتنا».

-وما هو الأصعب إذن؟

لم يُجبه نوماد، وإنما انكبَّ على دراجته، ليتفحص الوقت. ووفقاً لتقديرات الجميع، فمن المُفترض به أن يكون قد قطع نصف مسافة التسلُّق. وبالفعل، بدأت سرعته تتباطأ حيث فقد المُحرِّك التقليدي قُدْرته على الدفع ببطء، تاركاً خلفه أثراً ذائباً في الجليد وهو ينغرس للأسفل، لكنه انتظر لتشغيل المُحرِّك الجديد. فكان يسعى للتقدُّم قدر الإمكان بالمُحرِّك الأصلي للحفاظ على الوقود الدافع للمُحرِّك الجديد.

يقول الفارس: لنفترض إذن أننا استطعنا تخطي الجبل بطريقةٍ ما دون أن تنضب طاقة المنارة. وقُمتَ بالسحر الذي تُخطِّط له، لتحديد موقع المدخل وفتحه. ماذا سنفعل بعد ذلك؟ ماذا سيحدث عندما تكتشف ريبكي والآخرون أن البوابة التي يسعى ملك الجمرات لفتحها لا تؤدي إلى كهف أسطوريٍّ شاعريٍّ، أو إلى مدينةٍ فاضلةٍ بها حياةٌ خاليةٌ من الشمس؟ ماذا سيحدث عندما يكتشفون أنها تؤدي إلى منشأةٍ علميةٍ صغيرةٍ من عالمٍ خارجيٍّ عوضاً عن ذلك؟

-تهانينا. لقد تبينَّ الجزء الصعب».

صحيح.

قال: «قُلْتُ إنني سأتولى قيادة المنارة عبر ذلك المدخل، وكان هذا قَسَمِي. لم أقل أبداً أنني سأحل مُشكلاتهم مع ملك الجمرات أو حتى مشاكلهم المُعقدة.. الواقع المؤلم هو أنه من غير المُحتمل وجود أي ملجأ حقيقي من الشمس على متن كوكبهم. لقد حذرتهم من ذلك، لكنهم مصرُّون على ذلك على أي حال.

-ألا يجعلك هذا حزينا؟

- «لا أستطيع مُساعدة الجميع، فبالكاد يُمكنني التعامل مع مشاكلي الخاصّة، كُل ما عليّ فعله هو الاستمرار».

- نعم، ولكن.. ألا توجد طريقة أخرى؟ ألا تظن أن هناك المزيد مما يُمكننا فعله؟

في السابق، كان المُساعد يُقدّم له عظةً عوضًا عن الأسئلة. لقد مرّ كلاهما بتجارب شاقّة منذ تلك الأيام. لم يشعر نو ماد بتأنيب في تلك الكلمات، بل بحُزنٍ غائر.

لم ينبس بنت شفة، لأن الهواء بدأ ينفد حقًا الآن، وشكّ في قدرته على ملء رئتيه بما يكفي. وبدلاً من ذلك، زفر بعُمقٍ، وترك جسده يقوم بما يجب فعله، ليحميه بفُقاعةٍ صغيرةٍ من الضغط غير المرئي، من بقايا قواه القديمة. كان سيستخدم وحدات الادّخار، لكن هذا لم يكن يستنزف الكثير منه.

ومن أسفله، واصل المُحرّك عمله، لكن الدراجة بالكاد بقيت في الهواء - وأصبح تقدّمه فوق السفح بطيئًا للغاية. لذا شغل المُحرّك الجديد - والذي كان في الواقع مُكملاً للنظام القديم.

وتكلّل الأمر بالنجاح، إذ أطلق دفقة من البخار فائق التسخين، مُرتفعًا به عشرة أقدام فوق الأرض المتجمّدة. لقد تجاوز غطاء السُحب الدائم هنا، وبدأ أخيرًا برؤية النجوم. أخذ من وقته دقيقة ليُبدي إعجابه بالحلقات - التي كانت، حسبما يتذكّر، أمرًا غريبًا آخر. فالحلقات في الكواكب القليلة الأخرى التي زارها كانت دائريًا عند خطّ الاستواء، أما هذه فليست كذلك. حلقات غريبة، وجاذبيّة غريبة، ونور شمس غريب.. يا له من كوكبٍ غريب.

لسوء الحظ، ذكّرت الحلقات بالمركبة التي وصلت إلى هنا مؤخرًا. لا.. لا يُمكنه التفكير في مدى قُرب سريّة الليل في الوقت الحالي. وبدلاً من ذلك، أعاد صب جام تركيزه على دربه.

تكيّفت عيناه، وقلّلت قوّة الأضواء الأماميّة. اختفت الثلوج أيضًا.. لانعدام ما يكفي من الهواء. كما لم يعد هناك سواه مُحاطًا بالصخور الرماديّة، التي تبدو كمُنحدرٍ يؤدي إلى أعماق الكون نفسه. لم تُكن هذه القمم المُتناثرة مُرتفعةً للغاية، فقد بلغ ارتفاعها ألف قدم تقريبًا، على الرغم من انحدارها الحاد. لكن كون القمم مُنخفضة نسبيًا لا يعني أن تسلّقها كان أمرًا سهلاً، وانتابه الفخر لوصوله إلى القمّة.

وعند وصوله إلى القمّة، أوقف المُحرّك، واستقرّ فوقها هدهود. لم يكن هناك هواء ليحوّل صدى خطواته عندما لامست قدماه الحجر. وقف هناك مُستمتعًا باللحظة، وهو يقف على قمّة العالم، يُشاهد انحناء الكوكب الصغير، ويراقب سُحبه المتوهّجة. لا تزال الشمس بعيدة، حتى إنها لم تُضئ الأفق بعد.

ارتفعت الجبال الشاهقة على جانبيه، لم يستطع تبين ممر سُفلي يُمكن للمدينة أن تتسلّل من خلاله. فلا بُد للفارّين من قطع كُل هذا الطريق وصولًا للقمّة. أما من الجهة الأخرى، فكان السفح أشدّ انحدارًا.. حيث انطلق للأسفل بطريقةٍ غير مألوفة لسلسلة جبالٍ عادية. لن تستغرق التجويّة أدناه وقتًا طويلاً قبل أن تتسبّب في انهيار الجزء العلوي. لكنها بحاجةٍ ليومٍ واحدٍ على الأقلّ لتعيد تشكيل القمم.

ألقي نظرة أخرى نحو النجوم، التي لطالما بدت ودودة للغاية في عينيه، ومليئةً بالحكايات. كم منها قد زار حتى الآن؟ مجرد قلة قليلة منها، ورغم ذلك.. فقد بدأ الكون يبدو له مكاناً محدوداً. حاول بشكلٍ غريزي تحديد موقع ندبة تالين، لكن العلامة الحمراء لم تكن واضحة من هذه الزاوية.

يسأل الفارس: هل تذكر المرة الأولى التي أدركت فيها أن سرية الليل تطاردك؟

أرسل نومات موجة من الانزعاج عبر الرابط الذي يجمعها سوياً.

يُدرِك البطل: هذا صحيح، لا يمكنك التحدث هنا. كم هذا مُثير.. ومُبهِج! أما أنا فيمكنني أن أتحدث دون أن تُقاطعي؟ هل تعلم، بالنسبة لخادمٍ متواضع، فأنت تتحدث كثيراً بالفعل.

المزيد من الانزعاج.. الكثير من الاضطراب.

-ممتاز! حسناً، سأفترض أنك ما زلتَ تتذكر، فهذا أمر ليس من السهل نسيانه. ذهبت إليهم مباشرةً وسَلِمْتَ نفسك.

افترض نومات عن طريق الخطأ أنهم لن يهتموا به لأنه لم يعد يملك «فلق الفجر». ظن أنه سيرسلهم لحال سبيلهم، وسيضع حداً لسوء الفهم ذلك. بحق العواصف، لقد كان ساذجاً. فقد كان موقفٌ مشابهٌ هو ما دفعه في الأصل للانضمام إلى جيش روشار، حاملاً معدّات الحصار.

-ألا تشعر بالحنين إلى ما كنت عليه آنذاك؟

لا مبالاة. لا، فقد كادت تلك السذاجة أن تودي بحياته مرّاتٍ عديدة. أما في حالة سرية الليل، فقد فاته أن يرى الخطر الذي يتوعده. وسرعان ما فهم أنهم قادرون على قتله -بفنونهم الملتوية- وصنع فلق من روحه تقودهم إلى الشخص الذي منحه «فلق الفجر». فبالنسبة لهم، لم يكن نومات سوى حلقة وصل مهمّة في سلسلة ذات أهمية بالغة، وكانت قيمته أكبر بعد موته منها وهو حي.

-أجل، لقد ظننتُ أنك لن تود العودة إلى الشخص الذي كنته في السابق. وهل تعلم؟ أنا أيضاً لا أشتاق لتلك الأيام.

أدهشه هذا، وأرسل هذا الشعور عبر الرابط. فقد كان متأكدًا من أن المساعد يشعر بالندم على ما أصبح عليه.

-وما هو الغرض من الحياة، إن لم يكن في النمو؟ لم أكن راضيًا عن الشخص الذي كنت عليه في روشار كذلك، قبل أن نلتقي.

-أنا مُغرّمٌ بالتغيير يا نومات. لقد ظلّت صفاتي ثابتةً لزمّن طويل، خاصّة كفلق. وأحياناً ما تجعلني الطريقة التي تتحدّث بها أعتقد أنك تُصدّق، أو يُمكنك التظاهر، بأنك أصبحت شخصاً مختلفاً تماماً الآن.

- لكن الحقيقة هي أنك ما زلتَ الشخص ذاته. ولطالما كانت القُدرة التي آلت إليك الآن موجودة بداخلك. قد يبدو أنني أتحدّث بإحباطٍ أو سلبيةٍ، لكنني لا أقصد ذلك. فأبي فائدة تُرجى من تظاهُرنا بأننا أشخاص مُختلفون كُل يوم؟ هذا يعني أننا لا نتغيّر حقًا، وأننا لا نتعلّم، بل نتحوّل إلى كائنات أخرى فحسب، هل يبدو هذا منطقيًا؟ بالكاد.

- جُل ما أريد قوله.. أنا سعيدٌ بوجودي هنا، ويخوض كُل ذلك معك. وإن كان الثمن الذي دفعته باهظًا.

بعد تلك الكلمات، شعر نوماد بشيءٍ يتغيّر بداخله. فبالكاد كان المُساعد موجودًا، جُزءٌ من الكائن الذي كان عليه يومًا، مُتألّقٌ ومُتفوّقٌ للغاية. ما نوع الشخص المُتضرّر الذي سيسعدُ بمروره بما مرّ به؟ ولكن بعد كُل هذا، فعندما ينظرُ من قمّة العالم.. إلى السُحب التي لا تنتهي، والنجوم التي تُرصّع السماء من فوقه.

بحق العواصف، لا يُمكن لنوماد أن يفخر بما أصبح عليه الآن. فقد أصبح رجلًا لا يُمكنه العودة إلى دياره مرّةً أخرى.. ليس بسبب الجيش الذي يُطارده، بل لأنه.. لأنه لن يتمكن أبدًا من مواجهة أصدقائه بحالته التي أصبح عليها.

لا، لم يُصبح شخصًا مُختلفًا. بل هو، في الواقع، لا يزال الشخص ذاته. وهذا ما يجعل الألم أشدّ.

لطالما تميّز المُساعد بالفطنة فيما بينهما، غير أنه أساء فهم الناس في كثيرٍ من الأحيان. وهكذا حاله مع نوماد الآن بلا شك.

أعاد تشغيل المُحرّك البُخاري، ثم استدار عائِدًا إلى الغُلاف الجوي ليتمكّن من تحويل المُحرّك إلى وضعه الطبيعي.

وبحلول الوقت الذي عاد فيه إلى المنارة، كانوا على أهبة الاستعداد، بعد أن تخلّصوا من الوزن الزائد، وأمّموا تركيب مكوّنات المُحرّك الجديد. سيعود إلى ذلك الجبل مرّةً أخرى، لكن هذه المرّة سيرافقه مئة وخمسة وثلاثون شخصًا يعتمدون عليه كيلا يقودهم إلى براثن موتٍ صامت.

قال جيفري جيفري وهو يُمرّر يده على لحيته: «هذا هو الصمام الخانق». ثم انحنى نحو لوحة التحكم، وأوضح لنوماد قائلاً: «وستمكنك هذه من إدارة المركبة. نمتلك فقط نظام دفع أساسياً، يسمح لك بالحركة الأفقية، وأفاد المهندسون بأن هذا يجب أن يكون كافياً».

وافقه نوماد الرأي قائلاً: «لا حاجة لنا بالتحرك بعيداً، إذ إن معظم المسافة التي علينا قطعها أفقية». وقفا بداخل مقصورة مركبته، وهي غرفة صغيرة مجاورة للغرفة الرئيسية التي أجرى فيها أبحاثه سابقاً. كانوا قد وضعوا مركبته في موقع غير تقليدي.. حيث ثبتوها أعلى المحور تماماً، فوق الكورس. وتحت قدميه، من خلال الأرضية المعدنية، استمتعت تلك الأشباح الآن بصحبة جمع كبير من الأشخاص المحتشدين حول «وعاء الرفات المقدس».

ومن خلال الزجاج الأمامي للمقصورة، استطاع رؤية نسخة بائسة مُصغرة من المنارة. لم يكن هناك سوى اثنتي عشرة مركبة، مُصطفة دائرياً حول المحور.. ثلاثٌ منها بالخارج، وكانت عبارة عن حاويات مياه ضخمة. تخيَّله كقرصٍ طائرٍ حين بدأ تجميعه، لكن ذلك «القرص» أصبح في النهاية أكثر أناقة، ودقة في التصميم. لا.. فقد كان يُشبه بالأحرى بارجة طائرة مصنوعة من مركبات ضخمة تُشبه المستودعات.

بدا دائرياً بهيئة غامضة، مع بروزٍ مركزيٍّ أعلى بمقدار طابقٍ من سائر أجزائه، احتلَّ هو قمته. وضح له جيفري جيفري الطريقة الصحيحة لإدارة المركبة في مكانها، وهي مهمة يسيرة. حيث يمكنه تدوير الزجاج الأمامي لينظر عبر الأفق، أو أن يُبقي عينيه مُوجَّهتين للأمام، نحو الجبال. كما أظهرت له شاشة رادارٍ صغيرة باللونين الأبيض والأخضر مدى قُرْبهم من الجبل.

قال جيفري جيفري مُشيراً إلى لوحة التحكم المثبتة حديثاً: «هذه هي الأدوات اللازمة لإسقاط مركبات المياه بمجرّد أن تفرغ، وهذا كل شيء».

أشار نوماد إلى مجموعة من الأدوات إلى يسار اللوحة، وسأله: «وماذا عن تلك الأدوات؟». أجابه جيفري جيفري قائلاً: «تتحكّم هذه الأدوات في المنقبة الموجودة تحت مركبتك، وليست ضرورية الآن».

صحيح، فقد كانت إيجي مُستكشفة، قبل أن تُصبح مُنقّمة. امرأة تجاوزت الحدود الاجتماعية والجسدية، وانطلقت إلى الظلال بينما اعتمدت عليها مدينة بأكملها. وكانت مركبتها مُنقّبة، لتُساعد في البحث عن أي علاماتٍ لوحداث الأذخار في «الاضطراب العظيم» الذي يفصل بين الشمس والأرض المظلمة التي يعبرونها الآن.

قال نوماد: «شكراً جزيلاً، عليك الإسراع الآن والاختباء في مكانٍ آمن».

أجابه جيفري جيفري: «يُمكنني البقاء، لدينا وقت كافٍ، لذا سنُغلقُ عُرفتكَ بدورها.. بأفضل ما نستطيع. لكنها قد تُسربُ الهواءَ أكثرَ من عُرفنا، فقد جعلنا بابك سهلَ الفتح، لكن يجدرُ أن يتواجدَ هنا ما يكفي من الهواءِ خلال الرحلة».

قال نوماد: «هذا خطيرٌ للغاية، يُمكنني تدبُّرُ أمري».

أوماً جيفري جيفري برأسه نحو العُرفة الرئيسيَّة، حيثُ لا تزالُ إليجي مُقيَّدة بالسلاسل في مكانها، وسأله: «وماذا عنها؟». على الأقل يُمكنها الآن الجلوس في رُكن العُرفة، بدلاً من تثبيتها على الحائِطِ بشكلٍ مُسطح.

لم يكنْ هناك مكان آخر مُناسبٌ لاحتجازها، إذ تخلُّوا عن المركبة التي كانت بمثابة سجن، ولم تُعجبه فكرة مُشاركتها عُرفة مع الأبرياء.

قال نوماد: «ستكون بخير هنا، حيث يجب أن تسمَح لها وحدات ادِّخارها بالنجاة دون استهلاك أوكسجين لفترةٍ من الوقت، إذا وصلت الأمور لهذا الحد».

قال جيفري جيفري: «حسنًا». تلكَّع قليلاً قبل الرحيل، وهو ينظرُ عبر النافذة.. حيث غُطيت جميع النوافذ في المركبات الأخرى بصفائح من الفولاذ، خشية ألا تتحمَّل لحامات زواياها وطأة الضغط. وبذلك.. كانت هذه هي النظرة الأخيرة لجيفري جيفري على العالم الخارجي حتى يهبطوا، كما يتمنى، على الجانب الآخر من الجبال.

قال الرُّجل لنوماد: «لترافقك أبصار أدونالسيوم، ولتكن أسرع من الشمس دومًا، بشكلٍ فوريٍّ ومُباشرٍ، أيها الرُّجل الذي أضاءه نور الشمس».

غادر، وبعد ثوانٍ قليلة، رآه نوماد يدخلُ إلى إحدى المركبات الأخرى. أغلق الباب، لكنهم تركوا المداخل مفتوحة حتى يُجبرهم نوماد أنهم بحاجة لحبس أنفسهم بالداخل.

تحوَّلت المنارة إلى مدينة أشباح. مجموعة من المباني السوداء المُتكدِّسة، لا تُضيئها سوى أنوار الطوارئ، ولا تؤوي إلا الصامتين والموتى.

أخذ زمام التحكم، وارتفعت المنارة في قلب الظلام. كانت الرؤية محدودة على الجبل، بفعل الظلال التي عمَّت كلَّ شيء، لكن الرادار مدَّه بما يكفي ليُحلِّقَ بالقربِ منه، فلا داعي للالتصاق بالمنحدر.

- يبدو هذا.. مُملًا أكثر مما ينبغي.

قال نوماد: «هذا جيّد». ثم عاد لمراقبة الصمام الخائِق، الذي يُيقِّعهم يُخلِّقون بالمحرِّكات العادية بأقصى طاقتها تقريبًا، قبل أن يُضيف: «تريد لكل هذا أن يكون مُملًا قدر الإمكان».

يسأل الفارس: متى كانت آخر مرة قُدتَ فيها مثل هذا العدد الكبير من الأشخاص؟

- «قيادة؟ لا أعتبِر ما أفعله الآن قيادة، أنا أخلِّقُ بمرَكبة فحسب».

- أنت المسؤول الآن، مما يضعك في موقع القائد لهذه المركبة. وهذا هو دور القيادة بالضبط.

- «ليس الأمران سيئين».

- ما حدث لم يكن خطأك، كما تعلم، فقد كانت الأحداث أجسم من أن تُحكّم سيطرتك عليها.

- «لم أقل أبداً أنها لم تخرج عن سيطرتي».

- لكنك ما زلتَ تحمل هذا العبء الثقيل.

- «إنها هو عبءٌ بسيط».

- ورغم ذلك، فلطالما تجنبت وضعك في منصب قيادي ثانيةً.

دفع المدينة نحو الشرق قليلاً، على طول المنحدر، بعيداً عن الشمس، وقال: «يبدو هذا أفضل للجميع». استمر في الصعود، مترقباً معرفة المشكلة التي سيثيرها المساعِد بعد ذلك. لكن الصوت جاءه من ورائه بدلاً من ذلك.

سألته إيجي: «لديك شخصٌ ما في رأسك أيضاً، أليس كذلك؟». نظر إليها، فوجدها جالسة بساقين معقودتين، ومعصماها مُقيّدان معاً، ومُعلّقان على الحائط. بينما يشعُّ قلب جمرها بلونٍ أحمر برتقالي خافت. تابعت حديثها قائلة: «أرى ذلك بوضوح، قد يقول البعض أنك تُناجي الرب، لكن الواقع غير ذلك. أنت تتحاوَر مع شخصٍ يسكنُ رأسك. يُمكنك سماعه، كما اعتدتُ أن أفعل».

وافقها نوماد الرأي قائلاً: «أجل، أعتقد أن الأمر مُشابه لذلك».

- «هل يُجبرك الصوت بمن يجب أن تقتل؟».

قال نوماد مُبتسماً: «أمرني بالقفز من علٍ أكثر من مرّة». بدا جلياً أنها لم تفهم المزحة، فتابع حديثه قائلاً: «كلا يا إيجي، إن هذا الصوت هو صديقي. هل تتذكّرين الأداة التي أستدعيها أحياناً؟ ذاك هو جسده».

- «لماذا يسكنُ رأسك؟».

أجابها: «الأمر مُعقّد. ورغم ذلك، يُناديني هذه الأيام بمُرافقه أو خادمه». لاحظ حيرتها، فقرّر أن يستفيض بالشرح: «المُساعد - صديقي - لديه جسد، لكنه لا يستطيع التحكّم فيه.. بشكل مُباشر. وبدلاً من ذلك، يجلس في رأسي.. كالراكب. ولهذا يمزح ويقول إنني خادمه - أو حامل محفّته، إن شئت - لأنني أنقله حيثُما يشاء».

يجب عليّ أن أعترف أنك خادم سيئ للغاية، فقلما تُنفذ أوامري. ربّما ينبغي علينا أن نجلب لك أحد قلوب الجمر تلك، علّك تزداد مرونةً.

سألته إيجي: «لماذا لا تُقاتل؟».

- «لماذا لا أقاتل من؟».

قالت: «الجميع، فرغم أن الصوت يُقيّدني في مُعظم الأحيان، يسمَح لي بالقتال عندما يكون هناك خصم. والآن.. أشعر برغبة في قتال الجميع. لقد أخبرتني أنك تشعرُ بذلك، ويُمكنني رؤية ذلك بوضوح. فلماذا تتجنّب القتال؟».

أجابها نوماد: «أنا رجلٌ يختار معاركه». وبالخارج، أضحى الهواء أرق. لم يكن بحاجة لفحص مقياس الضغط، فالمحرّكات تعمل بكفاءة واضحة. وعلى أثر الأمر الذي أصدره، أقفل الناس على أنفسهم داخل المقصورات، مُغلّقين فتحات التهوية.

كان أمامه نحو ساعتين، بدءًا من هذه اللحظة، قبل أن يبدأ الأوكسجين بالنفاد.

قالت إليجي: «لا أفهم.. كيف تختار معاركك؟».

يسأل البطل: ألا يُمكنك أن تشرح لها أن هناك معاني أعمق من مجرد القتال؟ يُمكنه القيام بذلك. لكنه تعلّم من مُعلّمه فن قيادة الحوار. ولا يزال يُطبّق ذلك ببراعةٍ مثلما يفعل في القتال.

قال نوماد: «لا أرى جدوى في قتال الأشخاص ها هنا. أولًا؛ لأنهم لا يُشكّلون تحديًا يستحق. وثانيًا؛ لأنني لا أريد شيئًا منهم».

قالت إليجي: «أرغب في قتالهم، لو أطلقت سراحني، فلن أتردّد في الاختيار. سأقاتلك، وسأقاتل كل من على هذه المركبة».

سألها: «وبعد ذلك؟ ما الذي ستفعلينه؟».

أجابته: «ثم...». وتوقّفت عن الحديث.

قال نوماد: «إذن ستهلكين وحدك هنا في البرد، بمُفردك. عظيم.. ما الذي حقّقت؟ وما الذي أتممته؟».

-«أنا...».

-«يجب أن تتدبّري كيف تجدين شيئًا تعيشين من أجله يا إليجي».

-«شيء.. أعيش من أجله؟».

قال: «غاية، أو هدف. وحين تمتلكين ذلك، ستدركين متى ولماذا تُقاتلين. وستُقاتلين من أجل شيء ما». نظر في عينيها مرّة أخرى، قبل أن يُضيف: «لن تستطيعي العودة إلى ما كنت عليه. أنا على يقينٍ من اندثار ذاتك القديمة، ككتابٍ احترق إلى رماد».

لكنك لا تستطيعين أن تبقي على ما أنت عليه الآن فقط. إن استمررتِ على هذا النهج، ستنقضي حياتك في القريب العاجل. وستصرخين بحنقٍ في مواجهة الشمس، مُحبطة، لأن القتال كان قصيرًا وبلا جدوى. لكن تلك النيران المُتقدّمة بداخلك لن تهدأ أيضًا. لذا ابحثي عن شيء تُقدّرينه، وغاية تُدركينها. وهذه أتمن نصائحِي إليك».

-«ما هو هدفك إذن؟ لماذا تحيا؟».

اللجنة. لقد ألقى بنفسه في الفخ غافلاً. يبدو أنه لم يستوعب دروسٍ وِت كما كان يظن.
قال نوماد بصوتٍ هامسٍ: «اعتدتُ الحياة من أجل أصدقائي، لكن تلك الأيام قد وُلت. ثم عِشتُ لحماية الكون.. ولفترةٍ وجيزةٍ، خبأتُ أحدَ أخطر أسرارهِ. والآن.. أجد نفسي أعيش من أجل الفرار».
عبستُ في مواجهته، قبل أن تسأله: «وكيف يجِد ذلك قبولاً عندك؟».
اعترف قائلاً: «لا يجِد عندي رضا، بل أظني ما زلتُ أُحاولُ تعلُّم ذاتِ الدرس».
قالت: «وهذا سبب فهمك العميق للأمر». استرختُ، وأغمَصتُ جفنيها، قبل أن تُضيف: «أرى الصورة الكاملة الآن. أجل، أفهم ذلك بوضوح. شكرًا لك».
امرأة لعينة. وراوده شعور بأنها كانت -قبل كُل هذا- مُعتدَّة بنفسها إلى حدٍ كبير. ورغم أنه لم يبقَ من ذكرياتها الكثير، لكن شيئًا من طبعها ذاك قد نجا.
يقول الفارسُ مُعترفًا: أشعر بالحرَج، إذ اتضح أنها قامتُ بعملِي بإتقانٍ أفضل مما فعلتُ في الآونة الأخيرة.

سأله باللُغة الأليثية: «عملك؟ منذ متى كان عملك أن تعظني؟».
- منذ قديم الأزل يا نوماد. أعلم أنك قد تخلصتَ من ضميرك منذ سنوات، رغم أنه لم تُتَح لي فرصة للقائه. ويات هذا المنصبُ شاغراً؛ وبالرغم من ذلك، فقد عيّنتُ نفسي فيه. وكنت أود أن أسألك كيف أُبلي، لكن.. حسناً، أنت دليلٌ واضحٌ على أنني ما زلتُ مُبتدئاً.
تأوّه نوماد، وابتسمَ رغمًا عنه، وهو يتحقَّق من الارتفاع. أصبَحَت حركتهم بطيئة الآن، لذا أخذ نفسًا عميقًا، وشغلَّ المُحرَّكات الجديدة. اهتزَّت المدينة بأكملها وكأنها تعرضت لضربةٍ من مطرقةٍ عملاقة. ثم استأنفت ارتفاعها مرَّةً أخرى.
زفر بعُمق، ثم حلَّق، وإليجي، والمُساعد في صمتٍ لبضع لحظات. راوده سلام نفسي غريب خلال تلك اللحظات. ومع أنه لا يزال هاربًا ومُطارَدًا، تمكَّن من التظاهر بأن هذه اللحظات هي فترة هدوء، وكُل ما عليه فعله هو الاستمرار في الصعود. ومع ذلك، فبعد مضي نصف ساعة أو يزيد، لاحظ أن ارتفاعهم لا يتماشى مع التوقُّعات.
تحركوا ببطءٍ أكبر من المتوقع. دفع المُحرَّكات لتعمل بطاقتها القصوى، ورغم أنها بدأت تتحرَّك بشكلٍ أسرع قليلًا، سرعان ما تباطأ التسارع.
وحولهم، بدأ غطاء السُّحب يتلاشى، فأصبح سفح الجبل واضحًا تمامًا. وغمرت أضواء الحلقات المشهَد.
- هل نتحرَّك حتى؟

تفحص القراءات الأخرى، قبل أن يقول: «نتحرَّك، لكن ببطءٍ شديد».
حثَّ المركبة بصمتٍ على الارتفاع. وهكذا فعلت، لكن ببطءٍ مُتزايد. على ما يبدو، فقد كان هُناك خطأ في بعض الحسابات. ونظريًا، توجب أن تزداد سرعتهم مع كُل لحظةٍ تمرُّ، إذ إنهم يجرِّقون المزيد من المياه،

ويطردونها من المركبة. ولكن -بدلاً من ذلك- كانوا يتباطؤون. ليس بسرعة، ولكن بمقدار يجعله يشك في وصولهم إلى القمة قبل أن تنفد المياه.

سأله المساعد: ما الخطب يا نوماد؟

تحقق من أدوات التحكم في الصمام الخائق، ليتأكد من أنها ليست معطوبة أو أن هناك أي خلل، قبل أن يعترف قائلاً: «حقيقةً، لا أعلم. قد يكون السبب أي شيء من قائمة متنها عشرات الأشياء الممكنة. ربما لا تعمل اللحامات التي استخدمناها تحت تأثير الضغط المنخفض للغاية، وبدأت بالتسريب. وربما تضع هذه الطريقة ضغطاً كبيراً على المحركات، مما يزيد من حرارتها بشدة. عادةً ما تكتشف هذه العقبات خلال اختبار الجهد والعديد من النماذج الأولية. لكننا.. لم نمتلك الوقت الكافي لأيٍّ من ذلك».

راقب الأفق المشؤوم من بعيد، بدأ النور يُلطِّخه، والشمس تزحف من عرينها، تتصوّر جوعاً. شعر وكأنه أغشى الأغبياء في تلك اللحظة. لقد قاد هؤلاء المساكين إلى حتفهم، دون أن يدري حتى أين أخطأ. وعرف من تجربته المؤسفة في الهندسة أن هذه المشكلات الصغيرة تتكرر باستمرار.. وعندما تظهر إحداها في اختبار أولي، يُصبح من الضروري الاستناد إلى الحطام لمعرفة الخطأ الذي وقع.

ثم اجتاحه شعور بالارتياح عندما تذكر أنه قد وضع نظام أمان لمواجهة مثل هذه الحوادث. مدّ يده، وضغط على الزر للتخلص من أولى ناقلات المياه الفارغة. انهارت بحرية، وتأرجحت المركبات المتبقية نتيجة الفقدان المفاجئ للوزن. أخذت أجهزة دوران المنارة بعين الاعتبار التغيير المفاجئ في شكل المركبة وكثلتها، مما أبقاهم على مستوى مُستقر مع زيادة سرعتهم.

لكن ليس بالسرعة المطلوبة. فحص مؤشرات الماء، واكتشف أن ناقله المياه الثانية قد فرغت بدورها. فضغط على الزر للتخلص منها أيضاً.

لكن شيئاً لم يحدث. ضغط على الزر مرة أخرى.

-نوماد؟

نظر من خلال الزجاج الأمامي، ورأى أنها لا تزال شاحجة في مكانها، فقال: «لقد تعطلت آلية فتح القفل في المركبة الثانية، نحتاج إلى التخلص منها فوراً، ونأمل أن نسقط ما يكفي من الوزن ليتسنى لنا الحصول على السرعة المطلوبة».

-حسناً. لكن.. كيف؟ هل يمكنك تجاوز نظام التشغيل؟

أخذ نوماد نفساً عميقاً، ثم قال: «لا، سيتعين علينا الخروج، والقيام بذلك يدوياً».

قال لإيجي وهو يتَّجِه إلى المقصورة الرئيسيَّة: «قد يُشكِّل هذا خطورة عليك، أنا آسف. سأسعى لغلِق الباب بِسُرعة كيلا نَفقد الكثير من الهواء».

سألته عابِسة: «لماذا تهتمّ.. بشأني؟».

وَقَف بجوار الباب، وأجابها قائلاً: «يملكُ البشر شعورًا طبيعيًا باللياقة يا إيجي. قد تكون لياقتك قد احترقت مع ذكرياتك، ورُبما أعرف أقل القليل عمَّا يبدو عليه الأمر، لكن هذا ما يُفترَض بنا أن نكون عليه».

قالت: «ألم تقل إنك كُنْتَ تعيش من أجل أصدِقاءك، وتُقاتِل من أجلهم، هل جاء ذلك بدافعٍ من اللياقة؟».

أجابها: «هناك أسباب عديدة بالإضافة إلى ذلك». ثم أضاف: «لن أستطيع التحدُّث بالخارج هناك يا أوكس، عليك بذل قصارى جُهدك لتفسير مشاعري».

- مفهوم أيها الخادم الوفي.

يومًا ما، كان الرابط الذي يجمَعُهما وثيقًا بما يكفي ليُسِر نوماتهما بما يحول بخاطره مباشرةً إلى المُساعد. قبل أن تختفي هذه القُدرة، مثل العديد من القُدرات الأخرى التي تمتعًا بها، غالبًا عندما مات المُساعد.

فَتَح نومات الباب، مما أسفر عن انخفاض الضغط بِسُرعة.. لكنه كان على أهبة الاستعداد لذلك. دار معطفه الطويل حوله، وهو يقفز للخارج، وسُرعان ما أغلق الباب بحزم، وأوصد قفله. لم يكن مُتأكدًا من مقدار الهواء الذي تركه لإيجي. تمنى أن يكون ذلك -بالإضافة لوحداثٍ أدّخارها الطبيعيَّة- كافيًا.

أما في الوقت الحالي، فليس عليه سوى الاهتمام بمصير المدينة بأكملها. هرول إلى جانب المدينة الصغيرة، وصولًا إلى ناقلة المياه الفارِغة.. الثقيلة، وبطيئة الحركة، والمُعَدَّة للتَّنقل بين الحقول وري المحاصيل.. التي مالت الآن جانِبًا بسكون. وتبيَّن العطل من فوره.

الثلج.. لقد توغَّلوا عبر نفس الثلج المتجمِّد الذي شهدته في رحلته الفرديَّة.. لكنهم أمضوا وقتًا أطول بكثيرٍ فيه. اكتسى السطح بالجليد، وكان من الواضح أن آليات القفل التي ثبَّتت المركبات ببعضها البعض لم تُصمَّم للعمل في مثل هذا الجو البارد؛ فقد تجمَّدت، وأبى مُعظمها أن يفتح القفل عند تشغيله. استدعى أوكس على شكل عتلة، ووَجَد قفلاً مُغلقًا، دَسَّ أوكس في المكان المُناسب، وألقى بثقله على العتلة. وبيد بعض الجُهد، نَجَح في فتح هذا القفل، والذي يليه. لكن المركبة لم تسقُط، رغم أن جميع الأقفال التي تربطها بالسطح باتت مفتوحة الآن. بحق العواصف.. لا بُد أن الأقفال السُفليَّة، التي تُثبَّتُها إلى هيكل المركبة الرئيسي، مُغطَّاة بالجليد بدورها.

هذا سييء.. أليس كذلك؟

لم يكن هناك سوى حل واحد؛ عليه أن يجد طريقة لفك الأقفال الموجودة على الجانب السفلي من المنارة، أثناء طيرانها. صرّف المساعد، وحثّ الخُطى نحو درّاجته التي قبعّت في انتظاره على حافة المدينة الصغيرة، لم يملؤوا خزان مياهها.. اللعنة على ذلك.

قال المساعد: اللعنة، ماذا سنفعل؟

رَفَع مقعد درّاجته، وأخرج جبل القطر الذي رأى ريبكي تستخدمه سابقًا. علّق لفة الجبل المعدني المقوى على كتفه، وشكّل المساعد على شكل سلسلة بخُطّاف، ثم تقدّم نحو جانب المركبة، ووقف على أرض لم تكن جزءًا من ناقلة المياه، تحسبًا في حال قرّرت أن تتحرّر من قبضة أفعالها، ونظر إلى سفح الجبل الذي أضاءه نور الحلقات.

يقول الفارس بنبرة رتيبة كئيبة: يا إلهي، سيكون هذا مُمتعًا.

ثبّت المساعد في المكان المطلوب، ثم تأرجح للأسفل على جانب المدينة، هبط حتى وجد مقبضًا آمنًا، فأمسكه، مُشبّهًا بالمعدن، ثم أعاد تشكيل المساعد، هذه المرّة بمقبض بدلاً من الخُطّاف. ثبّته في فجوة قريبة محفورة في قلب المعدن، ليتناسب معها تمامًا بحيث لا يُفِلت قبضته عنها.

مما مَنَحَ نوماد مرساةً آمنةً للهبوط لمسافةٍ أطول، حتى تدلى أسفل المنارة مباشرة. نظر إلى الجانب السفلي من المدينة الصغيرة، حيثُ ثبّتت ثنائي نفّاثات موزّعة بالتساوي حول النفّاثة الأكبر الرابضة تحت المحور. بينما استُخدمت المركبة العاشرة للحركة الجانبية، حيث مالت نفّاثتها للأعلى، وأطلقت البخار نحو الأفق.

عندما ضغط زر التحرير، توقّف مُحركُ ناقلة المياه عن العمل. وهكذا أصبحت أثقل وزنًا، ولم تعد تُساهم في دفع المدينة. تعلّق هناك لدقيقةٍ، مُحدّدًا في المُحرّكات اللامعة ذات اللون الأحمر البرتقالي وهي تطرد البخار فائق التسخين من مراحلها الساخنة، مُتأملًا في التوازن الدقيق للدوافع المطلوبة لتشغيل كل هذه المُحرّكات في تناغم. فيمكن لقوة الدفع الشديدة على أحد جانبي المركبة أن تقلبها، لكن آليات المنارة عوّضت هذا التوزيع بشكلٍ غريزي. وقال زيل -عندما سأله- أن الكورس قد ساعدهم بطريقةٍ ما.

هل لديهم ما يُشبه مُحركَ التوزيع النشط الأولي ليقوم بهذه الحسابات؟ هل صمّمته الظلال؟ سيكون هذا...

نحى تلك الأفكار جانبًا، فليس لديه وقت للتفكير فيها. فإن لم يُحرّر ذلك الحمل الساكن، ستصطدم المدينة بأكملها في الجبل.. وسيترُكهم هذا جميعًا عالقين حتى يغمرهم طوفان نور الشمس ليذيب هيكل المدينة الصغيرة تمامًا.

يجب أن يصل إلى تلك الأقفال، وهي مُهمّةٌ تتطلّب عبور الجزء السفلي من المنارة، حتى يصل إلى الموقع المناسب. كان مُعظّم تلك المساحة مُسطحًا، رغم وجود العديد من الزوايا التي يُمكنه تثبيت خُطّافات المساعد فيها. ومع ذلك، سيُقرّبهُ التحركُ هنا بشكلٍ غير مُريح من إحدى تلك النفّاثات الحارقة. على الأقل لم يصم هديرها أذنيه، فبالكاد انتقل أي صوت عبر هذا الهواء الرقيق. كما أن الفراغ القريب سيعزله تمامًا عن

درجات الحرارة القويّة، طالما تجنّب الاتصال المباشر، وهو شيء آخر جعله يشعر بقدرٍ من الراحة. تمسّك بطرف الجانب السفلي للمنارة، ثم صرّف المُساعد، وتعلّق بيدٍ واحدة -لبضع لحظاتٍ موثّرة- على ارتفاع مئات الأقدام.

رُبما، بحلول هذه اللحظة، أصاب الدوار بعض سُكّان المنارة بسبب قلة الأوكسجين، بل ورُبما فقد بعضهم الآخر وعيه بالفعل. لذا، إن سقط هُنا، فلن يستفيقوا أبداً. ولن تكون سرّيّة الليل هي ما وُضع نهاية لرحلة فراره الطويلة، بل سيكون نور الشمس القاتل.

أعاد تشكيل المُساعد على شكل سلسِلة بخطّافين من كلا الطرفين، ثم بدأ بالتأرجح أسفل المركبة، مُعلّقاً المُساعد في الصّمام. ثم أمسك بالطرف الآخر من السلسِلة، واستخدمه للتأرجح بيدٍ واحدة ليُثبت الخُطّاف في مكانٍ آخر. وفي كلِّ مرّة تأرجح فيها، جعل طرف السلسِلة غامض التكوين قبل أن يُعيد تشكيله، ليُثبتته في فجوةٍ بقاع المركبة.

كان القيام بذلك في كنف الصمت غريباً، حيثُ تُساعد وحدات الادّخار جسده على التأقلم مع الضغط المنخفض وقلة الأوكسجين، لن يكون بمقدوره القيام بذلك للأبد، لأن مخزونه سينضب في نهاية المطاف، لكن لا يزال لديه الكثير ليتولى أمر هذه المهمّة؛ ليُقيه على قيد الحياة، وتجديد عضلاته كيلا تضعف وتتسبّب في سقوطه. تأرجح بذراعيه للمناورة بحذرٍ حول أقرب النفّاثات.. انبعث عمود من البخار الساخن والضوء، بعنفٍ وقوّة، حتى أمكن الشعور به كأشعةٍ تحت حمراء في الفضاء.

دلّت حقيقة شعوره بأيّ شيءٍ قادم من هذه النفّاثة على مدى الطاقة المُنبعثّة منها. دار حولها، ووصل إلى المكان الذي ثبتت فيه المركبة الساكنة إلى هيكل المنارة. وهناك.. تعلّق لدقيقةٍ ليستجمع شتات نفسه.

أحياناً، يُواجه صعوبةً في عدم اللهاث استجداً للهواء في مثل هذه الأوقات، لكن تدريبه كان قد تطلّب منه حبس أنفاسه في كثيرٍ من الأحيان. لكن القوّة التي استمدّها في شبابه، كانت تتسرّب عندما يتنفّس، لذا تعلّم إحكام قبضته عليها، حتى خلال لحظات المعركة الملحميّة.

استمرّ في التقدّم، مُثبتاً عينيه على أول قفل واجهه. فكّ خُطّافه الأيسر وتأرجح للخارج.. لكن خُطّافه الأيمن لم يكن مُثبتاً كما يظن. وفي لحظةٍ من الدّعر الخالص، شعر به ينزلق. بحق العواصف! وفي غمرة هلعه، أمسك السلسِلة بكلتا يديه وجذبها.

ارتجف، مُتشبّثاً بالسلسِلة الضعيفة، تبخّر العرق من على جلده على الفور تحت وطأة الضغط المنخفض وتلاشى. انزلقت السلسِلة على الفولاذ أعلاه، ثم استقرّت مرّةً أخرى.. لكن تلك الهزّة الثانيّة تسبّبت في سقوطه لمسافةٍ أطول قليلاً، وكادت أصابعه تُفلت طرف السلسِلة.

قال المُساعد: اللعنة، تشبّث يا نوماد من فضلك.

حاول نوماد تثبيت الخُطّاف، وأمره تخاطرياً أن يتوسّع بشكلٍ أكبر.. لكن خطاه قاده لحافةٍ ضيّقة، لا يمكن للمُساعد التشكّل حولها بسهولةٍ للتمسك بها بشكلٍ مُناسب.

ومن تحته، اقترب مُنحدر الجبل الكتيب أكثر من أي وقتٍ مضى. وفي الأفق، ظهر أول أضواء الفجر الكاذب.

قال المُساعد: رُبما حان وقت القيام بأمرٍ استثنائيٍّ يا نوماد. ما زالت لدي.. بعض القوّة المتبقية، يُمكنك الطيران مرّةً أخرى. لمسافةٍ قصيرة، لكن قد يكون هذا كافيًا ل... لا.. قاطعه بحزم: لا!

ورغم أن كليهما على درايةٍ بهذه الحقيقة، لم ينطق أيُّهما بها بصوتٍ عالٍ. في السابق، أحرَق المُساعد في لحظةٍ من القوّة، غافلًا عمّا فعل.. وعمّا كان قادرًا على القيام به. بحث جسده عن أي طاقةٍ مُمكنة، وكان صديقه -المصنوع من الطاقة النقيّة- مصدرًا مثاليًا تمامًا.

وطوال هذه السنوات، تواجد المُساعد كظلٍ باهتٍ لما كان عليه من قبل، لكن الجزء الأكثر أهميةً -شخصيّة المُساعد وفكره- ما زال حاضرًا. كوقود، إن جاز التعبير. ففكر نوماد: مُستحيل.

قال المُساعد: لا يُمكنني أن أدعك تموت، ولا يُمكنني ترك المدينة تنهار. لو أمكنك الطيران. وردًا على ذلك، بدأ نوماد بالتسلُّق، خطوةً بخطوة، بتصميمٍ وإصرار، ويدين مُتشفِّقتين، وجافَّتين، مُرتعدًا من التفكير في ذلك.. مرّةً أخرى.

صمت المُساعد تمامًا، لكن نوماد كان على يقينٍ بما سيفعله صديقه إذا انزلت السلسلة، ذلك الرعب المسكوت عنه.

فكر نوماد: لن تتكرّر تلك المأساة. وصل إلى قاع المركبة، وثبت الطرف الآخر من السلسلة في موضعٍ أكثر ثباتًا. وبينما تعلق من هناك، تصبّب العرق على وجهه، قبل أن يختفي على الفور، لتحل محله نسبات باردة عابرة.

قال المُساعد: شكرًا على اهتمامك.

حاول نوماد إرسال انطباعٍ غاضب.. لئبَّه المُساعد ألا يُثير هذا الموضوع مُستقبلًا أبدًا. تأرّجح مرّةً أخرى ليصل إلى القفل الذي يرغب في فتحه، ثم حلَّ حبل القطر. بدا وكأن الأربعة أفعال الموجودة في الجانب السفلي قد تجمّدت تمامًا، لكن لحسن الحظ، لم يكن مضطرًا لفتحها جميعًا قبل أن يُهشّم وزنُ المركبة البقية.

يسأل البطل بتردد: والآن ماذا سنفعل؟

ردًا على استفساره، استعان نوماد بحبل القطر ليثبت نفسه، مُرخيًا الحبل قليلًا، ليتدلى على مسافةٍ أربعة أقدام تحت المركبة. ثم شكّل المُساعد على شكلٍ عمودٍ معدنيٍّ ضخمٍ بنهايةٍ مُسطّحة.

ثبت نوماد طرفه المُسطّح إلى القفل، ثم حاول رفعه، دافعًا العمود بوزنه كاملاً. كانت الهيئة الماديّة للمُساعد صلبة بالمعنى الحرفي للكلمة.. ولن ينكسر أو ينثني تحت أي ظروفٍ طبيعيّة. لكن مُهندسِي المنارة أبدعوا في عملهم، كما لم تكن تلك الزاوية مُلائمةً لِيتمكّن من فتح الآلية من خلالها.

والأسوأ من ذلك، أن الاحتكاك وقف ضده. فبالأعلى، فُتِحَت تلك الأقفال يُسرِّ، لكن ذلك لأن زاوية انفصال المركبة ساعدته في ذلك. ولكن نفس تلك الزاوية وضعت وزناً إضافياً على تلك الأقفال، مما جعل فتحها أكثر تعقيداً.

-الجبل يا نوماد.

لم يكن بحاجة لرؤيته. أجل، لقد اقتربوا منه بشدة.. وما زالوا يتقدمون نحوه. وهم الآن على بُعد عشرات الياردات من التحطم على سفحه. بدأ يشعر بالقلق من أنه قد أخطأ التقدير مرّة أخرى. فربما تحتوي تلك المركبات، عندما تُثبّت في أماكنها، على آليات من الجانبين.. وليس فقط من الأعلى والأسفل. وقد لا تكون الأقفال التي يُحاول فتحها، هي الأجزاء الأساسية في تثبيت المركبات ببعضها. فكرة واهية للغاية. قد تكون هناك مشابك مُعزّزة أو آليات رسو لا يستطيع رؤيتها. لو كان ذلك صحيحاً. حاول مرّة أخرى، موجّها العتلة الطويلة إلى زاوية أخرى. لكن شيئاً لم يحدث. إنه بحاجة إلى شيء أفضل.

بحق العواصف. الناس.. إنهم بحاجة إليه.

لكنه لا يستطيع.. لا يمكنه صنع سلاح.. إنه...

بدا أن المُساعد يهمس: ليس سلاحاً، بل أداة أخرى لحماية المدينة يا نوماد. سُحِذَت نهاية العتلة.

وفي تلك اللحظة، وجد نفسه يمسك بشيء لم يحمله منذ زمن بعيد، رمز آتٍ من ماضيه رأساً. أداة من أدوات المحارب، تُمارس في الخفاء، ثم تُعرض بفخر. وحادة بما يكفي لتقطيع المعدن. غرسها للأعلى في الفجوة، مُحَرِّراً القفل وما فوقه، وهو قضيب أو آلية تُثبّت المركبات ببعضها. وكان هذا كافياً. تمايلت المركبة، قبل أن تتحرّر، وتتحطم فوق الحجر الصلب بالأسفل، لتسقط على طول جانب الجبل، مُحطّمةً الحجارة خلال سقوطها الوحشي. أما نوماد، فصمّد رغم اهتزاز المنارة، ومُحرّكها الأساسي يزار وينفث الحرارة في عمدان من الضوء والغضب. شَعَرَ بالمركبة وهي ترتفع بسرّعة، رغم استحالة ملاحظة ذلك من موقعه.

وبقلب ينبض بقوة، حرّر نوماد نفسه، واستعان بالمُساعد ليصل إلى هيكل المركبة. وسرعان ما تسلّق إلى سطحها المعدني. وقف هيبية، مُحَدِّقاً بالأفق الرهيب. ونور الشمس يُحاول جاهداً التحرّر من قبضته، بينما ترتفع مركبته لتلاقية، أكثر.. وأكثر.

احتكّ جانب المركبة الأيمن بالحجر، مُتسبباً في اهتزازات عنيفة في الهيكل بأكمله. خرّ نوماد على رُكبتيه، وهو لا يزال مُحَدِّقاً غرباً إلى ذلك النور المهيب.

انقطع صوت الاحتكاك عندما ارتفعت المركبة أخيراً، بالكاد، فوق قمة الجبل.

يقول الفارس فرحاً: لقد نجحنا يا نوماد! لقد نجحنا! لكننا لا نزال نرتفع.

بحق العواصف.. استدار نوماد وتعثر مُترنحًا نحو مبنى التحكّم، خشية أن يقتربوا من هدفهم إلى هذا الحد، فقط لينتهي بهم الأمر بالارتفاع عاليًا لدرجة...
غمره نور الشمس والمركبة تُغادر ظلّ الكوكب.
نور شمسٍ هادئ، ودافئ، وطبيعي تمامًا.
ماذا يحدث بحق الجحيم؟

وقّف هناك للحظةٍ طويلة، مُعلّقًا فوق قمّة الجبل، لكن شيئًا لم يحدث له أو للمنارة. لقد لاحظ في وقتٍ سابقٍ أن مركبة سريّة الليل قد اقتربت دون أن تذوب درعها. ما الذي يحدث؟ وكيف يتسنى لهم الوقوف هناك - في النور - دون أن يُدمّرهم؟

اللجنة، لطالما كره العمل في ظلّ شح المعلومات. لو كانت قوّة الشمس شديدة للغاية، لمزقت الغلاف الجوي لهذا الكوكب، على حدّ فهمه. ولماذا توجد جبال في القطبين باستمرارٍ؟ ألا ينبغي للكوكب - الذي يذوب دون توقّف - أن يتشكّل ككرةٍ؟ أم أن شكله الأصلي كان بيضاويًا، حيث تسحب الجاذبيّة المزيد من الهواء نحو خطّ الاستواء، مما يجعل الأمر يبدو وكأنّ هناك جبالًا في القطبين، في حين أنها - في الواقع - لم تكن سوى حواف الشكل البيضاوي الهاربة من قبضة الغلاف الجوي؟ هل كان ذلك مُمكنًا؟

توقّفت المنارة عن الاهتزاز، وهو غارق في التفكير، عبّس في مواجهة ذلك السكون الغريب. لقد توقّفت المحرّكات عن العمل. ما الذي يحدث؟ ولماذا...؟

لقد نفدت منهم المياه.. لا مزيد من الوقود الدافع.
ازدادت شدّة قبضة الإعياء حول قلبه، وشعر بالمنارة بأكملها تبدأ بالسقوط على الجانب الخلفي من الجبال.. دون أيّ محرّكات لتبطيء من وتيرة سقوطها.



هذا سيء.

وكان رائعا كذلك، لأن المركبة نَجَحَتْ في اجتياز قمة الجبل قبل أن يفرغ مخزونهم من المياه. وأثناء عملية الهبوط، انسلوا إلى جانب الجبل الغارق في الظلام.

ورغم ذلك، لم يكن مُستعدًا لهبوطٍ غير مُنضبط. بحق العواصف! لقد فرغ مخزونهم من المياه بسرعة أكبر مما خَطَّط له، حيث انطوى كُل ما فعله هو والمهندسون على قدرٍ هائلٍ من التخمين. ومع ذلك، فقد كانوا محظوظين لأن الأمر سار على ما يُرام. وفي الظلام المتزايد، قَطَعَ سطح المركبة بخطواتٍ سريعة، على الأقل لم يكن عليه القلق هنا بشأن تأثير الرياح عليه، إذ هَبَط بنفس سرعة المدينة، ورغم استعانتها بالمساعد أحيانًا على هيئة مقابض، سرعان ما عاد إلى المحور، وتسَلَّقَه وصولًا إلى باب «دونتشيير».

توقَّع أن يصطدموا بالجبل أثناء رحلة سقوطهم، لكن حتى الآن.. لم يحدث شيءٌ. فقد كان انحدار الجرف الشديد على هذا الجانب بمثابة نعمةٍ صغيرة. سحب نفسه ليعبر الباب، ولا حظ أن إليجي قد فقدت وعيها - وتمنى أن يقتصر الأمر على فقدانها لوعيها فحسب - في زاوية العُرفة. فقد انخفَصَ الضغط داخل المقصورة تمامًا في غيابه.

جَذَب نفسه عبر العُرفة، ستفقد الجاذبية معناها خلال اللحظات القليلة القادمة، وهم الآن في خضم السقوط الحُر. المُحرَّكات.. عليه تشغيل المُحرَّكات العادية. بدأ يسمَع هدير الرياح خارج الباب، الذي لا يزال مفتوحًا. توجَّب على المُحرَّكات العادية أن تعمل مرَّةً أخرى، بمُجرد عودتهم إلى الهواء الأكثر كثافة. لكنه وجدها متوقَّفة تمامًا، عندما أقبل على لوحة التحكم. فقد تسبَّب نفاد المياه - التي أدَّت أيضًا دور المُبرِّد - في إيقافها.

بحق العواصف! ألقى نظرة على الزر الذي أشار جيفري جيفري إلى أهميته بشكلٍ عابر، وهو الزر المُخصَّص لإعادة تشغيل النظام. هل وَصَلت الأمور إلى هذا الحد؟ بعد كُل ما بذله من جُهدٍ، يعتمد الأمر على ضغطة زر؟

هذا.. والانتظار.

لن تعمل المُحرَّكات؛ إن ضغطة مُبكرًا. بحق العواصف! ورُبما لن تعمل على أي حال. فقد جفَّ سائل التبريد أثناء التسخين المُفرط في الفضاء.. وهذا من الأعطال التي تُدمر الآليات تمامًا.

كبح جماح رغبته في الضغط على الزر مرارًا وتكرارًا. وومَضت أضواء التحذير التي تُشير إلى ارتفاع درجة الحرارة في جميع أنحاء اللوحة. الهواء! إنهم بحاجةٍ إلى الهواء. الذي من شأنه أن يُبرِّد المُحرَّكات أثناء سقوطهم، سائحًا للحرارة أن تتبدد.

يسأل الفارس بترددٍ ملحوظٍ: ماذا تفعل يا نوماد؟ اضغط الزر.
انتظر، وهو يرصد القراءات، مُثبِّتاً قدميه تحت المقعد. حاول أن يشرح له الأمر، لكن لم يتواجد ما يكفي
من الهواء بعد. لذا طفق مُتتظِّراً، مُتألماً بشكلٍ لا يُطاق.

-أعتقد حقاً أنه يجب عليك أن تضغط الزر اللعين يا نوماد.
ومن خلال النافذة، رأى المنحدر المظلم للجبل وهو يقترب بسرعةٍ تتزايد مع تسارع وتيرة هبوطهم.
وكان هذا أثر الهواء الذي يندفع بالخارج.

-أرجوك يا نوماد.

أخذ نفساً عميقاً من الهواء الحقيقي، وقال: «ليس بعد».

-متى إذن؟

راقب نوماد المؤشّرات الموجودة على الشاشات وهي تتحوّل تدريجياً من اللون الأحمر إلى البرتقالي لبضع
ثوانٍ. وبمجرد وصولها إلى النقطة المطلوبة، ضغَطَ على الزر.

عملت أربعة من المحرّكات العشرة المتبقية، بانفجاراتٍ جعلت أسنانه تصطك ببعضها، محاولةً الحد من
سرعة سقوط المركبة.

قبل أن تصطدم المنارة بالأرض.

صَغَطَ زِرَ تَحْرِيرِ الطَوَارِيءِ، الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَفْتَحَ أَبْوَابَ جَمِيعِ الْغُرَفِ الَّتِي تُؤْوِي سُكَّانَ الْمَنَارَةِ. وَرَغْمَ أَنَّهُمْ تَمَتَّعُوا بِإِمْكَانِيَّةِ فَتْحِ الْأَبْوَابِ مِنَ الدَّخْلِ، لَمْ يُعْغَلِ الْإِحْتِمَالُ الْكَبِيرَ بِأَنْ يَكُونَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ قَدْ فَتَّقُوا وَعَيْهِمْ. حَيْثُ يَعْتَمِدُ الْأَمْرُ عَلَى مَدَى إِحْكَامِ غَلْقِ تِلْكَ الْغُرَفِ، وَمَدَى فِرْطِ تَهْوِيَةِ قَاطِنِيهَا. لِأَنَّ إِحْدَى الْمَفَارِقَاتِ الْعَظِيمَةِ فِي الْحَيَاةِ تَقْتَضِي أَنْ يَشْعُرَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَنَاقَصُ لَدَيْهِمُ الْهَوَاءُ؛ غَالِبًا بِالْقَلْقِ، فَيَسْتَهْلِكُونَهُ بِسُرْعَةٍ أَكْبَرَ.

ثُمَّ فَحَصَ إِلَيَّجِي.. وَوَجَدَ أَنَّهَا لَا تَزَالُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ. عَلَى الْأَقْلِ، لَا يَزَالُ قَلْبُ الْجَمْرِ يَتَوَهَّجُ، وَاعْتَقَدَ أَنَّهَا تَتَنَفَّسُ. لَكِنَّهُ لَمْ يَشْعُرْ بِأَيِّ نَبْضٍ بِالطَّبْعِ، لِأَنَّهَا لَا تَمْلِكُ قَلْبًا. انْتَابَتْهُ الْحَيْرَةُ حَوْلَ كَيْفِيَّةِ عَمَلِ ذَلِكَ.. فَهُنَاكَ طُرُقٌ عَدِيدَةٌ يَتَأَكَّدُ بِهَا الْجَسَدُ الْمُدَّخَرُ مِنْ اسْتِدَامَةِ خَلَايَاهُ.

حَانَ الْآنَ الْوَقْتُ لِتَبْيُنِ مَقْدَارِ الضَّرَرِ الَّذِي لَحِقَ بِالْمَرْكَبَاتِ. لَكِنَّهُ تَعَثَّرَ عِنْدَ الْبَابِ، قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَ عَلَى الْفُورِ وَجُودَ خَطَأً لَمْ يُفَكِّرْ فِيهِ مِنْ قَبْلِ. إِنَّهُ يَقِفُ عَلَى قَمَّةٍ حَاطِيَةٍ تَضُمُّ كَائِنَاتٍ مُدَّخِرَةً غَيْرَ مَادِيَّةٍ، وَمُتَقَلِّبَةً لِلْغَايَةِ. وَسِوَاهُمْ دَعَاهُمْ الْمَرْءُ أَشْبَاحًا، أَوْ أَرْوَاحًا، أَوْ أَيَّ اسْمٍ آخَرَ، كَانُوا مِنْ بَيْنِ أخطرِ كِيَانَاتِ الْكُونِ. لَقَدْ صَدَمَ الْمُحَلَّقُ الْخَاصَّ بِهِمْ أَرْضًا، ثُمَّ صَغَطَ زِرَ فَفَتَحَ الْأَبْوَابَ دُونَهَا تَفْكِيرًا. تَرَدَّدَ عَلَى عَتَبَةِ مَرْكَبَتِهِ، مُتَسَائِلًا عَمَّا إِذَا كَانَ لَدَيْهِ وَقْتُ كَافٍ لِفَكِّ تَثْبِيتِ الْمَرْكَبَةِ، وَالطَّيْرَانَ بِهَا بَعِيدًا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا مِنْ أَجْلِهِ، بِأَعْيُنِ حَمْرَاءَ، وَجُوعٍ شَدِيدٍ.

لِحُسْنِ الْحِظِّ، سُرِعَانَ مَا رَأَى عِدَّةَ أَجْسَادٍ غَيْرِ مُسْتَقَرَّةٍ تَتَرَنَّحُ خَارِجَ مَرْكَبَةِ الْمَحْوَرِ الرَّئِيسِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ أَدْنَاهُ مُبَاشَرَةً. لَمْ يَبْدُ أَنْ هُنَاكَ مَا أَكَلَهُمْ. هَبَطَ، مُتَجَاوِزًا الْأَعْلِيَّةَ الَّتِي اسْتَقَرَّتْ سَرِيعًا عَلَى سَطْحِ الْمَدِينَةِ. وَبِالدَّخْلِ، بَدَأَ مُلْحَقَ الْأَشْبَاحِ غَيْرِ مُتَضَرَّرٍ، وَدُونَ أَيِّ شَقُوقٍ. يَبْدُو أَنَّهُمْ بَنُوهُ مِنْ أَقْوَى الْمَوَادِّ لَدَيْهِمْ، مِمَّا يَنْبَغُ عَنْ حِكْمَةٍ عَمِيقَةٍ.

تَأَكَّدَ مِنْ فَتْحِ جَمِيعِ الْأَبْوَابِ الْآخَرَى، وَاكْتَشَفَ أَنَّ اثْنَيْنِ مِنَ الْأَبْوَابِ الْعَشْرَةِ قَدْ عَانِيَا مِنْ تَسْرِيْبٍ شَدِيدٍ. وَكَانَ وَضْعُ الْمَوْجُودِينَ بِالدَّخْلِ أَسْوَأَ كَثِيرًا مِنَ الْآخَرِينَ، لَكِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَيُّ خَسَائِرٍ فِي الْأَرْوَاحِ.. فَقَدْ عَدَدَ قَلِيلٌ مِنَ الْأَشْخَاصِ وَعَيْهِمْ فَقَطْ، وَالْعَدِيدُ مِنَ الْكِدْمَاتِ، وَالْكَثِيرُ مِنَ الْأَطْرَافِ الْمَكْسُورَةِ. وَاسْتِنَادًا إِلَى اقْتِرَاحِهِ، تَوَزَّعَتْ عَضُوَاتُ الْخَيْرِ الْأَعْظَمِ عَلَى ثَلَاثِ مَرْكَبَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَنَجُونُ جَمِيعًا مِنَ الْحَادِثِ بِسَلَامٍ. خَرَجَتْ رَيْبِيكِي مِنْ مَرْكَبَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، تُسَاعِدُ رَجُلًا عَجُوزًا لَمْ يَعْرِفْهُ نَوْمَادًا. تَطَلَّعَ الرَّجُلُ إِلَى النُّجُومِ، وَالْدمُوعِ تَتَرَقَّرُ فِي عَيْنَيْهِ، وَبَدَأَ يُرَدِّدُ صَلَاةَ شُكْرِ صَامِتَةٍ. تَقَدَّمَتْ لِلْأَمَامِ عِنْدَمَا لَاحَظَتْ نَوْمَادًا، وَكَانَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهَا لَا تَزَالُ أَسِيرَةً لِلذَّهْوَلِ.

همست: «لقد نجحت خطتك، لقد.. لقد شككتُ فيك. اعتقدتُ أنها لن تُكَلَّلَ بالنجاح، لماذا لم أثق بك؟».

أجابها نوماد: «لأنك ذكيّة، فقد كانت خطة غير تقليديّة».
- «إنها خطتك».

قال: «أعلم يقيناً مدى خطورة أفكارى، ولهذا أشعر بالدهشة لأننا نقف هنا الآن».
لا يُدرك الفارس سبب استياء ريبكي. فبعد كل شيء، هذه هي الأشياء الغيبية التي ينطق بها نوماد طوال الوقت.

أخيراً، قالت ريبكي: «حسنًا، نحن على قيد الحياة».
قال: «أنفق معك!». ثم نظر إلى مجموعة من الأشخاص، بين متألّم، ومُحتقن جزئياً، ومُتضرّر عاطفياً، قبل أن يُضيف: «في الوقت الراهن، دعونا نبحث عن المهندسين. فنحن بحاجة لمعرفة مدى الأضرار الذي طالت مدينتكم بسببي».

سألته سُلِمَتِي ديثاين: «هل ترعّبون في معرفة مدى سوء الأمر؟ أعتقد أننا في مكانٍ ما بين «بحق الظلال! يا لها من فوضى!». و«لم أكن أعلم حتى أن بإمكان هذا الجزء أن ينكسر!».
وقف أعضاء الفريق الرئيسي داخل القاعة المحيطة بمَلْحَق الكورس المليء بالضباب، الذي ظلّ سليماً لحسن الحظ. جيفري جيفري، وزيل، وريبكي، وعضوات الخير الأعظم. جلست كومباشن أرضاً، ملفوفة في بطانية، بينما وقف الباقون حولها.

اختراروا هذا المبنى لعقد اجتماعاتهم لسبب جنوني، بعد أن اضطروا للتخلّص من المبنى السابق المُخصّص لذلك، أو ربّما لأنها كانت أول غرفة تم إخلؤها بعد الحادث.

قالت كونفدانس: «أخبرينا بصرحة لو سمحت يا سُلِمَتِي ديثاين، ما مدى خطورة وضعنا الحالي؟».
قالت: «توقّفت ستة مُحركاتٍ تماماً، وستحتاج لاستبدال الحاقن بالكامل. كما أغلق الوحل جميع النفاثات الموجهة للأسفل. في حين تضرّرت مداخل الهواء في ثلاث نقاط اتصال، وتهشمت بعض حوامل التثبيت بسبب الاصطدام. أنصح بأن نظير بشكل مُفصل من الآن فصاعداً، لأنني لا أستطيع ضمان سلامة الجميع».

سألها جيفري جيفري: «وهذا ليس.. سيئاً للغاية، أليس كذلك؟».
أجابته: «هذا يعتمد على بعض الأمور». مدّت يديها جانباً، وقالت: «يُمكن لفريقي إصلاح هذا، بل ويُمكننا حتى القيام بذلك قبل شروق الشمس».

وافقتها كونمبليشن الرأي قائلة: «لدينا مُتَسَعٌ من الوقت، بفضل الجبال. رغم أننا سنحتاج لممرٍ من الظل للهروب من الشمس.. فلا يُمكننا البقاء هنا إلى الأبد».

قال زيل: «ساعتان ونصف، ورُبما أكثر قليلاً، هذا ما أخبرني به فريق الملاحظة. وإذا استغرقوا وقتاً أطول من ذلك، فسنضطرّ لعبور حقل من النار لنعود إلى الغسق».

ساعتان ونصف بتوقيتهم. كانت هذه الجبال شاهقة الارتفاع مُقارنةً بحجم الكوكب، وهو ما مدد المنارة بظلّ كبيرٍ تحتمي به. أدرك من أين جاء هذا الوقت الطويل، خاصّة مع الدوران البطيء للكوكب. لكن الوقت كان لا يزال محدوداً بشكلٍ مُخيفٍ لحل مشاكلهم.

قالت سُلِمَتِي ديثاين: «لقد بدأ الكورس في تصنيع الأجزاء المطلوبة بالفعل». صدحت أصوات خافتة من داخل المُلْحَق. لكن الأمر المُلقق بشدّة؛ هو أن نومات كان مُتأكّداً يقيناً من أنه سَمِعَ من يهيمس بصدى كلماتها كلّما تحدّثت، تابعت حديثها قائلة: «وقد أتمكّن من جعل المركبات قادرة على الطيران، خلال الوقت المُتبقّي. لكنها لن تتحرّك، حتى بعد إصلاحها».

خمن نومات قائلاً: «بسبب قلوب الشمس، لقد نضبت طاقتنا».

أومات برأسها مؤكّدة، قبل أن تقول: «تستهلك المحرّكات الطاقة بدرجة حرارة أعلى - لكن بكفاءة أقل - مما كنّا نأمل. لم يبقَ لدينا شيءٌ تقريباً، كان هبوطنا مُعجزة.. خاصّة في ظلّ عمل أربع محرّكات فقط، وتوقّف البقية عن العمل، لأن قلوب الشمس التي كانت تزوّدها بالطاقة قد نضبت».

قالت كومباشن من مجلسها: «إذن.. فقد توقّفنا، وتجمّدنا».

بدا وقع الكلمة ثقيلاً عليهم، حيث إنه في السياق الذي يُمكن لنومات تخمينه، كان التوقّف والتجمّد يعنيان الموت في هذا العالم.

قال زيل بلباءٍ حازمة: «سيتعيّن علينا الاستيلاء على بعض الأرواح، يجب أن أجمع أعضاء فريقتي، لو سمحتم لي بذلك. هل لدينا ما يكفي من الطاقة للطيران بمركبة في غارة، ثم العودة؟».

أجابته سُلِمَتِي ديثاين: «أجل، ولكن.. على من ستغير؟».

قال جيفري جيفري: «لا يُمكنك الذهاب جنوباً يا زيل، ما لم ترعّب في عبور المزيد من المُرتفعات».

قالت ريبكي بصوتٍ خافت: «بينما يتواجد ملك الجمرات شمالاً». كانت قد وقفت خارج دائرتهم مُباشرةً، وكأنها لا تعلم ما إذا كانت مُرحّباً بها أم لا.

قال نومات: «والذي يُمكنه توفير الكثير من قلوب الشمس، بعد أن يُطعم أصدقاءكم الأسرى لنور الشمس. ألم يحدث هذا قريباً؟ قلوب الشمس التي صنعها عندما وقفت تحت نور الشمس لأول مرّة؟».

سألته ريبكي: «أول مرّة؟».

أوماً نومات برأسه نحو الأعلى وقال: «لقد غمرني نور الشمس هناك بالأعلى، على سطح المركبة، لكنه لم يُسبّب لي أي ضررٍ يُذكر. ما زلتُ أبحث عن السبب في...».

نظروا إليه جميعاً بإجلالٍ وتقدير.

قال: «لم يكن ذلك بسبب أنني «الرجل الذي أضاع نور الشمس»، فالمركبة لم تذب بدورها». لكن هذا لم يُجد نفعاً أمام نظراتهم المندهِشة، وكأنهم يعتقدون أنه قد همى المركبة بأكملها، كما لو كان يتمتع بالقُدرة على حمايتهم جميعاً من نور الشمس بطريقةٍ ما.

يقول الفارِسُ باستمتاعٍ ساخِرٍ: لطالما اشتكيتُ من الأساطير التي تبدأها كما تعلم، ثم تقول أموراً كنتك!

تقدّم نومات للأمام، وقال: «بغضّ النظر عن ذلك، لقد صنّع ملك الجمرات مجموعة كبيرة من قلوب الشمس بالأمس.. ولا بُد أن المكان الذي صنعهم فيه أماننا تماماً».

أجابه زيل بإيماءةٍ مهيبّة: «لقد تُرِكت أرواح أصدقائنا في نور الشمس، ونحن مُلمّون بخطّ الطول الذي حدّث به ذلك. يُمكننا العثور عليها، إذا استخدمنا المُقنبة».

قالت كوفندنس: «يجرُس ملك الجمرات الحدود بين «الاضطراب العظيم» والظلّ طوال الوقت، لأنه لا يُريد لأيّ شخصٍ آخر أن يحصد قلوب الشمس الرابضة هناك».

حاول نومات تكوين صورةٍ ذهنيّة، قبل أن يقول عابِسًا: «اشرحوا لي هذا مُجدّدًا، الجانب النهاري للكوكب يفيض بالحرارة والصخور المُنصهرة، وهذا واضح. لكن هناك أيضًا.. عاصِفة تُطلقون عليها اسم «الاضطراب العظيم»؟ هل هذه العاصِفة أشدّ عنفًا من تلك التي اخترقناها في الظلام؟».

همست كومباشن: «أجل، يتبع «الاضطراب العظيم» غروب الشمس، عندما يذوق الكوكب أولى لحظات الليل. إنها عاصِفةٌ قويّة من العُنْفِ الشديد. وعندما تبرد الأرض أخيرًا، وتهدأ العاصِفة، يفرد الظل جناحيه.. ويتشكّل غطاء السُحب الذي نختبئ بداخله. وهذا الحد هو المكان الذي تُحصّد منه قلوب الشمس».

قال نومات: «لنغر عليه هناك إذن، لنهاجم نقطة التجميع ونسرق بعضها، كم يبعد ذلك المكان؟».

قال زيل: «يُمكن للرحلة، بواسطة مركبةٍ سريعة، أن تستغرق أقل من ساعةٍ من الفجر القريب وحتى «الاضطراب العظيم»».

ومرّةٍ أخرى، وجَد نومات نفسه مصدومًا من صغر حجم هذا الكوكب. فوفقًا لتقديراته السريعة، لا يتجاوز قطره متّي ميل. أمرٌ مُذهل.

قال: «نملكُ فرصةٍ إذن، فلدينا ساعتان ونصف، للطيران إلى هناك، وسرقة قلوب الشمس، ثم العودة إلى هنا».

قالت كوفندنس وهي تطوي ذراعيها النحيلتين: «لن ينجح هذا، فقد داهمناه مؤخرًا، ولن يؤخّذ على حين غرّة مرّةٍ أخرى».

قال زيل: «رُبما، لكن لو سمحتم لي بتقديم حجّةٍ مُضادة، فلا يُمكنه أن يتوقّع نجاتنا من هذا الصعود، أليس كذلك؟ ففي تصوّره، لقد هلكنا، وحقّق النصر بذلك. رُبما يُمكننا سرقة مركبةٍ استطلاعٍ تابعة لـ

«يونيون»، حتى لا يكتشف أحد هويتنا، ونقترب بها يكفي لنسرق بعض قلوب الشمس من مركباته مباشرةً».

قالت كونتمبليشن: «نسرق إحدى مركباتهم؟ في هذا الوقت؟ صحيح أن لحديثك ما يُبرِّره، وقد يفترض أننا هلكنا. لكنني لا أستطيع أن أتصور سرقة مركبة، وتنفيذ هذه الخطة، في الوقت الذي لدينا. سأنتفح مع كونفدنس يا زيل، فقد امتلكننا أسابيع للتخطيط للغارة السابقة، كما باركننا جهازك الذي يُمكنه تجميد مُنْفَحِميه».

وعدها زيل قائلاً: «يُمكنني القيام بذلك، أرجوكم.. دعوني أحاول إنقاذ شعبنا». تدخل نوماً قائلاً: «أو.. يُمكننا تجربة شيء آخر». ثم أشار بإبهامه للأعلى وأضاف: «إن مركبة إيلجي هذه، «دونتشيستر»، صحيح؟ مُنْقَبَة مُعَزَّزَة؟». قالت كونتمبليشن: «ماذا عنها؟».

-«كما تفضلت وشرحت سابقاً، دائماً ما يجمع ملك الجمرات قلوب الشمس الخاصّة به بعد انقضاء العاصفة. ماذا لو لم نتظر؟ ماذا لو طرنا وسبقناه، وسرقناها من الأرض قبل أن يصل إليها؟ داخل العاصفة؟».

حدّثوا فيه جميعاً بذهول.

يقول الفارس: حسناً، هذا مُمتع. تُعجبني الطريقة التي تُذهل بها عقولهم.. إنها لطيفة.

صاحت كونفدنس: «ننحو من «الاضطراب العظيم»؟ هذا مُستحيل تماماً».

قالت كونتمبليشن: «لا يدخل أحدٌ إلى قلب العاصفة، هذا ضربٌ من الجنون».

أجابها نوماً: «هذا ما قيل عن العاصفة التي ضربت عالمي، لكنني أعرف شخصاً نجا منها، ثم أُلهم مجموعة منّا للقيام بالشيء نفسه». أشار نحو مركبة إيلجي مرّة أخرى، قبل أن يُضيف: «لقد أخبرتموني بأنها قد عُزِّزَت لتطير عبر العاصفة».

قالت سُلِمَتِي ديقاين: «لكن لم تتسنّ لها الفرصة أبداً لسبر أغوار العاصفة! لقد ساهمت في تعزيزها، لكن لطلما أخبرتنا أجهزة الاستشعار أنها ستموت.. ولطلما انسحبت».

سألها نوماً: «ألم تُخلِّق أبداً في قلب «الاضطراب العظيم»؟».

قالت ريبكي: «لا، لأنها ليست مجنونة».

أشار نوماً بيديه جانباً، مُشيراً إلى المركبة الموجودة أدناه، المركبة التي تمكّنت من عبور جبل لتوها، قبل أن يقول: «إنه يوم الجنون يا قوم، يوم مُناسب للمُجازفات».

حلّ الصمت العميق عليهم جميعاً.

قال زيل: «سأشارك، لنفعلها أيها الرجل الذي أضاعه نور الشمس. لنسرق من الشمس نفسها».

انطلقوا خلال أقل من عشر دقائق.. وهو مقدار الوقت اللازم لفك تثبيت مَرَكَبَة إيجي وتجميع فريق زيل. كان الأشخاص الأربعة أحسن من بقية سُكَّان المنارة الذين التقى بهم.. وارتدوا قُفَّازات عمل سميكة، وبدلاً من القماش الخشن، ومعاطف طويلة. وعندما تحدّثوا اكتشف أن كلماتهم تفتقر للطف وتنصّح بالخشونة.

بدأ يظن أن هؤلاء الأشخاص أحاديون، وهو اعتقاد خاطئ تمامًا. فحتى الشقيقين يُمكن لهما أن يُبرزا ثقافتها وتربيتها بطرقٍ مختلفة.

كلّف نومات ريبكي بمهمة الطيران الفعلي، ثم انطلقوا، وكشطوا الأرض الموحلة، أثناء مُغادرتهم للمنارة -أو ما تبقى منها- مُختبئة بين أحضان ظل الجبل، وعاجزةً في مواجهة الشمس المُتقدّمة. تمنى نومات لو كانت «دونتيسر» أكثر حيويّة.. وأقل شبيهًا بالحشرات المُتفخخة.

قال أحد أعضاء فريق زيل: «دعوني أتأكد من أنني فهمت الأمر بشكل صحيح». كان رجلاً ضخماً البنية، يرتدي قدرًا كبيرًا من الجلود، حتى إن نومات تساءل عمّا إذا كان قد قتلَ ممرًا كاملًا من الوحوش ليصنع زيّه من جلودهم، تابع الرجل حديثه قائلاً: «سنطير إلى قلب العاصفة المجيدة نفسها».

وقف زيل فوق أحد المقاعد المُجاورة للحائط، مُتكلِّمًا عليه، بذراعين معقودتين، وقال: «بالضبط».

تابع الرجل حديثه قائلاً: «ثم سنخرج من المَرَكَبَة -التي ستكون لا تزال في قلب «الاضطراب العظيم» كما تذكرون- لنجد قلوب الشمس المباركة؟».

قال زيل: «أجل، حسنًا.. ستخرجون من المَرَكَبَة لتحصدها يا هاردي. سأدير العمليات مرتاحًا من داخل المقصورة، ورُبما أتناول بعض كعك الشاي. علمًا بأننا تخلصنا من جميع آلات الحصاد لدينا، لذا ستحتاجون إلى حصدها بشكل يدوي».

قهقه أفراد الفريق. ومما فهمه نومات، كانت هذه هي الطريقة التي يُديرون بها العمليات.. حيث يُنظّم زيل الفريق ويُحافظ عليه، لكنه يعتمد على الآخرين للقيام بمعظم العمل الميداني.

قال هاردي: «أيها الحمقى المباركون.. نحن جميعًا فريق من الحمقى المباركين».

يقول الفارس: لحظة.. هل يستخدم هذا الرجل كلمة (مباركون) ك.. كسبة.

قال نومات باللغة الأليثية: «إنه مُجتمع مُتديّن ومُحافظ، حيث يستخدم المرء ما يتوفّر له من ألفاظ». ثم تحدّث بلغتهم المحليّة، قبل أن يتمكن أيّهم من التدخل، قائلاً: «لن نخرج أيّكم إلى قلب العاصفة، سأخرج بمفردي. لقد جلبتكم لأن زيل أصرّ على وجودكم هنا كفريق دعم».

حدّق به أربعتهم بدهشة، ثم أومأوا برؤوسهم في آنٍ واحد.

قال هاردي وهو يستقر في مجلسه: «حسنًا، هذا يُناسبني تمامًا، أيقظوني عندما نصل إلى هناك».

قال زيل مُبتسمًا: «ستعلم حينها، ستعلم حقًا». ثم نظر إلى نوماد قائلاً: «نحن ندعمك أيها الرجل الذي أضاءه نور الشمس. يكفيني أنك آمنت بنجاح ذلك».

أوماً نوماد برأسه، ثم قال: «أقدر لكم هذا».

وفي ركن الغرفة، بدأت إليجي تتحرك أخيرًا. كانوا قد أحضروها معهم، مثل ذي قبل، لأنه لم يكن هناك مكان آخر ليضعوها فيه. افترض أن بإمكانهم حبسها في جزء عشوائي من سطح المنارة، لكن في خضم جنون السرعة أثناء الاستعداد للمغادرة، لم يفكر في ذلك بصراحة.

رمت بعينيها وهي تستيقظ، ثم انكشفت في الزاوية، وحدقت بارتباكٍ وحشيٍّ في الفريق، حتى استقرت عيناها على نوماد. ثم بدا أنها قد استرخت قليلاً، عندما تعرّفت عليه.

استدار وصعد إلى المقصورة مع ريبكي، راغبًا في إبقاء عينيه موجّهتين للأمام. ديدنه الفرار المتواصل، وترقب الفرصة السانحة للقفز.

يقول البطل: هل يراودك القلق من مدى ثقة هؤلاء الأشخاص هناك بك؟

قال نوماد: «ليس إذا ساعدنا ذلك جميعًا على المضي قدمًا».

- لكن هل سيصدقونك القول إذا كانت هذه فكرة سيئة؟

- «لقد أخبروني بذلك بالفعل».

ووافقوا على القيام بها على أي حال.

قال نوماد: «لأنها ستنجح». ثم استقر في مقعد مُساعد الطيار بجوار ريبكي. توهج فلق من قلب شمس على لوحة التحكم بجوارها. لم يكن به الكثير من الشحن، لكنه شعر بالدهشة لرؤيتها، فقد ظن أنهم قد جمعوها جميعًا واستخدموها كمصادر للطاقة لهذه المركبة.

قالت له: «شكرًا لأنك سمحت لي بالمجيء. فالآخرون يُعاملونني دومًا وكأنني مُجرد.. تذكّار أو رمز أو...».

قال نوماد: «تميمة».

- «لست على دراية بهذه الكلمة».

- «تعني تعويذة لجلب الحظ السعيد».

قالت: «لأنهم اتبعوا شقيقتي، مُرشدتهم العظيمة، وبدرجة أقل شقيقي». تهدج صوتها قليلاً عندما ذكرته، لكنها تابعت حديثها قائلة: «لكنهم لم يتبعوني».

قال نوماد: «لأنك شابة، وعادةً ما يُقلل الناس من شأن الشباب».

قالت: «هل يُمكنك أن..». أخذت نفسًا عميقًا، واستجمعت شتات نفسها، ووضعت يديها على أدوات التحكم، قبل أن تستكمل سؤالها: «هل يُمكنك أن تُعلمني كيف أكون قاتلة؟».

- «لستُ جيّدًا في ذلك الأمر بنفسِي في الآونة الأخيرة».

سألته: «ماذا تقصدُ؟ لقد شهدتُ مُقاومتك، وأعلمُ أنك قاتِلٌ».

ابتسم، طالما أنها ترى فيه القاتِلَ الذي كان عليه يومًا، ثم قال: «ليس لديّ الوقت الكافي لأعلمك هذا الآن يا ريبكي. امنحيني بضعة أسابيع، وقد أستطيع تدريبك على بعض الفنون القتالية، لكن هذا بالكاد سيكون تدريبًا على القتال، لأن التدريب على القتل.. أمرٌ آخر».

- «أليس الأمران سيّين؟».

- «يتطلّب أحدهما مهارة، أما الآخر ف...».

سألته بصوتٍ خافت: «عدم وجود ضمير؟».

- «يُعتقد وجود الضمير من الأمر، لأن التدريب القتالي يتمحور حول تهيئتك للتصرّف بغض النظر عن الضمير.. عادةً عبر التكرار. وتدرّب عليه ليتعلّم جسدك ما ينبغي القيام به قبل أن تُعني التفكير في معناه.. أو فيها سيُكلّفك الأمر».

همست: «يبدو هذا مرّوعًا».

- «أنت من سألت».

تشبّثت بعجلة القيادة بقوة، وعيناها موجّهتان للأمام.. رغم فرض الظلام لقبضته على المشهد. فقد دخلوا في ظلّ غطاء السحب، والمطر ينهمر على الرُجاج الأمامي.

قال: «ليس من الضروري أن تكوني قاتلة لكي يحترموك يا ريبكي».

- «وما الحل إذن؟».

- «اتبعي حدسك، واستمري في القيام بما يتعيّن عليك فعله، وستُحقّقين ذلك».

- «متى؟».

أجابها قائلاً: «لا أستطيع أن أخبرك بذلك، لكن لا تتحرّقي شوقًا. دعيني أوكد لك أن هناك أوزارًا للمسؤوليّة قد لا تضعينها في حُسابك».

نظرت إليه، وسألته: «هل هذا ما حدث لك؟».

- «دعينا نقول إنني والقيادة لم نتوافق سوياً».

- هذا غير صحيح يا نوماد، فأنت قائد جيّد.

قال: ««جيّد» قد لا تكون كافية يا أوكس. فالحياء، مثل المقاييس العلميّة، غالبًا ما تعتمد بشكلٍ كُليٍّ على إطارك المرجعي». ثم تحدّث بلغتها، ليمنع ريبكي من التفكير: «أعتقد أن إليجي تتحسّن».

قالت ريبكي بلهفة: «هل تذكّرت شيئًا؟».

أجابها قائلاً: «لا، لكنها لم تبدُ وحشيّةً للغاية سابقًا، أو مُتحمّسةً للغاية لقتل كل من حولها. لقد حظينا بمحادثة قبل أن نتجاوز الجبل، وأعتقد أن تلك المحادثة قد مسّت شغاف قلبها».

قالت ريبكي: «شكرًا على اهتمامك بها».

قال نوماد: «أميل بطبيعتي للتعاطف مع الجنود المهملين، فقد كنتُ واحدًا منهم ذات يوم». أوماً برأسه نحو فلق قلب الشمس.. مجرد قطعة، أصغر من الخنصر البشري، قبل أن يقول: «ما هذا؟».

نظرت إليها، ثم قالت بصوتٍ خافت: «روح والدتي، لقد استنزفَ جوهرها بالكامل تقريبًا خلال عملية الهروب. أعطتني سلميتي ديثاين هذه القطعة الصغيرة، لأنني اعتقدت أنني قد أرغب في إبقائها بالقرب مني أثناء هذه المهمة».

-«أتريدين ذلك حقًا؟»-

قالت: «لا أدري، فقد بدأت أشك في أنني ربما أفرط في التركيز على الموتى، دون أن أولي الأحياء الاهتمام الكافي».

يُعلّق الفارس قائلًا: كلمات غريبة من امرأة تعيش في مجتمع يمده الموتى بالطاقة اللازمة للحركة.

أخذها نوماد من على لوحة القيادة. كان لا يزال بحاجة لطريقة لتعديل روحه، ليجهّزها للقتال -القتال الحقيقي- إذا اقتضت الحاجة لذلك. سألها: «هل تُمانعين إن أخذتها إذن؟».

أجابته: «تفضّل، ظننتُ أنني سأشعرُ بها، إذا أبقيتُ قلب شمسها بالقرب مني، لكنني لم أشعرُ بها». تدبّر في الأمر، وهو يُقلّب فلق قلب الشمس بين أصابعه. ثم استرخى في مقعده، وأغلق عينيه، قبل أن يُتمتم: «يا لي من أبله».

يقول الفارس: الآن، أنت لست أبله يا نوماد. فالأبله هو الشخص الذي لا علم لديه ولا قدرة. أما أنت فشيء آخر؛ أنت تمتلك علمًا وقدرة تُسيء استخدامهما. وهذا يجعلك أحمق.

-«وأُتيت بهذه التعريفات من...»-

-وت، بطبيعة الحال.

-«بالطبع».

-لماذا تقول إنك أحمق إذن؟

قال وهو ينقر الفلق بظفره: «لقد عملت قلوب الشمس هذه مع إلجي، لأن كل من يعيشون في هذا الكوكب مُرتبطون معًا. لا أدري كيف أو لماذا، لكن أرواحهم ترى بعضها البعض كروح واحدة، كما أنهم قادرون على مشاركة الحرارة مع بعضهم البعض. إن هذا الأمر مُتجذّر بعمق في ثقافتهم. لكنها لم تُجد نفعًا معي، حتى عندما أردت الأمر بشدة. لذا...».

-لذا فقلب الشمس هذا لا يستمد القوة من قلبك، لأنه من هذا الكوكب، أما أنت فلا.

«بالضبط، الرابط اللغوي ليس كافيًا. أحتاج لشيء أكبر لأتمكّن من استخلاص حرارته». كان بإمكانه امتصاص طاقتها، كما يفعل مع كل أشكال وحدات الادّخار تقريبًا. لكن قلوب الشمس ترفض السماح له

بإعادة أي شيء، لتطهر روحه، لأنها لا تتقبله كفرٍ منهم.

- إنه عديم الفائدة بالنسبة لك إذن؟

قال: «ربما يُمكنني اختراقه باستخدام أحد الأجهزة النادرة، التي لا أملك صلاحية الولوج إليها هنا». تنهَّد، ونهَض من مقعده.

لقد كان قريباً للغاية من الإفلات من العذاب، قبل أن يُدرك استحالة الأمر، وها هو يشعر وكأنه أمام طريق مسدود.

أراد أن يتحرَّك، بشكلٍ ماديٍّ، وليس في مركبةٍ فحسب. دلف إلى الغرفة الخلفية، لكن لم يكن في انتظاره مساحة كبيرة يُمكنه أن يزرعها جيئةً وذهاباً. تجمَّع زيل وفريقه - باستثناء هاردي، الذي غطَّ في نوم عميقٍ بجوار الحائط - وتناولوا بعض الطعام سوياً في مرح واستمتاع.

يتساءل الفارس: كيف لهم أن يشعروا بمثل هذه السعادة، وهم على حافة الهلاك.

أجابه نوماد: «لظالما عاشوا على حافة الهلاك، أفترض أنهم تعلَّموا كيف يجدون السعادة في لحظات ما بين الكوارث».

- ما خطبك إذن؟ لماذا لا تستطيع القيام بذلك؟

طرح المُساعد سؤاله هذا ببراءة؛ وعرفه نوماد جيداً بما يكفي ليُدرك ذلك، حتى دون أي نغمات صوتية. ورغم ذلك فقد شعر وكأنه تعرَّض لطعنةٍ حادة.

أعرَّض عن الضاحكين، واستقرَّ جالساً على مقعدٍ بالقرب من الحائط. همست إليجي: «إنهم يعرفونني أيضاً».

نظر إلى حيث جلست، مُقيّدة بالسلاسل. علِم أن بعض النساء القائئات على رعايتها قد ساعدنها على تلبية احتياجاتها الجسدية في وقتٍ سابق، لكنه خجل عند رؤية الجروح على جانبي الأغلال، وكذلك حالة ثيابها التي لم تبدل - ذلك الرداء الطويل المفتوح من الأمام، والبنطال - منذ أن أخرجوها من الوحل.

ركزت ناظرها على زيل وفريقه، وبدت نظرتها.. مُشتتة؟

كان من الصعب فهم التعبيرات التي تحتل قسما وجهها.

تابعت حديثها قائلة: «لا ينفكون يُطالعونني، وكأنهم يتوقعون رؤية بصيصٍ من الود، وكأنني.. لا أعرف. لقد اعتدت أن أملك من البلاغة اللغوية ما يكفي لي لوصف هذه الأشياء، لكنني لم أعد كذلك».

قال: «إنهم يعرفونك، كل من في المنارة يعرفك».

قالت: «لا أتذكركم، رغم أنهم يتذكرونني. وعلى الرغم من ذلك، فإنهم لا يعرفونني، ليس بعد الآن».

قال: «قد يمنح ذلك بعض الناس الشعور بالتحرُّر. لقد تحرَّرت كلياً مما كنت عليه يا إليجي. ويُمكنك أن تُصبحي ما تُريدينه. هناك الكثيرون ممن يرغبون في التخلُّص من أعباء ماضيهم».

- «مثلك؟».

قال: «لا، ليس مثلي». ثم نَظَرَ إلى السقف، مُتَمَنِّياً لو أن بإمكانه رؤية النجوم، وتابَع حديثه قائلاً: «لا أحب ما أنا عليه بشكل خاص، لكنني أعتز بها تعلّمته عن نفسي، مما يُتيح لي أن أثق في بعض الحقائق». قالت: «لا أعرف فيمَا أثق أو بما أؤمن، فقد كان الصوت الذي يسكُن رأسي واثقاً للغاية». سألتها: «هل تعتقدين أنه يعرفك؟ من ستتبعين يا إليجي؟ الشخص الذي يأمرُك بالقتل؟ أم الشخص الذي كُنْتَ عليه من قبل؟».

-«لا أعرف هذا الشخص؟»-

أوماً برأسه نحو الآخرين، ثم قال: «لقد ألهمتَ نفسك القديمة كُلَّ هؤلاء للقيام بذلك. كُل ما يفعلونه لنيل حُرّيّتهم، كان بسببها، بسبب إليجي القديمة». هزَّ كتفيه، ثم تابَع حديثه قائلاً: «لا يُمكنك أن تكوني هي، لكن يُمكنك الثقة في أنها كانت تعرف ما تفعله، من خلال القيم والمُجتمع الذي ساهمت في تأسيسه». انزلت للأسفل، وخفضت ناظرها، قبل أن تقول: «ربما يعود هذا الصوت. أشعر به يتجمّع، ويهمس في أطراف دماغي. قد يُفسد قلبي مرّة أخرى».

قال وهو يُخرِج قطعة قلب الشمس التي أخذها من ريبكي: «استخدمي هذا إذن». وضعه بين أصابعها المُقيّدة، وتابَع حديثه قائلاً: «احتفظي به. وإذا عاد الصوت، ردّدي تلك الكلمات: يا شديد البأس، الذي يقف على عتبة الموت، مدّ قلب الشمس هذا بحراري حتى يُبارك أولئك الذين ما زالوا على قيد الحياة». ردّدت الكلمات بصوتٍ خافت، قبل أن تسأله: «ما هذه الكلمات؟».

-«ستأخذ جزءاً من روحك، وتضعه في قلب الشمس. الأمر الذي لن يشحنه بالكثير من الطاقة للأسف، لكن روحك ستتخلّى بشكلٍ طبيعيٍّ عن الأجزاء الأقل.. شبهاً بك كما أعتقد. على أي حال، ينبغي على ذلك الشيء أن يُحافظ على عقلك. فهكذا ساعدتك على البقاء أكثر وعياً».

أوماً لها برأسه مُشجّعاً، ثم فتح أحد الأغلال. نظرت إليه بجوع، ووحشية مُعيّنة لا تزال تكمن بداخلها. ابتسم لها، لكنه ترك القيد الآخر مُعلّقاً. كان تحرير يد واحدة هو أقصى ما يُمكنه أن يمنحها دون قلق.

تركها تدرّس ذلك الفلق من روح والدتها. وتمنى ألا يكون قد منحها، بطريقةٍ أو بأخرى، الطاقة التي تحتاجها لتنشيط نفسها، والتحرُّر من أغلالها لتدميره. بحق العواصف، لقد ظنَّ أنه قد تجاوز ثقته في الأشخاص الذين كانوا يمثل هذه الخطورة. سار مُبتعداً والخوف يعصف بداخله. لكنه قرّر -إذ أصبح بارِعاً في القيام بذلك- تجاهل الأمر في الوقت الحالي. وبدلاً من ذلك، عاد إلى المقصورة لأنه سمع هزيم الرعد.

وصل في الوقت المناسب تماماً ليرى «الاضطراب العظيم» عبر الزجاج الأمامي وهو يُضيء الظلام أمامهم.

لقد كان مُشتعلاً بالنيران.

أغشى الضوء المفاجئ بصره؛ فرمش، وعينه تغرورقان بالدموع. لا ينفك ينسى أن سُكَّانَ المنارة يخفضون أضواءهم بشكل غير عادي، حتى في الداخل.

في البداية، بدأ المشهد أمامهم كفوضى من الألوان البُرْتقاليَّة والصفراء المتموجة.. كلوحة تجريدية، من تلك اللوحات التي يُجَبِّها الناثيون. وببطء، استطاع أن يُميِّز الفروق الدقيقة، وعينه تتكيَّفان مع الضوء. فمُعظَم الأجزاء المُشتعلة كانت بالأسفل، لكن دوامات اللهب الدوَّارة ارتفعت من الأرض وهي تتموج. وتوهج الضوء أولاً من مركز هذه الأعاصير، لكن حيث ضربت كُل واحدة منها السُحب، أشعلت ألسنة نارية لامعة السماء نفسها.

قال نوماد: «هل هذه نيران؟ لماذا تشتعل بها النيران؟».

انضمَّ إليهما زيل في المقصورة، وقال: «إنها عاصفة الاضطراب العظيم» التي تتبع غروب الشمس! لقد قلت إنك خُضت في واحدةٍ مثلها من قبل».

صاح نوماد: «لا يُفترض بالعواصف أن تشتعل بالنيران! إنها مُبلِّلة! ومليئة بالريح والأمطار!».

قالت ريبكي عابسة: «هل اقترحت الخطَّة، دون أن تعرف أنها ستكون مُشتعلة بالنيران؟».

فغر فاهُ في مواجهة الجحيم. إنهم لا يزالون في الجانب المُظلم من الكوكب، تحت جناح الليل، لكن بزوغ النهار كان يقترب بشدَّة.. الآن على هذا الجانب من غروب الشمس. رُبما ينبغي هذا أن يُخبره بما سيجده، لكن بحق العواصف! لقد سمع عشرات الأوصاف المُختلفة للجحيم من مُختلف الثقافات والتقاليد. ورغم أن الجحيم على كوكبه كان باردًا، تحدَّث كثيرون أُخر عن جهنم. المكان الذي تلتهم فيه النيران الروح، وتُذيب حرارتها الدهون تحت الجلد.

لم يعتقد أبدًا أنه سيرى مثل هذا المكان. استدارت المركبة، وانعطفت على طول المحيط، وحلقت بزواوية طفيفة لتلحق بالعاصفة.. التي سبقتهم، لتطارِد غروب الشمس. على الأقل، لم يبدو أن هناك العديد من فوّهات الحُمم المفتوحة على مستوى الأرض. لكنه لاحظ شيئًا ما بالفعل.. لقد أصبحت الأرض باردة بسرعة غير طبيعية، وكأن هناك ما...

همس: «هناك ما يسحب الحرارة، كما يُمكن لأجسادكم أن تسحبها من بعضها البعض».

حدقوا فيه بغباء واضح، لكن بدا أن هذا هو التفسير الوحيد المُمكن. هناك شيء غريب في لبِّ هذا الكوكب، فقد خُلِق بجاذبية أكبر بكثير مما ينبغي مُقارنةً بحجمه.. لذا فإما أنه كثيفٌ بشكل غير معقول، أو مُدخِرٌ بشكل لا يُصدَّق، وبدا أنه يميل نحو الاحتمال الثاني. والآن بدأ هذا اللبُّ بسحب الحرارة، وتبريد الأرض.

وتسبب هذا التبريد السريع للغاية إلى تصدع وتهشم الأرض، مُطلقًا..
قال مُحَمَّدًا: «غازات.. غازات قابلة للاشتعال، كعرض جانبي لأشعة الشمس التي تهب على المكان، لكن كيف.. فعادةً ما ينطلق الميثان عن طريق التحلل، وهو ما لا يحدث هنا بكل تأكيد».
نقرت ريبكي على بعض الشاشات التي تُتابع تقدمهم، ثم قالت: «نحن نقترّب من حدود الممر، وما زال لدينا قدرٌ جيّدٌ من الوقت. قد يكون أمام المنارة ساعتان إلا ربع حتى يطالها نور الشمس».
أوماً نوماد برأسه، وتحقّق من الوقت.
تابعت حديثها قائلة: «سناوجه كشافة ملك الجمرات قريبًا، ما لم ندخل في قلب العاصفة. هل أنت متأكد من رغبتك في القيام بذلك؟».
سألها: «هل يمكن لهذه المركبة التعامل معها؟». اندلع إعصارٌ نارِيٌّ بجوارهم.. وتدققت دوامة من الدخان والرماد من الأعلى، قبل أن تنفجر باللهب.
قال زيل: «رُبما! إنها تحتوي على أكبر قدرٍ ممكِن من العزل، وبعض آليات التبريد كذلك. هذا بالإضافة إلى الدروع.. حسنًا، رُبما؟».
قال نوماد: «الوقت يمضي». أوماً زيل برأسه. لا يتوقّف الوقت عن المضي بالنسبة لنوماد، الذي تابع حديثه قائلاً: «لنسبر أغوارها».
قلبت ريبكي أحد المفاتيح.. فهبطت درع سميكة ومقاومة للانفجار لتحمي الزجاج الأمامي. طارت بهم إلى قلب العاصفة مُستعينة بالآلات، وهو شيءٌ لم يُجده نوماد على الإطلاق. حيث كان يُفضّل أن ينطلق، وشعره يتطاير في مهب الريح، وهو يُمسك بالخناق بين أصابعه.
توقّع بحماقة تامّة عاصفةً مُشابهة لتلك التي تجتاح عالمه. ظلام يفيض بالفوضى، يشقّه البرق أحيانًا. كما توقّع هطول المطر.. وهو ما يُذكره دائمًا بروشار بأفضل طريقةٍ ممكنة. فهناك شيءٌ مُريحٌ في صوت الماء وهو يضرب المعدن أو الحجاره؛ بإيقاعٍ بدائيٍّ مُمتع. وهو الأمر الذي يُشبه صوت نبضات قلب العالم، وهي تتسارع بفعل الإثارة.
كان أصدقاؤه يُفضّلون الريح في تلك الأوقات، ولم يستطع نوماد لومهم على ذلك. لكن بالنسبة له، أصبح المطر هو مظهره المُفضّل للعاصفة. أحبّ المشي تحت سيوله، والشعور بها وهي تُنظفه.
وافترض أن بإمكانه النجاة من براثن أي عاصفة، ما دام المطر ينهمر.
لكنه اختبر شيئًا مُختلفًا تمامًا هنا، حيث ترنّحت المركبة وتلاطمت، لكن دون صوت الماء المُريح على سقفها. إن هذه العاصفة تبدو خاطئة تمامًا، حيث تُشبه الانهيار حزنًا دون ذرف أي دموع، عندما تنكمش في الزاوية، وتكافح للسيطرة على مشاعرك، لكن بطريقةٍ ما -رغم الألم الذي يملك حدّ الانفجار- لا تستطيع أن تُفرج عن أي غضب على الإطلاق.

جُنَّ جنون الأرقام على لوحات القيادة، وأشار زيل إلى مقياسين للحرارة.. أحدهما يقيس درجة حرارة السطح، في حين يقيس الأصغر درجة الحرارة داخل المركبة، حيث استمر كلاهما بالارتفاع بثبات. قالت ريبكي: «سيتوجب علينا أن نُسرِع».

أجابها نوماد: «أتمنى لو نتمكن من رؤية ما يحدث بالخارج». ثم انخفض عندما هزَّ إعصارُ المركبة، قبل أن يُضيف: «لنتجنب النيران».

قالت ريبكي: «التحكُّم عن طريق الآلات أفضل، سأقودنا مباشرةً إلى ممرِّ ملك الجمرات.. والخط الذي يجعل «يونيون» تنطلق فيه دائماً. وسأصل بنا إلى خطِّ الطول المناسب، ثم سنستخدم المنقبة للبحث في المنطقة حتى نجد ما نبتغيه. وأتمنى أن نكون قادرين على القيام بذلك قبل أن نحترق».

أوماً نوماد برأسه، إذ وجدَ الروائح المفاجئة للحجر المحترق ورماد الكبريت تفوح. ولم يكن بإمكانه أن يفعل شيئاً خلا الوقوف هنا، برفقة زيل، وبقية أعضاء فريقه، يُراقبون القراءات وهي ترتفع بقلق، بينما تُخلِّق بهم ريبكي بعيداً في قلب تلك العاصفة النارية الرهيبة.

همس: «إلى قلب الجحيم ذاته».

تمتم زيل: «الجحيم عبارة عن غابة، مليئة بالأشجار الهادئة والموتى المضطربين».

وبحلول الوقت الذي وصلت فيه ريبكي إلى الموقع المناسب، كانت درجة حرارة الغرفة قد ارتفعت بما يكفي حتى إن نوماد بدأ يشعر بالضيق. ورغم أن أثر ذلك على الآخرين كان كالعذاب، لم يشترك أحدهم.

حلقت ريبكي على ارتفاع مُنخفض، واستخدمت الرادار لتقرأ التضاريس الطبيعية، ولتمنعهم من الاصطدام. كشطت الأرض حديثة التكوُّن بمعدِّة التنقيب -التي تُشبه كاشف معادن مُثبت في الجزء السفلي من المركبة، والمصمَّمة للعثور على وحدات الادِّخار- بحثاً عن قلوب الشمس المُخبَّأة في الأرض.

على الأقل في هذه الحالة، يُمكنها تجنُّب أسوأ الأجزاء المُتصدِّعة من الأرض.. عندما تظهر على شاشة الرادار، مما قد يسمح لهم بتفادي أسوأ الانبعاثات الغازية. ماذا لو كانت تلك الغازات سامة؟ توقَّف نوماد -بحذرٍ شديدٍ- عن التنفس.. لكن البقية لم يحظوا بتلك الرفاهية.

قال المُساعد: «هناك، لقد صدر صوت أزيز عن لوحات تحكُّم المنقبة للتو».

قال نوماد: «عودي». فعلها ثقةً في المُساعد، الذي رغم أنه يستخدم أذني نوماد، لكنه يستخدمها أفضل منه، تابع حديثه قائلاً: «ريبكي؟ عودي.. لقد سمعتُ شيئاً ما».

نظرت إليه، وهي تتصبَّب عرقاً، ثم أومات برأسها. نظرَ نوماد إلى قراءات الحرارة، التي اصطبغت كلها باللون الأحمر. بحق العواصف! ربما كانت تتراجع بأقصى سرعةٍ مُمكنةٍ نحو هواء الظل البارد. ونسيَّت، في خضم الحرارة الخانقة المفاجئة، كلَّ شيءٍ عن المهمة.

ورغم ذلك، دارت بالمركبة إلى الخلف.

وبينما يُخلِّقون فوق بُقعة بعينها، صَدَرَ صوتٌ أزيزٌ خافِتٌ للغاية عن لوحة التحكُّم.. غير مسموع تقريباً بسبب صخب العاصِفة بالخارج، وأنين هيكل المركبة.

قال زيل: «بحق الظلال! كيف سمعت ذلك؟».

تجاهله نوماد، وأسرع نحو الباب، قال: «سأخرج، ابقوا بالقرب مني». استجمع شتات نفسه، ثم فتح الباب، وخرَج، قبل أن يُغلِّقه خلفه.

أعماه الضوء المفاجئ للسماء المحترقة. لحسن الحظ، لم تتصاعد ألسنة لهب الجحيم من أي مكانٍ قريبٍ منه، لكن جلده -على الرغم من حماية جسده- بدأ يحترق، وآلمه ذلك! اللعنة!

شكَّل المُساعد على هيئة مجرقة بين يديه، وقفز من فوق سطح المركبة، نحو الأرض أدناه. سقط بقوة، وخرَّ على رُكبتيه فيما بدا وكأنه أرض طينية.. لكن عينيه لم تميِّزا سوى لونٍ بُنيٍ غامضٍ بينما جففتها الحرارة. رفع ناظريه للأعلى عندما ضربته عاصِفة من الرياح المُشتعلة. ونَجَح في الرمش بعينه مرَّة، قبل أن تختفي المركبة.

ماذا حَدَث للمركبة؟ هل حطَّت؟ هل حلقت بعيداً؟ هل دخلت في أعماق العاصِفة؟ لم يعرف إجابة أسئلته، لأن كل شيء تحوَّل للون الأسود.. لقد توقفت عيناه عن الرؤية.

- بحق العواصف يا نوماد! تستهلك هذه الحرارة قوتك بالسرعة القصوى. نحن نفقد وحدات الأذخار بمعدلٍ مُرعِب، وقد وصلنا لأقل من خمسة بالمئة من سعة القفز بالفعل.

تأوّه نوماد وبدأ بالحفر، ونحى الألم جانِباً.. الذي ثبت أنه أخف عندما بدأ في التلاشي، وكانت هذه إشارة تُنذِر بالسوء. فهي تعني أن جلده قد احترق بعمقٍ كافٍ حتى ظهرت أعصابه. سيعتمد جسده على وحدات الأذخار المُخزَّنة ليبقى على قيد الحياة.. لكن في مواجهة الضرر الرهيب الذي يحدث حالياً، ركَّز جسده على الحفاظ على أنظمتها الأساسية، وتخلَّى عن أشياء أقل أهمية مثل النهايات الحسية والنظر.

يقول البطل بصوتٍ خافت: أعتقد أنها كانت فكرة سيئة للغاية.

ومع ذلك، فقد بدت الأرض أكثر برودةً من الهواء. تخلَّى نوماد عن فكرة استخراج قلب الشمس، وقرَّر أنه بحاجةٍ للانخفاض وحماية نفسه. شعر بجلده يتقشَّر، وبشعره يحترق مرَّة أخرى.

انخفض لأقصى درجةٍ مُمكنة، ثم شكَّل المُساعد على هيئة درع كبيرة، ووضع بينه وبين السماء. كان من الصعب معرفة ذلك دوناً أعصاب، لكنه تمنى أن تتوقَّف الأضرار التي لحقت بجسده، كما تمنى ألا يحترق حتى الموت بعد الآن. فطالما كانت أعضاؤه الأساسية ودماغه قادرين على المضي قدماً..

أقل من ثلاثة بالمئة من سعة القفز.

أرسل نوماد شعوراً بالهدوء إلى المُساعد، ليطلب منه أن يترك الأمر كما هو عليه. لم يكن بحاجةٍ إلى التقارير؛ فإما أن يحيا.. أو أن يموت.

اشتدَّت الرياح، وشعرَ بالتراب والغبار يضربان درعه من الأعلى. سيطر الضباب على دماغه، فتاهت فيه أفكاره. بفعل الإرهاق المُستمر من عدم النوم مُطلقاً، والركض المُستمر أمام مشاكِله طوال الوقت.. التي لم

تتوقّف عن مُطارِدته، وحالة الصيد الدائمة ورائحة الدماء التي لا تتوقّف. هدده الإرهاق برميه في هاوية طائشة، التي قد تُمثّل -في حالته الحالية- النهاية التامة.

قاومها، وأجبر نفسه على تحليل الأرض من حوله. ركّز، وفكّر، ولم يترك نفسه فريسةً للتلاشي. وكالعادة، تساءل عقله الحائر - ذلك العقل الذي يدفعه لطرح الأسئلة على الدوام، ذلك الجزء الملعون منه الذي قاده ليُصبح تلميذ هويد في المقام الأول.

تسحب الأرض الحرارة. كان مُتأكدًا من ذلك، فقد شعّر، بأخر خفقات أعصابه.. بشيء يُحاول سحب وحدات ادّخاره بعيدًا إلى أعماق الكوكب. لا يُمكنه حصد وحداته، لكنه حاول على أي حال.

يتغذى لبّ الكوكب على وحدات الادّخار، مثله تمامًا. هل كان هذا دليلًا على كيفية عمل كل هذا؟ ساعده ذلك في تفسير كيفية وجود الجانب المظلم من الكوكب، فقد كانت أنماط الطقس التي توقع أن تستهلك كل شيء هادئةً بطريقةٍ أو بأخرى بسبب هذا التبريد السريع، مما خلق حاجزًا بين الجانب المظلم والنور.. رُبما؟

لكن لماذا كان نور الشمس ساخنًا للغاية؟ ورغم ذلك استطاع الوقوف فيه على سطح المنارة؟

هل.. هل نومات هو من يعتقدونه؟ بحق العواصف! هل هو.. بطريقةٍ ما..

لا، لم يكن بطلاً أسطوريًا. لقد خذَل هؤلاء الأشخاص عبر المضي قدمًا في تلك الخطة للدخول إلى قلب العاصفة. لقد كانت العلامات نصب عينيه؛ تردّد المُساعد، واحترام الآخرين المُفرط لأفكاره. لقد قام بما اعتقدوا أنه ضربٌ من المُستحيل عندما تجاوز الجبال. لكنه آنذاك، استغرق وقته للحصول على الحقائق، والعلوم، والبيانات؛ واختبر مُحركاتهم؛ وقام بمهمةٍ استكشافيةٍ؛ واستعان بمعرفة المهندسين.

كانت خطة هوجاء، لكنه تحقّق منها مرّتين، كما أنها استندت إلى أساسٍ علمي متين. لكنه هذه المرّة، انتقى الاتجاه، وطرح الفكرة، وبدأ بالفرار.

ومثّلت تلك مُشكيلته لفترةٍ من الوقت، أنه رجلٌ اعتاد الفرار. لكنه الآن مدفون في الصخر، دون سبيل للفرار من نفسه، ووَجَد نفسه يميل للاعتراف بالأمر؛ لقد فشل! ولم تُخدمه خبرته -في هذه الحالة- بشكلٍ جيّد.

تعلم من قادة المعارك الحُكماء، أنه في الأوقات التي يسود فيها التوتر، غالبًا ما يكون اتخاذ أي قرار أفضل من الوقوف مكتوف الأيدي. لكن كان هناك تحذير بشأن هذه النصيحة، فرغم البلاغة التي يبدو عليها الأمر، لكن القادة الذين بلّغوا عن ذلك هم الذين عاشوا لفترةٍ كافيةٍ لنقله، وهم كذلك الذين لم يتخذوا أي قرار، في لحظات التوتر! وهذا ما يجعل قرارهم بعدم اتخاذ أي قرار أمرًا صائبًا!

لكن نصيحتهم كانت جيّدة، بافتراض أنك من النوع الذي يُجيد الحُكم في المواقف المليئة بالتوتر، وهو ما يفعله أحيانًا. أما هذه المرّة، فقد تورّط في الأمر بسُرعةٍ كبيرة، وقاد سُكّان المنارة لحتفهم.

حاول أن يشعر بالحجل من ذلك، حاول بشدّة. وبدلاً من ذلك، شعر بنفسه.. مُحدّراً ببساطة، وكأنه.. وكأنه عَرَفَ أن هذا سيحدث، وقد تقبّل جزء منه منذ فترة طويلة أن إخفاقاته ستلحق به أخيراً. انتشر الألم عبر ذراعيه وساقيه. لقد انخفضت وحدات ادّخاره بشدّة، وبدأ الشفاء يستغرق وقتاً أطول من المعتاد. لكن لحسن حظّه، كان هذا هو النوع الأسهل من الجروح، والذي يُمكنه التغلّب عليه بمواهبه الخاصّة. لم تؤثر الحروق الرهيبة بشكلٍ مُباشرٍ على أعضائه الأساسيّة أو هيكله العظمي. عَرَفَ جسده ما يجب عليه أن يفعله، وتغذّت روحه المُشوّهة -رغم كُرْهه التام للجزء الذي يمنعه من الدِّفاع عن نفسه- على وحدات الادّخار لتستعيده شيئاً فشيئاً.

لا يُمكن لسيّده، الذي حمل «فلق الفجر» لفترةٍ أطول، أن يموت. وكان نوماً أبعد ما يكون عن ذلك. أما اليوم -ورغم الألم المُبرح- عالج جسده الجروح. وعندما خفت الألم -ورمش ليستعيد عينيه من قبضة الظلام- أدرك أن بإمكانه سماع صوت المطر.

بحق الله! بإمكانه سماع صوت المطر!

تمكّن من قول: «أو كس! ما الوقت؟».

-لقد دُفِنَت لمدّة خمس عشرة دقيقة. لم يتبقّ سوى أقل من ساعةٍ ونصف حتى سقوط المنارة. ولم يتبقّ لديك.. أي وحدات ادّخار يا نوما د. ربما أستطيع استخدام البقايا للتحوّل، لكنك فقدت القدرة على الشفاء، وعلى التعزيزات.

أجل، لكنه عاد إلى الظل. لقد دار الكوكب، وسرعان ما ستصل قوَّات ملك الجمرات لحصد قلوب الشمس الخاصّة بهم. وسيجلبون معهم مَرَكَباتٍ يُمكن أن يسرقها. سيجدون مصادر الطاقة، وسيُمكنه أن يستولي عليها.

لا يزال بإمكانه أن يُنقذ المنارة، على افتراض أن بإمكانه العودة إليهم قبل شروق الشمس.

لم ينته السباق بعد، ولم ينته من الركض بعد.

تحرك نوماً، ودفع الدرع للأعلى، مُخترقاً الأرض.. مُعاقٍ، وعارياً، وعازماً على القيام بالأمر.

اقتصَرَ هدفه الأول على العثور على مخبأ، شريطة أن يكون هناك نتوءٌ حجري قريب، تُضيئه ومضات من البرق بين الفينة والأخرى. مكانٌ يُمكنه أن يختفي بداخله، وأن يسمع همسات المطر. لا يملك الكثير من الوقت، فقد وصلوا خلال خمسة وأربعين دقيقة، باستخدام مركبة إيجي البطيئة نسبيًا. وكان بحاجة لأن يُسرِع في العودة.

لكن لسوء حظّه، لم يملك سوى الانتظار.

وكان هذا من أكثر الأنشطة إيلاّمًا، لأنه على النقيض من إرادته. فعلى الأقل كان يتحرّك، حتى عندما تراجع. لكن في الوقت الحالي، لم يكن هناك أي شيء آخر يُمكنه القيام به، لذا حاول ترك المطر يُهدئ من روعه، ويُغلّفه. قد يكرهه الآخرون، أو يهابونه؛ لكنه وجد قوّته تعود تحت ستاره. لم تمر سوى دقيقتين، حتى ظهرت الأضواء، وجلبت برفقتها الأمل. ووصل فريق التنقيب المسؤول عن حماية ثروات ملك الجمرات، المكوّن من دزينة من المركبات على الأقل. فحصوا المنطقة، ثم استقروا في النهاية في الموقع الذي دُفن فيه نفسه. لم يبد أنهم قد ميّزوا قبره، وبدلاً من ذلك بدأوا باستخدام آلة للحفر في التربة.

بطيء.. بطيء شديد. راقبهم متألماً.

تسرّب ضوء الجمرات الأحمر من الأرض، ليمنحه مشهداً غير متوقّع. فالعديد من الحاضرين، المنهمكين في مراقبة العملية، كانوا من المتفحّمين. وفي الواقع، أليست هذه مركبة ملك الجمرات تلك التي هبطت هناك في الوحل؟ صُدم عندما رأى الطاغية بنفسه يسير على الأرض، مُتخليًا عن المظلة عندما اقترب من موقع الحفر.

راود نوماد الشك في قيام الملك بمثل عمليات الحصاد تلك. ففي الواقع، لقد بدا حذرًا، وعندما استخرج رجاله بعض قلوب الشمس، نظّر ملك الجمرات إلى السماء، وطالعتها بترقب.

يسأل الفارس: لماذا جاء إلى هنا؟ لماذا خرج تحت هذه الأمطار؟

همس نوماد: «لأنه يعرف أنني سأحاول القيام بشيء ما، إنه يتوقّع نشوب معركة».

- كيف؟ كيف له أن يعرف؟

حسنًا، ربما كلمة «يعرف» ليست الكلمة المناسبة لوصف الأمر. لكن من الواضح أن ملك الجمرات يتوقّع الأسوأ. وفي هذه الحالة، كان هذا يعني هذا أن يتأكد أن نوماد -البطاقة الجامحة من عالم آخر- لم يأت لحصاد قلوب الشمس تلك.

وتسبّب وجود هذا العدد الكبير من القوّات -بالإضافة لملك الجمرات نفسه- في تغيير خطط نوماد. لا يُمكنه القتال، لأنه ما زال لا يعرف كيف يُعالج قبح روجه، وقد لا يعرف ذلك أبدًا. لقد كان غريبًا للغاية

حتى إن بركاتهم المحليّة لم تنجّ معه.

لذا كان بحاجة لطريقة لا تنطوي على المواجهة للاستيلاء على قلوب الشمس تلك. وتشكّلت لديه خطة مُحتملة عندما حطّت مركبة بالقرب منه، أحرقت محرّكها الأرض، وتسبّب في ارتفاع حسيّس البخار، كما جعل الأرض تفوح برائحة الطمي الجاف. كانت مركبة ثقيلة، مزوّدة بباب ضخّم في جزئها الخلفي، فتحه أحد العمّال، ثم هروا نحو الحفر، حيثُ استخرج قلبا شمس رابع وخامس. لا يُمكن لنوماد سرقتهما، لكن ماذا لو انتظر حتى يُسلّموهما له؟

تسلّل عبر الظلام، قبل أن يدلف عبر الباب. وبالداخل، وجد عدّة خزانات كبيرة مُثبتة بمسامير إلى الجدران. كما وجد مساحة في الخلف ليختبئ فيها.

-إذن.. ما مدى احتمالات أن تكون هذه الخطة غبية؟

اعترف نوماد قائلاً: «كبيرة للغاية».

لكن في هذه الحالة، ما مقدار التخطيط أو الإعداد الذي يُمكنه القيام به؟ لا يحتاج المرء أحياناً سوى لبعض الارتجال، والالتزام، ثم التحلي بالأمل. تحقّق من الأدراج سريعاً.. ووجدها فارغة. انكمش بالقرب من المؤخّرة، حيث وجد كيساً قديماً صالحاً للاستخدام كنسخة من الرداء السفلي. والآن، بعد أن ارتدى بعض الملابس، استطاع تشكيل المُساعد على هيئة شكل تقريبيّ جيّد للغاية لواجهة وسقف إحدى تلك الخزانات الطويلة.. كدُعامة، مثل واجهات المباني الزائفة التي تُستخدم في أفلام «سيلفرايت».

سيخلق وهمّاً بعدم وجوده إذا حمل هذه الدُعامة أمامه. فلن يرى أي شخص ينظر إلى الخلف سوى خزانة طويلة إضافية. وتمنى ألا تكون تلك الخزانة الإضافية مُثيرة للريبة في الظلام.

يقول الفارس مُعترفاً: حسناً، أنا أحب هذه الخطة، وقد تنجّ بالفعل.

لم ينطق نوماد ببنت شفة، وطفق ينتظر -مرّة أخرى- وهو يُنصت لصوت المطر على السطح، ويعد الثواني. وعبر المساحات النحيلة التي شابت واجهة خزائنه الزائفة، رأى العمّال يقترّبون حاملين قلوب الشمس المتوهّجة.

همس أحد العمّال: «لا أرى سبباً لوجوده هنا ليُراقبنا، وهؤلاء المتفحّمين أيضاً. هل يعتقد أننا سنبدأ فجأة في سرقته؟».

أجابه صوت آخر: «من الأفضل ألا نتجرأ بالسؤال، لا تمنحه أي فرصة للاهتمام بك. فسينفذ الأسرى الذين في جُعبتنا قريباً، بعدما رحلت المنارة».

اختفت الأضواء واحداً تلو الآخر وهم يضعونها في الأدراج. بحق العواصف! من الأفضل ألا يُحاولوا فتح أحد أدراجه! سيملؤون تلك الموجودة في المُقدمة أولاً، أليس كذلك؟

وهذا ما فعلوه. خزّنوا قلوب الشمس، ثم رحلوا.. توقّفت أصواتهم فجأة عندما هزّ الغرفة دوي عالٍ. وقف نوماد من مخبئه، وصرف المُساعد، لأن هذا الدوي كان صوت إغلاق الباب الضخم. أسرع نحو

الأدراج، ورغم أنها كانت مُغلقة، أبلت العتلة حسناً في فتحها.
قبعَت قلوب الشمس بالداخل، بمُعدّل قلب في كُلِّ درج. جمع كُلِّ ما وجدته، بإجمالي خمسة قلوب. سيكفي هذا المنارة، أليس كذلك؟ غمره الارتياح، وضعها في كيس آخر، ثم تحرّك نحو الباب الضخم، الذي كان مُغلّقاً. حدّق فيه، وهو يشعر بالحمق يغزوه.

لا أعتقد أن العتلة ستكون قادرة على حل تلك المُشكلة يا نوماد.
قال نوماد وهو يُمسك الجانين بيديه: «رُبما نحتاج لشيء أكثر حدّة».
- لا أعتقد.. أن بإمكانني القيام بذلك.

قال: «لقد قُمتَ بذلك من قبل، عندما كُنّا تحت المدينة، عندما قطعت الأقفال».
- أنت من قُمتَ بذلك يا نوماد. ليستَ روحي هي التي تأكلت، ولا ندوري هي التي نُكثت.
أنت الشخص الذي لا يستطيع أن يؤذي أحداً، ولا يستطيع أن يُشكّل سلاحاً مُخصّصاً للقتل فقط.

لن يستخدم السلاح في القتل فقط، بل إنه بحاجة لقطع معدن هذا الباب. حاول أن يستعيد الحالة الذهنيّة التي كان عليها عندما قطع تلك الأقفال، فمن المؤكّد أن تلك اللحظة كانت مُلحّةً بنفس القدر.
لكنه كان مُرهقاً، ويفتقر إلى الثقة في نفسه. وفوق ذلك، استطاع الشعور بتقرُّح روحه يزداد قوّة. وكانت مُقاومته عديمة الجدوى مثل محاولة كسر الباب الضخم بقبضتيه. قاوم لعدّة دقائق، ثم انحنى للأمام، وأغلق عينيه بشدّة، مُسنّداً جبينه إلى الباب.

ماذا يفعل؟ فحتى لو هرب من هنا بقلوب الشمس تلك، ماذا سيفعل بعد ذلك؟ هل اعتقد حقاً أنه سيتمكّن من سرقة مركبة دون التورط في قتال؟ وحتى لو فعل ذلك، هل سيتمكّن من العودة إلى المنارة بمفرده؟ لم يُخلّق سوى بمركبات المدينة، التي تمتلك الأجهزة المناسبة. لكن لو سرق مركبة تابعة لـ «يونيون»، فسيكون أعمى مثلهم تماماً.

لم.. لم يعد يعرف بعد الآن. لقد علّق، ليس فقط في فراره. لقد توقّف لبعض الوقت، بركود. لطالما صبّ جام تركيزه على الفرار، لكنه لم يُولِ المشاكل العظيمة الاهتمام الكافي، تلك المشاكل المترسّخة في أعماق ذاته.

لقد تجمّد، وتجمّدت روحه، وذاته. ولن يُصلح الفرار لمسافة أبعد ذلك، بغضّ النظر عمّا أخبر به نفسه.
كليك ..

الباب الضخم؟ وللحظة، اعتقد أن تأمله الذاتي قد أثر على ذلك بطريقةٍ أو بأخرى. ثم، وبدُعرٍ مُتصاعد، أدرك أن هناك من يفتح الباب من الخارج. سارع للعودة إلى تمويهه السابق، لكن سبق السيف العذل.
وانفتح الباب.

كاشفاً عن زيل، يقف وحيداً وسط الوحل.

زيل؟

زيل!

غمر الوحل جسد الرجل الصغير حتى مُتتصف فخديه، لكن بدا أنه نجا من العاصفة دون أن يُصاب بأذى. أبعاد مجموعة من الأدوات المُخصَّصة لفتح الأقفال جانبًا، ثم نَظَرَ خلفه، ظنًا منه أنه قد سَمِعَ صوتًا، قبل أن يصعد عبر الباب الضخم.

يقول الفارس بحماسٍ مُنقطع النظير: بحق العواصف! إنه زيل! لا أعتقد أنني كنت سعيدًا لهذا الحد برؤية شخصٍ ما يقتحم مكانًا ويدخله.

قال نوماد: «زيل!». تسمَّر الرجل في مكانه، مُحدِّقًا في مُناديه.. قبل أن ينتهَد بارتياحٍ شديد.

سأله: «أيها الرجل الذي أضاءه نور الشمس! أيها الرجل المبارك! هل نجوت؟».

تقدَّم نوماد مُمسِّكًا بكيسٍ يحوي قلوب الشمس، ثم قال: «لقد نجوت، ويبدو أننا فكَّرنا في نفس الخطَّة». نَظَرَ زيل داخل الكيس، ثم تطلَّع إلى نوماد بابتسامةٍ عريضةٍ، وقال: «لا.. لا يُمكنني أن أصدِّق ذلك». ثم صافحه بيده المُتسخة بالوحل، قبل أن يستأنف حديثه قائلاً: «وأنا من ظنَّ أنني جئتُ لأنقذ المدينة. لكنها جميعًا بجُعبتك، حتى بعد أن تركناك وحيدًا».

-«أشك في أنه كان لديكم خيار آخر سوى ذلك».

أجابه: «لم يكن لدينا حقًا، لكن...». تجمَّد في مكانه عندما سَمِعَ أصواتًا قادمة من الخارج، فأوماً برأسه جانبًا قبل أن يقول: «هل يُمكننا تأجيل هذا الحديث لوقتٍ لاحق؟ فلدينا حوالي ساعة فقط لإنقاذ المنارة.. وهو وقتٌ ضيقٌ للغاية، لأن لدينا خمسًا وأربعين دقيقة كحدٍ أقصى للعودة، اعتمادًا على حالة الرياح».

أوماً نوماد برأسه، ثم قفز في الوحل. دارت رُحي جدالٍ في مكانٍ قريب، حيث بلغ غضب العديد من مسؤولي ملك الجمرات ذروته. فعلى ما يبدو، اختلفوا حول عدد الأشخاص الذين تركوهم هنا تكريمًا للشمس؛ فمنهم من ظنَّ أنهم كانوا اثنا عشر شخصًا، ومنهم من اعتقد أنهم كانوا أحد عشر فقط.

تبع نوماد زيل مُتجهًا يمينًا، نحو الظلام، قبل أن يهمس مُتسائلًا: «هل سرقت إحدى مركباتهم الاستطلاعية حقًا؟».

أجابه زيل: «لا، لم أمتلك من الوقت ما يكفي لذلك. بل أخذتُ زمام المبادرة في التحكُّم بعد أن انهارت ربيكي تحت وطأة الإجهاد الحراري، وبالكاد عدتُ بنا إلى الظل قبل أن نحترق جميعًا. لم يكن بقية أعضاء

الفريق في حالةٍ تصلح للقيام بالمهمة.. فهم ما بين فاقد للوعي أو من يتقيأ في جميع أنحاء المقصورة. لو كنت مكانك، لكتمت أنفاسي فور عودتنا إلى هناك.

كنت الوحيد الذي لا يزال بصحةٍ جيّدة، رغم أن ريبكي بدت وكأنها تتعافى بوتيرةٍ أسرع من البقية. ومع ذلك.. حسناً، انتهى بي الأمر بأن قرّرت أنه لم يعد هناك سوى خيار واحد؛ عليّ أن آتي بقلوب الشمس بنفسني. فعلى الأقل، إنها تُمثل بصيصاً من الأمل.

وهكذا هبطتُ، وراقبتُ الأضواء من مخبئي في حُضن العتمة. وتبعثهم أثناء حلول الظلام، ثم تسلّلت وأنا أدعو أدونالسيوم حتى أتمكّن من تدبّر الأمر بمفردتي». هزّ رأسه، وبالكاد بدت الحركة واضحة بفضل البرق المتدفّق من بين السُحب، قبل أن يُضيف: «وها أنت ذا، داخل المركبة بالفعل. لقد راودني الشك بشأنك أيها الرجل الذي أضاءه نور الشمس، أنا آسف».

قال: «لا يا زيل، أنا...».

-هناك من يتبعنا يا نوماد.

توقّف في مكانه، ثم التفت للخلف. اخترقت عينان متوهجتان عتمة الظلام من خلفها، لتضيئاً وجهها مُبتسماً لرجل يسير بخطى واثقة.

قال نوماد: «اركض يا زيل».

شهق زيل، قبل أن يُطيع أمره. بينما ظلّ نوماد في مكانه، يُحدّق في تلك العينين.

صرخ ملك الجمرات: «أيها الحُرّاس! أيها المتفحّمون! إنهم هنا! هلموا للقبض عليهم!». رافق صراخه دوي الرعد. لكن الرجل لم يبدُ مُزعجاً للغاية، رغم ارتفاع صوته. تقدّم للأمام، نحو نوماد، وتحدّث بصوتٍ أكثر هدوءاً.

قال الملك: «كنت على يقينٍ بأنك ستأتي، سمّه.. إيماناً، بأنه لا يُمكن إخضاع قاتل حقيقي بمثل هذه السهولة. لن تسقط ذليلاً في مدينةٍ مُحاصرها المنحدرات. لقد قدّر لك أن تلقى حتفك في معركةٍ أيها الغريب.. في معركةٍ معي».

تقدّم نوماد للأمام، وكأنه ذاهبٌ لمواجهة ملك الجمرات، وتمنى حقاً لو أن بإمكانه القيام بذلك. كان سيغرس تلك العينين المتوهجتين في الماء الآسن حتى يجبو تأججها.

وبدلاً من ذلك، حاول شغل الرجل بالحديث، رغبةً منه في اكتشاف عيبه القاتل - شيء يُمكن لنوماد أن يستخديه ضده فيما بعد. اندفع المتفحّمون حوله من الجانبين، مُطاردين زيل المسكين. وفي تلك الأثناء، ركّز نوماد كامل انتباهه على سيدهم.

قال نوماد: «أراك تنعم بشعور القوّة، وتستمتع بسُلطتك على الآخرين».

أجابه الرجل: «تتمحور الحياة برمتها حول القُدرة على السيطرة على الآخرين. والثروة؟ حول جعل الآخرين يقومون بالعمل الذي لا تريد القيام به. والقوّة؟ حول قُدرتك على ردع من يُحاولون قمعك بقوّة».

أكبر. أما الدين؟». هُنا اتسعت ابتسامته، قبل أن يُضيف: «هل صار الرجال الذين جاءوا من عالمك آلهة بحق؟».

تقدّم نوماد خطوةً للأمام، وقال: «أراك مهووسًا بي، كأنك على شفا الجنون، تتلهّف لمعرفة ما إذا كنت أقوى مني. لكن لماذا؟ لقد قتلتَ غريبًا من قبل». ضيّق نوماد عينيه، قبل أن يقول: «لا، لقد كذبتَ، أليس كذلك؟ لقد وجدتَ ذلكَ الغريب الآخر جُثّة هامدة بالفعل. وتساءلت منذ ذلكَ الحين، هل كان أقوى منك؟».

وَصَحَّعَ ملك الجمرات يديه على خصره، وقال: «بالطبع أنا الأقوى، فأنا الناجي الحي، ولا، لم أكذب؛ لقد وجدت قريبيك -مريضًا، وليس ميتًا- لكنني الأقوى. فقد صار الآن رمادًا. ولديّ قلب شمسٍ يُثبِت ذلكَ». قلب شمس.

اللعنة. لقد كان نوماد أحق للغاية.

اقترَبَ بشدّةٍ من ملك الجمرات، حتى إن الأخير استلَّ سيفه من غمده، مُبتسِمًا بنشوة استعدادًا لمبارزةٍ مُحتملة.

ثم بدأ نوماد يركض.

بجوار الرجل مباشرةً، الذي صرخ به، قبل أن يبدأ بمطاردته.. لكن نوماد كان أسرع. انطلق متجاوزًا الوحل، والبرق، ورذاذ المطر على وجهه، والرياح تعصف بثوبه يدوي الصُّنع والمربوط حول خصره. أسرع مباشرةً نحو مركبة ملك الجمرات، ثم قفز ليتشبّث بالحافة المعدنية الباردة لسطح المركبة. جذب نفسه للأعلى، مُندفعًا نحو مقصورتها المليئة بالتذكارات.

صاح ملك الجمرات من خلفه: «واجهني! سأمنحك شرف القيام بذلك!».

تجاهله نوماد، مشغولًا بتحطيم زجاج خزانة العرض، مستوليًا على قلب الشمس الصغير الرابض على الرف بداخلها، الذي كان بحجم الحصاة، ويتوهج بضوءٍ خافتٍ للغاية.

عندما التقى بملك الجمرات في هذه العُرْفَة لأول مرّة، عرّض عليه الكتاب الذي كان بحوزة الرجل الذي تستقر روحه في يده الآن. وهو رجلٌ قادم من عالم نوماد.

هذه الروح.. التي يربطه بها رابط خاص. لكن هل سيكون هذا كافيًا؟ همّس بكلمات الصلاة باللُّغة الأليشيّة: «يا شديد البأس، الذي يقف على عتبة الموت، خذ حرارتي، لأتمكّن من مُباركة أولئك الذين ما زالوا على قيد الحياة. من فضلك».

شعر ببرودةٍ مُفاجئةٍ في راحة يده. وبدأت الحرارة تُسحب من داخله.

سأله المُساعد: هل يُجدي هذا نفعًا؟ بحق العواصف! إنه يُجدي نفعًا.

استدار نوماد عندما دلف ملك الجمرات عبر المدخل. فكّر في لكم الرجل، فبدأ جسده يتبيّس. رُبما عمل قلب الشمس كما أراد، لكنه لم يكن مُستعدًا بعد. لذا ابتسم نوماد للملك، ثم قفز مُتراجعًا إلى مقصورة

القيادة، وهشم الزجاج الأمامي.. الذي استبدلوه مؤخرًا بعد فراره الأخير. ولحسن حظّه، لم يُبْتَوِه بشكلٍ جيد.

صَرَخَ به ملك الجمرات: «حسنًا! أنت جبانٌ إذن؟ ولو قتلك أحد المتفحّمين، فسيكون هذا برهانًا لما يحتاج لإثبات. هل تسمعني أيها الغريب؟».

قفز نوماد من على سطح المركبة، ثم انطلق مُتعثِّرًا عبر الوحل في الطريق الذي جاء منه. شقَّت ألسنة البرق السماء لتُظهِر له مشهدًا مُثيرًا للقلق.. المركبة؛ مركبة إيجي، لا تزال قابضة في الوحل بعيدًا. لم يُقلع بها زيل بعد، بينما تسلَّقها المتفحّمون -عشرات منهم- من جميع الاتجاهات.

وكانت المركبة تُشبه قاربًا بحريًا قديمًا، مثل مُعظم المركبات التي رآها هنا.. مزوّدة بمقصورة خلفية، وسطح أمامي واسع. بينما يطوّق الترابزين المركبة بأكملها، تسلَّق المتفحّمون جانبيها، وصعدوا إلى سطحها، وهاجموا مقصورتها الخلفية المتفخخة.

وصَلَ نوماد، وصعد إلى سطحها الأمامي بقوة جبارة. نَظَرَ إلى المقصورة، واكتشف أن زجاجها الأمامي قد تهاوى وتشوّه بفعل الذوبان. ومن خلال النافذة الخلفية، رأى زيل وريبيكي يُكافحان لإغلاق الباب الخلفي في وجه مجموعة من المتفحّمين.

أما على ظهر المركبة، حيث يقف نوماد، تراجع مُتفحّمٌ مألوف -ذلك المتفحّم الذي تعترى الندوب وجهه، وكان مُذكي نيران قد لفح خديه- عن موقعه حيث هشم الزجاج الأمامي بهراوته. رأى نوماد، فانسعت ابتسامته. تقدّم للأمام، استعدادًا لمواجهة يظنّها سهلة.

تقدّم نوماد للأمام، مُشدِّدًا قبضته حول قلب شمس الغريب الصغير.. وشعر به يسحب الحرارة منه. لقد مرَّق تلك القشرة التي تُحيط بروحه، صحيح أن عذابه قد منحه بعض النعم التي لا يرغب في التخلي عنها، لكنه لا يُمانع بعض التقشير السطحي. اندفع المتفحّم نحوه.

ضرب نوماد -مقاومًا الخدر الذي حاول إيقافه- المخلوق بقبضته في معدته، تأوّه المتفحّم بصوتٍ عالٍ عندما أعاده نوماد إلى الزجاج الأمامي للمركبة من حيث أتى.

وكانهم رجل واحد، استدار المتفحّمون الآخرون، الذين كانوا يتسلّقون المركبة، أو يُحاولون اقتحامها، ومياه الأمطار تقطر من بشرتهم الشاحبة، وقلوبهم الحجرية تتوهج.

شقَّ البرق السماء، عندما رَفَعَ نوماد تلك القبضة المجيدة أمامه. كان وتٍ ليعجب بتلك اللحظة الدرامية، أما نوماد.. فقد اكتفى بابتسامة صغيرة.

وهمس: «بحق العواصف! أخيرًا!».

صَدَحَ صوت المُتَفَحِّمِ الذي كان يتسلَّق المَرْكَبَةَ بزئيرٍ عظيم، وهو الأمر الذي ساعد -بشكلٍ جيّد- في جذب انتباه هؤلاء الموجودين داخل المَرْكَبَةَ. تخلّوا عن باب قمرة القيادة، الذي بذل زيل وريبكي قصارى جُهديهما للدِّفاع عنه، وهرعوا للانضمام إلى زملائهم على سطح المَرْكَبَةَ.. حيث كان قتالٌ أكثر إثارة وحماسة بانتظارهم.

حاول نومات تشكيل رُمح، لكنه واجه مُقاومة خلال ذلك.. لا تزال روحه مُصابة، ولا تزال بعض بقايا التقرُّح تلوّثها. عوضًا عن ذلك، مدَّ يديه للأمام، وشكّل عصا بسيطة من المعدن الفضي بطول ستة أقدام. ولسبب ما، فقد أتت إزالة رأس الرُمح بأكلها، ابتسم.. مُتذكِّرًا قصّة مُشابهة رواها له أحد الأصدقاء منذ فترة طويلة.

أحدت ثقبًا في المقبض بالحجم المناسب، ثم دسَّ قلب شمس الغريب بداخله، ليتسنى له لمسُه أثناء استخدامه للسلاح. وعندما فعَل ذلك، تأوّه المُساعد - وهو ما كان مُسليًا بصوته الرتيب.

يقول الفارس: *يُمكنني الشعور بنمو طاقة قلب الشمس ذلك، وقد أكون قادرًا على الاعتماد على وحدات الأذخار التي وضعتها فيه. لكن لماذا؟ لماذا لا أستطيع استغلال طاقة التقرُّح الذي أصاب روحك؟*

قال وهو يرفع سلاحه: *«رُبما لأنه يتم تصفيتها وتنقيتها، لا أظن أنه الوقت المناسب للتدبُّر في الأمر».*

- *سيمدك هذا ببضع مئات وحدات الـ «بيو»، أحسن استخدامها.*

كان بحاجة ماسّة إليها. فقد حاصره حوالي عشرين من المُتَفَحِّمين - الذين زحفوا على جانبي المَرْكَبَةَ أو اندفعوا خارج المقصورة. وحتى ذلك الذي لكمه قبل قليل، تهَضَّ، وقلب جمره يتوهَّج بالحماس مُجدِّدًا.

عشرون مُقابل واحد. احتمالات سيئة، حتى بالنسبة لشخص مثله. ومع ذلك، انطلق نحو الفرقة الأولى منهم، عازمًا على الحفاظ على أكبر مساحة فارغة مُمكنة حوله. فأخطر شيء يُمكن أن يُجابهه هنا هو أن يُجر، ويُحقِّق، ويُستنزف. تمنى أن يكونوا قد استهانوا به. وفي كُل الأحوال، السبيل الوحيد للانتصار على هذا العدد الكبير، هو أن يُبادر بالضرب سريعًا، وبشكل مُتكرِّر، مُبقيا عدوه تائهاً في حالة من عدم اليقين.

لحسن الحظ، ولتين كان ثمة درس واحد تعلَّمه جيّدًا على مرِّ السنين، فهو كيفية الاستمرار في الحركة.

اندفع بين المُتَفَحِّمين، مُطيعًا بالعديد منهم إلى الخلف. أضاعت قلوب الجمر المتوهَّجة سطح المَرْكَبَةَ ببريق يُشبه النيران التي تحبُو في ظُلْمَةِ الليل البهيم - أحيانًا تُنقيها ألسنة البرق الأبيض الآتية من عل. اندفعت نحوه ثلاث هراوات، فاستطاع صدّها ببراعةٍ ومهارة، إذ اشتاقت عضلاته -وروحه- لهذا النزال بقدر

اشتياقه. ضرب إحداهم خلف رُكبتها بطرف سلاحه - فأرغمها على الانزلاق على سطح المركبة تحت زخات المطر - ثم دفع آخر جانبًا قبل أن يلوّح بطرف عصاه بقوة رجل تحرّرت قواه بعد قيد طويل.

ومض البرق في اللحظة التي ضرب فيها المتفحم الثالث تحت ذقنه بقوة كافية لترسله طائرًا في الهواء - حيث تحطّمت أسنانه حين اصطدم فكاه في لقاءٍ عنيف.

دار نوماد بخفةٍ نحو الفرقة التالية، ومياه المطر تتناثر من ذراعيه أثناء دورانه. ترك العصا، وصرّفها، وهو يُمسِك بقلب الشمس في الهواء، وشكّل درعًا ليصدّ بها هجماتهم الثلاث التالية. اندفع للأمام - مُجبرًا إياهم على التراجع - ثم أسقط الدرّع في الوقت المناسب، ليُشكّل عصا أخرى، وهاجم بها المرأة التي أطاح بها من قبل.

وجّه لها ضربة قوية كهزيم الرعد، فطار جسدها بعيدًا عن سطح المركبة، والمياه تتناثر من حولها. أطاحت ضربة أخرى بأحد المتفحّمين على السطح، فاصطدمت مجتمته بالأرض المعدنية. ثم أسقط هجومه التالي ثلاثة في دفعةٍ واحدة عندما ضرب أقدامهم فتناثروا أرضًا. بينما هشّم هجومه التالي ذراعًا، وأرغم متفحمةً أخرى على إفلات سلاحها، وهي تصرّخ المأ، قبل أن يُرسلها نوماد بركلةٍ سريعةٍ نحو كومةٍ من رفاقها.

لقد كان المطر - الذي تحرّر فجأة من سحابته - ليترك السماء. وكان البرق، الذي يشتاق للحركة حتى إنه شقّ الفضاء الفارغ بانفجارات عنيفة. وكان الرعد - الذي يضرب دون أن يتوقّعه أحد - ليُشوّه الهواء بإيقاعاته. وكان العاصفة.. التي هبّت على أرضٍ غريبة، لكنها ظلّت على حالها دونما أي تغيير.

ألقي المتفحّمين جانبًا كالدمى. فحطّم عظامهم، وأسقطهم من الجانبين إلى أحضان الوحل، وطوّحهم تحت زخات المطر. في هذا العالم، كان هؤلاء يُعدّون من نُخبة المحاربين - لكنه كوكب لم يتدرّب فيه الرجال على القتال، ولم يشهدوا هوًّا مثله من قبل.

قال المُساعد: *المقصورة يا نوماد..* لقد راقبها من أجله، حتى عندما استخدم نوماد جسده كسلاح. فبينما انشغل زيل وريبيكي بمراقبة قتال نوماد، تسلّل أحد المتفحّمين بخفةٍ إلى قمرة القيادة.

نهض المخلوق من خلفهما - وتوهّج صدره يصبغ العُرقة بلونٍ دموي - انزلق نوماد إلى الخارج. ثم أصدر الأمر.. بحزم.

-رُمح!

تشكّل رأس رُمح مُزيّن بنقوشٍ من عالمه من وسط الضباب ليستقرّ على طرف عصاه، قبل أن يُلقِيها مباشرةً عبر الرُجاج الأمامي، لينغرس الرُمح في قلب جمر المتفحم الموجود بالداخل.

تصدّع قلب جمره، وخفت بريقه. توهّجت عينا المخلوق، قبل أن تتحوّل كل منهما إلى سيلٍ من الدُخان الأسود، وجسده ينهار أرضًا.

تجمّد المتفحّمون الذين يُقاتِلونه على سطح المركّبة جميعاً، مما منحه فرصة كافية لرؤية ريبكي المذهولة وزيل المندهِش يُحدّقان به، قبل أن يستديرا ببطءٍ إلى المتفحّم الذي فارق الحياة خلفهما، ثم يعودا ليُحدّقا به بتعبيرات كانت أشدّ دهشة بطريقةٍ ما.

قال المُساعد: أنت تُغازل مستويات مُنخفضة من وحدات الأدخار يا نوماد، لم تُتَح لك الفرصة لاستعادة قوّتك وقد رتك على التحمّل بشكلٍ كامل. لا يُمكنك هزيمة كُُل هذه المخلوقات.

لسوء الحظ، كان كلامه حقيقياً، فقد نهَض المتفحّمون -الحذرون في الوقت الحالي- تبعاً، للموا شتات أنفسهم وبدأوا بالشفاء. رُبما لم ينالوا القدر الكافي من التدريب، لكنهم يتمتّعون بادخار قوي، في حين يُقاتِل هو بأقل القليل. لن يستهينوا به بعد الآن في قتالهم التالي.

مدّ يده، ليسترجع رُحمه، ثم رَفَع يديه -وإحداهما تُمسك بالرُمح - نحو زيل في إشارةٍ اعتبرها نوماد الرمز الكوني للسؤال: ماذا تنتظر بحق الجحيم؟ ثم لَوَّح بيده للأعلى في إشارةٍ لأنه يجب عليهم الإقلاع. انكمش زيل وأوماً برأسه، قبل أن يُسرِع الحُطى نحو لوحة التحكم. استدار نوماد لمواجهة بقية المتفحّمين، الذين اجتمعوا بتردّدٍ واضح في مُقدّمة السطح الصغير. أخبره حذرهم الجلي بأنهم ما زالوا يتخبّطون في بحور الخوف، مما يعني أن سيطرة ملك الجمرات لم تكن مُطلّقة.

يُعلّق الفارس قائلاً: يُثقل هذا قلبي بالذنب، لأنه يتعيّن علينا مُعاملتهم بهذه الطريقة. في حين أنهم مُجرد ضحايا أيضاً.

ورغم أنها الحقيقة المرّة، تصالّح معها نوماد منذ فترة طويلة. لا يتورّط المرء دومًا في قتال الأعداء المُناسبين. في الحقيقة، يجب عليك في كثيرٍ من الأحيان أن تُقاتِل أولئك الخاطئين - على الأقل حتى تستطيع إيقاف الرجال والنساء الذين أصدروا لهم الأوامر.

لكن رُبما كان هناك خيار آخر اليوم. استعدّ في مكانه، وهو يُمسك برُحمه على أهبة الاستعداد. ثم بدأ يدور ويتلفّت حوله -على وقع هزيم الرعد ووميض البرق- مُحركًا رُحمه في سلسلةٍ مُهيبةٍ من المناورات التدريبية. يُطلقون عليهم اسم «الكاتا السحيقة». وهي أول كاتا رآها بعينه، وعرف كم هي مُخيفة حقًا. تقدّم للأمام مع كُُل دوران لُرحه، وقدماه تضربان الأرض كالطبول.. بقوةٍ وثباتٍ رغم السطح الأملس. دار الرُمح بسرّعةٍ كبيرة، حتى إنه عكس صورة قلوب الجمر القريبة كأنه مرآة. قاوم المطر، كامتدادٍ لنفسه - انقلب ودار، ثم اندفع جُزءٍ من الثانية، كلسان برقٍ مُتجمّد.

ثم تحرك مرّةً أخرى، مُستمرًا في التقدّم، خطوة تلو الأخرى، نحو المتفحّمين الذين يُراقبونهم، والذين -بطريقةٍ غريزيةٍ- تراجعوا إلى الخلف. اجتمعوا على سور المُقدّمة، ومن خلفهم -وهُم يُجلبقون بالقرب من مركّبتهم- رأى نوماد زوجًا من العيون المتوهّجة تُشقّ عتمة الظلام. راقبه ملك الجمرات بدهشةٍ ورُبما حتى برُعبٍ.

أجل.. استطاع نوماذ رؤية ذلك، فقد تجلّى رُعب ملك الجمرات على وجوه المُتفحّمين المرتبطين به. أدرك الرُّجل كم كان محظوظاً عندما لم يُوافق نوماذ على مُبارزته. وأدرك مدى هلاكه إذا وَصَلت رُحى القِتال إليه. وَصَل نوماذ إلى خطوته ودورانه الأخيرين، وَوَقَف بثباتٍ على قدميه، وهو يمد رُمحهُ أمامه، حتى كاد يلمس أقرَب المُتفحّمين إليه. ثم تراجع للخلف مُتخذاً وضعية الوقوف، مُمسِكاً بقلب شمس الغريب الصغير بيدٍ، وذراعه مُتقاطعان كالصليب، حتى تلامس ساعدها، ونطق الكلمات بصوتٍ خافت: -«الجسر الرابع».

لم يتمكّنوا من معرفة قيمة هذه الكلمات بالنسبة له. لكن العرض الذي قام به -بالإضافة للمُتفحّم الميت في المقصورة، والمركبة التي بدأت تُحلّق - كانوا أكثر من كافيين. بدأ المُتفحّمون الناجون بالفرار من المركبة، أسرعوا من أمامه، وسقطوا في الوحل أدناه.

شكّ في أنهم لم يكونوا يشعروا بمثل هذا الخوف، لولا وجود ملك الجمرات، يُراقبهم، ويُدرك برُعب ما هو على وشك أن يواجهه.

أو رُبها أسقط نوماذ مشاعره على الرُّجل. فقد كان بعيداً للغاية لِيتمكّن من قراءة تعبيرات وجهه، وبغض النظر، لم يُطاردهم أحد، بينما فروا في عتمة الليل، وقلوب الشمس في قبضتهم.

نادوها باسم إيجي.

أمعنت المتفحمة الأسيرة التفكير في الاسم بينما حلقت المركبة عائدة نحو المنارة. لقد شاهدت العرض الذي أبدع فيه القاتل على سطح المركبة، رغم أن رؤيتها قد حُجبت جزئياً. حيث توجّب عليها أن تميل جانباً، لتتمكّن من النظر عبر الباب المفتوح بين العُرف، بجوار الشخصين الواقفين أمام أجهزة التحكم، ومن خلال الزجاج الأمامي، إلى الظلام.

رأته وهو يُقاتل، وتآقت لذلك.. إذ كان ذلك ما أرادته.

لا يُمكنها أن تكون إيجي مرّة أخرى. فبالرغم من حُبّها للاسم؛ فقد عرّف الجزء الذي يفهم الكلمات في دماغها معناه. مرثية.. أغنية للأموات، وهي ميّنة. ولهذا يُناسبها الاسم تماماً.

إيجي، ستكون إيجي. ليست إيجي التي يعرفونها، لكن يُمكن لشخصين مُختلفين أن يحملا نفس الاسم.

دلف القاتل من الباب، وأغلقه خلفه، مُبتلاً، وعاري الصدر. شعرت وكأننا يجب أن يُزيّن صدره قلب جمر متوهّج، فكيف له ألا يمتلك واحداً؟ لا يُمكن للمرء أن يُقاتل - كما فعل - دون قلب جمر.

لكنه فعل ذلك على أي حال. وبشكل أفضل بكثيرٍ من المتفحّمين، وأرادت ذلك.

لقد أخبرها أنها يجب أن تعيش من أجل شيءٍ ما، ولقد رأت للتو أنه كان مُحقاً. فبينما قاتل المتفحّمون مثل الأطفال، مثل المُتتمرّين الذين يفتقرون إلى التدريب؛ قاتل هو بعنفوان ورشاقة الرياح نفسها، مُتمتّعاً بالسيطرة الكاملة، ومُستخدماً غضبه وسُعاره كوقودٍ لحركاته السليسة.

يُصبح السلاح أكثر خطورة عندما يكون طرفه حاداً، عندما يُمكنك تركيز قوّتك بأكملها في تلك النقطة تحديداً. وسيكون غضبها، ورغبتها في القتال، والحركة، والفعل، والقتل، والجهاد والنضال.. أشدّ خطورةً إذا تمكّنت من توجيههم إلى نقطةٍ واحدةٍ بدورها.

ولهذا السبب انتصر. فقد كان رُحماً، عندما كان المتفحّمون هراوات.

خرّجت تلك المرأة من المقصورة؛ تلك التي يدعونها ريبكي، شقيقة إيجي. التقت بالقاتل، ثم تراجعت، وكأنها تقف أمام نيرانٍ مُتقدّة. شبكت يديها المُختبئتين داخل القفّازات أمامها، ووقفت بثباتٍ في مكانها.

همست ريبكي: «لقد كان ذلك أمراً لا يُصدّق، كما كان رهيباً.. رهيباً للغاية».

قال: «فن ومجزرة استخدام الرُمح، أعرف. يجب أن نُخبرهم أننا في طريقنا إليهم يا زيل!».

أجابته الأخير: «لقد أخبرتهم بالفعل، توجّب علينا الهروب من قفّاعة مركبات ملك الجمرات، فلديهم جهاز تشويش في المكان».

ذهبت ريبكي لمساعدة الأربعة الآخرين، الذين كانوا قد فقدوا وعيهم بسبب شدة الحرارة، ولم يبدأوا بالتعافي سوى الآن فقط. كانوا أضعف من إليجي، ولذلك لم تولهم اهتمامًا. وبعد لحظة، جاء صوتٌ من داخل قمرة القيادة. أمألت إليجي رأسها للخلف - وكأنها لا تنبض بحيوية مُندفقة تدفعها للحركة المُستمرة - وطفقت تستمع. توجّب عليها أن تتعلّم أن تستمع، وكيف تُسيطر على الأمر.

وعندها فقط ستمكّن من القتال مثلما فعل.

صدّح صوت امرأة عبر اللا سلكي: «زيل؟». إنها واحدة من العجائز اللاتي يتولين القيادة، تابعت: «بحق أدونالسيوم، هل أحضرتها؟».

أجابها: «خمسة قلوب شمس بالتهام والكمال، تستقر في كيسٍ بجواري يا كونفدنس، نحن قادمون في طريقنا».

بدأت العجوز خائفة وهي تسأله: «كم تبقى من الوقت؟».

لم تفهم إليجي مفهوم الخوف سوى الآن فقط، عندما شعرت به مع المُفحّمين الآخرين. لأنها كذبت على القاتل. فرغم أنها لم تعد تسمع الصوت، لا تزال تشعر بملك الجمرات. وتستشعر مشاعره، التي شملت -الآن فقط- الخوف في طياتها.

أجابها زيل: «أستميحك عذراً في دقيقةٍ لحساب طول الطريق، كيف.. كيف تبلون جميعاً؟».

-«لا تنفك الشمس تتقدّم بلا هوادة، وتتضاءل معها فرصنا في تجاوزها. هناك ممرٌ مظلم، حيث تلامس قمة الجبال الظل، لكنه يختفي بسرعةٍ للأسف. وهناك أيضًا مركبتان من مركباتنا قد أصبحتا غير قابلتين للإصلاح. لقد نقلنا الجميع إلى الثماني المتبقية، لكن لا يوجد مكان للجميع بالداخل، لذا يجلس بعضهم على الأسطح، مُتتظّرين».

أجابها زيل: «سنقسّم قلوب الشمس إلى أجزاءٍ بمُجرد أن نصل، أعدّي الجميع للرحيل. سنصل في غضون.. ما يزيد قليلاً على نصف ساعة. أتمنى ذلك».

همست المرأة العجوز: «أرجو أن تسبق الشمس يا زيل».

استلّت ريبكي سكينها لتقسّم قلوب الشمس، اقترب منها القاتل مُتسائلاً: «هل يُمكنكم توفير أحد تلك القلوب من أجلي».

نظرت إليه، ثم إلى قلوب الشمس المسروقة، وبدأ من الواضح أنها تحسب في ذهنها ما ستحتاجه المنارة. قبل أن تنظر في عينيه، وتومئ برأسها موافقة، وهي تُسلمه قلب شمس كامل. انصرف مُبتعداً، وهو يحملها بالقرب من وجهه. ثم بدأ ضوءه يجبو، وبدأ أن عينيه تتوهجان للحظة.

يبدو أن بداخله قلب جمر، لكنه لا يظهر للعيان ببساطة. همست إليجي عندما استقرّ بالقرب منها: «لقد رأيته تُقاتل». نظر إليها.

تابعت حديثها قائلة: «هذا ما أرغب فيه، أريد أن أفعل ما فعلته، أرغب في أن أكون قادرة على القتل كما تفعل».

فكر قليلاً قبل أن يجيبها: «كنت أتمنى أن يلهمك قضاء الوقت مع شقيقتك، ومع قومك، بالرغبة فيما لديهم، وليس فيما لديّ. كانت إليجي القديمة لـ...».

قاطعته إليجي: «أنا لستُ هي، ولا أستطيع أبداً أن أكون كذلك. أريد أن أتعلّم القتال مثلك. لقد أخبرتني أنني بحاجة للتركيز على شيءٍ ما، بعزمٍ. ولقد اخترت ذلك».

قال: «تحتاجين للتحكّم، لتقاتلي مثلي».

أجابته: «لقد أدركتُ ذلك بالفعل، وأعي ذلك. لكن كيف؟ كيف تعلّمت ذلك؟».

أسند ظهره إلى الحائط، وأغلق عينيه قبل أن يقول: «ببطءٍ، خطوة تلو الأخرى يا إليجي».

- «لا أفهم».

قال: «عندما أعطوني الرُمح لأول مرّة، لم أكن أعرف كيف أمسكه، لم أكن أعرف حتى كيف أحمله. وفي كل قتالٍ خضتته، توجّب عليّ أن أصب جام تركيزي على الوقوف بشكلٍ صحيح. وكلّما فعلت ذلك، أصبح هذا الموقف طبيعياً أكثر. الأمر وكأنني.. وكأنني لم أتعلّم الدرس فحسب، بل استوعبته. وهذا ما سمّح لعقلي الواعي أن يكون حراً للتفكير في شيءٍ آخر. عندها أصبح بإمكانني أن أتساءل عن كيفية حمل الرُمح، بعد أن أتقن جسدي الوقوف بشكلٍ مناسبٍ.

ثم تحوّل الإمساك به إلى أمرٍ طبيعي، وهكذا استطعت توجيه تركيزي على الدفع بقوة. استطعت أن أتعلّم كيفية تبديل قبضتي، وإعادة ضبط وضعيتي بها يكفي لمواجهة العدو. وبأت كل هذه الأمور غريزية بالتدرّج، وذلك بفضل الممارسة المتعمّدة، لإتقان هذا الشيء المُحدّد. وفي كل مرّة، بمُجرد استيعابي للأمر، يتحرّر ذهني لتجربة شيءٍ جديد. ولكي أصدّقك القول، فقد تمتعت بميزةٍ كبيرةٍ مقارنةً بمعظم من سلخوا هذا الدرب».

سألته: «أنتك حظيت بمُعَلِّمين؟».

أجابها: «لا، وإنما كان باستطاعتي النجاة من الأخطاء». بدا مُرهقاً، فتح عينيه قبل أن يقول: «لقد امتلأتُ بالادّخار، مثلك تماماً. لقد تمتعت بذلك بعد أن أقسمتُ ببعض الندور، وارتبطتُ بكائنٍ من وحدات الادّخار النقيّة. إنه مثل تلك الصخرة التي تحتل قلبك، لكن بروحٍ دُعابةٍ أسوأ».

ظنّ أنها قد سمعت شيئاً في تلك اللحظة، كما تفعل أحياناً عندما تتواجد بالقرب منه. بدا صوتاً مُختلفاً وكأنه يُلقني.. مزحة؟

تابع حديثه قائلاً: «لقد ساعدتني وحدات ادّخاري على النجاة من جروح لم يكن يُفترض أن أنجو منها، وتعلّمت من أخطائي بطريقةٍ يصعب على المرء أن يقوم بها كجُندي. فعادةً ما ينتهي بك الأمر ميّتاً، ويتبخّر كل ما تعلّمته كميّاه الأمطار في نور الشمس. لكن يُمكنني أن أتعلّم، وأن أنمو، حتى..». رفع يديه جانباً،

قبل أن يُضيف: «حتى أصبح ما ترينه أمامك الآن. رجلٌ يعج بالفوضى أحياناً، لكنه يمتلك غرائز قتالية شحذتها السنون».

همست: «أريد ذلك».

قال: «أفترض أن هذا سيفي بالغرض». ثم نهض.. وكأنه يريد تحريرها من قيدها الأخير. شعرت على الفور بحماسها يتقد، وانتشرت الحرارة من داخل قلبها عبر جسدها، ونشطها تعطشها للقتال.

أجبرت نفسها على قول: «لا». مما جعله يتردد.

سألها: «لماذا؟».

قالت: «إذا حررتني، سأهاجمكم، جميعاً.. أشعر بذلك». توقفت عن الحديث للحظة، وخالجهما إحساس... إحساس مُحْتَلِف! شعرت بشيءٍ آخر غير اللهيب المُستعِر، سألته: «لكن هذا يُعدّ تقدُّماً، أليس كذلك؟ أنني شاركتك تلك الأفكار؟».

قال وهو يومئ برأسه، ويميل مُبتعداً عن قيدها: «سأعتبره تقدُّماً، وأقدر لك تحذيرك. لكن عليك أن تتعلمي كيف تُسيطرين عليها. لأنك إذا لم تفعلي، فلن تتعلمي أي شيءٍ آخر».

قالت: «يُمكِنني القتال، حتى في ظل وجود هذه الحرارة».

هز رأسه قائلاً: «القتال وحده لا يكفي يا إليجي. فهؤلاء المُتفحِّمون الآخرون قد يستمرون في القتال لقرونٍ عديدة، دون أن يتعلموا شيئاً يُذكر. يجب أن تختاري التدريب، والتعلم». نظر في عينيها قبل أن يُضيف: «أن تختاري السيطرة على الأمر».

أومأت برأسها بتؤدة، ثم استقرت جالسة، وغرقت في تفكيرٍ عميق. حتى اقتربوا من المكان الذي سقطت فيه المركبات.

والذي توهج بالنور بشكلٍ خطير.

اندفع ثمانية أشخاص لمُقابلة «دونتشييسر»، واحد من كُل مَرَكَبَة من مَرَكَبات المنارة المُتبقية. ثم انطلقوا ركضًا بمُجرّد أن تسلّم كُل منهم قطعة قلب الشمس المُخصّصة لهم.

وقَف نومات على سَطح المَرَكَبَة، ناظرًا للأعلى، وجبينه يتفصّد عرقًا. بدَا أن قمم الجبال أعلاه مُتقدّة بالنيران، بل في الواقع، قد تكون كذلك بالفعل. إذ أذاب نور الشمس الساطع على الجانب الآخر من تلك القمم الحجارة.

تراجع إلى الورا عندما رأى شيئًا ينطلق على الجانب الآخر، مرثيًا على الرغم من أن المسافة بعيدة. انفجارٌ من الحُمم، يكاد يمَس الغلاف الجوي، ككُلْفَة شمسيّة.

بحق العواصف! لقد اعتقد أنه يتمتّع بفهم أساسي للجيولوجيا، رغم أنه في أمس الحاجة لدورة تدريبية مُكثّفة في التكتونيات بعد مُغادرة عالمه الأصلي. لكن لم يكن لديه أي فكرة عمّا يُمكن أن يجعل الجبال تنمو من جديد مع كُل مرور للشمس، بعد أن تذوب عن بكرة أبيها.

أسرعت ريبكي نحو المَرَكَبَة، وأومات له برأسها، قبل أن تُسرّع إلى غُرفة القيادة. توجّب عليها أن تتجاوز الأشخاص الذين اكتظُّوا بداخلها، بعد أن اضطروا لترك مَرَكَبتين آخرين خلفهم.

كانت عودة ريبكي تعني أن القافلة قد أصبحت جاهزة تمامًا. ارتفعت ب «دونتشييسر»، وهي تنظر من خلال الرُجاج الأمامي، الذي لا يزال يُزيّنه ثقب رُمح.

ظلّ نومات على سطح المَرَكَبَة، لأنه لم يرغب في التكدُّس في الأجزاء الداخلية المُزدحمة. بالإضافة لأنه شعر بالرياح الباردة وهي تُدغدغ فروة رأسه وهو يقف هناك. لن ينمو شعره مرّة أخرى، إلا إذا امتلك المزيد وحدات الادّخار. لكنهم على الأقل منحوه سروالًا، وقميصًا بأزرار، ترك ياقته مفتوحة.

انحنى، مُتكيًا بيديه على السور، مُراقبًا إقلاع الثماني مَرَكَبات الأخرى.. تاركين مَرَكَبتين مُعطّلتين عند سفح الجبل. لقد هربوا جميعًا، مُحمّلين بكُل ما تبقى لديهم. التفت، ناظرًا نحو الأفق الآخر. ظنّ أن بإمكانه رؤية الظل الداكن أمامه -الجانب المُظلم للكوكب- لكنه لم يكن مُتأكدًا من ذلك.

كان سباقًا خاصًا للغاية. فرغم أن بإمكانهم التحرك بسرّعة أكبر بكثيرٍ من شروق الشمس، ليس بإمكانها تجاوزها ببساطة. في الوقت الحالي، حلّقوا في قلب بحر من الظلام، يتخذ شكل الجبل. كظلّ



شمسٍ في يومٍ مُشمسٍ، يمتد طويلاً في البداية، قبل أن يتقلَّص مع ارتقاء الشمس إلى كبد السماء. هل سيتمكّنون من الفرار على امتداد ذلك الظل والهروب إلى حُضن الليل؟ أم أنهم سيصلون إلى الحافة، ليجدوا فجوة ناريّة تفصل بينهم وبين الأمان؟ فجوة لا تفتأ تتسع، وتدفعهم للخلف، حتى يُدْمِرهم زوال الظل الأخير؟

سيُتضح المصير قريباً. تمكّن من استشفاف ذلك من الطريقة التي انطلقت بها القافلة بسرعتها القصوى، رغم الإصلاحات العاجلة الأخيرة. لم يكن هناك مُتسعٌ من الوقت لتدليل الآلات. سيلقون حتفهم، إذا ما حدث أي خلل. قد يهلكون على أي حال. لذا اندفعوا، وأحرقوا أرواح أحبائهم الراحلين في اندفاع جنوني نحو بر الأمان.

شَهِد ذلك من المركبة الرائدة. مركبة إليجي، التي وإن بدت كمعدّة استكشاف مُتفخخة، فإنها تفوّقت في السرعة على وسائل النقل الضخمة القادمة التي تتبعها. خفّضت ريبكي من سرعتها لتبقى بصُحبة الآخرين.. قبل أن تنطلق مُسرعةً مرّةً أخرى، على الأرجح بعد أن عُنّفت على التلكؤ. فقد أصرّت كومباشن بنفسها على انطلاق جميع المركبات بسرعتها القصوى، دون تراخ؛ حتى وإن واجه البعض أي مشاكل. الآن، صار لزاماً عليهم أن يُصلوا، ويهربوا، ويتماسكوا. وعلى كومباشن، في هذا السياق، أن تتمسك بأمل نجاة قومهم.

يقول الفارس: إن الأخيرة أبطأ بكثير من البقية.

وبصعوبةٍ استوعبَ نوماد ما قصده الفارس بجملته. ففي نهاية المسيرة، كافحت المركبة الأخيرة وعانت. لم تكن تلك التي تحتضن الكورس؛ فقد كانت تلك قريبة من وسط القافلة. بل كانت مركبة بُرج المياه الضخمة، التي اكتظت الآن بالناس.. الذين تجمّع عدد منهم بالخارج، على سطح المركبة. نظّر نوماد إلى القمم الشاهقة، التي تلالأت كالتيجان. ثم بدأت أطرافها تذوب، والحُمم تندفق على الجانب الخلفي منها.

قال المُساعد: أشعر بشيءٍ ما يا نوماد. هل تشعر بذلك؟ ما هذا؟

-«لا أعرف ما ت...»-

توقّف عن الحديث عندما رآه بجانبه. كسر صغير، اختلال في المحاذاة.. مثلما يُمكن لمرآة مكسورة أن تعكس صورة مُفكّكة. طفا بجوار رأسه، بحجم ظفر إصبع. كان هناك شيءٌ مألوفٌ بشأنه. همّس: «إنها إحدى أفلاقي، قطعة من درعي. لقد قُلت إنها ماتت!».

-اعتقدت أنها ذهبت، استهلكت-

لماذا عادت الآن؟ ماذا حدث؟

هل عادت لأنه قاتل مرّةً أخرى؟

عاد للنظر للخلف إلى صف المركبات المذعورة، التي تحلّفت آخرها بشدّة عن الركب.

سأله: «كم تبقى لدينا يا أوكس؟».

- حوالي ستة بالمئة من سعة القفز تقريبًا. وهو ما يفوق الحد الأدنى لقوتك بالكاد.

همس: «ومع ذلك، قد يكفي هذا.. أليس كذلك؟».

- من أجل ماذا؟

اندفع نوماتد مُسرِعًا إلى الأمام، ثم قفز عاليًا، مُحلِّقًا فوق تجويف طيني، والهواء يلفّه من كُلِّ جانب - وكأنه يحتضنه - حتى هبط على سطح المركبة التالية في الصف. وركّض عليها، وصرخات الناس تعلو من حوله. وأمامه، بدأ النور يتكسّر حول القمم، مثل مياه الفيضانات عبر سد مُتصدّع. قفز مرّة أخرى مُلقياً بنفسه بين أحضان الريح العاتية، قبل أن يهبط على قمّة مركبة الكورس.

استمرّ في الركض باتجاه الشمس، مُحلِّقًا، وهابطًا، ومُنطلقًا على طول صفّ المركبات، حتى وَصَلَ إلى المركبة قبل الأخيرة.. وهناك توقّف لبرهة، وتأمّل الفجوة الواسعة التي تفصل بينها وبين المركبة الشاردة الأخيرة. تراجع الأشخاص على سطح المركبة بسرعة، وراقبوه بدهشة وهو يأخذ نفسًا عميقًا، قبل أن يركّض بأقصى سرّعه، ويُلقِي بنفسه في السماء.

تعلّق في الهواء للحظات، مُتطلّعًا نحو الفجر البازغ الذي يلوح في الأفق، حتى هبط على السطح الأخير مُتدحرجًا. نهَض وهو يركز على أسنانه، واندفع نحو مؤخّرة المركبة، مُتخطيًا الناس المدعورين. وعندما وَصَلَ إلى هناك، شكّل المُساعد على هيئة درع.

زجر قائلاً: «أكبر يا أوكس».

- أكبر لأي مدى؟

- «أكبر بكثير! استخدم كل شيء!».

أخيرًا.. بلغت الشمس ذروتها. وبدأ المُساعد يحرق وحدات ادّخار نوماتد وهو يزداد حجمًا.

انفجر الضوء من حولهم، وصرّبت قوّته الدرع، ودفعته للخلف.. لكن حجم المُساعد، الذي استمدّ طاقته من قوّة قلب الشمس ذلك، ازداد حقًا. حتى أصبح بحجم مبنى، كبيرًا بما يكفي ليؤوي المركبة بأكملها.

غمّرت النيران المُشتعلة للشمس الغاضبة الدرع بأكملها، واشتعل الهواء على جانبيها، وكان نوماتد يقف بدرع لا تقيهم النور الساطع فحسب.. بل تقيهم شرور الأنفاس المُلتهبّة لوحشٍ مُخيفٍ قادمٍ من الأساطير رأسًا. لكن الدرع ظلّت آمنة، وثبتّها نوماتد في مكانها، وهو يصرّخ في وجه قوّة غضب الشمس. تصبّب عرقًا، لكنه أسندها بكتفه، ونظر للخلف ليرى الأشخاص الذين يُحدّقون فيه بدهشةٍ وأعينٍ واسعة، لا يُصدّقون أنهم نجوا من قبضة فجرهم الأول.

وبعد ثانية، دخلت المركبة إلى ظلال الأمان، وتلاشت الحرارة. صرّف نوماتد الدرع، وانهار، مُستندًا إلى السور، وهو مُنهك تحت وطأة الإعياء المُفاجئ. شَعَرَ بالخدر، وبالبرودة، وب..

وبشعورٍ طبيعيٍّ للغاية.

بحق العواصف! هكذا يكون الحال دون قطرة واحدة من وحدات الأدخار. لقد مضى وقتٌ طويلٌ للغاية.

يهمس الفارس بصدمةٍ وحماسٍ لا حدود لهما: لا أُصدِّقُ أن الأمر نجح حقًا.
هزَّ نوماد رأسه، وهو مُستلقٍ على سطح المركبة، شاعرًا بالضعف الشديد، وعدم الإدراك لما يُحيط به،
منهكًا، ومثقلًا بالسنين التي تجثم على صدره.
قال المُساعد: لقد شعرتُ بشيءٍ من هذا الضوء، شيءٌ غير عاديٍّ تمامًا. هل شعرتَ بقوّته؟ لا
ينبغي للضوء أن يدفَع بهذه الطريقة يا نوماد.

همس نوماد: «لقد جُذِبَ نحو الأرض، مثل.. تيار كهربائي. كالبرق، الذي يُشكّل تيارًا بين السُحب
والأرض.. لكن في هذه الحالة فقط، كان التيار بين نور الشمس ولُب الكوكب».
بحق العواصف! هذا هو السبب. هذا هو السبب في قدرته على الوقوف على سطح المركبة وهي تُحلّق،
دون أن يشتعل باللهب، لأنه لم يكن بين الشمس والكوكب. وهذا هو السبب وراء شحن قلوب الشمس
وطريقة تصنيعها، ولهذا السبب تذوب الأرض.
كُل شيء يقع بين الشمس ولُب الكوكب.. يُعدّ بمثابة فتيل مصباح مُشتعل؛ ترتفع درجة حرارته بانتقال
الطاقة.

انزعجه شيءٌ ما من غياهب أحلام يقظته. هل هذه..
هتافات؟

تمهّص من على سطح المركبة شاعرًا بالخطر، واستقام في وقفته، وألقى نظرةً على طول صفّ المركبات.
جاءت الهتافات من الذين كانوا في المُقدّمة، الذين ابتهجوا بالوصول إلى كنف الظل.
لم يصرُخ سُكّان المنارة الموجودين على متن هذه المركبة الأخيرة. بل حدّقوا فيه بشدّة، وقد ارتعدت
أوصالهم، وسقطوا تحت سطوة ذهول عميق. لقد أدركوا، أنه رغم بقائهم في نور الشمس للحظة، كان ذلك
يكفي لتبخير مركبتهم. يُربك القرب من الموت لهذه الدرجة الإنسان.
وقّف شخصٌ مألوف في مُقدّمة الجمع. لم يدرك أن كونتمبليشن كانت على متن هذه المركبة. ركعت على
رُكبتها، وهي تحتضن فتاة صغيرة، ونظرت إلى نوماد.
استعدّ لمزيد من التملّق. لكنها نكّست رأسها عوضًا عن ذلك، وضمت الفتاة الصغيرة إلى صدرها،
وهمست: «شكرًا لك».

أوما نوماد برأسه، ثم انهار بجوار السور -مُحتفِظًا بوعيه بالكاد- أثناء طيرانهم. وأخيرًا، هبطوا على مسافةٍ
آمنةٍ في الجانب المُظلم، تحت نور الحلقات البرّاق. استقرّت مركباتهم في دائرة. وهناك، وسط النباتات التي
تنمو بسرّعةٍ خارّقة، صلّوا.

بقي على المركبة بينما غادر الجميع ورَكَعوا. لم يسبق له رؤية الأمر يحدث بهذه الطريقة، حيث يركع الجميع معاً في تناغم. تركوا كونفدنس تؤم صلاتهم، لكن بدا أن كلاً منهم أخذ يُردّد نسخته الخاصة من الصلاة، بخفوت. بالنسبة لقوم نوماد، كان الدين، والنظام الملكي، ومستويات مُعيّنة من البيروقراطية أموراً مُتشابكة ومُعقّدة. لم يكن مُتديّناً لدرجة كبيرة، لكن قلبه لا يزال مفتوحاً لقبول فكرة وجود إله.

لكنه لم يرَ من قبل شيئاً كهذه الصلاة، شديدة التلقائية، والدموع، والعدوية. نهض واقفاً على قدميه، ولم يستطع منع نفسه من الوقوف هناك، مُتأملاً، وشاعراً بالطاقة.

بدأوا بالنهوض تباعاً، وتجمّعت عضوات الخير الأعظم في وسط الدائرة التي شكّلوها. ولوّحوا له ليقترّب.

ربما توجّب عليه أن يسير مُبتعداً، لكن الجزء الساخر منه.. حسناً، يبدو أنه قد خُدّر بسبب الإرهاق الناجم عن كونه بدون وحدات ادّخار على الإطلاق. تعرّث في نزوله من المركبة، ثم سار عبر العشب المتموج، حتى وقّف أمام عضوات الخير الأعظم.

نزعت كل واحدة منهن أحد قفازاتها، ومدّدت أيديهن نحوه، ليُمسكن بيده بأيديهن المُتجعّدة.
قال: «لن يُجدي تقديم حرارتكن إليّ نفعاً».

همست كومباشن وهي جالسة كعادتها: «لم يُجدِ نفعاً في السابق، لكنك لم تكن أحدنا آنذاك».
قالت كونتمبليشن: «لقد أخبرتني ريبكي أنك تُفضّل ألا تُناديك بـ «الرجل الذي أضاعه نور الشمس»».
أوما برأسه، واستشعر خجلاً غريباً والجميع مُنهمكون في مُراقبته، وقال: «أفضّل أن أعرف بأفعالي، وليس بنبوءة ما».

ضغطت كونفدنس على يده، وسألته: «لماذا تُلقّب بنوماد؟».

- «إنه الاسم الذي أستحقّه، وهو يُشبهه إلى حدٍ ما الاسم الذي مُنحته عند ولادتي، بلغتي الأم».
- «أي اسم؟».

همست: «سجزل». ولسبب ما، أدى نطق الاسم مُجدّداً بعد فترة طويلة إلى اغروراق عينيه بالدموع.
همست كومباشن: «نوماد.. الرحالة الهائم على وجهه. لم يعد هذا الاسم يُناسبك يا سجزل، لأن لديك مكاناً. هنا.. معنا». نطقت الاسم بشكل غريب بعض الشيء، حيث تأثّر بلهجتهم الخاصة.

سألته كونتمبليشن: «هل تقبل منّا اسماً؟ اسماً تستحقّه واكتسبته بجدارة؟».

أوما برأسه وهو يشعُر بالخدر.

قالت كونتمبليشن: «سندعوك زيليون، تيمناً بمُرشدنا الأصلي، الذي قادنا إلى تلك الأرض وإلى الحياة، مثلما قُدتنا».

همست: «زيليون».

قالت كومباشن: «إنه يعني المُستكشف، رغم أنني لا أعرف من أي لغة ينبع».

همس: «من يولين، حيث وُلِدَ مُعَلِّمي».

قالت كونفدنس: «لقد أصبحت الآن واحدًا منّا يا زيليون. بغض النظر عمّا تفر منه، وعن المكان الذي تركته، وعمّا فعلته.. فلا شيء من ذلك يهم الآن. فأنت هنا.. من أهل المنارة، من سُكَّان كوكب كانتيكل. ونحن نُرحِّب بك، ونقبلك بيننا».

حاول أن يُرد بأي حجة، شيئًا ما حول كيف لا يُمكن للكلمات أن تُغيِّر جوهر الإنسان، ولا يُمكن للمشاعر الطيبة أن تحو الأفعال السيئة.

أليس كذلك؟

يهمس الفارس: للكلمات قوّة عظيمة ما دام لها معنى، وما دامت تتمتع بنية طيبة.

همس: «أت.. أتفق».

غمره الدفء من خلال قبضاتهن. شفق، وعيناه تتسعان. ابتسمت العجائز الثلاث له وهو يسقط على رُكبتيه، ويشعرُ باشتعالٍ يغمُر كيانه. تراجع قليلًا، وترك يده. لكن بعد ذلك، اقترب منه الجميع، بما في ذلك الأطفال، تباعًا، واحدًا تلو الآخر، ولمسوه بأيديهم العارية من القفّازات. يد ليُمسكها، أو لمسة على جانب وجهه، وقليل من الأحضان.

غمره الجميع بالدفء، حتى امتلأ به. حتى ركع هناك مُتسائلًا لماذا لا يتوهج كالشمس. ثم تراجعوا، وتركوا الحرارة تتأجج بداخله.

قال المُساعد: هذا ليس كثيرًا بمقاييس وحدات الـ «بيو»، أقل من واحد بالمئة مُجمّعة.. لكنها كمية لا يُستهان بها بالنظر لما يستطيع كُل فرد التخلي عنه، في حالهم هذا.

شعر وكأنها أكثر من ذلك بكثير. رُبها لأنه افتقر إلى وحدات الادّخار تمامًا، قبل أن تعود إليه. ورُبها كان هناك شيء آخر، شيء مُميّز حول الطريقة التي قُدّمت بها. وعلى النقيض من خدره السابق، شعر الآن بأنه أكثر حيويّة ونشاطًا مما كان عليه منذ سنوات.

اقتربت عضوات الخير الأعظم مرّة أخرى، وقالت كونتمبليشن: «هذا هو شكرنا لك يا زيليون، لكن.. لدينا عمل لنقوم به؛ مُهمة أخيرة. يجب أن نجد الطريق المؤدي إلى الملجأ».

سألته كونفدنس: «هل لديك خطة؟ لتصل بنا إلى هناك؟».

قال بصوتٍ أجش: «أجل، لكن.. هل يُمكنني الحصول على لحظةٍ أو اثنتين لأستوعب ما حدث أولاً من فضلكم؟».

أجابته كومباشن: «بالطبع، لقد منحتنا كُل الوقت الذي نملكه، من الآن وحتى تلحق بنا الشمس. أرجوك.. خذ بعضه لنفسك».



لم يرغب في العودة إلى عُرفته لأن إليجي كانت هُناك، ولأنه أراد أن يبقى وحيداً. لذا ابتعد عن المركبات، مُتطلّعا إلى السماء. لقد رأى حلقات على كواكب أخرى، لكنه لم يسبق له رؤية حلقات تتفجّر بهذا الزخم من الحيويّة، والألوان، والبريق.

ولكنها، كما في كثيرٍ من أمور الحياة، كانت مُقايضة. حلقات نابضة بالحياة، مُقابل شمسٍ رهيبية. الفرع والجمال، يدًا بيد. وكأنه صراع مُستعرٍ بداخل شخصٍ مثله. لأنه ما كان ليقوى أبداً على القتال لإنقاذ ريبكي وزيل، لو لم يمر بتلك التجارب الرهيبية التي شوّهته. لكنه كان لينكسر أيضاً، لو لم يمر بتلك الفظائع.

صعد إلى مُرتفع. حيث نبضت الأرض بالحياة تحت قدميه، وبينما هو واقف على التل، نمت النباتات من حول قدميه، ودغدغت ساقيه. كان حذاؤه -الذي لم يكن حذاءً برقبة عالية كما يُفضّل، لكنه كُل ما استطاع سُكّان المنارة توفيره- جديداً للغاية، وخالياً من أي تجاعيد، ولم ير أي فظائع بعد، ولذا كان غير مرٍن على الإطلاق.

لكن بمُجرد أن ارتداه، بدأ يتآكل بدوره. هل يُمكن للروح أن تبلى بهذه الطريقة؟ في شبابه، كان ليقول إن ذلك من المُستحيلات، لأن الأرواح ليست مُجرّد قطع من القماش أو الجلد، وأن الناس أكثر قيمة من أن يُستهلكوا. ومع ذلك، فما هو ذا. يستقبل الحُب والدفء اللذين يُقدّمهما له هؤلاء القوم، ويُقايضهما بالخدعة والزيف.

قال المُساعد: كان ما فعلوه جميلاً، وأنت الآن مُتّصلٌ بهذا المكان، بطريقةٍ ما. أنت الآن رجلٌ ينتمي لعالمين أصليين.

قال بصوتٍ أجش: «وعلينا أن نُغادر هذا العالم أيضاً، علينا أن نستمرّ بالفرار، كعادتنا دائماً».

-أجل، هذا صحيح. لكن هل يُمكننا أن نستمتع بهذا العالم لبعض الوقت أولاً؟

أطلق زيليون صوت فحيح، وأفسد الإحباط اللحظة. ماذا يوجد هنا ليستمتع به؟ معرفة أن هؤلاء الناس قد حُكِم عليهم بالهلاك؟ وأنه أنقذهم لا ليقودهم إلى الخلاص، بل ليساعدهم في الوصول إلى بر الأمان؟ وبجواره، بدأت شجرة تنمو -فرعٌ طويل ونحيل، تتفتح أوراقه فيرتجف كساقٍ طفل يُقدم على خطواته الأولى. راقبه، قبل أن يُشيع بنظره- ليجد نفسه أمام ريبكي، التي كانت تتسلّق التل الصغير، وهي تحمل معطفاً جديداً له، مصنوعاً من نفس الجلد البُني الذي ارتداه من قبل.

لا بُد أن المُساعد لاحظ قدمها، لكنه لم ينبس ببنت شفة.. الخائن! انضمت إليه -بوجهٍ شاحبٍ تحت نور الحلقات، وهي تُمسكُ بذلك المعطف- وأدرك أنها لم تكن هُناك في وقتٍ سابق، عندما قدّم له الجميع

الحرارة. بل كانت مع الكورس، لتصنع له هذا المعطف. أخذه بتردد، وشعر بالقلق من تلك النظرة التي تعتمل في عينيها.

خلعت ففأرها، ومدت يدها قائلة: «لم تسنح لي الفرصة لأعبرك عن شكري».

أمسك بيدها من المعصم الذي تغطيه الملابس، ليمنعها من لمس وجهه.

سألته: «لماذا؟ لقد تركت الآخرين يشكرونك».

أجابها: «أعتقد أنك رغبت في منحي شيئاً أكبر مما منحه لي الآخرون».

نظرت في عينيه لفترة وجيزة، كانهناء زهرة ذابلة في أول لحظات الحياة، ثم أشاحت بنظرها وهي تحمر خجلاً، قبل أن تسأله: «ولم لا؟ لماذا لا نحظى بقليل من الراحة في الساعات القليلة المتبقية قبل أن نعود للطيران؟ فقد تكون هذه ساعاتنا الأخيرة».

قال: «لا أنكر عليك راحتك يا ربيكي، فأنت تستحقينها، لكن ليس معي. فأنا كبير في السن بالنسبة لك».

-«كبير في السن؟ أنا أيضاً كبيرة بما يكفي. أي فارق قد يصنعه عقد من الزمان أو نحو ذلك بالنظر إلى ما مررنا به؟».

قال مبتسماً: «عقد من الزمان أو نحو ذلك؟». أوماً بذقنه نحو دائرة المركبات، قبل أن يضيف: «هل ترين تلك العجايز اللاتي يقُدن قوماً؟ أنا أكبر منهن سنًا».

التفتت إليه بدهشة عارمة. فأوما لها برأسه مؤكداً صحته قوله.

في النهاية قالت: «حسنًا، أنا لا أهتم بذلك».

قال بلطف: «لكنني أهتم، وحتى لو لم أهتم يا ربيكي، فسأرحل قريباً. مهما حدث، يجب أن أبتعد، يجب أن أهجركم جميعاً، لا يمكنني البقاء هنا».

وقبل أن تعترضني، وتقولي بأنك لا تهتمين بذلك أيضاً، دعيني أخبرك بأنك مُحطّة تماماً. صحيح أن سنوات عمري لم تمنحني الحكمة الكافية، لكنها منحني المعرفة. وأنا أعرف، يقيناً، الألم الذي ستشعرين به عند مغادرتي. بافراض أنني قد ارتكبت أخطاء، أو تركت الحُب ينمو».

نظرت إلى الجانب، حيث وُضع يده على الغصن الغض للشجرة النامية.. حيث التفت الكروم الصغيرة حول أنامله. ورغم أنه حاول التحرر من قبضتها برفق، انتهى الأمر به وهو يجذب يده بقوة على أي حال.

همست: «يُمكنك البقاء، يُمكننا قتال من يُطارِدونك».

ابتسم لها بلطف وقال لها: «أنت لا تدركين ما تنطقين به، وليس لديك أدنى فكرة عن الأمر».

أجابته: «ظننا يوماً أن تجاوز الجبال كان أمراً مستحيلًا، وها نحن أولاء. لذا يُمكننا تسلق جبلك أيضاً يا

زيليون».

زيليون.. أعجبه وقع الاسم على أذنيه. رُبما السبب هو ارتباطه المُعزَّز الآن بأرضهم، وبهذا الشعب. إن هذا الارتباط الروحي لشيءٍ غريب، كما أنه لم يتمكَّن من فهمه تمامًا حتى الآن. فبعض استخدامات وحدات الادِّخار يُمكن قياسها بسهولة، أما البعض الآخر ف.. حسنًا، غامضة كالروح البشرية ذاتها.

قال لريبيكي: «أنا آسف، لكن لا. لا يُمكنني أن أكون الشخص الذي تبحثين عنه». أشاحت بنظرها بعيدًا بحدّة، ثم ارتدت قُفَّازها مُجدِّدًا. لكنها لم تُعجِّل بالابتعاد وهي تشعُر بالخجل أو بالإحراج، مما جعله يشعُر بتحسُّنٍ طفيف. لكنها أيضًا لم تنظر في عينيه وهي تقفُ هناك، على قَمَّة التل، تتأمَّل الحلقات.

وأخيرًا قالت بصوتٍ خفيض: «لم أعد أرغب في تعلُّم القتل مثلك، لا أريد أن أكون بمثل هذه الفظاعة». احمرَّت وجهها خجلًا مرَّةً أخرى، قبل أن تقول: «ليس وكأنك.. أقصد أن...».

قال: «لا بأس، إنه أمر فظيع حقًا».

-«وجميل أيضًا».

قال: «هذا ما كنتُ أعتقد، لكن...».

نظرت إليه، وقد أمالت رأسها قليلًا.

قال: «لقد كانت هُناك لحظات في حياتي، تمكَّنتُ فيها من الوقوف بعزّة وشموخ، حتى في خضم القتال. كان ذلك قبل أن يأسرني عذابي». لمح في عينها الارتباك والحيرة، وأراد أن يهبها شيئًا؛ تفسيرًا لرفضه، فاسترسل في حديثه قائلاً: «كنتُ فارسًا في صفوف جماعةٍ حصريَّةٍ للغاية. بل جماعتين في حقيقة الأمر، في زمنين مُختلفين. في الأولى، كنتُ أحد قادتها البارزين، وأديتُ قسمًا كان من المُفترض به أن يُحوَّل ما أفعله من فظائع إلى -إن لم يكن شيئًا جميلًا- شيءٍ مُشرَّف. ولكن بعد ذلك...».

كيف يُمكنه أن يُفسِّر لها الجزء التالي؟ جزء لم يفهمه بنفسه بشكل كامل، استأنف حديثه قائلاً: «كُلِّفتُ بعُنصرٍ خطيرٍ للغاية، قادرٍ على قتل الخالق، وتدمير الكواكب. وتحمَّلتُ هذا العبء الثقيل، ووجدتُ روابط جديدة، لكن السلاح أتى على أجزاءٍ مُهمَّةٍ مني. ومزَّق روح أحد أعزَّ أصدقائي، وسرَّق درعي. وتركني كقشرة فارغةٍ لما كنتُ عليه من قبل. ولم يكن ذلك بسبب ما فعله السلاح بي فحسب.. بل بسبب الأشياء التي اقترفتها بنفسِي».

شبك يديه خلف ظهره، وطفق يتذكَّر ما شعَّر به عند ارتداء ذلك الزي الرسمي، وحمل تلك الدرع، وهو يؤدي تلك النذور، ثم استطرده قائلاً: «توجَّب عليَّ أن أتساءل، بمُجرَّد الانتهاء من كُل شيء، هل الشرف ما هو إلا خدعة؟ خدعة تستخدم لتحفيز الرجال على قتل بعضهم البعض، ولتبرير أفعالهم بالاعتقاد المُسبق بأن هُناك هدفًا نبيلًا لذلك. هل هذا المفهوم -فكرة الجندي الشريف- هو أخطر شرٍ ابتُلِيَ به الكون على الإطلاق».

سألته بصوتٍ خافت: «ماذا عمَّا فعلته لحمايتنا؟ أهو أيضًا فساد؟ محض شرٍ خالص؟».

بحق العواصف! لم يرغب في خوض هذا النقاش، في الحُكم بين الشر والشرف، كُل ما أُراده هو مواصلة الفرار. لماذا تُثار أسئلة كهذه كُلما استقرَّ في مكانٍ ما لفترةٍ طويلة؟ وكم عدد الأعذار التي سيُقدِّمها للرحيل؟ وهل سيكون قادرًا على الغوص في أعماق نفسه، واكتشاف السبب الحقيقي وراء أفعاله؟ ليس على المستوى السطحي، ولا بحثًا عن تفسيرٍ سهل. لكن هل سيجد في جوهر ما صنعه، من بين جميع البشر، القدرة على أن يترك كُل من أحب؟

انتظرت ريبكي إجابةً على سؤالها. تطلعت إليه، بعينين لامعتين يسكنهما الفضول. أجابها: «لا، حماية قومك بالقتال ضد المتفحّمين لم تكن شرًا يا ريبكي. لكنني لا أظن أنني قادر على رؤيته شيئًا جميلًا مرّةً أخرى». هزَّ رأسه قبل أن يضيف: «وليس بإمكانك أن تقولي ذلك بدورك. ليس إذا نظرتِ بداخلي، ورأيت مقدار المتعة التي شعرتُ بها خلال المعركة».

شحب وجهها بشكل واضح، ثم قالت: «لا زلتُ أتوق للعثور على سبيل لمُساعدة قومي». أشاحت بوجهها بعيدًا، قبل أن تستأنف حديثها قائلة: «إن لم يكن بالقتال، فبالقيادة. غير أنني أظن أنه سيتوقَّر لي الوقت لأدرك ذلك بمجرّد العثور على الملجأ».

غشت الكآبة وجهه. لقد منحته الفرصة اللعينة، أليس كذلك؟ حتى وإن كانت لا تدري ذلك. ليس بإمكانه تجاوز ذلك الأمر، مُتظاهريًا بأن خطأ لم يقع.

أجبر نفسه على أن يقول: «أجد نفسي مُرغمًا على قول ذلك مُجددًا. هذا الملاذ الذي تسعون لإيجاده، إنه ليس...».

دارت مُبتعدة عنه، وهي تقول: «توقف، لا تقلها».

- «يجدر بك أن تعرفي الحقيقة، إنه مُجرّد مكان أنشأه الغرباء لحماية أنفسهم».

قالت: «لقد أخبرتنا سابقًا أن هناك فرصة، هل لا يزال هذا صحيحًا؟ هل هناك أي أمل في وجود مكان يُمكننا أن نلقى الأمان في أحضانه؟».

بحق العواصف! لم يكن واثقًا من قدرته على الحفاظ على هذا الزيف. من المؤكّد تقريبًا أنها منشأة أبحاث سكارديانية، وفقًا لذلك المفتاح. مكان لإيواء فريق صغير من العلماء الذين جاءوا لدراسة الطريقة التي تعمل بها شمس كوكب كانتيكل.

كانوا سينظرون لهؤلاء الأشخاص بانفصالٍ باردٍ الذي يفصل بين الباحثين وموضوعات أبحاثهم. لقد كان هناك، ورأى هذا النوع من المواقف. صحيح أن الأمر لا يشمل جميع العلماء، لكن هذه المجموعة ستكون انتقائيّةً بالتأكيد. وكدليلٍ على ذلك، عَرَف أنهم لم يُحاولوا المساعدة حتى الآن، رغم الحياة المؤلمة التي عاشها هؤلاء القوم.

قالت: «لا تقل شيئًا، أرى الحقيقة بوضوحٍ في عينيك».

- «لكن...».

قالت: «لدينا قصة، عن عجوز طلب معرفة مصيره. وانظراً للأمل في نفسه إلى الأبد، بمعرفة إجابته».

قال: «إنها.. مجموعة شائعة من الأساطير. أعرف عشرات النسخ من عشرات الكواكب المختلفة».

قالت: «لن أكون ذلك الشخص، وسأحافظ على الأمل حياً بداخلي».

أجابها: «حافظي على الأمل بشيء حقيقي إذن، إذا ثبت أن الملجأ غير حقيقي، فأنت بحاجة إلى إيجاد درب

آخر للأمان. ذلك الدرب الذي تصوّرتَه شقيقتك يا ربيكي. وهو التحرر من سطوة ملك الجمرات».

-«وإلى أين سيقودنا ذلك؟»-

قال: «سيجعلك منارة، وسيرى الآخرون ذلك. يأتي وقت يكون فيه كل طاغية ضعيفاً ومكشوفاً. وإذا

سنت لهم الفرصة، سيطيح به شعبه بأنفسهم».

-«هل أنت متأكد؟»-

أجابها: «تماماً».

فكرت للحظة، قبل أن تهز رأسها وتقول: «كان بوسع إليجي أن تُقنع شعب «يونيون» بالإطاحة بملك الجمرات، لكن تلك المرأة لم تعد بيننا الآن، كما أننا لا نستطيع الاستمرار في الحياة هنا لفترة أطول، فقد تخلصنا من معدّاتنا الزراعيّة، وليس لدينا سوى معدّة تنقيب واحدة. وفتقر إلى الطعام، والإمدادات، ومكان للمعيشة.

أملنا الحقيقي الوحيد هو العثور على الملجأ، وهذا ما يُريده الخير الأعظم، وما يصبو إليه شعبنا. لذا احتفظ بمخاوفك لنفسك، واترك لنا الأمل».

أخذ نفساً عميقاً، ثم أوما برأسه.

قالت: «حسناً إذن، ماذا سنفعل بعد ذلك؟ كيف سنجد المدخل؟ وكيف سنتجاوز قوّة ملك الجمرات

لندخله؟ إنه يعلم أننا نجونا، وسيستنفر كل قواه لإيقافنا».

قال زيليون: «هذا صحيح، ولهذا السبب تحديداً، أنتم محظوظون بوجود قاتلٍ بينكم، فقد حان الوقت

لنُظهر لملك الجمرات كيف تبدو المعارك الحقيقيّة».

كانت ريبكي مُحِقَّة. إذ حَشَدَ ملك الجمرات جحافل قوَّاته. وصفَّهم، عشرات المركَّبات، ومئات المتفحِّمين، يُخلِّقون في الهواء خارج غطاء ظل السُّحب مُباشرةً، يترقَّبون في ذات المكان الذي حاول فيه سُكَّان المنارة، قبل يوم واحد، تحديد موقع الملجأ.

ظنَّ ملك الجمرات، مُعتمداً على مظهر قوَّاته، أنه على أهبة الاستعداد لمواجهة أي شيء. مما زاد مشهد مركَّبات زيليون وهي تخرُج من جوف سيول المطر، وتفتح عليهم النيران بمدافع ضخمة مُثبتة إليها جلاَّلاً وبهاءً.

قطعت كُرَّات ضوء بسُمك ساق رجل سماء الأفق، مُنطلقة من فوَّهات المدافع، لُتمزَّق قوَّات ملك الجمرات كما تعصف الريح العاتية بالأغصان. سقطت المركَّبات المُشتعلة بالنيران أرضاً، وصَرَخ المتفحِّمون عندما تطايروا من فوق الأسطح المُلتهبة.

كان الوايل الأول -والصدمة الناجمة عنه- هو الشيء الأساسي الذي يعول زيليون عليه. ركب في مركَّبة المُقدِّمة، مركَّبة إيجي، التي لحِم مدفع واحد إلى سقفها. حملت أربع من مركَّباتهم الأسلحة، بينما أدَّت الأربع الأخرى دورها كوسائل نقل، واكتظت بأكبر عددٍ ممكِن من الأشخاص.

اخترقت نيران القوَّات الحربيَّة المرتجلة صفوف العدو الأساسيَّة، وتسبَّبت في فجوةٍ واسعةٍ في قوَّات ملك الجمرات.. التي تفرَّق جمعها. وظهرت قوَّات زيليون في تلك اللحظة، وكأنها لا تُقهر في تلك اللحظة. نظر جانِباً، حيث انهمكت ريبكي في قيادة «دونتشييسر»، ورأى في عينيها شعوراً عَرَفه من قبل؛ دهشة رهيبية، ورُعب وغثيان، يشعُر بهم المرء عندما يواجه قُدرته على الدمار.

كانت تلك هي اللحظة التي أدركت فيها أن كل شيء حقيقي - وسط هدير وصَمَم نيران المدافع. تُغيِّر اللحظة التي يرى فيها المرء الناس يتساقطون - ويتمزَّقون إرباً بسبب ما اقترفته يدها - حياته إلى الأبد.

بحق العواصف! تمنى أن يُقايض العدو هجومه بذهولٍ مُماثلٍ لذلك الذي يظهر على محياها. فقد كان أحد الأشياء التي تعلَّمها في القتال هو؛ ألا يستهين أبداً بالدُعر المُطلق الذي يُمكن أن تُسببه ضربة مُنظمة لخط قوَّات غير مُدرَّب. حيث يُمكن الفوز بالعديد من المعارك بضربةٍ واحدةٍ مُذهلة.

طارَت مركَّباته في قلب قوَّات العدو مُباشرةً، ثم واصلت تقدُّمها بلا هوادة، إذ كان على يقين تامٍ من أن الملجأ، إن وُجد، ليس في هذه المنطقة تحديداً.

صدَّح صوت زيل عبر اللا سلكي وهو يقول: «بحق الظلال! إنه لمنظرٌ جميلٌ حقاً!».

قالت سُلميتي ديثاين: «دعوني أقدم لكم هذا التحذير؛ لقد استنزفت تلك الضربات طاقات قلوب شمسنا بمقدارٍ مُرعب. لم يتبقَّ لدينا الكثير، بعد رحلتنا هذه وما قدَّمناه لزيليون. توخَّوا الحذر في مقدار

ضرباتكم».

بعد أن ضحى زيليون بجميع وحدات ادّخاره لحماية المركبة الأخيرة، منحه الخير الأعظم عن طيب خاطر المزيد من وحدات ادّخار كل قلوب الشمس المتبقية. وهو ما يكفي ليتخطى ما يزيد قليلاً على الخمسة بالمئة من سعة القفز، وهو بالكاد أعلى من الحد الأدنى للحفاظ على قدرته على القتال. بحق العواصف! بالكاد يستطيع أن يتذكّر كيف كان الأمر عندما امتلك نسبة خمسين أو ستين بالمئة من سعة القفز، دون أن يساوره أي قلق بشأن استنزافها. منذ متى لم يشعر بذلك؟ ورغم افتقاده لذلك، وجد نفسه أكثر امتناناً لنسبة الخمسة بالمئة هذه، في مواجهة التضحيات التي قدّمها المنارة.

سألته كونفدنس: «ما مدى يقينك من نجاح خطتك يا زيليون؟ يُمكننا الطيران على ارتفاعٍ مُنخفضٍ وسط هذه الفوضى، واستخدام مُنقبّتنا للعثور على الملجأ».

أجابها زيليون: «إنه ليس هنا». ثم مال مُنحنياً نحو اللا سلكي قبل أن يُضيف: «أضمن لك ذلك يا كونفدنس. سننطلق للأمام، لنعكس الثقة - كما تفهّمين جيّداً - بأقصى سُرعتنا». وهكذا فعلوا، مُتجاهلين التضاريس الطبيعيّة التي بحثوا فيها في اليوم السابق. ورغم اليقين الذي أظهره، خائته أعصابه. فقد كانت هذه محض مُقامرة.

راهن زيليون -مُقامراً بحيوات الجميع- على أن الموقع الفعلي كان قريباً، وأن ملك الجمرات قد نجح في إخفائه، ولكن بنسبة قليلة فحسب. مثلما يفعل الساحر الذي يلهي الجميع بإحدى يديه، بينما يجمع كومة الأوراق باليد الأخرى.

عَرَفوا أن مدينة ملك الجمرات دائماً ما تسير في خطٍ مُستقيم، وتتوقّف بشكلٍ دوري للزراعة. وأنه قد حاول فتح باب الملجأ، في مكانٍ ما على طول ذلك المسار. لكن زيليون اعتمد على فكرة أنه قد نجح في نشر معلومات مُضلّلة حول الموقع، لمنع أي شخص من العثور عليه.

وعلاوةً على ذلك، فقد راهن على قلق ملك الجمرات، وأنه سيقصدهم بناظريه، ليرى ما فعله زيليون. وأن الرعب سيغزو فؤاده، خوفاً من افتضاح سرّه، وأن...

-الأمر يحدث! انظر إلى يمينك، بزوايةٍ تسعين درجة.

قال زيليون: «هناك!». وأشار إلى سربٍ عن جانبيهم، يضمّ مركبة ملك الجمرات بين جنباته، يستدير وينطلق للخلف. بينما واصلت عشر مركبات التقدّم، يُفترض أنها الأسرع في أسطول العدو. سيقودون الجميع إلى المدخل مباشرةً.

-هل تعرف أن قدرتك على استبصار ما سيقوم به بعض الناس أحياناً أمرٌ غريب؟

سألته ريبكي: «كيف؟ كيف عرفت؟».

قال وهو يميل للأمام: «يفتقر ملك الجمرات للشعور بالأمان بداخله، ويخشى أنه ليس باللبّاس الذي يظهر به، ومن أن يُسلَب كل شيء؛ ملكه، وسُلطانه، وما يُخفيه. ونحن نلعب على هذه المخاوف».

نتصرّف وكأننا نعرّف ما نفعله، وأنا نعرّف حقًا مكان هذه الفتحة. وإلا لماذا نُكَلِّف أنفسنا عناء اختراقهم على هذا النحو؟ ولماذا نظير بهذه الثقة نحو موقعه السري؟».

قالت: «لكننا لا نُدرِكُ كُلَّ ذلك، ولا نعرّف موقعه».

أجابها زيليون: «إنه لا يعرف ذلك، فمن منظوره، لقد وجدناه. لذا عليه الآن أن يعود لحمايته. لكنه لم يُدرِك - لم يُدرِك بعد، لأن مخاوفه طاغية للغاية، وذكاءه مُحَيَّبٌ للأمال بشدّة - أنه يقودنا مُباشرةً إلى سرّه». قال زيل عبر اللا سلكي: «هذا على افتراض أننا سنبقى على قيد الحياة مُدَّة كافية، فبعض هذه المركبات تتعافى، وتتجه نحونا».

اللعنة! لقد بدأت مركبات العدو بالفعل في العودة.

رُبما أدركوا مدى البُطء الذي يجب أن تتحرّك به مركبات المنارة لتحمي وسائل النقل المُكتنِظَة بها يفوق طاقاتها. أو رُبما أدركوا أن المدافع ملحومة في أماكنها، دون أبراج مُناسبة.

رغم كُل هذا الوميض والضجيج المُبهرين، كانت قوَّات زيليون ضعيفة للغاية، قال: «عليك أن تُنفِذي ما طلبته منك يا ريبكي».

- «لكنني أجهل كيفية تصويب هذا الشيء».

قال: «لا تحملي هم إطلاقه، بل اهتمي بنقلي إلى المكان الذي أصبو إليه». أمسك زيليون برُمح فولاذي - صنعه له الكورس - ثم غادر المقصورة، ليدلّف إلى العُرفة الخلفيّة. وقّف بجوار إليجي، وإحدى يديها لا تزال مُكبَّلة إلى الجدار.

مدّ يده إلى معصمها المُقيّد، وهو يقول: «نحن بحاجة إليك».

أجابته: «لستُ مُستعدة! لا يُمكنني السيطرة على الأمر».

قال: «وهذا درسٌ لك، لا يُمكنك أن تكوني جاهزة قط! لكن عليك أن تمضي قدمًا على أي حال، هذا شيء تعلمته من كالادين». ثم فكّ قيدها.

نهضت على قدميها في الحال، واندفعت نحوه بعُنف. أغلق عينيه أمامها، وطفق ينتظر اللكمة. التي - عبر معركة نقلها التواء التعبيرات على قسما ت وجهها - لم تأت.

عمّ صوت دوي ما من الخارج.. لقد قفز أحد المُتفحّمين على سطح مركبتهم، ولم يُكن لديه أمل كبير في إثارة فزعه بكاتا بسيطة هذه المرّة. إن ملك الجمرات، مُحاصرٌ في زاوية ضيّقة، وستقاتلهم قوَّاته.

استدارت إليجي نحو مصدر الصوت، وزمّجرت بخفوت.

قال زيليون: «ابقي بالقرب مني، ولا تفقدي السيطرة. وتذكّري، لسنا هنا لحصد الأرواح، بل لسنجو».

- «لا أريد سوى القتال».

قال: «قاتلي بهدف، ولا تُغفلي غايتك أبدًا». رفع كفّه الفارغة، فتجلى فيها رُمحٌ مُتألّئ. كان يتخلّص من صدأ روحه باستخدام قلب الشمس الصغير، لكن سهولة تمكّنه من صنع السلاح، لا تزال تبعث على

الرضا.

سَلَّمَهَا رُمَحَ الْفَلَقِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اعْتَنِي بِهِ جَيِّدًا».

أَخَذَتْ مِنْهُ الرُّمَحَ بِإِجْلَالٍ، قَبْلَ أَنْ تَقُولَ: «لِمَاذَا تُعْطِينِي إِيَّاهُ؟».

أَجَابَهَا: «لَأَنَّكَ تَفْتَقِرِينَ إِلَى التَّدْرِيْبِ، لَكِنِّي لَا أزالُ بِحَاجَةٍ لِلدَّعْمِ. سَتَكُونِينَ أَشَدَّ فَاعِلِيَّةً بِالسَّلَاحِ أَكْثَرَ بِمَرَاحِلٍ مِنْ أَنْ تَكُونِي بِدُونِهِ، وَإِنْ حَقِيقَةُ قُدْرَتِهِ عَلَى اخْتِرَاقِ أَيِّ شَيْءٍ، سَتَعَوِّضُ عَنْ عَدَمِ قُدْرَتِكَ عَلَى دَقَّةِ اسْتِخْدَامِهِ. فَفَقَطِ كُونِي حَذِرَةً.. وَلَا تَطْعَنِي الْمَرْكَبَةَ، وَابْذَلِي قِصَارَى جُهْدِكَ حَتَّى لَا تُصَيِّبِنِي. فَالْجُرُوحُ النَّاجِمَةُ عَنْ أَسْلِحَةٍ كَهَذِهِ يَصْعَبُ شِفَاؤُهَا».

أَوْمَأَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْيَجِي، الَّتِي أَوْمَأَتْ لَهُ بِرَأْسِهَا بِدَوْرِهَا، وَعَيْنَاهَا تَتَوَهَّجَانِ بِالْحِمَاسَةِ.
وَسُوْيًا.. اقْتَحَمَا سَطْحَ الْمَرْكَبَةِ.

استخدم زيليون رُمحه ليطعن ذراع مُتفحّم كان يُحاول حصد رأسه باستخدام منجل. ارتدَّ إلى الخلف، ثم عرقل الرجل.. لكن قبل أن يتمكن من توجيه ضربة قاتلة، انقضت إليجي على المُتفحّم، وطعته مرارًا وتكرارًا برُمحها. لم تقطع تلك الطعنات لحمه، بل نخرت روحه.. وعندما احترقت دماغه، احترقت عيناه وذُبلتا كجمرتين خامدتين، وخبا لهيب قلب جمره.

وبرغم وفاته، استمرت في طعنه، حتى كادت تحترق السطح من تحته. أمسك زيليون بذراعها، ليُجرها على التوقف.

-رُبما يجدر بنا أن نتوخى الحذر أكثر.. مع استخدامها للسلاح، أليس كذلك؟ سأحاول أن أتذكر التخفيف من حدته إذا بالغت في استخدامه مرّة أخرى.

نظر زيليون في عيني إليجي مرّة أخرى، قبل أن يقول: «انتبه».

أومأت برأسها، بعينين واسعتين، تتقدان حماسًا. إنها تتأجج بالحيوية على الأقل.

لم يصل إلى مركبتهم سوى مُتفحّم واحد فقط؛ باستخدام درّاجة هوائية، التي -لسوء الحظ- تهاوت بعد أن قفز من فوقها. والآن اختفت في مكانٍ بعيدٍ خلفهم. حلقت «دونتشيستر»، وهي أكثر قوّات المنارة قدرةً على المناورة، بعيدًا بعض الشيء عن التشكيل الرئيسي، الذي تألف من أربع مركباتٍ حربيةٍ تُحيط بمجموعةٍ صغيرةٍ مكوّنة من أربع مركباتٍ مُكنّظة بالركاب.

كان موقفًا ضعيفًا للغاية، وهو أمر بدا أن أغلب طياري ملك الجمرات على وعيٍ به. فبينما انطلق قائدهم ونخبته على متن أسرع مركباتهم، أحاطت البقية بمركبات المنارة. لحسن الحظ أنهم لم يُبادروا بالهجوم على مركبات النقل أولًا؛ بل اختاروا القرار الأكثر بديهيةً، وهو محاولة إبادة المركبات الحربية.

يميل الناس غالبًا إلى استهداف الدفاعات أولًا، وكأن هناك نوعًا من التسلسل الهرمي فرض عليهم اتباعه، لكنه لم يكن ليشتكي من ذلك. اقتربت ريبكي، مُتّبعةً تعليماته، من مركبة زيل الحربية - التي احتشد خمسة مُتفحّمين على سطحها. وما إن دنت، حتى قفز زيليون إليها. ضرب سطح المركبة برُمحه، ليلفت انتباه المُتفحّمين قبل أن يصلوا إلى الموجودين داخل المقصورة. وبناءً على اقتراح زيليون، فقد أخلوا المركبات الحربية من المدنيين. ولم يكن في كل واحدةٍ منها سوى قائد ومُساعد فحسب. وهو ما ترك جمعًا غفيرًا من الأشخاص على سطح مركبات النقل عُرضةً لإطلاق النار والأفلاق. حاول ألا يفكر في ذلك وإليجي تهبط بجواره، اشتبكا مع المُتفحّمين على سطح مركبة زيل الحربية. وكون الاثنان فريقًا جيدًا.. حيث أثبت زيليون براعةً في جذب الانتباه برُمحه الوهاج وضرباتة التكتيكية. فركّز المُتفحّمون عليه، مما سمح لإليجي أن تمزقهم إربًا باستخدام سلاحها المُستعار.

وخلال ثوانٍ معدودات، سَقَطَ أربعةٌ من المُتفجِّمين أرضًا، بينما انقَضَّ الأخير على سطح مَرَكَبَة حربيَّة أخرى مرَّت بالقُرب منهم. أوماً زيلون برأسه إلى إيجي، التي ابتسمت -قبل أن تلحق به- وهي تقفز في الهواء. وعندما هبطا على متن تلك المَرَكَبَة الحربيَّة الثانية، التقيا بفريقي آخر من المُتفجِّمين.



لكنهم فرّوا وتشبّثوا عوضاً عن القتال، وانطلقوا من المركبة إلى مركبات العدو التي مرّت بالقرب منهم. كان هذا خاطئاً، خاطئاً تماماً. فقد عرّف من تجربته مع إيجي أن المتفجّمين يُفضّلون القتال دوماً، مهما كانت الظروف. ولن يُفكروا في الفرار إلا إذا صدرت لهم أوامر صارمة بذلك، نظراً إلى الجانب، فرأى قلوب جمر صغيرة على السطح - قد تكون قد التصقت به بشكلٍ مغناطيسي - تتوهّج مراكزها بالأسلاك، والأغلفة المحيطة بها.

أمسك إيجي بشكلٍ غريزي، وألقى بها نحو «دونتسيسر»، التي كانت تتراجع باتجاههم. ثم قفز خلفها بعد لحظة، قبل أن ترتفع المركبة من خلفهم - حاملة معها المسكينين الموجودين داخل مقصورة القيادة - بانفجارٍ ساطعٍ من النيران الحمراء والمعدن المشتعل.

هوت إيجي على متن «دونتسيسر»، ثم تعثرت، وحملت بالحطام وهو ينجرّف في التضاريس الطبيعية الموجلة أدناه.. قبل أن ينفجر مرّة أخرى، وتمزج موجة التصادم مركبتهم.

نبض قلب جمرها بالغضب الأبيض المائل للحمرة، وهي تهمس: «غش.. هذا غش». قال: «لا قواعد هنا، نحن من جلب المدافع إلى ساحة القتال».

ومع ذلك، شعّر وكأنه أحمق، فقد كان يعي تماماً أنهم سيلجؤون إلى استخدام المتفجّرات. إذ زرعها سُكّان المنارة في غارتهم الأولى براءةٍ لإنقاذ أصدقائهم، وكان ينبغي عليه أن يستعد لذلك. كانت الخطة منطقيّة، لأن القنابل ستعمل حتى لو أثبت زيليون أنه مُحيف أو قوي للغاية بالنسبة للمتفجّمين. لم يكونوا بحاجةٍ للقتال، بقدر حاجتهم لأن يُصبحوا آلات قتال متحرّكة.

صاح زيليون وهو يُشير: «عودي إلى مركبة زيل، ودافعي عنها! ولا تسمح لي لأبي من المتفجّمين بالبقاء لفترة كافية ليزرع المزيد من القنابل. وإذا فعلوا ذلك، فألقي بالقنابل من علي».

أومأت برأسها، فأشار إلى ريبكي لتأخذهم إلى ذلك الاتجاه. قفزت إيجي إلى السطح، بينما أشار زيليون للأمام.. حيث هبط أحد المتفجّمين من مركبةٍ مُعاديةٍ إلى سطح المركبة الثالثة من المركبات الحربية الأربع.

اندفعت بهم ريبكي للأمام، فقفز، مُستغلاً الزخم ليحمله في الهواء قبل أن يهبط على متن المركبة. حيث انهمكت امرأةٌ مُتفحّمة في شحن شيء ما مُقابل قلب جمرها.. إحدى القنابل. بدا أنها بحاجةٍ لوقتٍ للتجهيز، مما أتاح له بضع لحظاتٍ ليشق طريقه بين الآخرين، ويطعنها في عنقها.

لكن سلاحه لم يكن مُدخراً، إنها هو رُمح عادي بحث. ومن المُثير للدهشة أنها نجت من تلك الطعنة، وأجبرته على صفع يدها وركل القنبلة جانباً. اهتزت المركبة بانفجارٍ أثناء اشتباكه مع ثلاثة مُتفجّمين آخرين. على الأقل بدا أن المتفحّمة التي طعنها تُعاني أثناء القتال، فبالكاد تمكّنت من الوقوف على قدميها. وبناءً على ذلك، صبَّ جُل اهتمامه على سيقان وأقدام المتفجّمين.

أمطرهم بوابلٍ من الطعنات، ثم تمسك بالسور، وأشار بيده بشكلٍ دائري. فهتمت قائدة المركبة، وهي امرأةٌ لم يكن يعرفها جيّداً، فكرته وأدارت المركبة بخفةٍ - لتقذف بمجموعةٍ من المتفجّمين الجرحى إلى

الوحد أدناه وهم يصرخون، بينما تشبَّث هو بالسور.

أخبرته نظرة سريعة أن إليجي تُبلي حسناً على سطح مركبة زيل الحربيّة. فقد كانت فعالية أو كس ملموسة ضد الأعداء الذين يجلو لهم الاندفاع والتحكُّم في دفّة القتال، غير آبهين بأذى ضربة أو اثنتين. فالسلاح الذي يخترق المعدن، ويُقطع الأرواح هو حتماً أداة ردع فعّالة للغاية للحد من العدوانيّة المُفرطة. تدبّرت إليجي أمر المُتفحّم الذي حاول إيقافها، ثم ركّلت قنبلتين من على جانب المركبة.. لم تنفجرا، وإنما هوتا في صمّتٍ مُطبق إلى الوحد أدناه.

لسوء الحظ، نجح ذلك في حماية مركبتين حريبتين، في حين هوت واحدة، واعتلت إليجي سطح رابعة، وتواجد هو على متن الخامسة، أما الأخيرة.. فشعر بموجة التصادم عندما دوى انفجاراً بالقرب منه. التفت سريعاً ووجد المركبة الحربية الأخيرة -التي كان يقودها جيفري جيفري- تكافح من أجل البقاء في الهواء، بينما تشوّه أحد جانبيها بفجوةٍ مُلتهبة، حيث استمرّ الفولاذ نفسه في الاحتراق.. بنفس الطريقة الغريبة التي تتميز بها قلوب الجمر في هذا المكان. وبالْحُكم على الطريقة التي تحبّطت بها المركبة، فقد كانت على وشك السقوط - لا سيما عندما رأى ثلاث قنابل مُنفحمة أخرى مُثبتة إلى أجزاء مُتفرقة من سطحها. إذن فقد سقطت مركبتان حريبتان، و...

لا، لم تسقط بعد. لقد ماتت المركبة، لكن لا يزال هناك بشر أحياء على متنها. هذه المرّة لم يكن بحاجةٍ لطلب العون من المُساعد، ولم يُمعن التفكير في الأمر؛ بل اندفع مُسرّعاً إلى حافة مركبته، قبل أن يقفز من فوقها. مرّت به لحظة وهو بين أحضان الريح، قبل أن يُحط بقوةٍ على سطح المركبة الحربية الرابعة - حيث كانت تقترب بسرعةٍ شديدة - ليفقد رُمحاً أثناء تدحرجه، فقد أُلقي الأخير جانباً بفعل اهتزاز المركبة.

صرخ ليستدعي المُساعد على هيئة حُطّاف، وغرسه بقوةٍ في سطح المركبة، مُثبّتاً نفسه في مكانه. وتمنى أن تنجح إليجي في البقاء على قيد الحياة بدون سلاح ولو لهنيهة.

زارت الريح من حوله، وارتعدت المركبة، نهض على قدميه -مُتجاهلاً المُتفحّمين المشغولين بشحن قنابلهم- مُسرّعاً نحو مقصورة المركبة. وبالداخل، لم ير سوى جيفري جيفري، الذي يبذل قصارى جُهدِه للسيطرة على المركبة.

استدعى زيليون المُساعد على هيئة نصل فلق ضخم، بطول رجلٍ بالغ تقريباً، ثم استخدمه ليشق سقّف المقصورة، وكأنه يفتح عبوة طعام. لم ير أي أثر لمُساعد الطيّار؛ ربّما سقط من على سطح المركبة. رفع زيليون نفسه فوق الحافة، ومدّ يده للأسفل، مُمسكاً بجيفري جيفري المُرتبك من معطفه. قطع المُساعد حزام أمان الرجل، ثم أمسكه زيليون بكلتا يديه ورفعته نحو الخارج.

نظر للخلف عندما قفز المُتفحّمون هرباً من المركبة، إلى الوحد أدناه، لأن بقية المركبات كانت أبعد من أن يصلوا إليها، ثم رمق القنابل الوامضة بنظرةٍ خاطفة، قبل أن يستدعي المُساعد مرّةً أخرى؛ هذه المرّة على هيئة

درع، فوق أحد تلك القنابل.

وقفز زيليون عاليًا عندما انفجرت القنبلة.

حلَّق هو وجيفري جيفري عاليًا في الهواء، قبل أن يرى زيليون وميضًا فوضويًا من الألوان والمعدن، وتأرجح. وعندما استقرَّ كلُّ شيء، تعلَّق بيدٍ واحدةٍ من مجموعة حُطَّافاتٍ مخلبيَّةٍ شكَّلتها من المُساعد، قبل أن يغرسها في هيكل «دونتشيستر»، بينما أمسك بجيفري جيفري تحته مُستخدِمًا يده الأخرى، وتدليا فوق ارتفاع يبلغ حوالي عشرين أو ثلاثين قدمًا.

يُعلِّق الفارس قائلًا: يبدو أن بعض ضلوعه قد تَهَشَّمت، وأنه قد تلقى بعض الضربات القويَّة. كما أن هناك بعض الكدمات الشنيعة التي تنتظر دورها للتشكُّل على طول جانبه الأيمن، وربما تعرَّض كذلك لارتجاج في المُخ.

لكنه حيٌّ يرزق. سحبه زيليون للأعلى، قبل أن يُلقِي به على سطح «دونتشيستر». ثم تبعه، متهاويًا على سطح المركبة. وفي مركبةٍ قريبةٍ، واجهت إيجي العديد من المُتفحِّمين بمُفردها تمامًا. نادى عليها، ثم شكَّل المُساعد على هيئة كُرَّة معدنيَّة، سهلة القذف. ألقى بها إليها، فأمسكت بها، قبل أن يتشكَّل المُساعد إلى منجلٍ في يدها.

عاد زيليون إلى جيفري جيفري، الذي قبع بذهولٍ على سطح المركبة، رفع الرجلُ المُلتحي ناظره، بعينين واسعتين، وقال مُرتعدًا: «لماذا.. لماذا ينكسر الضوء من حولك؟».

نظر زيليون إلى الجانب، ورأى المزيد من الأفلاق مُعلَّقة في الهواء من حوله لتكوِّن قوسًا. بينما توهَّجت ثلاثة أخرى على ذراعيه، بقايا نوعٍ مُختلف من الأفلاق. ولعبت جميعها بمشهد الضوء المُحيط، مما جعلها تبدو مشوهة. رُبما كانت.. عشرة؟ ذكَّرتُه بالأيام الخوالي، وبقايا جماعتين، وبنذورٍ مضت. ابتسم نوماً وأشار لجيفري جيفري ليشق طريقه إلى مقصورة «دونتشيستر»، وهو ما فعله الرجل صاغراً مُتعرِّجًا في مشيته. استعدَّ زيليون للمعركة التالية، ورفع قبضتيه للأعلى، مُستعدًّا لنزالٍ يدوي.

لكن قوَّات العدو بدأت تتراجع لسبب ما.

يقول الفارس: هناك، انظر أيتها المُرافِق المُخلص. لقد هبطت المركبات أمامنا.

حلَّقت حاشية ملك الجمرات حول مكان ما على الأرض، وبرز قنَّاصته على أسطح المركبات، ووجهوا فوَّهات بنادقهم صوب الأعلى. أو ما زيليون برأسه لريبيكي من خلال الرُّجاج الأمامي، فقادت مركبتهم خارج التشكيل، وحلَّقت بها للقيام بمسح سريع. ونتيجةً لإطلاق نيران البنادق، انهار جزءٌ من السور، وأصابت الهيكل بعض الحدوش، لكنها لم تُحترق الدرع السميكة لمركبة إيجي.

مَسَّحت ربيكي الأرجاء، ثم نظرت في عينيه عبر الرُّجاج، وأومات برأسها مرَّة بحزم. لقد حدَّدت المساحات الضويَّة بالمنقبة الموجودة في المركبة مصدرًا كبيرًا للطاقة أدناه - كما تمنى، لقد قادهم ملك الجمرات إلى الملجأ مُباشرةً.

والآن، حان الوقت لرؤية ما بالداخل.

شعرت إيليجي أن المعركة، بشكلها الحالي، قد وضعت أوزارها. فقد بدأت مركات العدو بالانسحاب، بينما أنهت «دونتشييسر» مسحها الجوي المنخفض، مؤكدة أنهم في الموقع الصحيح. والآن بدا الأمر وكأنه مواجهة بين سگان المنارة المحلقين في الهواء، وقوات ملك الجمرات أدناه.

اعتراها الـ.. خوف. ليس ذلك الخوف الأعمى المبالغت، الذي يُشعرك بأيادٍ تعتصر عنقك. بل خوفٌ زاحفٌ خبيثٌ، ينتشر في أرجاء المكان.. خوفٌ يشي بأن الأمور خرجت عن نطاق سيطرتك.

لم يكن ذلك شعورها، بل شعور ملك الجمرات. فما زالت مشاعرها تتأجج بالنيران، نيران تحثها على البحث عن عدوٍ آخر، على مواصلة التلويح بهذا المنجل الذي يقتل دون أن يتسبب في أي جراح، ألا تتوقف أبداً عن الحركة، أو عن الهجوم. ألا.. تتوقف.. أبداً..

لكن لم يعد هناك أحد آخر لتقتله، وأحجمت -بجهدٍ مُضنٍ- عن دخول مقصورة مركاتها، ومواجهة الشخص الذي يقودها. وعضاً عن ذلك، عندما اقتربت «دونتشييسر»؛ ففزت بين المركاتين وتشببت بالحاجز.

وبعد لحظات، اندفعت داخل المقصورة، حيث تولت تلك المرأة التي تُدعى ريبكي القيادة. تشببت إيليجي بسلاحها السحري، لكنها لم تكن بحاجة لاستخدامه. فقد شرح لها هذا الرجل -القاتل- أن بإمكانها انتقاء لحظاتها، وبإمكانها أن تزيد حلاوة بفضل إحجامها.

استدارت ريبكي، ثم ابتسمت لها. ابتسامة بدت صادقة عميقة، فقد سرت حقاً لرؤيتها. وهذا مؤكد، إذ سبق أن تصرفت بهذه الطريقة من قبل. لكن الآن، بعد الانتعاش الذي شعرت به جراء قتلها، ومعرفة أنها تُفكر في مهاجمة ريبكي في أعماق دماغها.. بدت الابتسامة التي لاحت على محياها غير مناسبة في هذا الوقت.

قالت إيليجي لنفسها: إنها تريدني أن أبقى معها، ما خطبها؟

كانت هذه لفظة لطيفة، فاتنة، بل حتى.. ملهمة؟

مالت ريبكي برأسها قليلاً إلى الجانب، قبل أن تسألها: «هل أنت بخير يا إيليجي؟».

-«أشعر.. بشعورٍ مُختلف».

قالت ريبكي وهي تمسك بيدها: «أنت تتذكرين، سيحدث هذا، وستعود إليك كل ذكرياتك قريباً».

سألته إيليجي: «ألا يجدر بك قيادة المركبة؟».

أجابته ريبكي وهي تتجه نحو مقعدها: «صحيح!». فعلت شيئاً ما بجهاز اللا سلكي، فصدح صوت القاتل، وهو يتحدث من إحدى المركات الحربية.

قال: «حسنًا، ليستعد الجميع للهبوط في المساحة التي سأفسحها لنا».

أجابته كوني فندنس: «إنهم مُتَحَصِّنُونَ هُنَا، كيف ستفتَح لنا مجالاً هُنَاكَ؟ سيُطَلِّقُونَ النار علينا إن هبطنا». قال القاتِل: «أنتُم قوم..». بدا صوته مليئاً بال.. غضب؟ لم تُكُنْ هذه الكَلِمَةُ تليقُ برجلٍ بمثلِ شراسته، رُبِمَا لم تفهمِ إِيلاجي العواطفِ كما اعتقدتِ، تابع حديثه قائلاً: «قضيتُم حياتكم في الطيران. فكيف لكم إذن أن تجهلوا قوَّةَ التفوقِ الجوي؟ أعتقد أنكم لم تخوضوا حرباً قط، ونادراً ما تبقون في مكانٍ واحدٍ لفترةٍ طويلةٍ.. حسناً، انتظروا وراقبوا ما سيحدثُ فحسب».

انحنتِ إِيلاجي إلى الأمام، ورأت إحدى المركباتِ الحربيَّةِ وهي تنفصلُ عن تشكيلهم من خلال الزُّجاجِ الأمامي. حلقت في الأرجاء، قبل أن تهوي، مصوَّبَةً مدافعها الضخمة المضادة للمركبات بزواوية نحو الأرض. ثم انقضت على موقع ملك الجمرات، مُطلِقةً النيران. واتضح أن التواجد على الأرض -وبالتالي عدم القدرة على الحركة- بينما يملك شخصٌ آخرُ مركبةً بهذا النوع من القوَّةِ النارية كان أمراً مُثيراً، ذلك النوع من الإثارة الذي لا يروق لأغلب الناس، والذي يتضمَّن انفجار المركبات، وصراخ الناس، والتسابق للهروب من الطريق. تمكَّن القاتِل من البقاء خارج مدى طلقاتهم، مُستعيناً بالجاذبيَّةِ ليُمطرهم بوابلٍ من قذائفه - وبينما استطاع الانطلاق بسرَّعته القصوى، لم يَكُنْ بوسعهم سوى البقاء هُنَاكَ.

وفي غضون لحظات، تفرقت قوَّات ملك الجمرات. أوامت إِيلاجي برأسها، مُعترِفةً بفاعلية هذه الطريقة للقتل، لكنَّها كانت من مسافةٍ بعيدةٍ للغاية، ولا تتناسب مع ذوقها. ولعلها استمتعت لو كانت من بين هؤلاء المُستهدفين، حيث يوجد الكثير من الحيويَّةِ والهلع.

لحظة. لا! من المُحتمل أن يؤدي ذلك إلى قتلها، وكان ينبغي عليها أن تتجنَّب هذا. فبعد كل شيء، من سيضمَّن أن ريببكي لن تفقدِ ابتهامتها بعد موت إِيلاجي؟

إنه لُعز!

تحدَّت كوني فندنس عبر اللا سلكي: «كان ذلك مُبهراً بلا شك، لكن دعني أحدِّرك؛ ألن يحظوا بالتفوقِ الجوي علينا إذا هبطنا هُنَاكَ؟».

قال القاتِل: «أجل، ولهذا السبب أقترح أن نتحرَّك بسرَّعةٍ في هذا الجزء المُقبِل، ليهبط الجميع ويستعدوا للركض نحو الملجأ. هذا ما كُنَّا ننتظره، وها قد حان الوقت لفتح ذلك الباب».

وبينما ذهب الجميع لتنفيذ ما أمر به، انقضت ريببكي -مُستعينةً بشاشة المركبة التي تُرشدها إلى موقع البحث- لتفعيل نازحات تُراب «دونتشيستر». تركتها إِيلاجي تؤدي مُهمَّتها، ومضت نحو سطح المركبة، ثم قفزت من ارتفاع يُقارب العشرين قدماً نحو الأرض الطريَّة. وبحلول الوقت الذي هبط فيه البقية وتجمَّعوا، أماطت ريببكي اللثام عن شيءٍ ما. قرص معدني ضخم، مُثبت في الأرض، على عمق حوالي قدمين فقط تحت تربة رماد الحُمم. وقبل أن تهبط بمركبتها، وتنضم إلى المجموعة المُحتشدة حول القرص.

توقَّف القاتِل على حافة القرص، قبل أن ينضم إليه زيل، ويُسلمه القرص الأصغر الذي تحدَّثوا عنه جميعاً على أنه مفتاح من نوعٍ ما. تناوله القاتِل، وتأمَّله، ثم أعاده إلى زيل قبل أن يقفز هابطاً عدَّة أقدام، ويستقر على

سطح ذلك القرص الفضي.

وهناك، انحنى قليلاً، قبل أن يقول بصوت عالٍ: «بموجب قانون اللاجئيين والمُعترين المفقودين الخاص بقواعد السلوك بين الكواكب، أطلب رسمياً اللجوء إلى هذه المنشأة، أرجو الرد».

ساد الصمت للحظة. لماذا لم يستخدم المفتاح؟ لقد فهمت إيجي كل هذه الكلمات، لكن السياق استعصى عليها. نظرت إلى السماء بدلاً من ذلك، ورأت قوات ملك الجمرات - التي بدت أكثر رهبةً - تحتشد حولهم. فجأة.. بزغ عمود أسطواني، بطول يُقارب الأربعة أقدام، من قلب المعدن أدناه، ليظهر جلياً بالقرب من القاتل. وصدح منه صوت يتحدث بلغتهم، لكن بلكنة ثقيلة وهو يقول: «لحظة.. هل أنت من روشار؟».

أجابه القاتل قائلاً: «أنا كذلك بالفعل، وأطلب اللجوء بموجب...».

- «أجل، نعم، حسناً، يُمكنك التفاوض».

أشار إلى الآخرين قائلاً: «يحتاج هؤلاء إلى الحماية أثناء نقاشنا».

ساد الصمت للحظة أخرى. نظرت إيجي صوب السماء، محاولةً الشعور بالرهبة التي انتابت الآخرين من أماكنهم. لكنها وجدت ذلك عسيراً؛ إذ لم يعد ملك الجمرات يعرف للخوف طريقاً، لأنه اعتقد أنه قد هزمهم.

ثم تدفّق انفجار من الطاقة من تحت الأرض، مُنطلقاً نحو حشد قوات ملك الجمرات، فتقهقرت المركبات في هلع. منذ متى تُطلق الأرض النيران؟ لقد كانت رسالة مقصودة تقول: تراجعوا!

قال صاحب الصوت ذو اللكنة من عموده: «حسناً، يُسمح لك بإحضار ثلاثة فقط معك أيها الروشاري. وتذكّر جيداً أن سماعنا لك لن يكون إلا لفضولنا حيال كيفية وصولك إلى هنا».

ارتفع عمود آخر بجوار الأول، لكنه كان أكبر بكثير، وفتح باب في مُقدمته. إنه.. جهاز نقل من نوع ما؟ ليهبط بهم إلى الملجأ؟

اتجه نحو أهل البلدة المُتجمّعين مُتسائلاً: «أفترض أنني يجب أن أصطحب معي عضوات الخير الأعظم؟». قالت كومباشن وهي جالسة في مقعدها الذي أعدّه له أحفادها على الأرض: «اصطحب ريبكي بدلاً مني، لأنه لا يجدر بثلاثتنا أن نهبط معاً، تحسباً لأي شيء، كما علمتنا».

تبادل القاتل وريبكي نظرة سريعة، ثم أوماً برأسه، وتوقف قليلاً قبل أن ينظر لإيجي قائلاً: «أحتاج لاستعادة ذلك».

صحيح. كانت لا تزال تمسك بالسيف. ورغم تشبُّثها به، أرغمت نفسها على تقديمه إليه. اختفى السلاح من بين أصابعها، ثم تحوّل إلى ضباب متوهج، قبل أن تتمكن من تقديمه.

اقرب القاتل، وهمس بصوت خفيض: «قد تكونين الشخص الوحيد الذي يمتلكه هؤلاء الأشخاص بعد هذا».

- «لا أفهم».

أجابها: «إذا ساءت الأمور في الجزء التالي، حاولي حمايتهم. أعتقد أن هذا كل ما يُمكنني أن أطلبه منك». مالت برأسها قليلاً قبل أن تسأله: «ساءت الأمور؟ لماذا ستسوء الأمور؟». لم يُجبها، وإنما رمتها بنظرةٍ قائمة. وهكذا، عرّفت التفسير المثالي لما قاله؛ هناك معركة وشيكة، بانتظاره. همست: «هل ستقاتل الأشخاص الذين يعيشون بالملجأ؟». أجابها: «ليس جسدياً للأسف. لأنني على يقينٍ تام من انتصاري عليهم لو جرّت المواجهة بهذه الطريقة». تركها مع هذا البيان الغامض، ودخل إلى الأنبوب المعدني، لينضم إلى كونفدانس، وكونتمبليشن، وريبيكي. وبعد لحظة، هبط الأنبوب، لينقلهم إلى مكانٍ آمن.

فُتِحَ الباب، ورأى زيليون تمامًا ما كان يخشاه. عُرفهُ واسعة، على شكل كبسولة، تتراص فيها محطات العمل، وتكسو جدرانها الشاشات. ولا بُد من وجود طابقين آخرين تحت هذا الطابق، أحدهما مُخَصَّص للأنشطة، والآخر للمبيت. كانت كبيرة بما يكفي لاستيعاب عشرين شخصًا من العاملين بها - لكنه لم يكن ملاذًا عملاقًا.

وبجوار زيليون، نَظَرَ سُكَّانَ المنارة الثلاثة إلى ما حولهم بعيونٍ واسعة، ملؤها الدهول، ورُبما الدهشة. وعلى الرغم من تقدُّمهم التكنولوجي، بدا واضحًا أنهم لم يشهدوا شيئًا كهذا من قبل. إنها - بلا شك - مَرَكَبَةٌ فضائيَّة، مَرَكَبَةٌ علميَّة؛ عُرِسَتْ في أرض هذا الكوكب، بغية الاختفاء، وسعيًا للحماية، أثناء انشغال علماءها بجمع القراءات الضرورية. رُبما يُمكنها أن تؤوي نحو مئة وثلاثين لاجئًا تقريبًا، لكن وجودهم سيملاً المكان عن بكرة أبيه، ويُثَقِّل كاهل أنظمة دعم الحياة. لكن.. رُبما توجد طريقة أخرى.

تقدَّم شخصان لاستقباله، رجلٌ وامرأة، يرتديان حُلِيًّا معدنيَّةً صغيرةً على جانبي وجهيهما، مثلثة الشكل، ومطلبيَّة بالمينا الحمراء. هؤلاء هم رواة الزمن، فصيل من بين عديد من الحركات السياسيَّة السكادريانيَّة. ونظريًا، فإنهم يلتزمون بالحياد في خضم الصراعات الراهنة. ويُعتبرون مجموعةً من العلماء الذين يسعون إلى «فهم أسرار الكون المُختلفة». وهم بكل تأكيد ليسوا أبدًا ذراعًا للجيش تعمل سرًا لتطوير تكنولوجيا قد تسمَح للسكادريانيين بالبقاء في طلعة سباق التسلُّح الخطير المتزايد، الذي يستنزف حاليًا مُعظَم الكواكب المُتقدِّمة.

قال الرجل بلُغته: «هل يُمكنك التحدُّث بلُغة مُتحدِّثة أيها الروشاري، من فضلك؟ هل تتحدَّث اللُغة المالويشيَّة؟».

هزَّ زيليون رأسه، مُتظاهريًا بأنه لم يفهم، على أمل أنها لا يتحدَّثان أيًّا من لُغاته الأصليَّة. على الأقل يُمكنه أن يدَّعي بصدق جهله بالأزيش، بعد أن اضطر لاستبدال قُدرته على النُطق بها باللُغة المحليَّة. استكمل الرجل حديثه باللُغة المحليَّة قائلاً: «حسنًا إذن». تتمتع ببشرة داكنة، كما أنه كان طويل القامة بالنسبة لسكادرياني، حتى إنه فاق زيليون طولًا بمقدار بوصة أو نحو ذلك، تابع حديثه قائلاً: «هل أديت القسم أيها الروشاري؟».

كذِبَ زيليون قائلاً: «لا، أنا رجل حُر، ولا دور لي في الصراعات. جُل ما أريده هو أن أبقى رأسي مُنخفصًا، وأن أظل على قيد الحياة». - «هل يُمكنك القتال؟».

- «لديّ نصل».

تبادل زوج السكادريانيين نظرةً فيما بينهما.
سألته المرأة: «كيف وصلت إلى هذا الكوكب؟».

فأجابها: «أتيتُ عبر شادسمار (24)».

- «لا توجد أي تعامدية هناك».

كذب قائلاً: «لقد دُفعتُ إليه بواسطة تعامدية مؤقتة، وسافرتُ بهذه الطريقة، ولم أكن أنوي التوقف.
والآن، أنا عالق، وهذا هو أغرب شيء، ولا أدري إن استطعتُ حتى شرح ذلك».

ارتدت المرأة ملابس حديثة كالرجُل؛ سروالاً من الجينز الأسود، ومعطفٌ مُختبر، وقميصاً من تلك
الأنواع الفاخرة التي تُحبُّها قوّاتهم الفضائية. قالت وهي تطوي ذراعيها: «هناك أحداث غريبة تقع على متن
هذا الكوكب».

قال الرجُل: «سنُغادر قريباً، فالسفر محفوف بالمخاطر هذه الأيام. ويُمكننا الاستفادة من يُجيد القتال.
أفترض أنك عملت كمرترق، ما دمتَ تمتلك نصلاً؟».

أوماً زيليون برأسه.

قال الرجُل وهو يُصَفِّق بيديه: «ممتاز، لقد تمَّ توظيفك».

أفأقت كونفدنس من ذهبها المروّع، وقالت: «توظيفه؟ لكن...».

قال زيليون: «لستُ مُهتِماً بالعمل، فأنا أعمل لصالح هؤلاء الأشخاص بالفعل، وأود التفاوض معكم
لمساعدتهم».

خرّت ريبكي على رُكبتها، وقالت: «من فضلكم يا أهل الملجأ، أرجوكم، دعونا ننضم إليكم. نحن عمّال
مُتجهدون، ذوو نفوس قويّة. لقد رفضنا أساليب ملك الجمرات الرهيبة، ونخطّينا العديد من العقبات لنصل
إليكم، أرجوكم».

بدت على مِحْيَا المرأة ملامح الاستمتاع، قبل أن تقول: «أنتم؟ تنضمون إلينا؟ لقد بلغنا بالفعل ذروة سعتنا
القصوى. ماذا تظنوننا؟ جمعية خيرية؟».

اقترب منها زيليون قبل أن يقول: «اسمعاني، هل شاهدتُما ما يحدث بالأعلى؟».

أجابه الرجُل: «لدينا قلّة من السُكّان المحليين بالفعل، لنستخدمهم كمواضيع في أبحاثنا. أعتقد أن
بإمكاننا الاستفادة من فردٍ أو اثنين آخرين، لكن هذا هو الحد الأقصى. إن ما نحتاجه حقاً، هي قلوب
الشمس تلك، لكن لدينا مورّداً لها بالفعل».

سأله زيليون: «مورّد؟ كيف لكم أن...». ثم سرعان ما استوعب الأمر، فاستطرد قائلاً: «ملك الجمرات،
متوهّج العينين، هل اجتمع بكم؟».

أجابته المرأة: «إنه يُرَوِّدنا بما نحتاجه بين الحين والآخر، وتُقدِّم له في المقابلِ حِكَايَاتٍ عن التكنولوجيا والمعرفة. لم يكن لدى هؤلاء الأشخاص أدنى فكرة عن كيفية الاستفادة من وحدات ادِّخارهم الأصليَّة». بحق العواصِف. لم يكن ملكِ الجمرات يُحاوِل الدخول إلى هذا المكان - فقد تمكَّن من ذلك بالفعل، منذ عدَّة سنوات على الأرجح. ولعله تعلَّم في هذا المكان طريقة صُنْع المُتفحِّمين، وكيف يتحكَّم بهم باستخدام الأساور. ولم ينبثق حرصه على حماية لهذا المكان عن رغبته في الفرار إليه؛ بل لأنه يُعد المصدر السري لقوَّته. قال زيليون: «اسمعوني، إن هذا الرُّجُل طاغية».

أجابته المرأة: «ثم؟».

وقال الرُّجُل: «وماذا تُمثِّل مشاكلهم لنا؟ أنت مُرتزق أيها الروشاري. كما أنك تعلم بوجود العشرات من هذه الكواكب الصغيرة في كُلِّ زاوية من زوايا الكون، ويتمتع كُلُّ منها بنظامٍ حُكْمٍ مُتخلفٍ وطُرق رجعيَّةٍ للقيام بالأشياء. ماذا تُريد منا؟ هل تُريدنا أن نستقبل كُلَّ من يمرُّ بيومٍ سيئٍ».

-«أنا...».

ورغم وضوح الاعتراضات، وجد نفسه عاجزًا عن التعبير عنها لعلمه المُسبق بما يحدث هنا، بل وتخطيطه لحدوث ذلك. وبداخل الغرفة، على طاولة قريبة، قبعَت جرةٌ متوهَّجة. يُطلقون عليها اسم (دور). وهي نوعٌ من وحدات الادِّخار النقيَّة التي يُمكنه استخدامها لتفعيل قفزة أخرى، للفرار من هذا العالم، والهروب إلى كوكبٍ آخر. تمامًا كما كان يأمل، فقد كانت هذه هي الغاية الرئيسيَّة لقدومه إلى هنا.

ماذا كان يتوقَّع؟

لقد أوصل سُكَّانِ المنارة إلى الباب، ثم ساعدهم على اجتيازه. هذا ما وعدَّهم به، وهذا ما عرفوه، ولقد حذرهم من ذلك عدَّة مرَّات. وبينما خذلتها الكلمات، حاول الآخرون التدخُّل، فقالت كونفدنس: «هل يُمكننا التفاوض من فضلكم؟ هل يسعنا أن نستجدي، إن لم تكن مشاعر الرحمة أو العدالة، فحسبك التجاري؟ ما الذي يُمكننا أن نُقدِّمه مُقابل سلامتنا؟».

رمقه الاثنان بنظراتٍ مليئةٍ بالاستمتاع. إذا ما أراد السكادريانيين أي شيء من هؤلاء القوم، لاقتنصوه - ومن المُحتمل أنهم قد استخدموا ملكِ الجمرات كوسيطٍ من باب الراحة ليس إلا.

قال الرُّجُل لسُكَّانِ المنارة الثلاثة: «لسنا بحاجةٍ إلى أي شيء، يُمكنكم الرحيل الآن؛ لتستكملوا نزاعاتكم. لا نرغب في التدخُّل بشؤونكم».

شعرَ زيليون بضرورة المحاولة مُجدِّدًا، فقال: «يُمكنكم تدمير مركبة ملكِ الجمرات، فستشرق الشمس قريبًا. هل يُمكنكم استقبال هؤلاء القوم فقط حتى يمر بنا الضوء. ألا يُمكنكم أن.. أن تفعلوا شيئًا ما؟».

قالت المرأة وقد بدأت تفقد اهتمامها: «أهلاً بك بالبقاء وقبول عرضنا أيها الروشاري. لقد سَمِعنا نداءك، وهذا كُلُّ ما يتوجَّب علينا فعله بموجب قانون الكواكب. لكن سيتعيَّن على السُكَّان المحليين أن يتولَّوا مشاكلهم بأنفسهم».

أوماً الرجل برأسه، ثم أشار نحو المصعد، بإيماءٍ صارمة. لم يبدوا مُسلّحين، لكن زيليون عَرَفَ -من تجاربه السابقة- أن مجموعات كهذه بعيدة كُلُّ البُعد عن الضعف، حتى العلماء منهم. ورغم أنه قال سابقاً إنه يُفضّل القتال الجسدي، شكَّ في قُدْرته على هزيمة هذه المجموعة بأكملها. حتى لو امتلك الجرأة الكافية للمُحاولة، التي لا يملكها الآن.. بكل تأكيد.

همست ريبكي وهي لا تزال راكعة: «لقد كنتُ مُحقّقاً يا زيليون، لقد حاولت تحذيرنا. لا يوجد ملجأ هنا». قال: «أنا...». ثم التفت نحوهم، متوقّفاً أن يرى في أعينهم نظرات الغضب والفرح من هذه الخيانة. لكن أمارات الاستسلام آلمته أكثر.

أومات له كونتمبليشن برأسها قبل أن تقول: «لقد حاولت، وفعلت كُل ما طلبناه منك وأكثر. لا داعي لذلك الحُزن الذي يطغى على نظراتك يا زيليون، فقد كان هذا هو المصير المحتوم الذي دُفِعنا إليه في كثيرٍ من الدورات».

أمسكت كونفدنس بذراع ريبكي وجذبتها للخلف قبل أن تقول: «لقد كان حلماً رائعاً، لكنه ليس ملاذاً على الإطلاق، أليس كذلك؟ أما هؤلاء فمن سُكَّان العالم الخارجي، مثلك؟».

أجابها زيليون: «نعم، أنا آسف. إنهم هنا لدراسة شمسكم، وهذه المركبة ليست كبيرة حقاً». قالت ريبكي: «مركبة؟! هذه.. مركبة?!».

أوماً برأسه.

وبدا ذلك كافياً لتوضيح الأمر لهن. فقد عَرَفْنَ؛ وسَمِعْنَ، ثم تراجعن نحو المصعد. أراد أن يذهب معهن، لكنه تردّد قبل الدخول.

همس قائلاً: «ما رأيك يا أوكس؟».

يقول الفارس: أعتقد أننا حصلنا بالضبط على ما نستحقه من هذه الصنفقة.

قولٌ حكيم. نَظَر في عيني كونتمبليشن، مُدركاً أنه لن يُرافقهن. أي فائدة تُرجى من الصعود لمواجهة الموت؟ إنه بحاجةٍ للاستمرار في رحلة فراره، وهذا بالضبط ما فعله.

ولهذا السبب كان عدم التورُّط هو أفضل الخيارات. لقد استعدَّ جُزء منه لهذا طوال الوقت، وحاول الحفاظ على مسافةٍ تفصل بينه وبينهم. تولى الجُزء الواقعي منه زمام الأمور، مُصرّاً على أن الوقت قد حان للقيام بذلك.

قالت له كونتمبليشن بصوتٍ خافتٍ، مُثقلٌ بالعاطفة، بشكل يفطر القلوب: «ابق، ابق مع بني جنسك». أغلق باب المصعد، وحملهن عائداً إلى السطح. وعلى الشاشة، راقب زيليون قوَّات ملك الجمرات تقترب أكثر، وهذه المرّة لم يبدو أي انفجار من الأسفل ليرعبهم.

لقد نفدت طاقة سُكَّان المنارة، واستنفدت مصادِرهم، كما كانوا مُنهكين، ومهزومين. لقد انتهى كُل شيء.

تنهّد زيليون.. نوماد، ثم استقرّ بجوار الباب، وأغلق عينيه، وأجبر نفسه -لمرّة واحدة- على نيل قسطٍ من الراحة.

[24](#) شادسمار: هو مستوى الوجود، والعالم المعرفي، الذي يربط عالمي الوجود الآخرين (المادي، والروحاني) ببعضها البعض. ويُمكن لأولئك الذين يتمتّعون بقُدرةٍ مُتأصّلة في البث الروحي أن يُسافروا عبره، وورد ذكره بمزيد من التفصيل في سلسلة «Stormlight Archive» للكاتب نفسه.

رغم أن الجلوس كان أمرًا يسيرًا، زاده هذا عُسْرًا. أسندَ نوماد رأسه إلى الوراء، وأغلقَ عينيه، وتنفسَ بتؤدة. مما مكَّنه من سماع الأصوات الخافتة؛ أصوات الحياة المُستَمِرَّة التي تفيض في كلِّ مكان، والتي لا تصلُّ إلى الأذان في كثيرٍ من الأحيان. نقر الأصابع على لوحات اللمس. الصوت الموسيقي العميق لوعي المركبة المعدني وهو يُقدِّم تقاريره. الضحكات الخافتة - أصداء طرفة رُويت بصوتٍ أكثر خفوتًا من أن يسمعه.

لكن لم تكن هناك أي حركة. لا مفر، ولا مكان يجدرُّ به التواجد فيه. وفي لحظات كهذه، عندما لا يشغله حل أي مشكلة ما أو التنقل من كارثةٍ لأخرى، يسمع نوماد أفكاره بسهولة تامَّة. سأله: «هل أنا جبان يا أو كس؟».

- بسبب شعورك بالصدمة؟ لستُ أعظم الخُبراء في شؤون البشر، لكنني لا أعتقد أن هذه هي الطريقة المُناسبة لوصف الأمر بالنظر إلى ما حَدَث لك.

همس: «ورغم ذلك...». تمكَّن من الشعور بجرةٍ وحدات الأدخار النقية على الطاولة القريبة. لقد استقرَّ هنا، بالقرب منها - لكنه عرَّف بأنهم سيرايقونه في البداية. تمنى أن تدفعهم حالته المتدهورة، وملاحجه المُنهكة، وافتقاره للحيوية للتخلي عن حذرهم. لا يُمكنه سرقتها بعد.. ليس بعد.

قال صوت من قلب الغرفة: «تقرير عن تلك المركبة التي ظهرت في المدار في وقتٍ سابق، إنها سرِّيَّة الليل».

أطلق صوت آخر سبَّة بصوتٍ خفيض، قبل أن يقول: «ولماذا جاءوا إلى هنا؟». - «ليس لدي فكرة، هل ترغب في.. سؤالهم؟».

- «لا، لا تفصح أمرنا. لنأمل أن يكون هدفهم غير ذي صلة بنا».

انتظرَ نوماد بتوتر، مُسائلًا عن احتمال أن يكتشفوا الصلة بين الأحداث.

سَمِع الأصوات المُحدِّرة لأشخاص يلتفتون نحوه، ولشخصٍ يقوم بالربط، بين المرتزق الروشاري الغامض، وسرِّيَّة الليل التي ظهرت في المدار.

لكن شيئًا لم يحدث، ولم يتفاجأ نوماد، لأن سرِّيَّة الليل لا تُحبذ معرفة الناس لسرِّ أهميته البالغة. فقد كان «فلق الفجر» سلاحًا قيمًا للغاية بحيث يستحيل بيعه. وإذا ما كشفت سرِّه، فإما أن تصطاده بنفسك - أو أن تفر بعيدًا.. بعيدًا للغاية.

يسأل البطل: متى ستحصل على مصدر الطاقة هذا؟

-«ليس بعد، لكن قريباً للغاية».

قال صوت من جانبٍ آخرٍ من العُرفة: «انتظروا! لقد كان الروشاري مُحَقَّقاً - إن هذا مُثير للاهتمام. كان يجدر بنا أن نراقب».

تَرَكَ جفنيه ينفَتِحان. شَغَلَ أحد العَمَال شاشة عملاقة من تلك التي تُزَيِّن الجدران، وهو مُنَهَمَك في صبِّ الشاي، لتعرض منظرًا جويًا للتضاريس بالخارج. هل لديهم نظام أقمار صناعية هنا إذن؟ أم تراها طائرات بلا طيار؟

كَبُرَّ المشهد ليكشف عن مَرَكَبات المنارة وهي تُحَلِّق نحو الظل، بما تبقى لها من طاقة، وهو ما لم يكن بالكثير. سقطت مَرَكَبتان حربيتان، بينما حاولت المَرَكَبتان المُتَبَقِّيتان -بشكلٍ مُجْرَج- الانخراط في معركة جوية.

تساءلت امرأة: «هل هذه مدافع مُضادة للمَرَكَبات؟ متى اكتشفوا هذه الأشياء؟ ظننتُ أننا حجبنا هذه التكنولوجيا حتى وقتٍ لاحق».

وَقَفَ نوماد مُندهِسًا. رُبما.. رُبما هم..

سقطت إحدى المَرَكَبات الحربية، وفقد طيار آخر حياته، رُبما كان زيل. أما البقية.. فحتى من المنظور البعيد، تمكَّن من رؤية المُتَفَحِّمين يهبطون من مَرَكَبات العدو المُقْتَرِبَة من مَرَكَبات النقل. لم يتمكَّن من سماع الإنذار، لكنه لم يتفاجأ عندما هبطت المَرَكَبات الناجية.

لقد استسلموا، استسلم سُكَّان المنارة أخيرًا. إن هذا حُكْم بالإعدام، لكن ما هي الخيارات الأخرى التي يملكونها؟

تعثر بعدما اصطدم بمكتب، وأدرك أنه كان يتقدَّم دون وعي، وهو يُغَلِّق قبضتيه. هل هذه هي حقيقته حقًا؟ الرجل الذي فرَّ؟ هل هذا ما دُرِّب ليكونه؟ هل هذا ما يُريد أن يكونه؟

لم يستطع كبح جماح نفسه. همَّس بالكلمات، بالكلمات القديمة لنذوره. لكن شيئًا لم يحدث.

تسلَّل عائِدًا إلى جداره مرَّةً أخرى، حيث انهار جالسًا، ثم تكوَّم أرضًا، يارهاق.

قال المُساعد: لحظة، اعتقدتُ أن ذلك سيُجدي نفعًا. اعتقدتُ أنك.. إن أردتُ استرداده..

أغلق نوماد عينيه بشدَّة، قبل أن يقول: «أردتُ مُجاهرةً صريحةً».

-حسنًا، أجل. لكن لماذا؟

همَّس قائلاً: «العواقب، لقد نكثتُ نذوري، واتخذتُ قراري. والآن.. والآن هناك عواقب».

-لكن لماذا؟ لم تُفصح لي يومًا عن سبب رحيلك بعد مُغادرة روشار، بعد كل ما مررنا به

معًا. لقد تخلَّيت عن كل ما اتبعته يومًا. لماذا.. لماذا تفعل ذلك؟

-هل حان الوقت؟ الوقت للإقرار بالحقيقة الأعمق والأصعب.. تلك الإجابة التي يبدو الاعتراف بها
كنكء جرح موجه؟
أجابه: «لا أدري».

-أنت تكذب.

همس نوماد: «ليس هذه المرّة، لا أعلم حقًا أيها المُساعد، لقد.. فعلتها فحسب. لا يُمكنني شرح عقليتي،
ولا أقوى على تبريرها. لقد نكثتُ نذوري، وهذا هو الخيار الذي اتخذته، لكن دون سبب مُحدّد».
-عليك أن تجد واحدًا، فلكل شيء سبب.

هذا هو سبب تجنُّبه الشرح دومًا. فعلى الرغم من كُل إنسانيته الظاهرة، كان المُساعد مخلوقًا من وحدات
الادِّخار، كائنًا خالِدًا، بطيء التغيير.

انهار نوماد أكثر، متكورًا فوق الأرضية المعدنية الباردة، مُستمعًا لبقية الآخرين بالغرفة وهم يُناقشون
استيلاء ملك الجمرات على المدينة المُشرّدة. سمعهم يُعلّقون حول مدى السوء الذي سيشعر به المرء عندما
تهبط عليه مدينة بأسرها.

لقد وصلت «يونيون».

-نوماد.. سيجزِل.. أنا لا أفهم.

همس نوماد: «إن البشر.. يُظهرون العديد من التناقضات في بعض الأحيان. نحن نفعل ما نشعر به، دون
أن نملك القدرة على تفسيره. أتأمل الخيار الذي اتخذته، وأشعر أنه لا يُشبهني أبدًا. لكنني أقدمتُ على
الأمر؛ واتخذتُ القرار، دون تفكير يُذكر. دون أن أُلقي بالألّا إلى ما إذا كان هذا هو ما أردته حقًا، أو ما كان
يجدر بي فعله بدافع المنطق، والآن وقعت العواقب بالفعل. وهذا.. هذا ما أنا عليه».

لم يستطع التراجع، وتوجّب عليه المضي قديمًا، والاستمرار. لقد أصبح ماهرًا للغاية في احتلال المُقدّمة،
وفي التحرك سريعًا، وفي.. في الفرار.

فلماذا يجد نفسه في المكان ذاته بالضبط إذن؟

أمسك جُمجُمته بين يديه، وغرس أصابعه في جلده. كيف يُمكنه أن يركّض بمثل هذه القوّة دون أن يبلغ
أي مكان؟ ألا يُفترض بالرحلة أن تكون ذات أهمية قصوى، أليس كذلك؟

فلماذا يفيض بالبؤس الشديد إذن؟

تاق جزءٌ منه للخروج من هذا المكان، والبحث عن سُكّان المنارة، لكن ما جدوى ذلك؟ لم يتمكّن من
توفير وطن لهم، مأوى آمن. وإن وقع في قبضة سريّة الليل، فقد يعني ذلك مقتل الملايين.

لا توجد في جُعبته أي إجابات، ولا يعرف حتى وجهته. ورُبا كان هذا هو سبب تيهه الذي لا ينتهي، من
الصعب أن تكون أي شيء آخر، إذا كنت لا تعرف إلى أين تتجه.

لم تكن تلك مُجاهرة صريحة، بل كانت أشبه بمُجاهرة مُحمّلة بالدموع والأسى!

عَرِقَتِ العُرْفَةَ بِأَكْمَلِهَا فِي صَمْتٍ عميق. جاهد لانتشال نفسه من أعماق كراهيته لنفسه، ورَفَعَ ناظره بما يكفي ليُدْرِكَ السبب. التفتَ مُعْظَمَ السكادريانيين نحو الشاشة التي تُظْهِرُ أهلَ المنارة، حيث بدأ المُتَفَحِّمُونَ بالتراجع نحو «يونيون» - المدينة الضخمة التي تُحَلِّقُ على مسافةٍ قريبة. في البداية، اشتعلت شرارة الأمل.. لكن ذلك الأمل انطفأ على الفور، كجذوةٍ في ليلةٍ باردةٍ عاتية.

استولى المُتَفَحِّمُونَ على قلوب الشمس من مَرَكَبَاتِ المنارة، وتركوا الناس بمُفْرَدِهِمْ في قلب العُشْبِ النامي، المُضَاءِ بالكثير من الضوء. كانت الشمس.. التي لا تهدأ أبداً، على وشك الإشراق مُجَدِّداً. سياترك ملك الجمرات عدداً هائلاً من الأشخاص كقرايين، قرابة مئة وخمسة وثلاثين نفساً بريئة.

تتماز وحشية «يونيون» بالضالّة على النطاق الواسع؛ لقد فُكِّرَ نوماد لتوّه في مقتل الملايين، وسقوط الكواكب؛ ورغم ذلك، انتابه إحساسٌ بقسوةٍ شخصيةٍ مُفْرطَةٍ في هذا الشأن. وحتى السكادريانيين لمسوا ذات الشعور، فوقفوا جميعاً مُحدِّقِينَ في الشاشات بصمت. يرنون إلى أوضاع سُكَّانِ المنارة، الساقطين على رُكْبِهِمْ في حُزْنٍ ورهبة. وبخسنة تحلّي «يونيون» عنهم، وتركهم خلفها، صمّاءً لتوسّلاتهم.

من المؤكّد أن ملك الجمرات قد استوعب دروس الطغيان جيّداً، فهذه الأمور ليست من الأشياء التي يحتاج إلى البشر ليُرشِدوه للقيام بها. إذ يُمكن للكثيرين أن يستشعروا كيفية تحوّلهم إلى كائناتٍ مُزَعِجَةٍ بلا إرشاد، وقد وطأ تلك الأرض بذاته يوماً.

وسُرعان ما استأثرت الشاشة على انتباه جميع من في العُرْفَةَ باستثناء العَمَالِ الأكثر تركيزاً. ها هي الفُرْصَةُ، كانت خلية وحدات الادّخار المتوهّجة في متناول يد نوماد. نهَض، ولم يلتفت إليه أحد. يُمكنه أن يأخذها ويرحل في لحظة.

لكنه لم يفعل.

إنه.. لا يستطيع.

يسأل الفارس مُرافقه المُخْلِص: هل.. سنقوم بأي شيء؟

أجابه نوماد: «أجل، سنراقب، ونشهد».

جذبت الكلمات انتباه عالمة قريبة.. امرأة صَفَّفت شعرها كذيل حصان، كانت قد انكبّت على عملها على زوج من قلوب الشمس بتركيزٍ شديد، حتى إن الشاشة لم تُشَتَّ انتباهها عنه. لكن يبدو أنه قد أثار اهتمامها بما يكفي.

سألت المرأة: «مع من تتحدّث؟». ضيقت عينها قبل أن تُضيف: «ظننتُ أنك لست مُثَقلاً بأي نذور، هل لديك فلق؟».

اللعنة، لقد أصبح مُهملاً. يُمكن لهؤلاء الأشخاص ملاحظة العلامات التي لم يكن بحاجةٍ لإخفائها عن أعين أهل المنارة.

أجابها: «لا شيء يُذكر، إنها مُجرَّد عادة قديمة. ماذا تفعلين؟ هل تنقلين وحدات الأدّخار بين قلبي شمس مُختلفين؟».

جلست، قبل أن تقول: «نعم!». وأظهرت فرحة قديمة لعالمية سُرّت بالعثور على من يهتم بعملها حقًا، ثم تابعت: «لقد قمنا بإعادة شحن هذا القلب مُسبقًا، لأننا ندرس كمية الطاقة التي يُمكن تخزينها في قلب الشمس الواحد».

إعادة شحن.

سألها بهدوء: «أعدتم شحن قلب شمس؟».

-«أجل، بالطبع. باستخدام نور الشمس ذلك».

قال: «لقد جرّب الناس بالقيام بذلك، وأخبروني بأنفسهم. إن ترك قلب الشمس المُستخدَم لا يفعل شيئًا..». انتصبَ واقفًا، قبل أن يُضيف: «لحظة، يتعلّق الأمر بالتيار الغريب لهذا العالم، أليس كذلك؟ بالطريقة التي يستمد بها لب الكوكب وحدات الأدّخار والحرارة من الشمس؟ بامتصاصه، وكأنه يُنشئ دائرة كهربائية؟».

تأمّلت المرأة قبل أن تقول: «نعم! كيف أدركت ذلك؟ لقد استغرقنا شهرًا لنعرّفه».

أجابها: «لا تُشحن قلوب الشمس بشكل طبيعي.. لكن الأرض تذب، وألسنة اللهب تحرق الناس. وكل ما يُحاصر بين الشمس واللّب يبدو.. يبدو كتداخُل بين قطبين كهربائيين مُتضادين». رفع بصره للأعلى، نحو الأضواء في السقف. ورغم حدثتها، ذكّرتَه بتلك التي كانت موجودة منذ أمد بعيد.

همّس: «كالمصباح المُنير، لقد فكّرتُ في ذلك من قبل. يتوهّج المصباح عندما يمرّ التيار عبر الفتيل.. لكن السبب في ذلك ليس جودة توصيل الفتيل، بل على النقيض تمامًا. إذ يتجدّد هذا الفتيل ويفقد الطاقة كحرارة وضوء، يشعّها. وهذا ما يجعل المصباح الكهربائي يعمل».

أما قلوب الشمس العادية.. فوحدات الأدّخار تمرّ عبرها، أليس كذلك؟ ولهذا السبب لن يحدث شيء إن دُفِن قلبُ شمس مُستعمل. ولكن عندما تُخلَق في المقام الأول، فإن ذلك يحدث لأن الروح تقاوم.. وهو ما يتسبّب في توهّج وحدات الأدّخار، مثل ضوء المصباح الكهربائي. وهذا ما يأسر كل تلك القوّة، ويترك وراءه قلبَ شمس».

طوّت المرأة ذراعيها على الطاولة، وقالت: «نعم. هل كنتَ تعرّض اتصالاتنا؟ لهذا السبب تعرّف ذلك؟».

تجاهل سؤالها، وتساءل: «كيف تفعلون ذلك؟ كيف تُعيدون شحنهم؟ لحظة.. هل وضعتم شيئًا آخر فيها، شيئًا ليحرقه نور الشمس؟ فمن شأن هذا أن يُغلق الدائرة مؤقتًا.. أو يخلِق نوعًا من المُقاومة عليها».

تأمّلته لبرهة قبل أن تقول: «لدينا بعض الأسرى، ويكفي قليل من حرارة السكّان المحليين لهذا الغرض. إنهم يُغذّون قلوب الشمس بقليلٍ من حرارتهم، ثم نتركها بالخارج. وهذا يُجدي نفعًا. كما أن استخدام بعض

وحدات الأذخار الخاصّة بدلاً من ذلك، سيؤدّي إلى الحصول على قلب جمر فاسد لصنع مُتفحّم». بحق العواصف، هذا منطقي. تلك هي الإجابة المختصرة عن كيفية إعادة شحن قلوب الشمس، لكنّها إجابة تتطلّب إما الصدفة أو فهمًا عميقًا لوحداث الأذخار ليتمكّن المرء من تجربتها. ولذلك لا غرابة في أن شعب كانتيكلم لم يكتشفها قط.

ازداد عبوس المرأة، قبل أن تسأله: «هل أنت أحد هؤلاء العلماء الذين يسعون إلى «فهم أسرار الكون المُختلفة»؟».

حدّق في قلب الشمس المتوهّج بقوة، والمشحون بما يتجاوز قدرته العادية، ثم قال: «لا شيء يستحق الذكر، تعلمين أن هذا سيحلّ مُعظم مشاكلهم، أليس كذلك؟». - «صنع المُتفحّمين؟».

- «لا، أعني الجزء الأول من الحديث! إذا عرّف الناس على السطح بذلك، فسيُمكنهم إعادة شحن مصادر طاقتهم إلى الأبد، ولن يُقدّموا المزيد من التضحيات. مُجرد نزيف حراري صغير سيكفي لإعادة شحن قلوب الشمس المُستنزفة، ثم يدفنونها ويعودون ليجدوها تتوهّج مرّة أخرى!». هزّت الباحثة كتفها قبل أن تقول: «أعتقد ذلك».

قال نوماد وهو يضع يده على جبهته: «بحق العواصف! ولماذا لم تُطلعوهم على ذلك؟». - «ولماذا نَميط اللثام عن مثل هذا السر المُفيد؟».

توجّب عليه أن يفعل شيئًا.. أن يُخبرهم.

تكسّر الهواء من حوله.. حاولت شظايا درعه القديمة العودة إلى الواقع مرّة أخرى. بعضها من نذوره الأولى، وبعضها الآخر من نذوره الثانية. وفي كلتا الحالتين، لم يُكن هذا هو الوقت المُناسب أبدًا لمثل هذا الفعل.

لاحظت المرأة الشظايا، وتمتّت: «أنت مُثقل بالنذور بعد كل شيء.. عالم «أسرار الكون المُختلفة».. روشاري.. ذو بشرة داكنة..». ثم اتسعت عيناها عندما أدركت الأمر. اللعنة.

اندفع نوماد نحو خلية وحدات الأذخار، لكنّها انتزعتهما من فوق الطاولة وتراجعت للخلف، ثم رفعت يدها، ونقرت على جهاز معدنيّ في قفّازها. لكنّه استولى على قلب الشمس الذي عمّلت عليه بدلاً من ذلك، ذلك الذي شحنته أكثر من اللازم.

لحسن الحظ أنه لا يحمل أي شيء معدني، ولذلك..

اندفع بعنفٍ إلى الخلف، وشعر بشيء يدفعه عند خصره. صحيح.. إنه مشبك حزامه المعدني. ارتطم بالحائط.

صاحت الباحثة في الموجودين بالعرفه: «لدينا مُشكلة! لقد قرأت عن هذا الرجل! إنه السبب وراء وجود سرية الليل هنا! يا للصدأ.. هناك مكافأة ضخمة بما يكفي لشراء كوكب صغير لمن يقبض عليه».

استدار بقية السكادريانيين، ابتعدت أنظارهم عن المشهد المحزن لأهل المنارة-الذين احتشدوا في كومة وسط مركباتهم الساقطة المهیضة- بينما يلوح شروق الشمس في الأفق. انتزع نوماد حزامه قبل أن يُستخدم ضده مرة أخرى، قبل أن يستدعي المُساعد في أبهى صورته؛ نصل ضخم متموج، ومُزخرف بالقرب من المقبض، يبلغ طوله ستة أقدام ونصف.

لم يسبق لمُعظم الأشخاص رؤية نصل فلقي بشكل شخصي، لكنهم سمعوا الأساطير التي تُروى عنه. وحتى مجموعة كهذه-التي يُمكن لها هزيمته بتقنياتها- تجمّدوا في أماكنهم لدى رؤيته.

قال بصوت أجش: «سأغادر، وعليكم الاختيار؛ ما بين اعتراض طريقي، أو استكمال حياتكم».

قال أحد قادة السكادريانيين: «تُغادر؟ لم يتبق سوى أقل من خمس دقائق على شروق الشمس أيها الأحمق».

قال المُساعد: خمس دقائق بوقتنا؟ بالنسبة لأهل المنارة، سيملكون خمس عشرة دقيقة على الأقل قبل أن يصلهم نور الشمس، إذا حلّقوا لمسافة قصيرة قبل سقوطهم، يُمكننا فعل ذلك.

ترجع نوماد نحو المصعد، مُمسكًا بسيفٍ ضخم في يده، وقلب شمس في اليد الأخرى، ثم قال: «شغلوه».

لكن أحدًا لم يتحرّك.

قال: «شغلوه وإلا شققتُ طريق خروجي بالسيف».

صرخت امرأة: «ستدمر سلامة الهيكل! وسنلقى حتفنا بسبب ال...».

-«لا تُجبروني على القيام بذلك إذن!».

ما الذي يفعله بحق العواصف؟

لم يكن لديه تفسير واضح. هكذا يتصرّف الناس أحيانًا.

فُتح باب المصعد، فدخله، صارفًا المُساعد، لأنه في هيئته تلك، كان كبيرًا بما يكفي لِيُسبب القليل من الارتباك. عمّل المصعد، ولم يُحاول السكادريانيون التدخّل. أفضى به المصعد إلى منظرٍ طبيعي تبدّلت ملامحه بشكل كبير في الدقائق التالية لمُغادرته، غابة كاملة من الأشجار الشاهقة تنمو من الوحل.

نظر نوماد-زيليون- من خلالها نحو نور الشمس المتزايد. بحق العواصف! لقد قالوا أقل من خمس دقائق، لكنه يشك في أنه يملك كل هذا الوقت. استدار، وأخذ يركض.

هذا ما فعله، ولطالما كان هذا كافيًا من قبل. أما هذه المرة، فقد دار حول الكوكب بأكمله، قبل أن يجد نفسه في المكان الذي بدأ منه.

سَطع نور الشمس، شَعَر به على ظهره. وبدأت الأشجار تذبّل وتذوي من حوله.

قال المُساعد: لن تتمكن من تجاوزه. هل تغيّرت.. نبرة صوته قليلًا؟ لقد مرّت سنوات طوال منذ أن سمع زيليون ذلك آخر مرة. تابع حديثه: حتى أنت.. لن تتمكن من تجاوز ذلك النور

ظَلَّ يُجَاوِلُ، وَهُوَ يَضُمُّ قَلْبَ الشَّمْسِ إِلَى صَدْرِهِ.
قَالَ الْمُسَاعِدُ: أَنْتَ بِحَاجَةٍ لِلطَّيْرَانِ لِلْوَصُولِ إِلَيْهِمْ يَا زَيْلِيونَ.
صَرَخَ: «لَا أُسْتَطِيعُ! لَا.. لَا يُمَكِّنِي يَا أُوكَسُ. لَقَدْ حَاوَلْتُ».
فَرَضَ نَوْرَ الشَّمْسِ سَيْطَرَتَهُ أَكْثَرَ، وَاسْوَدَّتْ الْأَشْجَارُ، وَاحْتَرَقَتْ.
اسْتَمَرَّ زَيْلِيونَ فِي رُكُضِهِ الْمَحْمُومِ.
قَالَ الْمُسَاعِدُ: أَنْتَ رَجُلٌ أَفْضَلُ مِمَّا تَزْعَمُ، حَتَّى وَإِنْ.. حَتَّى وَإِنْ كُنْتَ مُحَطَّمًا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ.
-«لَسْتُ سَوَى أَحْمَقٍ، أَحْمَقُ قَاسِي الْقَلْبِ».
-يُدْرِكُ كَلَانَا أَنْ هَذَا عَارٍ مِنَ الصَّحَّةِ. لِأَنَّ الشَّيْءَ الصَّحِيحَ الَّذِي تَوَجَّبَ عَلَيْكَ فِعْلُهُ، وَالشَّيْءُ
الْقَاسِي، كَانَ مُهَاجِمَةً الْمَنَارَةَ فَوْرَ وَصُولِكَ، وَسَرَقَةَ قُلُوبِ شَمْسِهِمْ، وَتَرَكَ مَرْكَبَاتِهِمْ عَالِقَةً.
لَكِنَّكَ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ.
لَا، لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ. لِأَنَّهُ مَهْمَا ادَّعَى، لَا يَزَالُ رَجُلًا، لَا وَحْشًا.
-زَيْلِيونَ يَا صَدِيقِي، أَنْتَ تَسْتَحِقُّ الْإِنْقَازَ.
انْهَمَرَتْ دُمُوعُهُ وَهُوَ يُوَاصِلُ الرُّكُضَ.
قَالَ الْمُسَاعِدُ: عِنْدَمَا تَصِلُ إِلَيْهِمْ، تَأْكُدُ مِنْ إِبْلَاجِهِمْ بِالسَّرِّ، تَأْكُدُ مِنْ إِنْقَازِهِمْ يَا زَيْلِيونَ.
-«لَكِنَّ...».
-اسْمَعْنِي، اسْمَعْنِي فَحَسَبَ. يُمَكِّنُنِي أَنْ أَمُدَّكَ بِدَفْقَةٍ صَغِيرَةٍ مِنَ الطَّاقَةِ، كَمَا تَنَاقَشْنَا سَابِقًا.
-«لَا! سَأَسْتَقِي الطَّاقَةَ مِنْ قَلْبِ الشَّمْسِ هَذَا».
-وَهَلْ سَيَجْعَلُكَ ذَلِكَ تَطِيرَ مَرَّةً أُخْرَى؟
لَا، لَنْ يَفْعَلَ. فَلَمْ تَكُنْ الْقُوَّةُ هِيَ مَا يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ، بَلْ هُوَ شَيْءٌ آخَرُ.
-سَأَجْعَلُكَ مَا كُنْتَ عَلَيْهِ يَوْمًا، لِفَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ. أَنَا الْقُوَّةُ الْمُتَبَقِّيَّةُ مِنَ الْقَسَمِ الَّذِي أَقْسَمْتَهُ، أَنَا
الْحَقِيقَةُ الَّتِي اكْتَشَفْتَهَا يَوْمًا. خُذْهَا مَرَّةً أُخْرَى، لِأَقْصِرَ فِتْرَةَ زَمْنِيَّةٍ، وَحَلِّقْ.
شَعَرَ بِالْدَفْعِ يَتَسَلَّلُ إِلَى عُرُوقِهِ. كَانَ نَوْعًا مُخْتَلِفًا مِنْ وَحْدَاتِ الْإِدْخَارِ.. مَأْخُودًا مِنْ بَقَايَا رُوحِ الْمُسَاعِدِ.
قَالَ الْمُسَاعِدُ: لَنْ أُحْرِقَ سَوَى نَفْسِي، ذَاتِي. وَمِنْ شَأْنِ هَذَا أَنْ يَتْرُكَكَ مَعَ جَسَدِي؛ السَّلَاحُ،
الَّذِي سَتَسْتَخْدِمُهُ. تِلْكَ هِيَ وَجْهَتِي، لَكِنَّهَا لَيْسَتْ وَجْهَتِكَ.
-«لَا يُمَكِّنُكَ الْقِيَامُ بِذَلِكَ يَا أُوكَسُ، أَرْجُوكَ».
-لَا يُمَكِّنُكَ أَنْ تُقَرَّرَ. أَنَا عَلَى دَرَايَةٍ بِالْعَوَاقِبِ، وَأَفْهَمُ خِيَانَتَكَ لِنَدُورِكَ.
-لَكِنَّ إِيَّاكَ الْأَمْرَ يَا زَيْلِيونَ، إِلَيْكَ مَا لَمْ تَفْهَمْهُ قَطُّ. لَقَدْ أَقْسَمْتُ بِدُورِي عَلَى أَنْ أَكُونَ أَفْضَلَ
مِمَّا كُنْتُ عَلَيْهِ. لَقَدْ أَصْبَحْتُ فَارِسَ رَادِيَانْتِ، وَنَطَقْتُ بِالْكَلِمَاتِ.

-ومهما فعلتَ، لن أنكث بندوري قط.
-احرص على حماية هؤلاء القوم يا زيليون. لقد حملتك بقدر ما استطعتُ. والآن عليك أن
تكتشف بقية الطريق بنفسك.
تدفقت بداخله طاقة رهيبية ومألوفة. وعندما اخترق نور الشمس الأفق أخيرًا -وأشعل النيران في الغابة-
تشكَّلت الدروع حول زيليون.
والتمعت عيناه.

سارت إيجي خلف ملك الجمرات وهو يتقدّم نحو حافة «يونون»، التي تُحلّق بشموخٍ فوق التضاريس، مُطلّة على أهل المنارة المنهارين.

جرّ العديد من الرجال الذين يرتدون المعاطف البيضاء ربيكي كذلك، التي كانت الشخص الوحيد -بخلاف إيجي- الذي جلبه المتفحّمون. في البداية، لم تكن إيجي واثقة من سبب اختياره لربيكي، أما الآن.. فتمكّنت من تذوّق مشاعره، وفهّمت. لقد غمره الرضا، والتشويق لتمتّعه بهذه السُلطة المُطلّقة على الكثيرين.

توهّج قلب جمره بوحشيّة تحت قميصه، وابتسم ابتسامة مُفعمّة بالسعادة لرؤية الرعب الذي بدا جلياً على ملامح وجه ربيكي. خرّت على رُكبتها على حافة المدينة الطائرة، وألقت نظرة على أنقاض المنارة المنهارة، المتكوّمة أرضاً. أقل من مئة وخمسة وثلاثين شخصاً، يُحيطون بأنقاض مدينتهم الثائرة، التي كانت مصدر فخرهم يوماً.

نعم، كانت هذه مشاعره. لقد شعر بالسعادة لامتلاكه هذا النوع الدقيق من السُلطة على سلالة عائلة إيجي، وآخر من تبقى على قيد الحياة منهم.

ومن بعيد.. أشرقت الشمس، ورَكَضَ النور على الأرض كلسانٍ من هب. ووقفت إيجي بجانب ستة مُتفحّمين آخرين، لم تكن مُتمرسّة في فهم الناس لتعلم ذلك على وجه اليقين، لكنّها ظنّت أنها قد نجحت في خداع ملك الجمرات. عندما قرّر أهل المنارة الاستسلام، تظاهرت ببراعة بمهاجمتهم بدورها.. على مرأى ومسمع من بقية المُتفحّمين الذين أتوا لتأمين المكان. ثم سلّمت إلى ملك الجمرات، الذي لمس قلب جمرها بإصبعه، ونطق بعدة كلمات.

لم يحدث ذلك فارقاً، لكنّها تظاهرت بتأثرها بالأمر. وهدأت، إذ كانت لا تزال تشعر بما يُريده منها، حتى لو لم تكن مُضطّرة للقيام به. شعرت بسروره لطاعتها الفوريّة، فوقفّت بهدوء.. وكأنّها تحت سيطرته بالكامل.

لم يُفتشوها، فلماذا يفعلون ذلك على أي حال؟

لذلك لم يعلموا بشأن قطعة قلب الشمس التي أعطها لها زليون. التي تبين أنها لا تحتاجها لنفسها. ارتجفت ربيكي وهي جاثية على حافة المدينة، وظلّت إيجي تتأمّل ضعفها بفضول. هل كانت إيجي هشة مثلها، قبل أن تتحوّل إلى مُتفحّم؟ شعرت بالسعادة لما آلت إليه أحوالها، رغم أنها لم تكن لتعلن ذلك جهاراً. كمنت سعادتها في القوّة التي تتمتع بها الآن.

أدارت ربيكي وجهها المبلل بالدموع نحو ملك الجمرات، قبل أن تقول: «لا حاجة للقيام بذلك، من فضلك. يمكنهم خدمتك بإخلاص أيها الملك العظيم».

قال بنبرة مُفعمّة بالثقة: «سيخدمونني، سيصير قومك ألسنة اللهب التي ستحوّل مُركباتي لغزو وتوحيد حتى أبعد الممرّات. بمُجرّد أن تعرّف المُدن الأخرى عواقب التمرد - وبمُجرّد أن ينشر رجالي خبر سقوط مدينة بأسرها ليلتئمها نور الشمس - سيخضع الجميع لي، وهم يرتعدون من الخوف». أوماً برأسه وكأنه يُحاطب نفسه، ثم أضاف: «وهكذا سأوحّد العالم».

انهارت ربيكي، ثم تغيّر شيء ما في وضعيتها بطريقة غريبة. لم يلحظ ملك الجمرات ذلك، لكن إليجي رأتها، رأت كيف تشد قبضتها الشابّة، ويرتفع ذقنها للأعلى. كانت تستعد للهجوم، أليس كذلك؟ أو مات لها إليجي برأسها بالموافقة. ورغم أن هذا الفعل سيكون عديم الجدوى، لكنه جريء للغاية. طريقة أرقى للموت.

الغريب، أن ربيكي لم تشن هجومها، بل تحدّثت قائلة: «كيف عرفت؟».

ارتبك ملك الجمرات، استطاعت إليجي أن تشعر بذلك، سأها: «عرفت ماذا؟».

قالت: «عرفت أنني كنت أقود المنارة طوال هذا الوقت». ثم أشارت إلى بقية قومها، حيث ركعت المُسنّات الثلاث في وسط المجموعة، غارقات في صلاة عميقة قبل ظهور نور الشمس. واصلت حديثها قائلة: «كيف عرفت أن هؤلاء الثلاث لم يكنّ سوى دُمي، استخدمتها لتشتيت انتباهك؟ بعد أن أخذت إليجي، عرفنا أننا بحاجة إلى إخفاء هويتي. ومع ذلك، فمن الواضح أن الحيلة لم تنطل عليك».

قال ملك الجمرات: «حسنًا، نعم. كان ذلك واضحًا».

كانت هذه كذبة؟ لماذا يكذب؟

أدركت إليجي أنه لا يريد أن يظهر بمظهر الجاهل. هذا مثير للفضول، لكن لماذا تكذب ربيكي؟ ما الذي تأمل في تحقيقه؟ الآن سيقتلها على الأرجح، لا شيء آخر.

وقفت ربيكي، واستدارت لتنظر في عينيه، قبل أن تقول: «لقد وضّحت وجهة نظرك يا ملك الجمرات، وأسرتني، وأنت تعرف هويتي الحقيقية، وها أنا ذي قد ركعتُ أمامك. أحضر الآخرين، وسأخبرهم أنني سأخدمك».

توقّف، وأمال رأسه للجانب قليلًا.

سألته ربيكي: «أيها أفضل؟ أن يعرف العالم بقدرتك على تدمير مدينة؟ بحقك.. يُمكن لأي شخص أن يأخذ قلوب الشمس من مجموعة من المركبات المتناثرة التي تفتقر إلى المحاربين. لكن إذا عرف العالم أنه حتى أشدّ أعدائك - القائدة التي تسعى للإطاحة بك - قد أدركت في النهاية أن قوتها لا تُقارن بقوتك.. إذا علموا أنها وافقت على أن تتبعك، فلن يجرؤ أحد على التمرد عليك أبدًا».

علامَ تنطوي تلك الحيلة؟ لم تكن ريبكي القائدة؛ بل كانت ضعيفة وهشة، أليس كذلك؟ ومع ذلك، فقد صدق ملك الجمرات أكاذيبها، واستطاعت إيلجي الشعور بذلك.

أما إيلجي فقد وجدت نفسها.. تُصدق بعض تلك الأكاذيب بدورها، قال ملك الجمرات: «لا». تقدمت ريبكي للأمام، ثم قالت: «افتلني إذن! أحضر الآخرين إلى هنا، ودعهم يشهدون موتي! فكّر في القوة التي ستغمرك، وأنت تعتصِر حلقي بيدك، وتحصد روعي أمام أعين قومي. ألا يُمثل هذا أفضل تعبير عن القوة؟ لماذا تقتلهم بينما يمكنك أن تُصاعف مُعاناتهم؟».

شهقت إيلجي، وتمتت من فورها لو لم تحن نفسها. لكن لم يكن بوسعها منع نفسها من مشاهدة ريبكي -القصيرة، ضعيفة البنية، بوجهها المبلل بالدموع- وهي تواجه ملك الجمرات وتحذعه. نعم، يمكن لإيلجي أن تشعر بمدى إغراء فكرة قتلها أمام أعين أهل المنارة.

لقد سعت ريبكي، التي كانت الأكثر أماناً بينهم جميعاً، للتضحية بحياتها من أجل الآخرين. لم تقوَ على مُقارعة ملك الجمرات، لكنها كانت على وشك هزيمته بطريقةٍ ما. إذا أنقذ الآخرين، وقتل ريبكي.. بحق الظلال، لقد كانت إيلجي مُحطّئة.

لم يكن هذا ضعفاً. انتابت إيلجي سكينه غريبة حين أدركت هذه الحقيقة، وشعرت بشيءٍ يُحَثُّها على التخلي عن رغبتها في التمزيق، والتحرُّك، والقتل، والقتال.

كان هذا ضرباً من القوة، إذ كانت ريبكي أقوى من إيلجي. توقّف الزمن، مع تقدُّم نور الشمس -بطيءً، لكن بحتميةٍ عبر التضاريس- دون أن تتزعزع ريبكي، أو تنظر إلى الخلف. لقد التزمت بخطتها بثباتٍ.

حتى ابتسم ملك الجمرات أخيراً. قال لها: «لقد كدت تُقنعيني، لكنني لم أتبيّن الألم في عينيك. لقد تألمت بشدةٍ عندما علمت أنهم سيلقون حتفهم. لن أنخدع بحديثك، فذلك سيمنحك السيطرة عليّ».

ثم انقضت عليه، مُستهدفةً عينيه بيديها.. لكن أحد المُتفحّمين أمسك بها قبل أن تخطو خطوة واحدة. قاومت ريبكي، وهي تصرّخ بجنون. لقد انهارت خطتها، مما زادها إحباطاً. ومع ذلك، فقد كانت مُحاولتها تعبيراً عن شجاعةٍ نادرة. مُحاربة في ساحة الوغى تستخدم آخر سلاح لديها؛ حياتها.

قال ملك الجمرات: «لم تكن هناك حاجة لأن تُخبريني بأنك قائدتهم. فقد خطّطت للاحتفاظ بك كغنيمة، لكن الآن.. بعد أن اتضح لي أنك من قاد المُتمرّدين ضدي.. حسناً، أعتقد أنك ستكونين مُتفحّمة لا يُسَقُّ لها عُبار. غير أنني قبل ذلك، سأمنحك فرصةً مُشاهدتهم وهم يلقون حتفهم». اقترب منها، وهي تقاوم جاهدةً قبضة المُتفحّم، قبل أن يُضيف: «هذه هي القوة الحقيقية، السُلطة على الحياة والموت، ال...».

توقّف، وحدّق بنور الشمس المُتزايد.

تبعَت إيليجي نظراته، وهكذا استدار مُتفحِّموه -الذين لطالما استشعروا مشاعره- لينظروا حيث نَظَرَ.
وهكذا فعلت ريبكي بدورها، فاستدارت نحو الأفق، مُتسائلة: ماذا يرى؟

اقترب نور الشمس من أهل المنارة -ومع تقدُّمه، اشتعلت النيران في النباتات، بل حتى وفي السماء؛
كموجة من الدمار، والنيران، والنور. تحرَّكت ببطءٍ نحو المَرَكبات، ورغم أنه لا يزال أسرع من قُدرة الإنسان
على الركض، توجَّب على أهل المنارة أن يُحاولوا على أي حال. لكن بدلاً من ذلك، اجتمعوا سوياً، غير
راغبين في ترك المُصايين والصِّغار من خلفهم - بل أرادوا الموت سوياً، لا كحفنةٍ من الأشخاص الهارين.
في تلك اللحظة، تمكَّنت إيليجي من رؤية القوَّة في تضحياتهم أيضاً.

راقبوا معاً النيران وهي تتقدَّم نحوهم. سماء حمراء وبرتقالية، تُنذر بموتٍ مهيب.
تموجت ألسنة اللهب، فتغصن النور وتبدل.

ثم انبثق من النور، عالياً في السماء، مُخلفاً وراءه شظايا من اللهب والدُّخان، متوهجاً كمعدنٍ مطروق،
كجمرةٍ وهاجةٍ من النور. وبطريقةٍ ما، استطاع أن ينجو بحياته في قلب الجحيم. وفعلاً، بدت النيران ذاتها في
السماء تتنظّم خلفه على شكلٍ رمزٍ لم تُميِّزه إيليجي. مثلث الشكل تقريباً، مُتَّجه نحو الأسفل، بأجنحةٍ مُمتدَّة
على كلا جانبيه.

همست ريبكي: «إنه هو».

عندما انبثق زيليون من قلبِ الفجر، وَجَدَ نفسه سليماً غير مُحترق. إذ تمكَّنت البدلة المدرَّعة -المُصمَّمة للحِفاظ على درجة الحرارة ودعم حياة مُرتديها- من تحمُّل حرارة نور الشمس الرهيبة. مدَّ ذلك بالأمل وهو يُتابع رحلته نحو تجمُّع الأشخاص الذين كانوا على مقربةٍ بشكلٍ خطيرٍ من الفجر المُتقدِّم. حلَّق زيليون في السماء، مُستمتِعاً بلحظاتٍ من حياته الماضية، عندما كان رجلاً يستحق السماء. لكن تكلفة اليوم أثقلت كاهله، بغض النظر عن مدى ارتفاعه. همَّس: «لقد نَجَحنا يا أوكس». لم يأتِه أي رد. فقد مات رفيقه، الذي رافقه طوال هذه السنوات، وشاركه بداية الرحلة، مات بلا شك. والآن، كُل ما تبقى لزيليون هو جُثة أوكس - على شكل أداةٍ وسلاح. بحق العواصف، كم هزَّه ذلك في أعماقه.

نحى زيليون مشاعره جانباً في الوقت الحالي. ومع ذلك، وللحظة، تحوَّل لشخصٍ آخر. شخص مُستعد لفعل كُل ما في وسعه لتنفيذ أمر صديقه المُحتضر. سيدافع عن هؤلاء الأشخاص.

هَبَطَ وسط انفجار تُرابي، وَصَرَبَ الأرض بقوة نيزكٍ صغير، وشَعَرَ بالقوَّة التي مدَّه بها أوكس تنف. وكما حُدِّر، لم يتبقَّ له سوى أقل القليل، بالكاد ما يكفي لاحتواء شخصيَّة أوكس. أما أحلامه، وأفكاره، وشرفه، فقد احترقت في غضون لحظة. استدعى زيليون جسد أوكس كدرع، ونَجَحَ ذلك تماماً، كما تمنى. رَكَضَ وسط حشد من الأشخاص المرعوبين، وَخَلَعَ خوذته - كاشِفاً عن وجهه للهواء الطلق البارد، ورغم ذلك.. عَرَفَ أنه -رغم أن درعه ملساء نسبياً مُقارنةً ببعض الدروع- سيبدو كوحشٍ ضخم. أفسَّحوا له المجال وهو يخترقهم.

صاح: «هل لا تزال سُلِمَتِي ديفلين بينكم؟». وَقَفَ على حافة المجموعة، والعرق يتساقط على عنقه، وهو ينظر نحو نور الشمس، الذي اقترب بلا هوادة.. مرَّةً أخرى.

انسَلَّت سُلِمَتِي ديفلين من بين الحشد، وقالت: «زيليون؟ هل هذا حقيقي؟ أنت...». قَذَفَ إليها بقلب الشمس الذي أخذه من السكادريانيين، وقال: «اقتطعي جزءاً من هذا القلب، ثم ثبِّته في «دونتشيستر»، وأعيدي البقية إليّ، بسرعة».

تقدَّمت كونتيمبليشن للأمام، وَخُصَّلات شعرها المصبوغة باللون الأسود تنسدل على كتفيها، وقالت: «زيليون؟ هل هذا قلب شمس؟ يُمكننا أن نظير إلى برِّ الأمان!».

هزَّ رأسه، قبل أن يُجيبها: «هل تتخيَّلين محاولة نقل كُل هؤلاء الأشخاص على متن المركبات في الدقيقة أو الدقيقتين القادمتين؟ وحتى إن نجحت في ذلك، ماذا بعد؟ سيوقفهم ملك الجمرات مرَّةً أخرى، أنتم

صُعباء للغاية».

سألته: «ماذا سنفعل إذن؟ أخبرنا بخطتك من فضلك!».

أَلَقْتُ سُلْمِنْتِي دِيْقَيْنِ بَقِيَّةِ قَلْبِ الشَّمْسِ، ثُمَّ انْدَفَعْتُ لِتَرْكِيْبِ الْقِطْعَةِ كَمَا طُلِبَ مِنْهَا. فَتَحَ زَيْلِيُونُ قَلْبَ الشَّمْسِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي أَعَدَّهُ عَلَى الْجِزْءِ الْخَلْفِيِّ مِنْ دَرَعِهِ.
وَفَكَّرَ: لِيَنْجَحَ هَذَا. أَرْجُوكَ، فليَكُنْ هَذَا كَافِيًا.. أَرْجُوكَ.

ازداد مقدار الطاقة عبر الدرع، ثبتت زيليون أرضًا، ثم منحها الأمر. بدأت تنمو، ثم تحولت إلى قبة، غير شفافة هذه المرة، لأن من شأن ذلك أن يجبط الغرض منها. قطعة معدنية كبيرة، بسطح خارجي عاكس. عندما أحاط نفسه بهذه الدرع بين أحضان العاصفة، وفرت له الحماية من جُلِّ الحرارة. وفي هذه الهيئة، لا بُد أن تستطيع جثة المُساعد توفير بعض الحماية التي تُقدِّمها درعه.

اقتربت منه كونتيمبليشن بينما واصلت القبة نموها، ثم قالت: «ماذا.. هل كان بمقدوره فعل هذا دومًا؟». أجابها: «لا». ثم نقر على قلب الشمس المُستقر بداخله، وأضاف: «إنه بحاجة إلى كمية هائلة من وحدات الأذخار. وهذا قلب شمس ذو قوة استثنائية، مُعاد شحنه بواسطة الأشخاص الموجودين بداخل الملجأ».

حرَّكت ناظره بينه وبين القلب، قبل أن تهمس: «هل يُمكن إعادة شحنها؟ لكن كيف؟».

- «لم يتبق سوى القليل من الوقت. هل تعرفين الدعاء الذي يأخذ الحرارة ويودعها داخل قلوب الشمس؟».

قالت: «يا شديد البأس، الذي يقف على عتبة الموت، أعط قلب الشمس هذا حرارتي، حتى أبارك أولئك الذين ما زالوا على قيد الحياة، إنها صلاة».

قال: «أجل، املؤوا قلب الشمس بقليل من حرارتكم كبذرة، ثم اتركوه في نور الشمس. وسيستجيب لها كروح الشخص، ويحترق في وميض من القوة.. وسيعيد هذا شحنه».

- «هذا يعني.. هذا يُغيِّر كل شيء».

أجابها: «انشري الخبر بين الجميع يا كونتيمبليشن، أخبرهم بهذه الحقيقة، وغيّري العالم».

قالت: «هذا.. بسيط للغاية.. كيف لم نكتشفه من قبل؟».

أجابها زيليون: «إن العديد من أعظم التطورات التكنولوجية بسيطة للغاية في جوهرها».

بدأت الدرع في النمو لتُغطي الأرض، مُجبرةً الجميع على الصعود فوقها، لتحميهم من الحُمم الوشيكة أذناها. بحق العواصف، تمنى ألا تكون عنيفة بما يكفي لتتناثر وتؤذيهم، لكن لم يكن هناك الكثير مما يُمكن فعله الآن. شاهد القبة تقترب من الاكتمال، جالبة الظلام عليهم، باستثناء فجوة في الطرف البعيد. سيخرج منها، قبل أن يُغلقها من خلفه.

همست كونتيمبليشن: «ستجاوز هذه المحنة، شكرًا لك. كُنْتُ أَثِقُ تمامًا بأنك ستعود».

قال: «هذا غريب، لأنني شخصيًا لم أثق بذلك».

أجابته: «لكن أدونالسيوم عَرَف، لقد صلَّيتُ إليه من أجل ذلك».
ابتسم، وقدَّرت له كونتمبليشن ذلك، لاحَت ملامح وجوههم بفضل نور قلب الشمس القريب.
وتوهَّجت درعه أيضًا، لكن ليس بدرجات اللون الأزرق المعتادة. بل توهَّجت، بدلًا من ذلك، بلون الجمر
-رُبما ألحَق بها نور الشمس الضرر، لأن بقعًا صغيرةً من الضوء الأحمر البُرْتقالي استمرَّت في الاشتعال في
سائر أنحاءها- وتركت دُخانًا خلفها كلما تحرَّك.

قالت: «لاحظتُ التعبير الذي يظهر على محياك كلما ذكرنا أدونالسيوم».
أجابها: «لا أود أن أبدو مُتناقِضًا يا كونتمبليشن، لكن أدونالسيوم؟ إنه...».
سألته: «ميّت؟ نعم، نحن على درايةٍ بذلك. هل تعتقد أننا لسنا على درايةٍ بالقصة؟ بالتحطُّم؟
والشظايا؟».

-«أنا.. أجل. لقد افترضتُ ذلك، بما أنكم لا تكفون عن الحديث عنه، و.. كما تعلمون، تُصلون إليه».
قالت: «إننا نؤمن بأن الأمر برمته جزء من خطّةٍ ما، وأن الأمر لا يتعلّق بحدوث كل شيء بالطريقة التي
نصبو إليها.. بل هي ثقتنا المطلقة بأن كل ما يقع يحدث بالطريقة التي يُريدها أحدهم».
-«أجد ذلك ساذجًا بعض الشيء».

قالت العجوز: «ورغم ذلك، فهذا أنت ذا، تُنقذنا».
أجابها: «كل ذلك بفضل المُساعد، لقد تحلّى عن آخر ما تبقى من حياته حتى يتسنى لي القدوم إليكم في
الوقت المناسب، فضلًا عن درعي هذه».
-«ومن يكون المُساعد؟».

-«فلقني. إنه.. قدر من الطاقة، ووحدات الادِّخار، ينبُض بالحياة».
-«ومن أين جاء هذا المخلوق؟».

من.. من أحد شظايا أدونالسيوم، بحق العواصف.
حسنًا، كان جزء منه لا يزال يؤمن بيازِر والإمبراطور، رغم كل ما يحدث. وقال لنفسه أنه لم يرَ فيها يومًا
العصمة من الخطأ، وهذا هو الفارق الذي حال بينه وبين أن يكون مُتعصّبًا أعمى مُقارنًا بالكثير من المتديّنين
الذين قابلهم. لكن بعد ذلك، قد يكون هذا مُجرّد تبرير يُقدّمه لنفسه.



أوماً برأسه إلى كونتمبليشن عندما انتهت أرضية القبة بالقرب من مخرجه.
قالت كونتمبليشن: «لقد أسروا ريبكي، وإلجي».
-«سأبذل ما في وسعي من أجلهما».

قالت كونتمبليشن: «شكراً لك، أعلم أنك تعزف عن اللقب الذي حاولت منحه لك. لكنك اليوم، أتيت إلينا عندما كنا في أمس الحاجة إليك، بإرادتك الحرة. شكراً لك يا زيليون، أيها الرجل الذي أضاءه نور الشمس».

استقام في وقفته، ثم قال: «لقد حان وقت المضي قدماً مرة أخرى، علمي الجميع كيفية إعادة شحن قلوب الشمس، وتأكدي من انتشار الخبر فيما بينهم».

قالت: «سنفعل، ما لم يوقفنا ملك الجمرات».

أجابها زيليون: «لا تقلقي، سأتدبر أمره».

ركض نحو المركبة التي حلقت بها سلميتي ديقاين باتجاهه. وبعد لحظات، انطلق مُسرِعاً -تاركاً القبة تنغلق من خلفه، على أمل أن تُحافظ على أجهزة دعم الحياة بداخلها- وحلّق صوب «يونيون».

غلف نور الشمس القبة، مُحترماً رغبة المُساعد الأخيرة، حيث أصبح حرفياً الجدار الحامي الذي يمنع الدمار عن أهل المنارة. لم يكن هناك ما يستطيع زيليون فعله من أجلهم بشكل مباشر، لكنهم ما زالوا بحاجة إليه. ليس من أجل الخلاص فحسب، لكن من أجل شيءٍ يعرفه بشكلٍ أكثر حميميةً.
من أجل القتل.

سَاعَدَتِ إِلِيْجِي الْمُنْفَحِّمِيْنَ فِي سَحْبِ سِلَاحِ نَحْوِ مَكَانِهِ الْمَخْصَّصِ، وَهُوَ مَدْفَعُ ضَخْمٍ، اقْتُلِعَ مِنْ إِحْدَى مَرَكَبَاتِ الْمَنَارَةِ، لِيَدْرِسَهُ مُهَنْدِسُو مَلِكِ الْجَمْرَاتِ. لَكِنَّهُمْ، بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ، ثَبَّتُوا الْمَدْفَعُ الضَّخْمَ إِلَى حَافَةِ مَدِينَتِهِ الطَّائِرَةِ، وَالتَّفَّ حَوْلَهُ جَمْعٌ مِنَ الْمُهَنْدِسِيْنَ، وَمَدُّوهُ بِالطَّاقَةِ عِبْرَ قَلْبِ شَمْسٍ.

صَرَخَ بِهِمْ مَلِكُ الْجَمْرَاتِ بَانزِعَاجٍ عِنْدَمَا صَعَدَ بِجَوَارِ سِلَاحِهِ، مَسْتَوِيًّا عَلَى جِهَازِ التَّحَكُّمِ مِنْ مَسْؤُولٍ قَرِيبٍ. غَلَبَ عَلَى الْمُهَنْدِسِيْنَ الْقَلْقُ بِشَأْنِ الْاِرْتِدَادِ، وَكَدَّسُوا أَكْبَرَ قَدْرٍ مُمَكِّنٍ مِنَ الْوَسَائِدِ خَلْفَ السِّلَاحِ - الْمُنْبَتِّ إِلَى حَائِطٍ. وَمِنَ الطَّرِيقَةِ الَّتِي تَحَدَّثُوا بِهَا، تَمَنَّتْ إِلِيْجِي رُؤْيَةَ مَلِكِ الْجَمْرَاتِ يُلْقَى فِي الْبَحْرِ بِفِعْلِ الْاِهْتِرَازِ. وَلَعَلَّهُ يُسَحِّقُ تَحْتَ السِّلَاحِ، وَهُوَ مَا سَيَكُونُ مَنْظَرًا مُسَلِّيًا.

لَكِنَّهُ لِلْأَسْفِ، أَطْلَقَ الْمَدْفَعُ النِّيرَانَ بِيُسْرٍ وَسَهْوَةٍ - مُطْلَقًا كُرَّةً مِنَ الطَّاقَةِ الْمَتَوَهَّجَةِ نَحْوَ الْقُبَّةِ الْبَعِيدَةِ. وَرَغْمَ اِرْتِدَادِهَا عَنْهَا، أُثْبِتَتْ فِعَالِيَةُ النِّيزَامِ. ثُمَّ جَعَلَهُمْ يُحَرِّكُونَ الْمَدْفَعُ لِتَصْوِيْبِهِ نَحْوَ مَرَكَبَةِ زَيْلِيُونِ الْمُقْتَرِبَةِ. شَعَرَتْ إِلِيْجِي بِدَفْقَةٍ مِنَ الْإِثَارَةِ تَدُبُّ فِي أَوْصَالِهَا، إِذْ لَطَمًا تَمَنَّتْ شَيْئًا كَهَذَا.

ابْتَسَمَتْ لِرَيْبِيكِي، الَّتِي احْتَجَزَهَا مُتَفَحِّمٌ قَرِيبٌ، وَالَّتِي ظَهَرَتْ عَلَيْهَا أَمَارَاتُ الصَّدْمَةِ بِدَوْرِهَا. هَلْ انْخَدَعَتْ بِتَظَاهُرِ إِلِيْجِي أَيْضًا؟ مَدَّهَا ذَلِكَ بِمَزِيدٍ مِنَ التَّشْوِيقِ.

سَيَكُونُ هَذَا الْجُزْءُ الْقَادِمُ وَاعِدًا بِالْإِثَارَةِ. فَقَدْ شَنَّتْ إِلِيْجِي هَجُومَهَا، قَبْلَ أَنْ يَتَسَنَّى لِمَلِكِ الْجَمْرَاتِ إِطْلَاقَ نِيرَانِ سِلَاحِهِ عَلَى زَيْلِيُونِ. لَا عَلَيْهِ، بَلْ عَلَى بَقِيَّةِ الْمُنْفَحِّمِيْنَ.

بَدَأَتْ هَجُومَهَا عَلَى الشَّخْصِ الَّذِي يَحْتَجِزُ رَيْبِيكِي، أَخْرَجَتْ قِطْعَةَ قَلْبِ الشَّمْسِ الصَّغِيرَةِ مِنْ حِزَامِ خَصْرِهَا، اَنْدَفَعَتْ مُسْرِعَةً، وَطَعَنْتْ بِهَا قَلْبَ جَمْرٍ أَقْرَبَ الْمُنْفَحِّمِيْنَ إِلَيْهَا، ثُمَّ نَطَقَتْ بِتَعْوِيزَةِ زَيْلِيُونِ. وَعَلَى الْفُورِ، تَرَكَ الْمُنْفَحِّمُ رَيْبِيكِي، وَأَصْبَحَ لَوْنَ قَلْبِ جَمْرِهِ فَاتِحًا. تَرَاجَعَ مُتَرَنَّحًا، وَشَهَقَ، عِنْدَمَا انْقَطَعَ رَابِطُهُ بِمَلِكِ الْجَمْرَاتِ.

جَذَبَتْ رَيْبِيكِي بَعِيدًا، إِذْ اخْتَارَ الْمُنْفَحِّمُ -الَّذِي سُمِّحَ لَهُ فَجَاءَ بِفِعْلِ مَا يُرِيدُ- الْهَجُومَ عَلَى الْمُنْفَحِّمِ الْمُجَاوِرِ لَهُ. اِتَّسَعَتْ ابْتِسَامَةُ إِلِيْجِي، وَهِيَ تُحَرِّرُ مُنْفَحِّمَةً أُخْرَى، ثُمَّ قَفَزَتْ لِلوَرَاءِ عِنْدَمَا أُصِيبَتْ تِلْكَ الْمَرْأَةُ بِحَالَةٍ مِنَ الْجَنُونِ، وَبَدَأَتْ تَلُوحُّ بِهَرَاوَتِهَا بِشِرَاسَةٍ.

لَمْ تَمْلِكْ إِلِيْجِي مِنَ الْوَقْتِ إِلَّا الْقَدْرَ الْيَسِيرَ لِتَحْرِيرِ مُتَفَحِّمٍ آخَرَ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَ مَلِكُ الْجَمْرَاتِ مَا هِيَ مَا تَفْعَلُهُ، صَرَخَ: «إِنَّ الْخِيَانَةَ مِنْ أَشَدِّ الْفِظَائِعِ!». ثُمَّ دَفَعَ جَانِبًا ذَلِكَ الْمُنْفَحِّمِ الَّذِي تَحَرَّرَ مِنْ سُلْطَانِهِ، وَالَّذِي حَاوَلَ مُهَاجَمَتَهُ، قَبْلَ أَنْ يُضَيِّفَ: «مَاذَا يَجْدُثُ؟ كَيْفَ...؟».

ثُمَّ صَبَّ جَامَ تَرْكِيْزِهِ عَلَى مَرَكَبَةِ زَيْلِيُونِ مَرَّةً أُخْرَى، هَمَسَ بِسَبِيَّةٍ، ثُمَّ أَطْلَقَ النِّيرَانَ.. لَكِنَّهُ تَرَدَّدَ لِفَتْرَةٍ كَافِيَةٍ، مِمَّا جَعَلَ الطَّلَقَاتِ تَنْفَجِرُ فِي الْمَسَاحَةِ خَلْفَ «دُونْتِشِيْسِر»، الَّتِي اَنْدَفَعَتْ بِسُرْعَةٍ ثَابِتَةٍ نَحْوَ «يُونِيُونِ». قَالَتْ

إلجى لنفسها: إن نجاة تلك المركبة الصغيرة لأمر رائع.

صرخ وهو يشير إلى إلجى: «اقتلوا تلك اللعينة!».

اندفع نحوها المتفحمون الثلاثة المتبقون، لكن الثلاثة الذين حررتهم تسببوا في فوضى عارمة، وهاجموا المسؤولين والمدنيين الذين تجمعوا لمشاهدة ما يحدث. مما أجبر ملك الجمرات على إعادة زوج من متفحميه، ليتولوا مهمة حمايته.

ثم هرع آخرون إلى مكان الحادث، وسرعان ما وجدت نفسها تُقاتل أربعة أعداء بشكل مُبهر. فقدت أثر ريبكي وسط الفوضى، وأجبرت على التراجع إلى حافة المدينة وهي تُدافع عن نفسها.

وأبلت.. حسناً. إذ فهمت جيداً حالة الجنون التي ألمت بالآخرين، لكنها تعلمت كيف تُفكر، وأفادها ذلك كثيراً. تراجعت بشكل إستراتيجي، لتضع ذلك المدفع الضخم حائلاً بينها وبين الآخرين. وبينما تدافعوا حوله، قفزت هي فوقه، ثم هبطت سريعاً لتشتبك مع أحد المتفحمين بمفرده.

هشمت ساقه بهراوتها، ثم أمسكت بقطعة قلب الشمس، عندما صدح صوت ملك الجمرات من خلفها مُتسائلاً: «إذن فأنت قادرة على التفكير بشكل مُستقل؟ هل تتذكرين؟ هل يؤلمك سماع هذا؟».

صرخت ريبكي.

نظرت إلجى، فرأت ريبكي بين يديه، حيث أحكم قبضته العارية حول عنقها، مُستنزفاً حرارتها. وبشكل غريب، أثار هذا ألم إلجى، وجعلتها رؤية ذلك تستشيط غضباً. إن ريبكي.. شخص ينبغي حمايته. صرخت إلجى، قبل أن يمسك بها أحد المتفحمين من الخلف، ليسقط قلب شمسها من بين أصابعها، ويزحف بعيداً.

قال ملك الجمرات: «نعم، إن هذا يؤلمك، أليس كذلك؟ إنه لأمر مُثير للفضول. حسناً، ربما ستؤلمك معرفة ما أزمع فعله بها أكثر. سأحوّلها إلى واحدة منكم، وسأجردها من عقلها وروحها، مُستبدلاً إياها بإخلاصٍ مُطلقٍ لي بمفردي. وعندما تُقابلينها المرة القادمة، ستحاول قتلك. أيؤلمك هذا يا إلجى؟».

صرخت إلجى في إحباط، وفقدت السيطرة على نفسها، وضربت المتفحمة التي تُكبلها. ثم اقترب متفحم آخر، وضربها بهراوته على رأسها. لكنها صمدت في وجه الألم، وصبّت جام تركيزها على ريبكي - التي أطلق ملك الجمرات سراحها، دافعاً إياها بين ذراعي أحد المسؤولين. تراجعت ريبكي، وقد استنزفت مُعظم حرارتها.

همس مسؤول آخر بكلماتٍ عاجلةٍ إلى ملك الجمرات، فنظر نحو زيليون المُقرب، ثم قال: «علينا العودة إلى الخطة القديمة لمواجهة، ألا تزال جاهزة؟».

- «أجل يا سيدي».

- «جيد. اذهبي إلى مركز القيادة وفعلي حالة الإغلاق الشامل للمدينة يا فيث - لا يجب أن تُغادر أي مركبة. لا أريده أن يُفقد من قبضتي. أما بقيتكم، فتعالوا معي».

دفعَت إليجي المتفحّم الذي يُمسِكها جانبًا، ثم أمسكت بالهراوة عندما استهدف آخر رأسها، بل حتى وركلت ساق ثالث قدم لمساعدتها. لكنّها رأت ما لا يقل عن اثني عشر آخرين يهرولون في الشارع نحوها، مُستجيبين لإرادة سيدهم.

غادر ملك الجمرات بخطوات واسعة، وانضمَّ إليه مسؤولوه ذوو الملابس البيضاء، الذين جرّوا ربييكي المنهكة خلفهم.

تركوا إليجي لتواجه مصيرها المحتوم، لكنهم لم يدركوا أنها قادرة على التخطيط في الوقت الحالي. لقد بدأت تهمّ، ولن تُقاتل حتى تُقتل، وهكذا تحرّرت من قبضة هؤلاء القادمين من أجلها. ثم ركضت.

ركضت بكل ما أوتيت من قوّة وعزم، بعيدًا عن المتفحّمين، ومن خلفها، صرّخوا في إحباطٍ بسبب فرارها. ورغم أن جزءًا منها تاق للاشتباك معهم، للقتال والخدش والضرب والقتل، اختارت الركض بدلًا من ذلك. اندفعت على طول حافة المدينة، لتقفز، وتتشبّث بقمّة سطح أحد المباني الصغيرة. أغلقت امرأة مرعوبة نافذتها عندما وصلت إليجي إلى السقف، قبل أن تستدير وتقفز عبر الشارع نحو المركبة التالية.

وفي الأسفل، تسلّق المتفحّمون بعضهم البعض لمحاولة للوصول إليها. لكن ما داموا لم يتوحّدوا، فقد أهدروا جهود بعضهم البعض. عادت إليجي من حيث أتت، قافزة من سطح إلى آخر لتعود من حيث بدأت. وهنا، ففرت لتلتقط قطعة قلب الشمس من على الأرض، ثم ركضت عبر شارعين نحو نقطة محدّدة كانت قد راقبتها من قبل: جزء مفتوح من سطح فولاذي بعيدًا عن أي مبانٍ.

دفعها اقتراب المتفحّمين من جميع الاتجاهات إلى الحافة. استندت إلى الإطار ذاته، وصرّخت بصوتٍ خافت، وهي تُحدّق بهم. ثم شعرت بالمدينة تهتز، بفعل اصطدام شيءٍ ما بها من الأسفل. وبعد لحظة، ظهر شخص على الجانب.. يرتدي درعًا مُشتعلة، ويتصاعد منها الدخان. هبط أمامها، وأشعلت قدماه المعدنيتين ألسنة اللهب بالشارع المعدني. ثم استقام في وقفته، كان مظهره مُرعبًا وهو يرتدي الدرع أكثر منه بدونها.

صدح صوته من الدرع بطريقةٍ ما وهو يسألها: «هل أنت بخير؟». نظر إليها، وتوهّج الشق الأمامي باللون الأحمر البرتقالي الداكن، بلون الفحم - أو قلوب الشمس. بدت الدرع قديمة وحديثة في آنٍ واحد. كما كانت ملساء، دون أي فجوات في مفاصلها. ومع ذلك، فقد كانت تذكيرًا بزمٍ مُختلف، عندما اعتاد الجنود الذهاب إلى الحرب في دروع كهذه.

قالت وهي تتنفس بصعوبة: «أجل، لقد خطّطت لذلك. رأيك مُخلّق صوب تلك البقعة بعينها. لقد خطّطت لذلك يا زيليون». - «هذا جيّد».

قالت وهي تُشير نحو الاتجاه الذي تجمّع فيه المتفحّمون، الذين تراجعوا بمُجرد ظهوره: «لقد أخذوا ربييكي من هذا الدرب».

- «هل كان ملك الجمرات برفقتهم؟».

- «أجل».

قال: «إذن فهذا هو الدرب الذي سأسألكه».

- «أتملك سلاحك؟».

قال: «لا، إنه الآن يُحافظ على حياة أهل المنارة.. ولن يجلب استدعاؤه سوى موتهم الفوري».

قالت: «إذن فكلانا أعزل».

أجابها عندما بدأ المتفحّمون بالتحرك: «لم أكن لأقول ذلك، أظن أن أحدكم لم يرَ درعاً فلقية من قبل، لذا تراجعني واستمتعي بما سيحدث، فسأفسح لنا الطريق».

انطلق للأمام، ودرعه تصطدم بسطح المركبة بصليل عالٍ، وواجه أول المتفحّمين وجهًا لوجه، وهو يتأرجح بعنف. لم يكلف المتفحّم -الذي اعتاد تلقي الضربات- نفسه عناء تفادي الضربة. وهكذا تلقى لكمة زيلون، وسقط كالدمية فوق المركبات القريبة، ثم هبط في مكان بعيد.

استدار ليُمسك بمتفحمةٍ أخرى، وألقاها نحو مجموعة من المتفحّمين المُسرعين في طريقه. تحرك كآلة هدم، مُستخدماً المتفحّمين كأسلحةٍ ضد بعضهم البعض. ألقى بهم، ودهسهم، وهشمهم في سلسلةٍ مذهلةٍ من التدمير.

لم يكن ملك الجمرات حاضرًا ليشعر بالخوف، على عكس ما كان عليه الوضع سابقًا، وهكذا استمروا في القدوم. راقبت إليجي الموقف برهبة، ثم لاحظت الشقوق التي بدأت تشوب درع زيلون. ورغم قوته الهائلة، كآلةٍ مدمرة، لم يستطع إيقافهم جميعًا.

تلقي ضرباتٍ مُتتاليةٍ بالهراوات والمناجل بين الحين والآخر.. وتسببت تلك الضربات في ظهور شقوق في درعه، وكأنها قد صُنعت من زجاج.

تحرّرت إليجي من خوفها، واندفعت للأمام، لتبدأ في تطهير قلوب جمر المتفحّمين الجرحى، واحدًا تلو الآخر. والذين حاولوا قتلها، بمجرد تحرّركم. لكنها تراجعت، تاركةً إياهم يُهاجمون المتفحّمين الآخرين بدلًا من ذلك، مما زاد من تفاقم الفوضى.

انفصل جزء من الدرع الغربية تحت وطأة الضربات، في انفجارٍ من النور، وتطاير الشرر والقطع المعدنية المتوهجة. كانت إحدى القطع التي تُغطي كتفه، لكن زيلون واصل القتال، مُهشّمًا العظام، ومُلقياً بالمتفحّمين حتى أحكم الصمت قبضته على الشارع أخيرًا. ليس صمتًا مطلقًا - لا، إذ امتلأ الشارع بأنين وصراخ المتفحّمين المُحبطين والمصابين، لكن قوَّات الهجوم نعدت، مثلما تنفذ طاقة المدافع.

اندفع زيلون للأمام، واستطاعت سماع تنفّسه العميق من داخل خوذته. ثم بدأت درعه تتفكك، وتحوّل إلى دُخان، وتركته -في ثوانٍ معدودات- عاريًا. جاهد للوقوف على قدميه، وهو يُمسك بمنجلٍ ساقط.

اقتربت منه إليجي فوق السطح المُلطخ بالدماء، وسألته: «هل يُمكنك إعادتها؟».

قال: «لا أدري، ليس قريباً، على ما أظن. فلست.. مُتأكِّداً من طبيعة الصلة التي تربطني بدرعي، لكن كان من الجيِّد أن أرتديها ثانية». تلفَّت حوله مُطالِعاً الدمار الذي أحدثه، قبل أن يُضيف: «المساكين، لقد أرغموا على القيام بذلك».

وعدته قائلةً: «إنهم يجِدون في الأمر مُتعة، ولقد قدَّمتَ لهم معركة لم يشهدوا مثلها من قبل. وفضلاً عن ذلك، فقد فرَّ بعضهم هارباً». أشارت إلى هؤلاء الذين تحرَّروا، وشقُّوا طريقهم في الأزقة الجانيبة، يبحثون عن معارك مع المدنيين العاديين.

رُبما.. لا ينبغي لها أن تسعد بذلك. أجل، يُمكنها أن ترى في عبوسه أنه رُبما.. كان هذا أمراً سيئاً.

قال: «علينا العثور على ملك الجمرات».

أجابته: «أعرف إلى أين اقتادوا ريبكي، إنه يُريد تحويلها إلى مُتفحمة، فقد وُلدت في المكان ذاته». أوماً زيليون برأسه، مُتبعاً خطاها أثناء تحرُّكها عبر المدينة، التي خيمَ عليها الهدوء مع اختباء الناس. قَبَعَ «وعاء الرُفات المُقدَّس» الخاص بهم بالقرب من مركز «يونيون»، حيث احتفظوا بالكورس. وبجانبه وقعت قاعة الاحتراق، حيث يصنع ملك الجمرات مُتفحمة.

اندفعت هي وزيليون سوياً في الأرض المفتوحة المحيطة بهذين المبنيين، ووجدوا ملك الجمرات هناك. يقف يميناً، في قلب شارع فسيح، يضع يديه على خصره، ويتنظر.

قال زيليون وهو يمسك بمنجله: «سأتولى أمره، اذهبي لإنقاذ شقيقتك».

صاحت به: «أريد القتال».

-«أعرف ذلك، لكن هل هذا ما تحتاجين إليه حقاً؟»-

-«هل الأمران مُختلفان؟»-

قال: «أجل». ثم أوماً برأسه نحو ملك الجمرات، الذي لَوَّح له ليقترِب، قبل أن يقول: «إنه يُخطِّط لمكيدةٍ ما، هناك فخ. هل يُمكنك التفوُّق عليه؟».

اعترفت قائلةً: «لا، لكن بوسعي التغلُّب على الفخ، مهما كانت طبيعته! يُمكنني قتله».

نظرَ زيليون في عينيها، قبل أن يقول: «هل بوسعك حقاً فعل ذلك يا إيجي؟ هل يجب عليك الإقدام على هذا الفعل؟». ثم وَضَعَ يده على كتفها، مُضيفاً: «لكن في الوقت الحالي، أنت بحاجة ماسيةٍ إلى التخلي عن هذه المعركة، لإنقاذ شقيقتك بدلاً من ذلك، هذا ما يحتاجه قومك، وهذا هو الدرب الذي يجدر بك أن تسلكيه».

لم تشعر بكلماته في قلبها، لكنّها.. اقتنعت بها على أي حال.

أومات برأسها موافقة.

قال: «اذهبي، وعندما تُنقِذين ريبكي، أبلغها رسالة مني، أخبرها أن هناك طريقة لإعادة شحن قلوب الشمس. بثوا بعض الحرارة في قلب شمس خامد، واتركوه في نور الشمس، وعندما تعودون إليه، ستجدونه

مشحونًا. لقد وّلت أيام التضحيات. إن أهل المنارة على درايةٍ بذلك، لكنني أرغب في نشر الخبر بين أكبر عددٍ ممكّن من الأشخاص، فهُم يستحقّون معرفة ذلك».

-«سأفعل».

-«وأيضًا.. شكرًا يا إيجي».

-«علام؟».

أجابها: «لأنك كُنتِ لي رفيقًا يستحق القتال إلى جانبه». ثم استدار لمواجهة ملك الجمرات قبل أن يُضيف: «أعتقد أن ذلك ساعدني على تذكُّر المسار الذي يجب أن أسلكه». وبتلك الكلمات.. افترقا نحو مصائرها المنفصلة.

قال زيليون وهو يخطو نحو ملك الجمرات بهدوء وثبات: «ما رأيك يا أوكس؟ هل رصدت أي قنّاصين؟».

لكن لم يأتِه أي جواب.

اللعنة، اجتاحه الألم مرّة أخرى عندما تذكّر.

توقّف زيليون، على بُعد خطواتٍ معدودة عن ملك الجمرات، شَعَرَ بأنه مكشوف بشكلٍ غريبٍ دون درعه. وكأنه بات يعتمد عليه اعتمادًا كليًا بعد فترة وجيزة من ارتدائه.

نادى زيليون على الرجل قائلاً: «أنا هنا لأمنحك المعركة التي تحدّثت عنها! ألا زلت تشتهي خوضها؟». صاح به ملك الجمرات: «بالتأكيد! يدًا بيد! أنا وأنت! دون أدنى تدخل من الآخرين! أليس هذا تقليدًا بين قومك؟ محاكمة شرفيّة، وجهًا لوجه؟».

كان الأمر، في الواقع، أشبه بتقاليد الأليثيين، لا الأزيثيين. إذ يُفضّل قومه تسوية الخلافات عبر معارك قضائيّة مطوّلة وخطب قانونيّة منمّقة. لكن هذا التفاوت كان عديم الأهميّة، إذ شكّ في أن ملك الجمرات ينوي اللعب بنزاهةٍ - بغضّ النظر عمّا قاله.

وهكذا استعدّ زيليون للقنّاصين حتى في غياب المُساعد ليرصد وجودهم. اتجه نحو جدار المبنى في نفس الوقت الذي أصابت فيه الطلقات المكان الذي كان يقف فيه لتوه. لكنها لم تكن طلقات مُدخّرة كذلك، بل انتقلوا لاستخدام قاذفات القنابل العاديّة؟ لكن لماذا؟

اقترب من الجدار الذي خطّط لاستخدامه كغطاء، لكن حفنة من المسؤولين ذوي المعاطف البيضاء اقتحموا النوافذ والأبواب القريبة، ثم بدأوا بإطلاق النيران عليه، برصاصاتٍ مؤلّمة للغاية، لكنها لم تحترق جسده. لقد أصابوه، وأضعفوه، بينما حاصره المُتفحّمون، واقتربوا منه وهم يلوحون بهراواتهم. كافح زيليون، وشقّ طريقه، مُقاتلاً - حتى تمكّن أحدهم من لفّ شيءٍ ما حول معصمه.

عَمَرَ الجليد عروقه، وتبدّدت حرارته بعيدًا. ترنّح، لكنه لم يسقط؛ فقد توقّف السوار عن العمل بعد ثانية واحدة. لم يريدوا أن يُفقدوه وعيه، وإنما أرادوا إضعافه فقط. ألصقوا شيئًا آخر على ساقه، قبل أن يتراجع المُتفحّمون، ويختفي الضباب.

ترنّح زيليون، بالكاد استطاع الوقوف على قدميه. ثم صدح إعلانٌ في سائر أرجاء المدينة: «يا شعب «يونون»!». إنه صوت ملك الجمرات، هل هذه رسالةٌ مُسجّلة؟ وأصل إعلانه: «لقد سمعتم عن هذا الغريب، الذي يهمس البعض بأنه الرجل الذي أضاءه نور الشمس. وها هو ذا، أُقدّم لكم فرصةً مُشاهدته، ورؤية سقوطه».

سار ملك الجمرات ببطءٍ نحو زيليون. طوّقت الكاميرات الأمنيّة المكان، وتتبعَت كلّها حركة ملك الجمرات، صوّرته وهو يفتح السوار من على معصم زيليون بطريقةٍ دراميّة، ثم ينزعه، ويرفعه، ليكشف للجميع أنه حرّر عدوه. قبل أن يُلقي بالسوار جانِبًا، ويركّل منجل زيليون الساقط بعيدًا. رَفَع ملك الجمرات قبضتيه قائلاً: «والآن، هذه مباراة شرف، بيني وبينك. هلاً بدأنا؟». هزّ زيليون نفسه، في محاولةٍ لاستعادة قواه المفقودة، رُبما ستكون المواجهة عادلة حقًا. رفع قبضتيه، لكنّه وجدّهما بطيئتين، بل وفي الواقع، غزا الثقل جسده بأكمله، وكأنّه مُقيّد بالأثقال. بالكاد استطاع رفع قبضتيه في موقفٍ قتالي.

صرخ مُزججًا: «ماذا فعلتم بي؟».

أجابه ملك الجمرات: «مُجَرّد هدية بسيطة من أصدقائنا في المركبة السريّة، إن أساور التجميد فعّالة، لكنّها غالبًا ما تُفقد أهدافي وعيهم - وأنا أفضلهم واعين، لكن.. مُعاقين بعض الشيء». تراجع زيليون مُتخليًا عن موقفه، رغم أن هذا تطلّب قدرًا مؤلّمًا من الجُهد، ثم صاح: «بعض الشيء؟ إنه أحد أجهزة ثقل السكادريانيين، أليس كذلك؟ ذلك الذي ألصقتموه إلى كاحلي؟». كان قد رأى الناس يستخدمونه على الكواكب مُنخفضة الجاذبيّة للتحرك بطريقةٍ طبيعيّة. أما هنا، فقد زادت من وزنه بشكلٍ كبير - مما جعل جسده يعتقد أنه يعمل تحت وطأة ثلاثة أو أربعة أضعاف الجاذبيّة الطبيعيّة. ابتسم ملك الجمرات، ثم لكم زيليون في وجهه. حاول رفع قبضتيه لصدّ الضربة، لكنّه كان بطيئًا للغاية، فتلقى لكمة مباشرة في معدته، وتراجع مُترنحًا.

صرخ زيليون: «أيها الجبان».

أجابه ملك الجمرات وهو يتقدّم نحوه: «لا جُبن في الانتصار».

تمكّن زيليون من لكمه بقوة، مما أدى لشقّ شفّته، التي شُفيت من فورها. بحق العواصف، ما حجم ادّخاره؟

هاجمه زيليون مرّة أخرى، لكن ببطءٍ وخدرٍ شديدين. لكمه ملك الجمرات في وجهه، فسقط أرضًا. تلقى زيليون ركلة في معدته، ثم نجح بالكاد في التدحرج بعيدًا عن الركلة التالية. كافح للنهوض على قدميه، مُتعبًا.

همس ملك الجمرات: «هذه هي القوّة». تقدّم نحوه، وهو يخلع قُفّازه، ليكشف عن قبضتيه العاريتين. وهي فكرة سيّئة في أي قتالٍ عادي، إذ يُمكن أن تُسبب ضررًا ليدك بقدر ما تُسببه لعدوك، لكن وحدات ادّخار ملك الجمرات سُنّشفيه من تلك الجروح السطحيّة، تابع حديثه قائلاً: «وهذا ما يعنيه أن تكون قويًا».

همس زيليون: «لماذا تُخفي حقيقة ما تفعله عن شعبك إذن؟ تُريد أن تكون قادرًا على هزيمتي، لكن لا تُريدهم أن يعرفوا كيف؟ هذه ليست قوّة، بل هي محض كذبة».

قال ملك الجمرات وهو يلكمه مرّة أخرى: «دائمًا ما يرى الرُجل المُدان الظلم في العالم من حوله».

اللعنة، هذا مؤلم. بدأ الدم ينزف من أنف زيليون وهو يتعثر مُترنحًا على طول الشارع. لم يعد يمتلك مُساعدًا يعتمد على وحدات ادّخاره بعد الآن، لكنه شعر به يتلاشى، ويتنفض. لقد نفذت قُدرته على التحمُّل، وبدأت قواه تخور.

قال ملك الجمرات: «في الحقيقة، إن كل ما أفعله الآن هو استخدام المزايا التي أتمتع بها، مثلما تستخدم مزاياك». ضحك، ثم لكم زيليون في معدته، وتابع حديثه قائلاً: «بحقك، دعنا نُقدّم عرضًا يستحق المشاهدة أيها الرجل الذي أضاءه نور الشمس، سيرغب الناس في رؤيتك تموت بطريقة مُشرّفة!». واصل تقدُّمه بلا هوادة، دافعًا زيليون للتراجع أمامه، مُباشرةً نحو شروق الشمس.

تذكَرتُ إليجي هذا المكان. قادتُها الدرجاتُ المعدنيَّةُ غيرُ المُزخرفةِ إلى الطابقِ السُّفليِّ للمركبةِ التي تُشكِّلُ قلبَ «يونيون». تذكَرتُ وقعَ خطواتها على ذلكِ المعدنِ؛ تردَّدَ صدى الصوتِ ليبدو كصوتِ عملِ آلةٍ رهيبةٍ من بعيدٍ.

وهذا.. هذا ما آلت إليه، آلة، جماد، لا شخص. مُجرَّدة من حُرِّيَّةِ الاختيار، والهويَّةِ، والروح. التي من المُفترَضِ بها أن تُحرقَ عن بكرةِ أبيها، تاركةً ملكَ الجمراتِ مع أكثرِ قاتليه مثاليَّةً.

لكنها تذكَرتُ.. تذكَرتُ ذكرياتٍ قديمة. ليس فقط لحظة خروجها من هذا المكانِ كُمتفحِّمةٍ حديثة، بل وقبل ذلك، تلكِ الأصواتِ، وصدى الخطوات. تذكَرتُ رحلة الهبوطِ، والخوفِ، وتذكَرتُ.. النورِ؟

وَجَدتُ بابًا في انتظارها في نهاية الدرجاتِ، تركه الذين دخلوا على عجلٍ مواربًا، الذين جرُّوا ريبكي من خلفهم. بَمَ شَعروا؟ مع معرفتهم بأن وحشًا غريبًا يرتدي بدلة مُدرَّعة عجيبةً يُهاجمُ مدينتهم - وقد جُنَّ جنونُ المُتفحِّمين - ومع ذلكِ فقد أمرُوا بالذهابِ لإعدامِ أسيرة؟

دفعَتُ إليجي البابَ لينفتحَ على مصراعيه، وكان النورُ كما تذكَرتُه. تراصَّت في الفتحاتِ التي تُزيِّنُ الجدرانَ، مئاتٌ من قلوبِ الشمسِ؛ إنه احتياطي المدينة، ضريحها، الذي يُعجُّ بالأرواحِ التي حصدها الشمسُ، وحارسُ مُتفحِّمٍ وحيدٍ.

زَجَرَ الرجلُ بوحشيَّةٍ، وانقضَّ عليها فور دخولها. صدَّت إليجي هراوته بساعدها، مُحَدِّقةً في عينيه. وللمرَّةِ الأولى، لم يعترها بالخوفِ، بل شعرت باللوعة. وتذكَرتُ تلكِ الأضواءِ، وجرَّها إلى هذه الرُّدهةِ، ومعرفتها بأن كلَّ شيءٍ - وكلُّ من أحبَّته، وكلُّ ما حقَّقتَه يومًا - سيحترقُ قريبًا في أعماقها، كمرضٍ ستقتله الحمى القادمة.

دفعَتُ المُتفحِّمَ جانبًا، مما هزَّ الجدارَ، ورجَّ قلوبِ الشمسِ. وبينما كافحُ للنهوضِ على قدميه، وجَّهتُ له لكمةً قويَّةً في حلقة، وتركته يلهثُ مُحْتِنًا بدمائه. اقتحمُ مُتفحِّمُ آخرِ البابِ، لكنها شعرت بالهدوءِ والسكينةِ مُجدِّدًا، وهي تتنحى جانبًا، لتُمسِكَ بذراعه، وتستغلَّ زخمه لتضربه بالحائطِ. سَقَطَ أرضًا.

تذكَرتُ الألمَ والرُّعبَ دون غيرهما، لم تتذكَّرُ ما أحبَّته، أو عرَّفته، أو صدَّقته. إذ لم تُعدْ تذكَّرُ سوى معرفتها بأنها ستفقدُ كلَّ شيءٍ. وبدت تلكِ الحقيقةُ أشدَّ وحشيَّةً، أن تُتركَ فريسةً للدُّعرِ والألمِ، لكن لم تُكنُ الأجزاءُ الأصليَّةُ من نفسها هي ما أثارتُ تلكِ المشاعرِ. اندفعتُ قدمًا عبر الممرِ المليءِ بالأرواحِ.

حَطَّتْ من فوقِ جسدِ المُتفحِّمِ الأولِ، واندفعتُ إلى العُرفةِ التي يُصنَعُ فيها المُتفحِّمون الجُدُد. وعلى طولِ الجدارِ، اصطفَّ طابور من الأشخاصِ المذعورين، رعايا جُدُدِ على وشكِ أن يتحوَّلوا إلى مُتفحِّمين، رُبما

ليُقاتِلوا أولئك الذين تحرَّروا من سُلطانِه. تولى ثلاثة مسؤولين فقط مُهمَّةَ إعدادهم، وقد تخلَّوا عن حذرهم جرَّاء تعجُّلهم. فعلى سبيل المثال، قيَّدت ريبكي في مكانها دون أن تُخلع عنها ملابسها. وهذا يعني أنه عندما ستعمل الآلة، سيهبط رُمحٌ مزوَّد بقلبٍ جمرٍ مُشتعلٍ في مُقدِّمته ليُمس صدرها، وسيؤدي ذلك إلى اشتعال النيران في قميصها. تذكَّرت إليجي كيف صرَّخت عندما حدَّث لها ذلك. نظَّرت ريبكي إلى الجانب، نحو إليجي، بعينين مليئتين بالدُّعر - وبدأ بريقها يُخفت. لا.

لن يحدث ذلك.

ليس لها.

صرَّخت إليجي من جديد، صرخةٌ مُتناغمةٌ مع صراخها في الماضي، وتشاركت كلتا اللحظتين في صدى واحد. قفزت عبر العُرفة، وأمسكت بالآلة، وانتزعت الرُمح من مكانه. مزَّقت قيود ريبكي، وحرَّرتها، وانتزعت المرأة الشابة عن الطاولة.

لكن قلب الجمر كان قد زرع بالفعل في مكانه، وبدأ جلد ريبكي يتحوَّل للون الرمادي، ويُصبح داكنًا بفعل النيران - التي ازداد تأجُّجها أكثر فأكثر.

لا، لا، لا، لا!

ارتبكت إليجي، وتحسَّست خصرها. أين انزلت قطعة قلب الشمس؟ ارتجفت ريبكي، وغشَّت عيناها، وانبتق نحيبٌ كئيبٌ من بين شفيتها.

استطاعت إليجي الشعور بذلك، بذلك الحريق الرهيب الذي يتأجج في قلبها، ليلتهم كل شيء، استطالت تلك اللحظة كما المعدن المصهور، بينما تلاشى الحُب، وتبخَّرت الآمال، وأصبحت الذكريات عصفاً مأكولاً.



صرخت إليجي بشيء ما - كلمة غير مُكتملة - قبل أن تجذب شقيقتها إليها، وشعرت بدفء ريبكي على جوف صدرها، حيث دُمّرت ذاتها من قبل. تشبّثت بشقيقتها، وتمتت بالكلمات: «يا شديد البأس، الذي يقف على عتبة الموت، مدّ قلب جمري هذا بحرارتك، حتى تُبارك أولئك الذين ما زالوا على قيد الحياة».

لم تستطع لمس قلبي جمرها ببعضها البعض، إذ غرّق قلبها بشدة في أعماق جوفها. لكنّها شعرت بشيء ما على أي حال، شعرت بدفءٍ عنيفٍ يفيض عليها من ريبكي، وعبر جلدیهما، مُنتقلاً من وعاءٍ لآخر.

أحرقّت تلك الحرارة آخر ذكريات إليجي - أذابت الألم الذي عاشته، وذكريات تلك الغرفة، وصدى الأقدام على الأرضيات المعدنية. تلاشت البقية الباقية من ذاتها القديمة، لكن عندما جذبتها بعيداً، وجدّت أن قلب الجمر قد توقّف عن الغوص في أعماق ريبكي.

وبدلاً من ذلك، تجذّر فيها كحجر كريم في قطعة مجوهرات - تاركاً إياها مُحاصرةً بتجعّد من الجلد الرمادي، الذي يمتد نحو عنقها. ومع ذلك، فقد ظلّ ثديها سليمين، ولم يغرقا في تجويف صدرها أو يحترقا. رمشت ريبكي، ثم تنفّست، وركّزت عينيها على إليجي، قبل أن تقول: «إل... إليجي؟».

انهمرت الدموع من عيني إليجي، وشعرت بصدمةٍ عارمةٍ قبل أن تقول: «أجل». ماذا كان هذا الشعور الذي يغمرها؟ إنه ساحقٌ يطغى على النفس مثل الرغبة في القتل.

قالت ريبكي: «لقد أوقفت تحوُّلي، لا أزال على سجيتي. أنا أتذكّر.. نعم أتذكّر يا إليجي! لقد أنقذتني، وها أنت الآن تضميني، وتنظرين إليّ وكأنك.. تتذكّريني، أليس كذلك؟».

كذبت إليجي وقالت: «أجل». فهذا ما ينبغي أن يُقال، والشيء الصحيح بالنسبة لها، قبل أن تُضيف: «أنا.. أنا لا أتذكّر، لكنني أشعر ببعض الأشياء، من حياتي السابقة».

- «قد تعود إليك البقية كذلك!».

كانت إليجي واثقة من أن هذا لن يحدث أبداً، فقد تخلّت للتو عن القلّة القليلة التي تبقت لها. وبهذا، تمكّنت من إيقاف تحوُّل ريبكي، وكان ذلك كافياً. وضعت شقيقتها أرضاً، ثم تفحصت المسؤولين في الغرفة، الذين التصقوا بالحائط. مدّ أحدهم يده نحو سلاح على المنضدة، نظرت إليه إليجي، وهزت رأسها.

ترجع ورفع يديه عالياً. لكن لا يزال هناك مُتفحّمون في الرُدهة بالخارج. لقد حطّمت حلق أحدهما، لكن الثاني لا يزال يُشكّل مصدرًا للخطر. تحققت منها، فوجدتها يقفان بالخارج في الممر، بعينين مُتسعيتين، كأنهما في حالة ذهول.

سألتها ريبكي: «يُمكنني الشعور بالمتفحّمين يا إليجي، لماذا أستطيع ذلك؟».

أجابتها: «لأن قلوب الجمر تربطنا بملك الجمرات، ورغم أن عملية تحوُّلك لم تكتمل، إلا أنك رُبما تشعرين بذلك الرابط قليلاً، هل يُمكنك سماع أفكاره؟».

- «لا، لكن كيف يتحكّم ملك الجمرات بالآخرين يا إليجي؟».

قالت: «عن طريق قلب جمره، قلبٌ لم..». ثم التفتت إلى ريبكي، وقلب جمرها المتوهج المغروس في جلدها، قبل أن تُضيف: «قلب لم يستنزفه مثلما فعل بنا» ركعت بجوارها، وسألتها بحماسٍ: «هل يُمكنك التحكُّم بهم؟».

سيطر العبوس على وجه ريبكي وهي تقول: «أنا.. أحاول». نظرت إليها المتفحمان في الرُدْهة، وأمالا رأسيهما جانبًا قليلًا، لكن أحدهما لم يبرُح مكانه ولو بمقدار أنملة. قالت ريبكي: «أسعى جاهدةً لإقناعهما بدخول الغرفة والجلوس، لكن يبدو أن ثمة ما يحول دون ذلك». -«ملك الجمرات».

أومأت ريبكي برأسها قبل أن تقول: «إنه يفوقني قوّة يا إيجي، غير أني أظن.. أن بقية المتفحمين سيتجاهلونني.. أو على الأقل لن يُهاجموني. ماذا الذي يتوجّب علينا فعله؟».

قالت إيجي: «لا أجد سوى تحطيم الأشياء، ومن ثمّ سيتوجّب عليك اتخاذ كل القرارات الصعبة». ابتسمت ريبكي لقولها هذا، وظهرت أمارات الارتباك على مُيّاها.

قالت إيجي: «إن زليون يُقاتل ملك الجمرات يا ريبكي. وقبل أن نفترق، طلب مني أن أخبرك بشيءٍ ما. قال إن.. هناك طريقة لإعادة شحن قلوب الشمس، وهكذا لا داعي لقتل المزيد من الأشخاص لصناعة المزيد منها، إن أهل المنارة على درايةٍ بذلك. كما قال إنه كلما زاد عدد الذين يعرفون بالأمر، كان الأمر أفضل».

تجهم وجه ريبكي، ثم أخذت نفسًا عميقًا، ووقفت بمُساعدة إيجي، قبل أن تقول: «نحن بحاجةٍ للوصول إلى مركز قيادة «يونيون»».

تدحرج زيليون على سطح «يونيون»، بوجهٍ مُلَطَّخٍ بالدماء، وضلوع تصرُّخ أماً. أرهبه ملك الجمرات وضربه على طول الطريق حتى أعاده من حيث بدأ - إلى قلب الفوضى الدمويَّة، وحيث أزهق أرواح العديد من المتفحِّمين، على حافة «يونيون».

أجبر نفسه على الوقوف على قدميه مرَّةً أخرى. لكن بحق العواصف، لم تُتَّح له الفرصة حتى ليوجه لكمةً ثانية، ولم يتمكَّن من القتال. كيف يُمكنه التغلُّب على الرَّجُل، وهو عاجز عن القتال..
عاجز عن القتال؟

أدهشته سداجة الأمر، ووَجَد نفسه يُقهقه ضاحِكًا - رغم أن هذا جعل الألم يُنْشِب أنيابه في صدره. توقَّف ملك الجمرات، عابِسًا.

جاهد زيليون لرفع يده ليمسح عينيه، قبل أن يفشل، ويتركها تهبط إلى جانبه مرَّةً أخرى. قال: «عذرًا، فقد أدركتُ شيئًا لتوي. لقد تدرَّبْتُ طوال هذا الوقت لهزيمتك».

قال ملك الجمرات وهو يُشير إليهما: «أهكذا تبدو لك.. هزيمتي؟».

هزَّ زيليون كتفيه. لا يُمكن لعذابه، لعنته السخيفة.. أن يكون قد أعدَّه لهذه اللحظة، أليس كذلك؟ تجاهل الفكرة، واعتبرها سخيفة. لأن عذابه ليس حيًّا؛ ولا يُحطِّط. إنها محض صدفة بحته أنه وَجَد نفسه في هذا الموقف، بعد أن أُجبر على الاشتباك مع الأعداء مرارًا وتكرارًا دون أن يتمكَّن من القتال.

بحق العواصف.. عليه أن يُعادر ذلك الكوكب، وإلا سيبدو كلُّ شيء كجزءٍ من خطةٍ إلهيةٍ غامضة. أو ما برأسه لملك الجمرات، الذي اقترب ليلكِّمه مرَّةً أخرى. وهذه المرَّة، لم يُحاول زيليون صد الضربة أو تفاديها. بل سقط أرضًا، وتألَّم بشدَّة، قبل أن يتعلَّق بملابس الملك، الذي قال وهو يُحاول التحرُّر من بين أصابع زيليون: «التشبُّث».

-«الفن الذي يُتقنه الجبناء».

قال زيليون: «أعي تمامًا أن هناك عددًا من الأشخاص سيشعرون بالإهانة الشديدة من هذا التصرُّف». ثم تمسَّك به بقوةٍ أكبر. ورغم الثقل البالغ لجسده، لم تتأثر قوَّة أنامله، وهكذا تمكَّن من التمسُّك بملابس الطاغية، بينما يجذبها الرَّجُل، محاولًا التحرُّر من قبضته. في النهاية، دَفَع ملك الجمرات وجه زيليون بيده العارية، مُتمتِّمًا ببعض الكلمات.

بدأت الحرارة تتدفَّق من زيليون إلى ملك الجمرات، الذي بدت أمارات الصدمة جليَّةً على وجهه، رغم أنه تعمَّد تنفيذ هذه المناورة، ثم تساءل بدهشة: «لحظة، لماذا يعمل ذلك الآن؟».

أجابه زيليون: «لأن الناس لا يزالون يثقون بي لسببٍ ما، والفضل لك في توحيد صفوفنا».

نَظَرَ مَلِكَ الْجَمْرَاتِ فِي عَيْنَيْهِ، ثُمَّ تَسَلَّقَهُ زَيْلِيونَ، وَتَرَكَ ثِقْلَهُ يُسْقِطُهَا إِلَى الْخَلْفِ. لَمْ يَمْتَلِكِ السَّيْطِرَةَ الْكَامِلَةَ عَلَى مَا يَحْدُثُ، بَلْ سَقَطَ فَحَسَبَ، مُسْتَخْدِمًا نَفْسَ الْمَانُورَةِ الَّتِي اسْتَخْدَمَهَا ضِدَّ إِلِيْجِي فِي الْحَلْبَةِ أَثْنَاءِ اسْتِبَاكِهَا الْأَوَّلِ.

وَمِثْلَهَا نَجَحَتْ فِي الْمَاضِي، أُثْبِتَتْ فِعَالِيَّتُهَا مَرَّةً أُخْرَى. يُمَكِّنُ الْمَلِكُ الْجَمْرَاتِ مُقَاوَمَتَهُ كَيْفَمَا أَرَادَ، لَكِنَّهُ الشَّخْصَ الَّذِي حَوَّلَ زَيْلِيونَ لَوْزِنٍ مُصَمِّمٍ، أَثْقَلَ مِنْ وَزْنِهِ بِأَرْبَعَةِ أَضْعَافٍ تَقْرِيْبًا. لَيْسَ بُوْسَعُهُ دَفْعٌ مِثْلُ ذَلِكَ الْوِزْنِ جَانِبًا بِسَاطِطَةٍ، سَقَطَا مِنْ فَوْقِ الْمَرْكَبَةِ تَحْتَ تَأْثِيرِ الزَّخْمِ. تَبَعَ ذَلِكَ سَقُوطُ قَاصِرٍ، قَبْلَ أَنْ يَصْطَدِمَا بِالْأَرْضِ النَّاعِمَةِ.

اجْتَاكَ الْأَلْمُ زَيْلِيونَ، الَّذِي وَمَضَ عِبْرَ رُؤْيَيْتِهِ بِالْوَانِ مُبْهَرَجَةٍ وَنَابِضَةٍ بِالْحَيَاةِ، حَيْثُ تَعَرَّضَ جَسَدُهُ الْمُهْشَمَ بِالْفِعْلِ لِضَرْبَةٍ مَرُوعَةٍ أُخْرَى، وَلِحُسْنِ حِظِّهِ، فَقَدْ سَقَطَ فَوْقَ مَلِكِ الْجَمْرَاتِ.

دَفَعَ الْمَلِكُ زَيْلِيونَ جَانِبًا، وَهُوَ يَقُولُ: «مَاذَا تَعْتَقِدُ أَنَّكَ فَعَلْتَ أَيُّهَا الْأَحْمَقُ؟ لَوَّثَتْ مَلَابِسِي بِالطِّينِ؟». عَجَزَ زَيْلِيونَ عَنِ إِيجَادِ الْقُوَّةِ الْكَافِيَةِ لِلرَّدِّ عَلَيْهِ، وَبَدَلًا مِنْ ذَلِكَ نَهَضَ وَاقْفًا، رَغْمَ أَنْ الْجُهِدَ كَانَ شَاقًّا لِلغَايَةِ، ثُمَّ رَفَعَ قَبْضَتَيْهِ.

قَالَ مَلِكُ الْجَمْرَاتِ: «تَوَقَّعْتُ عَرْضًا أَفْضَلَ». ثُمَّ ضَرَبَهُ مَرَّةً أُخْرَى، وَأَسْقَطَهُ فِي قَلْبِ الْوَحْلِ وَنَهَضَ، بِجُهِدٍ مُضْنٍ.

قَالَ مَلِكُ الْجَمْرَاتِ وَهُوَ يَتَعَثَّرُ، قَبْلَ أَنْ يَرُكِّلَهُ فِي ضُلُوعِهِ الْمَكْسُورَةِ: «يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مُقَاتِلًا أَفْضَلَ». شَهَقَ زَيْلِيونَ، قَبْلَ أَنْ يَنْهَضَ بِبَطْءٍ.

هَاجَمَهُ مَلِكُ الْجَمْرَاتِ مَرَّةً أُخْرَى قَائِلًا: «هَذَا مُحِبِّبٌ لِلْأَمَالِ».

تَلَقَّى زَيْلِيونَ الضَّرْبَةَ، ثُمَّ نَهَضَ.

مُتَمَنِّيًّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَافِيًّا.

تَمَتَّعَ مُعْظَمُ الْمُدُنِ وَالْبُلْدَانِ فِي كَانْتِيكَلِ بِقِيَادَةِ مَرْكَزِيَّةٍ - حَيْثُ يَسْهُلُ تَوْجِيهِ الْمُجْتَمَعِ بِأَسْرِهِ عِنْدَمَا تَتَوَحَّدَ مَرْكَبَاتُهُ مَعًا - غَيْرَ أَنَّهَا لَمْ تَخْضَعْ جَمِيعًا لِذَاتِ الْقِيُودِ الَّتِي فَرَضَتْهَا «يُونِيونَ». شَرَحَتْ رِيْبِيكِي لِإِلِيْجِي أَثْنَاءَ وَصُولِهَا؛ إِنَّ النَّاسَ فِي «يُونِيونَ» يَفْتَقِرُونَ إِلَى حُرِّيَّتِهِمْ، وَلَا يُتَاحَ لَهُمْ فَصْلُ مَرْكَبَاتِهِمْ دُونَ إِذْنٍ.

وَقَفَّ خَمْسَةَ مُتَفَحِّمِينَ لِحِرَاسَةِ الْبَابِ الْمُؤَدِّيِ لِعُرْفَةِ الْقِيَادَةِ الرَّئِيسِيَّةِ.. لَكِنَّهُمْ سَمَحُوا لِرِيْبِيكِي وَإِلِيْجِي بِالْعُبُورِ دُونَ تَعْقِيدِ. شَعَرَتْ أَنَّهُ مِنَ الْخَطَأِ أَنْ تَوْلِيَهُمْ ظَهْرِيَّيْهَا - وَكَادَتْ إِلِيْجِي أَنْ تَشْتَبِكَ مَعَهُمْ، قَبْلَ أَنْ تُحْجِمَ عَنْ ذَلِكَ. بَدَاخِلَ الْعُرْفَةِ، وَجَدَتَا مَجْمُوعَةً مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ يَرْتَدُونَ الْمَعَاطِفَ الْبَيْضَاءَ يَقِفُونَ أَمَامَ شَاشَاتٍ تَعْرِضُ لِقَطَاتٍ أَمْنِيَّةً، يُتَابِعُونَ مَعْرَكَةَ زَيْلِيونَ وَمَلِكِ الْجَمْرَاتِ. سَقَطَ كِلَاهُمَا عَلَى الْعُشْبِ وَالطَّمِي، وَكَبُرَتْ الصُّورَةُ لِتَتَابِعَ تَحْرُكَاتِهَا.

لدى دخولها العُرفة، مدَّ العديد من الأشخاص أيديهم صوب أسلحتهم، وتحركت إيجي لتشن هجومها، قبل أن تمسك ريبكي بذراعها قائلة: «لا يُمكنك قتال الجميع».

بإمكان إيجي أن تُقاتلهم جميعًا بلا ريب، لكن من غير المرجح أن تنصهر في هذا القتال، قال أحد الضباط: «أنت من أهل المنارة، أنت شقيقة..». نظر إلى إيجي، ثم قال بوجه شاحب: «شقيقتها».

أجابته ريبكي: «لقد أتيتُ بها إليكم، لتحدث معكم وتُفنعكم».

لحظة.. ماذا؟

أسكت إيجي بذراع شقيقتها الشابة، وهمست: «لا يُمكنني القيام بهذا يا ريبكي».

ابتسمت لها ريبكي ابتسامةً رُبا اعتقدت أنها مُشجعة، ثم قالت: «قلت أنك تتدكرين، ابحتي في ذاتك، فلا تزالين هناك يا إيجي».

بحق الظلال، أجابتها: «لا، لست هناك يا ريبكي، لست هناك حقًا».

-«ماذا سنفعل إذن؟»-

أجابتها إيجي: «عليك أن تقومي بهذا، أن تنطقي بها لا أستطيع».

التفت ريبكي إلى بقية الموجودين في العُرفة، الذين نظروا إليهما بارتباكٍ - لكن مع استمرار رفع أسلحتهم على أهبة الاستعداد.

قالت ريبكي: «لم نأت لنؤذيكم، ولا لنهاجمكم. وكل ما أريده هو أن تستمعوا لي فحسب». أومأت برأسها نحو الشاشة التي كانوا يشاهدونها، ثم أضافت: «هل أسقطها الغريب خارج المدينة؟».

ساد الصمت العُرفة للحظة، ثم أومأت امرأة - من موقعها أمام محطة تحكّم - برأسها.

قالت ريبكي: «إنه يُحاول أن يُريكُم أن ملك الجمرات ليس إلا شخصًا ضعيفًا». ثم توقفت، ومالت برأسها جانبًا، إذ بدا زيليون عاجزًا عن القتال ببراعة، بل ظلّ يتلقى الضربات ويسقط. ماذا حدث لمهاراته القتالية؟

سألتهم ريبكي: «إن ملك الجمرات يغش، أليس كذلك؟».

ومرّة أخرى، خيم الصمت على العُرفة. حتى شعرت إيجي برغبة عارمة في استخدام إستراتيجية

(لنقاتلهم جميعًا، ورُبا نموت). لأن الصمت كان مُزعجًا للغاية.

قال مُشغل آخر أخيرًا: «أجل، غالبًا ما يلجأ لشيء من هذا القبيل، إذ يجعله ذلك يبدو وكأنه لا يُفهر».

ثم قال آخر: «كما يُقاتل المتفحّمين أحيانًا، لكنه دائمًا ما يُضعف قواهم أولًا».

وأضاف ثالث: «يظن أن أحدًا لا يعلم ذلك، لكننا جميعًا نعلم. أعني.. إن هذا واضح للغاية».

قالت ريبكي وهي تتقدم للأمام: «هذه فرصتكم». ثم تراجعَت، ورفعَت يديها بينما اشتدت قبضاتهم على أسلحتهم، وأردفت قائلة: «انظروا! لقد سقطت عن المركبة، والشمس تُشرق. كل ما يتعين عليكم فعله هو الطيران، وتركه خلفكم».

قال أحد المشغّلين: «سيقتلنا المتفحّمون!».

قالت ريبكي: «المتفحّمون الذين لم يمنعوننا من الدخول إلى هنا؟ إن الأمور تتغيّر، كل شيء يتغيّر. اسمعوني جيّدًا، لقد تعلّمنا كيف نشحن قلوب الشمس».

خَفَضَ أحدهم سلاحه مُتسائلاً: «ماذا؟ أنتِ تكذّبين».

أجابته: «لا، لا مزيد من التضحيات، أو اليانصيب». انهمرت دموعها على وجنتيها وهي تتقدّم للأمام مرّة أخرى، غير عابئة برد فعلهم، ثم قالت: «لقد تركتُ والدتي تحت نور الشمس، وراقبتُ شقيقتي تُسَلَب مني، وشقيقتي يموت بسلاح ملك الجمرات. ألم نُضَحِّ بما فيه الكفاية؟».

قالت إحدى النساء: «إنه قويٌّ للغاية!».

أشارت ريبكي للشاشة، حيث أُجبر ملك الجمرات على الاستمرار في ضرب زيليون، وقالت: «هل يبدو لكم قويا؟».

ساد الصمت، لكن إليجي وجدت نفسها مُمتنة له هذه المرّة. راقبت زيليون يقف مرّة أخرى، لقد كانت مُحطّبة بشأن قوّة ريبكي. فهل أخطأت في هذا الأمر أيضًا؟
أجل.

لأنه ما دام لم يتمكّن ملك الجمرات من هزيمة الرّجل الذي أعاق قدراته وأبرحه ضربًا، فما هي القوّة التي يُمكنه أن يتظاهر بامتلاكها؟
هناك الكثير لتتعلّمه.

قالت ريبكي: «أعرِف جيّدًا معنى الشعور بالعجز، وأعرِف أنكم قد شعرتم به، وأنتم تُشاهدون ما فعله بالمدينة، وبالأشخاص الذين تُحبّونهم. لقد جبّنتم أمامه، لأنه لم يكن لديكم أي خيار آخر. لكن اليوم لديكم خيار، حلّقوا بنا بعيدًا، واتركوه وحده». توقّفت ريبكي، ثم فتحت بقايا قميصها، لتكشف عن قلب جمرها الظاهر للعيان - والجلد المحترق من حوله.

حلّ الصمت على الغرفة.

ثم قالت ريبكي: «أنا المرأة التي أضاءها نور الشمس، أنا المتحكّمة بالمتفحّمين الآن، وقد جئت لأهديكُم الحرّية. وأنا أعرضها عليكم، دون إلزام أو إكراه، لأن العالم يتغيّر، واليوم، نختار بإرادتنا الحرّة.. من فضلِكُم».

خَفِضَت الأسلحة، وتبادلوا نظرة فيما بينهم.

وأخيرًا، وقفت المرأة التي تحدّثت أولاً، وقالت: «سأفعلها بحق الظلال». توجّهت نحو أجهزة التحكّم في مُقدّمة الغرفة، دون أن ينهض أحد ليمنعها عن ذلك.

وهكذا، تحلّت «يونيون» عن ملكها، وتركته وسط الوحل. وكانت رؤية التعبير الذي ارتسم على قسّات وجهه مُمتعة للغاية، عبر الكاميرات، وهو يُشاهد ما يحدث.

استقرَّ الموجودون في العُرفة، وبدوا مصدومين مما فعلوه للتو - أو ما سمحوا بحدوثه. لكنَّ ظَلَّتْ هُنَاكَ مُشكِلةٌ واحدة. أمسَكَتْ إِيلاجي بذراع ريبكي وأخذتها جانِبًا، وسألَتْها بصوتٍ خفيضٍ: «ماذا عن زيليون؟».

قالت: «بحق الظلال». ثمَّ نظرتْ إلى الموجودين بالعُرفة، وقالت: «علينا إرسال مركبة لإنقاذ الغريب». تساءل أحدهم: «إرسال مركبة؟ إن المدينة في حالة إغلاق شاملٍ بأمرٍ من ملك الجمرات أيها المرأة التي أضاءها نور الشمس، ولا يُمكننا تجاهل ذلك. ولمُدَّة ساعةٍ واحدة، لن نستطيع أي مركبة مُغادرة المدينة، مهما حدث».

بينما قال آخر: «إن ملك الجمرات مُصاب بالبارانويا، ولن يتمكَّن أحد من القيام بذلك، حتى ينقضي الوقت».

وأضافت امرأة: «أعتقد أنه لم يخطر بباله أبدًا أننا سنطير بالمدينة بأكملها، ونتركه خلفنا». استدارت ريبكي، وقالت: «علينا إرسال المركبة التي جاء زيليون على متي...». توقَّفت عندما رأت إجابتها تظهر في الخلفية على الشاشة، حيث قبعَت «دونتشيستر» في كومةٍ مُشتعلةٍ.

لقد خدمتهم تلك المركبة بإخلاص، ذهابًا وإيابًا عبر «الاضطراب العظيم»، لكنها لن تُحلِّق مرَّةً أخرى أبدًا. لا سيَّما مع تقدُّم نور الشمس، بلا هوادة. الذي اقتربَ بشدَّةٍ من الرجلين المتصارعين، اللذين تحوَّلا إلى مُجرَّد بقعتين صغيرتين الآن، بعد أن انطلقت المدينة بسرعتها القصوى.

ضمَّتْ إِيلاجي ريبكي، وقالت: «الوداع أيها القاتل، وشكرًا لك أيضًا لأنك وفَّرت لي رقيقًا يستحق القتال إلى جانبه».

رَكَضَ مَلِكُ الْجُمَرَاتِ خَلْفَ الْمَدِينَةِ لِمَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ، لَكِنَّ حَتَّى مَعَ وَحِدَاتِ ادِّخَارِهِ، لَمْ يَكُنْ لِيَلْحَقَ بِهَا أَبَدًا، وَلَا حَتَّى لِيَسْبِقَ الشَّمْسَ. وَعَرَفَ زَيْلِيُونَ هَذَا، فَقَدْ جَرَّبَهُ سَابِقًا.
ابْتَسَمَ ابْتِسَامَةً عَرِيضَةً عِنْدَمَا اسْتَدَارَ الرَّجُلُ، بَعَيْنَيْنِ وَاسِعَتَيْنِ، وَالنُّورَ الْقَادِمَ مِنَ الْأُفُقِ يَنْعَكِسُ عَلَى وَجْهِهِ.

قال ملك الجمرات وهو يقترب منه: «ستستدعي تلك الدرع مرة أخرى، وستسلمها إليّ».

أجابهُ زَيْلِيُونَ بِإِنهَآكَ: «لَا أَسْتَطِيعُ فَعَلَ ذَلِكَ».

صَرَخَ مَلِكُ الْجُمَرَاتِ، وَهُوَ يَتَقَدَّمُ لِلْأَمَامِ، وَيُمَسِّكُ جَانِبِي رَأْسِ زَيْلِيُونَ قَائِلًا: «إِذْنِ سَأَقْتُلُكَ».
-«ثُمَّ سَتَمُوتُ بِدُورِكَ».

قال ملك الجمرات: «لا، لقد قرأت ذلك الكتاب، وأعرف بشأن آلتك، سلاحك هذا. النصل الفلقي؟ أعرف أنك إذا مُت، فسيبقى بجوارك، في انتظار من يأخذه». أشار إليه ثم قال: «لقد خلقت درعًا حول هؤلاء القوم، ماذا سيحدث عندما أقتلك إذن؟ ستختفي، أليس كذلك؟».
صَرَ زَيْلِيُونَ عَلَى أَسْنَانِهِ.

أجل، لو مات.. سيظهر سلاحه إلى جواره، غير مُرتبط به.

قال ملك الجمرات مُستنزفًا حرارة زيليون: «سأخذه، وأحمي نفسي به».

غَمَرَتْ بَرُودَةٌ عَمِيقَةٌ جَسَدَ زَيْلِيُونَ، وَكَأَنَّ الصَّقِيعَ قَدْ رَسَمَ حُدُودَ مَمْلَكَتِهِ فِي عِظَامِهِ. وَشَهَقَ بِقُوَّةٍ.

وَاصَلَ مَلِكُ الْجُمَرَاتِ حَدِيثَهُ قَائِلًا: «وَعِنْدَمَا سَتَعُودُ الْمَدِينَةَ، سَتَرَانِي عَلَى حَقِيقَتِي، شَخْصًا خَالِدًا».

جعل هذا البرد القارس قلبه يرتجف.

هَمَسَ مَلِكُ الْجُمَرَاتِ: «سَأَسْلُخُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَجَرَّأُوا عَلَى خِيَانَتِي، وَلَنْ يَقِفَ أَحَدٌ لِمُوَاجَهَتِي مَرَّةً أُخْرَى.

لَيْسَ بَيْنَنَا أَحْمِلُ سَيْفِ الْغَرِيبِ الْبَاهِرِ. سَأُوحِدُ الْجَمِيعَ، تَحْتَ لُؤَاءِ مَدِينَةٍ مَجِيدَةٍ وَاحِدَةٍ، يَحْكُمُهَا رَجُلٌ وَاحِدٌ».

شَعَرَ زَيْلِيُونَ بِالْبُرْدِ يَتَزَايِدُ، وَتَحَوَّلَ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى صَقِيعٍ، وَرَغْمَ ذَلِكَ..

لَمْ يَكُنْ قَدْ أَقْسَمَ عَلَى حِمَايَةِ هَؤُلَاءِ الْأَشْخَاصِ.

بَدَأَ أَنْ يَدْعُوَ الْمُسَاعِدَ. وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، بَدَأَ ذَلِكَ الْوَعْدَ أَقْوَى بِكَثِيرٍ. بَحَثَ زَيْلِيُونَ فِي أَعْمَاقِ نَفْسِهِ حَتَّى

وَجَدَ الشَّرَارَةَ الَّتِي دَفَعْتَهُ - مِنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ - لَارْتِقَاءِ السَّمَاوَاتِ.

لَمْ تَكُنْ تِلْكَ تَضْحِيحَةً، بَلْ رُبَّمَا هِيَ ذِكْرَى.

لَقَدْ طَلَبَ مِنْهُ الْمُسَاعِدَ أَنْ يَسْتَمِرَّ، وَهَكَذَا سَيَفْعَلُ.. بِحَقِّ الْعَوَاصِفِ.

أَمَسَكَ بِمَعْصَمِي مَلِكِ الْجَمْرَاتِ هَامِسًا: «يا شديد البأس، الذي يَقِفُ عَلَى عَتَبَةِ الْمَوْتِ، مُدَّنِي بِحَرَارَتِكَ، حَتَّى أُبَارِكَ أَوْلِيكَ الَّذِينَ مَا زَالُوا يَسْتَحِقُّونَهَا».

قَهَقَهُ الرَّجُلُ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ: «صَلَاةٌ عَلَى الْمَوْتَى؟».

قَالَ زَيْلِيون: «لا، بَلْ إِلَى الْمَوْتَى».

وَنَظَرَ فِي عَيْنِي الرَّجُلَ.

قَبْلَ أَنْ يَشْرُعَ فِي اسْتِنزَافِ الْحَرَارَةِ مِنْهُ.

شَهَقَ مَلِكُ الْجَمْرَاتِ وَهُوَ يُجَاهِدُ لِلْفِكَاكِ مِنْ قَبْضَتِهِ. اقْتَرَبَ نَوْرُ الشَّمْسِ مِنْهُمَا، وَسَمِعَ زَيْلِيونَ قَرَقَعَةً أَلْسِنَةَ اللَّهَبِ الْقَادِمَةِ. تَلَوَّتِ النَّبَاتَاتُ مِنْ حَوْلِهَا قَبْلَ أَنْ تَتَحَوَّلَ لِلْوَنِ الْبُنْيِ.

قَالَ مَلِكُ الْجَمْرَاتِ: «تَوَقَّفْ عَنِ ذَلِكَ».

غَمَرَتِ الْحَرَارَةُ زَيْلِيونَ، الَّذِي كَانَ أَحَدَ أَطْفَالِ كَانْتِيكَلِ فِي الْوَقْتِ الْحَالِي -لَكِنَّهُ مُعَدَّبٌ بِقُدْرَتِهِ عَلَى التَّرَوُّدِ بِوَحْدَاتِ الْأَدِّخَارِ- اسْتَحْوَذَ عَلَى طَاقَةِ هَذَا الرَّجُلِ فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِ. الطَّاقَةُ الَّتِي انْهَمَكَ مَلِكُ الْجَمْرَاتِ فِي تَجْمِيعِهَا لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ، مُسْتَنْزِفًا الْحَرَارَةَ مِنَ الْآخَرِينَ دُونَ خَشْيَةٍ مِنَ الْإِنْتِقَامِ. تَلَّكَ الطَّاقَةُ الْمُتْرَاكِمَةَ بِدَاخِلِهِ، الَّتِي جَعَلَتْ عَيْنِيهِ تَتَوَهَّجَانِ، قَدْ أَثْقَلَتْ رُوحَهُ بِالْإِعْتِقَادِ بِأَنَّهُ عَظِيمٌ، لِأَنَّهُ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَأْخُذَ مَا يَشَاءُ.

صَرَخَ الرَّجُلُ بِعَيْنَيْنِ وَاسْعَتَيْنِ: «تَوَقَّفْ!».

قَالَ زَيْلِيون: «أَتَدْرِي مَا مُشْكَلَةُ حُكْمِ الطَّاعِيَةِ؟ أَنَّهُ يَوْجَدُ دَائِمًا شَخْصًا أَقْوَى».

قَاوَمَهُ مَلِكُ الْجَمْرَاتِ بِشَكْلِ مَحْمُومٍ، لَكِنَّ التَّوَهُُّجَ الَّذِي انْتَقَدَّ بِدَاخِلِهِ خَفَتِ. وَعَادَتِ عَيْنَاهُ لِطَبِيعَتَيْهَا، فَصَارَتَا مُجَرَّدَ عَيْنَيْنِ عَسَلِيَّتَيْنِ عَادِيَّتَيْنِ. انْطَفَأَ بَرِيقُ قَلْبِ الْجَمْرِ النَّابِضِ فِي صَدْرِهِ، وَوَجَدَ زَيْلِيونَ نَفْسَهُ مُفْعَمًا بِالطَّاقَةِ.

وَاشْتِاقَ بِشِدَّةٍ لِسَمَاعِ صَوْتِ الْمُسَاعِدِ يُجْبِرُهُ لِمَرَّةٍ أُخِيرَةٍ بِحَالَةٍ وَحْدَاتِ ادِّخَارِهِ الْحَالِيَةِ. لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِحَاجَةٍ لِذَلِكَ، فَقَدْ بَلَغَتْ سَعَةُ الْقَفْزِ نِسْبَةً مِئَةً بِالْمِئَةِ، وَرُبَّمَا حَتَّى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.

هَمَسَ زَيْلِيون: «اسْتَمْتِعْ بِشُرُوقِ شَمْسِكَ الْأُولَى، فَسَيَكُونُ هَذَا أَرْوَعُ مَا تَرَاهُ فِي حَيَاتِكَ بِأَكْمَلِهَا».

غَمَرَهُمَا النُّورُ وَالنَّارُ، وَاشْتَعَلَّتِ النَّيْرَانُ فِي مَلِكِ الْمُتَفَحِّحِينَ السَّابِقِ، الَّذِي ذَبَلَ جِلْدَهُ قَبْلَ أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلَى رَمَادٍ، وَتَصَاعَدَ الْبُخَارُ مِنْ عَيْنِيهِ قَبْلَ أَنْ تَنْفَجِرَا.

وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، نَشَّطَ زَيْلِيونَ عَذَابَهُ، مُسْتَعْدِدًا مَخْزُونَ الطَّاقَةَ الضَّخْمَ الَّذِي أَعَدَّهُ لَهُ مَلِكُ الْجَمْرَاتِ. قَافِرًا بَعِيدًا عَنِ الْكَوْكَبِ، إِلَى قَلْبِ الْكُونِ.

مُسْتَكْمِلًا رِحْلَتَهُ.



خاتمة

قفزت إيجي عن المركبة، وركضت عبر الأرض الموحلة المظلمة. بينما تبعت ريبكي نهجاً أكثر تحفظاً، موجّهة منصّة الحوامة الصغيرة، لدورة واحدة فقط. كانت قد تصرّفت بقدر كبير من الحصافة، حتى ليعتقد المرء أنها قد خلقت للقيادة.

وجدتا الحفرة الفارغة التي أبلغ عنها الكشافة. حفرة ضخمة في قلب الأرض، يكسو قاعها عدّة أقدام من الوحل. وبداخلها، جلس أهل المنارة، يلوّحون بحماس. غمّر الوحل بعضهم، بينما وُضع الصغار فوق المركبات المعطّلة.

لقد نجوا، نجوا من نصف دورة شمس كاملة. وقفت إيجي هناك، تبتسم، وتبدي مشاعرها الطبيعيّة - ثم قفزت إلى منصّة ريبكي أثناء هبوطها. لوّثت شقيقتها بالظمي، لكن من يهتم الآن؟ فالأشياء تتلوّث بالوحل طوال الوقت.

ابتعد أهل المنارة عن طريق المحرك المثبت في قاع المنصّة، الذي نفث بخاراً لاذعاً من غليان الوحل أثناء عملية الهبوط. خفّضت عدّة مركبات أخرى جبالاً ليتسلّقها الأقوياء، بينما خُصّصت هذه المنصّة لكبار السن.

وسرعان ما سوعدت ثلاث مُسنّات على الصعود. لقد صمدت عضوات الخير الأعظم المنهكات، والملوّثات بالوحل في وجه محتتهن. نظرن إلى ريبكي، التي وجدت فُستائناً يُمكنها ارتداؤه، مكشوف الصدر بما يُظهر قلب جمرها وبشرتها المحترقة.

كانت كومباشن أول من أدرك ما حدث، فقالت: «المرأة.. التي أضاءها نور الشمس؟».

أجابتها ريبكي بصوتٍ خافت: «بل الشخص الذي أضاءه نور الشمس».

سألته كونفدنس: «وماذا عن ملك الجمرات؟».

أجابتها ريبكي: «لقد مات، ونأمل في استرداد قلب شمس، واستخدامه لتزويد «يونيون» بالطاقة اللازمة لفترةٍ من الوقت، يبدو ذلك مُناسباً».

ابتسمت كونتيمبليشن ابتسامة واهنة عندما ارتفعت المنصّة لتُعيدهن إلى «يونيون» للتعافي، ثم قالت: «عليك سماع هذا، هناك طريقة لإعادة شحن قلوب الشمس».

أومأت ريبكي برأسها قبل أن تقول: «لقد أخبرنا بذلك، قبل أن.. يُغادر».

تبادلت المُسنّات الثلاث نظرة فيما بينهن. لم يكن الأمر واضحاً، ولم يعرفن الإجابة على وجه اليقين، وقد لا يعرفن إجابة ذلك السؤال يوماً؛ هل نجا بطريقةٍ ما، أم ابتلعه نور الشمس؟

لكن قلب إليجي -الذي درّبه على الشعور بالبهجة- أراد أن يُصدّق. فقد ظلّت القبة قائمة طوال اليوم، لتحمي أهل المنارة، قبل أن تحتفي وتركهم في قلب بركة موحلة. أخبرتها غرائزها أنهم عند استعادة قلب شمس ملك الجمرات -القلب الأخير الذي يجب صناعته- سيجدونه وحيداً هناك في قلب التربة.

قالت ريبكي بصوتٍ خافتٍ، وهم يصعدون إلى كبد السماء: «لدينا عملٌ لنقوم به، لقد أجرينا بالفعل بعض الاتصالات مع أشخاص من ممّراتٍ أخرى - بل وحتى أرسلت إحدى المجموعات وفداً. لكن علينا أن نصل إليهم جميعاً، وأن نُخبرهم بما اكتشفناه. سنُشاركهم المعلومة ببساطة، كما وصلت إلينا ببساطة، علينا أن نوقف التضحيات».

قالت كونتمبليشن: «كما تشائين أيتها المرأة التي أضاءها نور الشمس».

قالت وهي تبتسم: «لا، ليس كما أشاء، فأنتن قائداتنا».

أشارت كونفدنس إلى قلب الجمر الذي يُزيّن صدر ريبكي، وقالت: «لكن...».

أجابتها ريبكي: «يتيح لي هذا التحكّم في المُتفحّمين، لكننا سنُحاول إفاقتهم تدريجياً، وتعليمهم، ولا أرى المزيد منهم يُصنعون في المُستقبل. سنستخدمهم للحماية، ما داموا اختاروا هذا. لكنني لن أتحوّل إلى طاغيةٍ أخرى، بل سأتحوّل إلى.. رمزٍ يا كونفدنس. إلى منارةٍ، ولا شيءٍ آخر». ابتسمت، ثم نظرت إلى إليجي وقالت: «كما علّمتنا شقيقتي».

لا زالت إليجي تأمل أن تُتاح لها فرصة للقتال بين الحين والآخر. لكن إن لم يحدث ذلك.. فلا بأس، عليها فقط أن تجد مشاعرٍ وأنشطة جديدة لتستمتع بها.

وبينما صعدوا إلى السماء، وجدت أن الأمر بدا كمغامرة.. ولم يكن مُملاً.

انسحب الرقيب أول تروث إذ ويتنج (25) من مؤتمره مع أهالي المدينة المُحلقة. تراخى في مشيته، إذ علم يقيناً أن مظاهر الانضباط العسكري ستثير الرهبة في نفوسهم، كما أنه لم يُردهم أن يتذكروه. فقد وقّف على أرضٍ هشةٍ بما فيه الكفاية، مُتظاهراً بأنه جاء من بلدةٍ تقع في (ممرٍ) آخر ليحظى ببعض التفسيرات.

انسلّ داخل المركبة التي سرقوها من أول مدينةٍ زاروها. وبداخلها، راقب بقية أعضاء «سرية الليل» الباب وأيديهم على أسلحتهم. وقفوا عندما أوما لهم برأسه، قبل أن يدخل إلى المقصورة.

انتظرته الأميرال هناك. لقد حظوا بأمرال، رغم كونهم جيشاً، بطريقتهم الخاصة. كانت طويلة القامة، ذات شعر أسود قصير، وترتدي زياً عسكرياً كاملاً، ووقفت بعيداً عنه، ويدها مشدودتان إلى جانبيها. لم تكن الأميرال من النوع الذي.. يميل إلى الاسترخاء، حتى إنه لا يتذكّر أنه دخل أبداً خلال مُهمّة، ووجدتها جالسة.

قالت بصوتٍ خافتٍ: «قدّم تقريرك». وضعت يدها على سلسلتها المتصلة - السلاح الفضي الشبيه بالسوط الملفوف المُعلّق على فخذه.

أجابها تروث إذ ويتنج: «لقد كان هنا، إنهم يتحدثون عن ذلك بحرية، وبحسب ما سمعتُ فقد توفي منذ يوم واحد، بالتوقيت المحلي. في قتالٍ مع ملك هذه الأرض».

قالت الأميرال وهي لا تزال توليه ظهرها: «مات؟».

- «كما يُقال، هل يتوجب علينا أن نُنقب عن المعلومات بطريقةٍ أكثر إيلاماً؟».

- «هل تعتقد أن لديهم أي إجابات مُفيدة؟».

- «بصراحة يا سيديتي؟ لا».

صَربَت الأرض بقدمها في تدبُّر.

قال: «لكنني وجدتُ شيئاً مُثيراً للاهتمام، هناك مركبة سكاдриانية مدفونة هنا. يتدبَّرون أمورهم (العلمية). لقد قابلوه، ولم يُبلغونا بذلك - أو حتى يُرسلوا لنا تحيةً ودية. ألا تظنين أن هذا تصرفٌ وقح؟».

استدارت لتواجهه، وعيناها تلمعان، واحتلت ابتسامة نادرة شفيتها، قبل أن تقول: «هذا وقح للغاية».

أجابها: «لعله يجب علينا أن نزورهم لنكتشف ما يعرفونه». هزَّ كتفيه قبل أن يُضيف: «بجانِب أن الناس هنا هم أبناء عمومتنا. ومن غير المنصف أن نلومهم على تواجدهم في المكان الخاطئ».

قالت: «إن التواجد في المكان الخاطئ هو الدافع الأساسي وراء شعور الناس بالذنب يا تروث».

هزَّ كتفيه مرّةً أخرى.

واصّلت الأميرال حديثها قائلة: «سواصل العمل مع السكاдриانيين، فلديهم تسجيلات، قد تكون أدق بكثيرٍ من الروايات المتداولة بين مجموعة من القرويين المنعزلين على أي حال. يراودني شعور بأنه يسبقنا

بخطوةٍ واحدةٍ مرّةً أخرى، ما رأيك؟».

- «أعتقد أنه خائفٌ حقاً».

لم تُجبه. وأثناء مُغادرته، انضمَّ إليه ظلان من أركان العُرْفَة - بعيونٍ حمراء متوهّجة، وأزياء رسميةٍ كانا يرتديانها عندما وافتها المنية. لم تحتج الأميرال لأن تأمرهما بأي شيء، لكن حركاتهما أوضحت بجلاءٍ رغبتها

في البقاء بمعزلٍ عن الآخرين، حتى عن الموتى.

لم يسرها سماع أن فريستها قد فرّت بعيداً مرّةً أخرى.

توجّه تروث إلى العُرْفَة الرئيسيّة.

فقد كان من الأفضل أن تظل وحيدة في مثل هذا الوقت.

جَلَسَ زيليون على الشاطئ، مُصغياً إلى هدير المياه على الرمال، وهو يشعر.. بالغرابة لأنه يجلس تحت نور الشمس. ورغم أنه نور شمسٍ عاديّة، ظلّ الأمر غريباً. ما انفكَّ يعتريه شعور بضرورة اختبائه.

تمتّع بشعورٍ جيّدٍ بالوقت، لكن الجلوس هنا، في انتظار ما هو آتٍ، كان أمراً مُرهقاً. عدَّ ضربات قلبه مُسطراً علامات على الرمال. حتى تأكّد يقيناً من أن أهل المنارة، هناك في كانتيكل، قد فرّوا من نور الشمس،

واختبأوا في الظلام.

وعرف أنهم سيختنقون لو انتظر أكثر من اللازم. لذا توجب عليه استخدام أفضل تخميناته، واستدعاء سلاحه مرة أخرى، عندما اعتقد أن الوقت قد حان. ظهر في يده كسيف، واستخدمه أخيراً - بعد طول انتظار - ليقطع ذلك الرباط الغبي الذي يُثقل ساقه.

تمدد، مُستلذاً بالتحرُّر من ألف رطل. ورغم ذلك، حلَّ محله ثقل آخر - ثقل كاسح يجثم على روحه. سأله: «هل اخترت الوقت المناسب؟ هل أحرقتهم أحياءً لتوي أم أنني أطلقت سراحهم؟ هل دفنهم التراب الساقط من أعلى؟ هل أنقذت إليجي ريبكي؟».

لم يسمع سوى الصمت. فقد مات المُساعد، والأسوأ من ذلك، أنه احترق بالكامل - ولم يبق منه أثرٌ في عالم الإدراك. لقد آل هذا السيف الآن إلى جُثة، مُنفصلة تماماً عن الروح التي سكنتها يوماً. ولم يقطع تأملاته العميقة صوت محل ضميره المتلاشي، فقد كان وحيداً تماماً.

من المُحتمل أنه لن يعرف أبداً ما آلت إليه أقدار ريبكي، وإليجي، والخير الأعظم، وسائر أهل المنارة. إذ كان عاجزاً عن النظر للوراء، لأنه لا يجرؤ على جلب القوى التي تُطارده في كل مكان بالقرب من الأشخاص الذين يهتم بهم. لأنه إذا عاد إلى هناك، فسيعلمون أهمية هذا المكان بالنسبة له، وسيصير كل من تحدّث إليه يوماً هدفاً لهم.

وتمنى، بحُكم إقامته القصيرة هناك، ألا يدرك أحد مدى عمق اهتمامه بالكوكب وسُكَّانه. ومن بعيد، لمح قارباً آخر. إنها تمر بهذا الطريق كثيراً، رغم أنه لم ير أي يابسة أخرى في المنطقة، سوى هذه الجزيرة المرجانية التي ظهر عليها - التي غمرتها المياه لبضع بوصات أثناء تغيُّر المد الأخير، وافتقرت حتى إلى شجرة واحدة تؤنس وحدته.

تأوّه بصوتٍ خفيض، قبل أن ينهض واقفاً، ثم شكّل أوكس على هيئة درع عاكسة، واستخدمها لعكس نور الشمس. وفي غضون لحظات، استدارت السفينة نحوه. وتبيّن أن الأشخاص الذين يعملون في طاقمها هم من قوم الـ «شو ديل» من بين جميع الأشياء، لم يكن يعرف بوجود أي منهم قبالة يولين. وما إن وصلت سفينتهم الصغيرة، حتى خرج لمقابلتها. فقد حان الوقت للبدء في رحلة الفرار من جديد.

تمت

[25 Truth-is-waiting](#): جملة إنجليزية تعني «الحقيقة تنتظر». المترجم.

تذييل

هذا الكتاب هو الوحيد من كُتُب «كيكستارتر» الذي كُنْتُ مُدرِّكًا ما الذي ستؤول إليه الأحداث فيه. دعوني أشرح الأمر لقد كتبت «فتاة بحر الزُمرد» في لحظة شغف، كهدية لزوجتي. أمتعني التجربة للغاية حتى أنني قررت تجربة شيءٍ مجددًا، كما أُنِي حظيت بوقتٍ إضافي بسبب «كوفيد - 19». بدأت ألهو بقصص أخرى فوصلت إلى «دليل الساحر المُقتصد»، التي كتبتها لنفسني نوعًا ما، كطريقةٍ لأثبت لنفسني أن بإمكانني الحفاظ على الزخم الذي حصلت عليه خلال عملي على «فتاة بحر الزُمرد»، وكطريقةٍ لخلق شيءٍ جديدٍ ومختلفٍ بالنسبة لي.

أما «يومي» فقد كانت هديةً أخرى لزوجتي، حيث إنني كُنْتُ قد كتبت قصةً في «فتاة بحر الزُمرد» بناءً على مساءلةٍ طرحتها، لكنني في «يومي» رغبت في أن أُغرق في الأمر لأكتب قصةً من أجلها، وهو شيءٌ شعرت أنها ستحبه. وعندما أنهيته، وجدت لديّ ثلاثة كتب، وبدأت فكرة «عامٌ من ساندرسون» تتبلور في مُخيلتي. ورأيت بأن أربعة كتب، بواقع كتابٍ لكل ربع من السنة، ستكون الطريقة المثلى لتحقيق ذلك. بدأ الأمر صائبًا، وهكذا رغبت بكتابٍ آخر. وأردت أن أكتب هذا الكتاب من أجلكم.

فقد كانت مشاريعي السريّة الأخرى بغرض تجربة أدوار الراوي. فجاءت إما بعيدةً عن «كوزمير» أو حظيت بمُجرّد تماس بسيط معه. أحبهم كلهم، وفخورٌ بهم بكل تأكيد. ولا أقصد أن أوحى بالعكس على الإطلاق. لكنني أدركت أنني في حال نويت الإقدام على «عام من ساندرسون»، فأنا أرغب في كتابٍ واحد تركز (حبكته الأساسية) على «كوزمير»، متعاملًا مع شخصيّةٍ خطّطت أن تكون مؤثرةً على الأحداث المستقبلية، ولبناء عرف «كوزمير»، ليس على مُجرّد كواكب جانبية، بل بطريقةٍ مهمّة.

وهكذا فإن هذا الكتاب هدية لكم. وبما أن كلاً من «فتاة بحر الزُمرد» و«يومي» هدايا لإيميلي، فقد خطّطت لأن يكون هذا لكل من تابع رحلتي على مرّ كل السنين السابقة. ما زال هذا العمل تجربة؛ أردت في حالته أن أكتب ملحمة خيالية بوقوع أشدّ سرعة. كما أنني أردت التلاعب بعناصرٍ من أساليب لم أجربها من قبل. (كما في المشاريع السريّة الأخرى) كان دليلي في هذا العمل هو «الأنماط الغربية القديمة ونسخها المعاصرة». كما في أفلام «ماد ماكس» حيث تدور القصة عن جوّال يتورط في المشاكل المحلية ويجد نفسها مُجبرًا على الرحيل بعد إنقاذ الناس هناك.

كانت قصة سِجزل آخذةً في البناء داخل رأسي منذ وقت لا بأس به. يدور كتابي الخامس (الذي لم يرَ النور) واسمه «التجسّد السادس لباندورا». (والذي ربما يكون أسوأ عناويني، أعلم ذلك. لم أتمكّن من إيجاد الاسم المناسب له قط). حول مُحاربٍ خالد يُدعى «زيليون»، يعيش طويلاً حتى يفقد اتصاله مع العالم من

حواله لأنه فقد اتصاله مع البشر. كان «زيليون» شخصيتي على الإنترنت في أكثر من لعبة على مرّ السنين غالباً لأنه اسمٌ لا يستخدمه الآخرون.

بالإضافة إلى ذلك، كانت أولى قصص «كوزمير» التي يمكنني تذكُّر كتابتها على الإطلاق تدور حول هويد الذي سافر إلى كوكبٍ جديد، ليستكشف السحر، وليُقرّر فيما إذا كان الناس هناك مُرَّشِّحين مناسبين للانضمام إلى صراع من النوع الذي قد يكون أشدَّ حرقاً للأحداث من أن يُذكر هنا. لم أنه تلك القصة أبداً، خلال كتابتي القليلة في فترة التسعينيات، لكن الفكرة ظلَّت معي، عن شخصٍ ما يقفز بين العوالم في «كوزمير»، حتى يتمّ تقييده، ويجد نفسه مُضطراً لتعلُّم السحر ليتمكّن من الهروب.

ربطت كلتا هاتين الفكرتين بـ «سج» خلال كتابتي لـ «سجلات العاصفة». بنيت قصته في مُخيَّلي - المدرب لدى «هويد» الذي مُنح «فلق الفجر» لفترةٍ قصيرة، والآن توجَّب عليه أن يعيش نوعاً غير متوقَّع من الخلود.

لكن لم يُرضني قط أن يكون «هويد» هو من ينتقل إلى عوالم جديدة لفهم السحر، كونها لم تبدُ منسجمةً معه. أردت شيئاً مُفعمًا بالحياة، مع مطاردةٍ جارية، وهو ما كان ليتعارض مع الأشياء التي خططت أن يقوم بها «هويد». (لفترةٍ قصيرة كان «شاي» هو من سيقوم بالقفز بين العوالم، لكن دون أي صلة بـ «فلق الفجر» التي كنت قد خصَّصتها لـ «سجزل»).

بغض النظر عن ذلك، غالباً هذه معلومات أكثر بكثيرٍ مما تحتاجون له! النقطة المهمة هي أنني في أواخر عام (2021) حصلت أخيراً على فرصة كتابة قصة «زيليون»، واخترتها لتكون آخر مشروع سرّي، كشكرٍ لكم جميعاً. وأيضاً لاستكشاف شخصية نويت الكتابة عنها منذ وقتٍ طويل. يُحدِّد هذا الكتاب بالنسبة لي حدثاً مهمّاً نوعاً ما، كونها روايتي الخمسين. أحياناً أجد الأمر رائعاً جداً كونها ترتبط بروايتي الخامسة، التي كتبتها منذ هذا الكم من الأعوام. لا يُمكنني أن أعدكم أنني سأكتب المزيد من القصص عن «سج» بشكلٍ مُباشر، لكنه سيكون مرتبطاً بمستقبل «كوزمير»، لذا سيعود. كما أتمنى بالفعل أن تكونوا قد استمتعتم بتجربتي في أسلوبٍ وأنواع الراوي ضمن «كوزمير».

إنها إحدى الفرص الأخيرة لي لأحدِّث الكثير منكم عن الحدث الرائع الذي مثله «كيكستارتر»، لذا دعوني آخذ وقتاً إضافياً لأشرح لكم لماذا أهديتُ هذا الكتاب لكم، أنتم المعجبون.

أنا أو من بصدقٍ بأن الكتب لا تحصل على الحياة حتى تُقرأ. مع أنني أعتقد أنني كنت سأكتب حتى لو لم يقرأ أي أحد - فهذا جزء من كياني - لكنني أتألَّق لأني أعلم بأنكم ستمنحون الحياة لقصتي. ولهذا، فالقصص نوعٌ خاصٌّ من الفن، وبخاصةً تلك المكتوبة منها. إذ يتخيَّل كلُّ منكم الكتاب، وشخصياته بطريقةٍ مُختلفةٍ قليلاً عن سواه ويضع كلُّ منكم بصمته عليه، ليجعله خاصته. أنا لا أرى أن القصة تنتهي حتى يحدث لها هذا، حتى تتحوَّل الأحلام في مخيلتي إلى حقيقةٍ (ولو لبرهة) في مخيلتكم.

وهكذا فإن هذا الكتاب لكم، كما كل الكتب الأخرى بمُجرّد قراءتكم لها. بالغ الشكر لكم لمنح الحياة لعملي، ومنح الحياة لـ «كوزمير».

براندون ساندرسون

عن الكاتِب



براندون ساندرسون

نشأ في «لينكولن»، نبراسكا. ويعيش اليوم في ولاية يوتاه مع زوجته وأطفاله، ويُدرّس الكتابة الإبداعية في جامعة «بريجهام يونج». وبالإضافة إلى إكماله لسلسلة «عجلة الزمن» بعد «روبرت جوردن»، فهو مؤلف لمجموعةٍ من الكتب الأكثر مبيعًا كملحمة «وليد الضباب»، «مُحطّمة الحروب»، وسلسلة «سجلات العاصفة» بدءًا من «نهج الملوك» وحتى «الريشمايست»، سلسلة «سكاي وارد»، وسلسلة «ريكونرز» ابتداءً من «ستيل هارت»، وسلسلة «ألكاتراز في مواجهة أمناء المكتبة الأشرار». حصل على جائزة «هوجو» عن رواية «روح الإمبراطور»، وهي رواية قصيرة تدور أحداثها في عالم روايته الأولى «إيلانتريس».

لمزيد من المعلومات عن كل كتبه زوروا:

brandonsanderson.com

إرنادا سوزا

رسامةٌ من البرازيل، تعمل على الألعاب، والكتب، والكتب المصوّرة والأفلام. تركز أعمالها على رسم شخصياتٍ مفعمةٍ بالقوة مع جمالياتٍ خياليةٍ وسحرية، وعلى إضافة ذوقها الخاص في مجال الألوان. عملت مع عملاء مثل استديو «بريسيشن»، «ويزرد أوف ذا كوست»، مطبوعات «هيت بوينت»، «مارفل للقصص المصورة/ لوكاس فيلم»، واستوديوهات «بوم»، ويُمكنكم مشاهدة المزيد من أعمالها على

ernandasouza.com

نابتسي زيترو

رسامٌ ذاتي التعليم من باراجواي. يُحِبُّ القصص وأسر هيئة وإحساس الرسم التقليدي في عمله الإلكتروني. مُعجَبٌ بفنانين من أمثال «نورمان روكويل» و«جيل إلفجرن». يعمل كرسام حُر، يرسم القصص المصورة ورسومات الكتب، ألعاب الطاولة، وألعاب الكمبيوتر. يُمكنكم مُشاهدة المزيد من أعماله على nabetsezitro.com

كودرياكين

رسامةٌ تنكبُّ على رسم الخيال. فمُنذ نعومة أظفارها أبهرتها العوالم الخيالية لكتابٍ كُثر، حدّد هذا الشغف ملامح سعيها المهني. تستلهم من التاريخ، الأساطير، والناس العُظماء من حولها. ويُمكنكم مشاهدة المزيد من أعمالها على انستجرام @kudriaken أو على kudriaken.carrd.com

